

الجز السادس

جعفر السبحانى التبريزى


بسم الله الرحمن الرحیم

بحوث فی الملل و النحل

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسهٔ النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

بحوث فی الملل و النحل – الجزء السادس (یتناول تاریخ الشیعة)

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور : بحوث فی الملل و النحل : دراسه موضوعیه مقارنه للمذاهب الاسلامیه تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم اداره الحوزه العلمیه بقم الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم موسسه النشر الاسلامی ۱۴۱۴ق = - ۱۳۷۲.

فروست : (موسسه النشر الاسلامی جامعه المدرسین بقم ۷۲۰، ۷۲۱، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۵: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم ۱، ۲۶)

شابک : بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : ج ۱ (چاپ دوم ۱۳۷۱)؛ بها: ۱۸۰۰ ریال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳؛ بها: ۴۰۰۰ ریال‌جلد پنجم (چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳)؛ بها: ۵۵۰۰ ریال (موسسه النشر الاسلامی جامعه مدرسین بقم)۷۲۴

یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴؛ بها: ۶۵۰۰ ریال یادداشت : ج ۴(چاپ پنجم ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵)؛ ۷۶۰۰ ریال یادداشت : ج ۷(چاپ اول ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۸(چاپ اول موسسه الامام الصادق ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۱۴۱۲ ۵ق = ۲۵۰۰ :۱۳۷۱ ریال یادداشت : ج ۶ (چاپ چهارم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲): ۳۴۰۰۰ ریال یادداشت : کتابنامه مندرجات : ج ۱. تاریخ عقائد اهل الحدیث و الحنابله و السلفیه .-- ج ۲. تاریخ الامام الاشعری و انصاره و عقائدهم .-- ج ۳. و یتناول تاریخ و عقائد الماتریدیه و المرجئه .-- ج ۴. حیاه ابن‌تیمیه و ابن‌عبدالوهاب و عقائدهما .-- ج ۶. تاریخ الشیعه نشاتهم عقائدهم و شخصیاتهم .-- ج ۷. یتناول شخصیه و حیاه الامام الثائر زیدبن علی و تاریخ الزیدیه و عقائدهه -- ج ۸. الاسماعیلیه و فرق الفطیحه ...--

موضوع : اسلام -- فرقه‌ها

شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی شناسه افزوده : حوزه علمیه قم مرکز مدیریت رده بندی کنگره : BP۲۳۶/س۲ب۳ ۱۳۷۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵

شماره کتابشناسی ملی : م‌۷۳-۲۱۵۵

مقدمة المؤلف

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمین والصلاة والسلام علی نبیه وآله وعلی رواة سنته وحملة أحادیثه وحفظة كلمه (۵)

الحمد للّه الّذی علا بحوله، ودنی بطوله، والصلاة والسلام علی سیّد رُسله وخاتم أنبیائه، الّذی بعثه لإنجاز عدته، وإتمام نبوّته، وعلی آله الّذین هم موضع سرّه، وملجأ أمره، وعیبة علمه، وموئل حکمه، صلاة دائمة مادام الفرقدان، وكرّ الجدیدان . أمّا بعد: فهذا هو الجزء السادس من موسوعتنا فی دراسة تاریخ المذاهب الإسلامیة وقد درسنا الفِرَق المشهورة، ولم تبق إلاّ الشیعة بفرقها الثلاث المنتشرة فی العالم: الإمامیة، والزیدیة، والإسماعیلیة. نسأل اللّه سبحانه أن یوفّقنا فی دراسة مذهب الشیعة، الّذین جنی علیهم كثیر من المؤرخین و كُتّاب المقالات و الفرق، و كتبوا عنهم أشیاءً كثیرة هم برآء منها. ولم یرجعوا عند البحث عن عقائد هذه الفرقة إلی مؤلّفاتهم وكتبهم وآثارهم، وإنّما اعتمدوا علی أفواه الرجال ونقلة الأخبار، فصاروا كحاطب لیل یجمع فی حزمته كلّ رطب ویابس،

والحقّ كما يقول بعض الأساتـذة: «إنّه تطوّر كلّ شـىء إلّا الكتابـة عن الشـيعة، ولكلّ بدايـة نهاية إلّا الافتراء على الشـيعة، ولكلّ حكم مصدره ودليله إلّا الأحكام على الشيعة»(۱) . ________________

۱ . عبداللّه بن سبأ ۱ / ۹ (مقدمة الطبعة الثالثة بقلم الأُستاذ المغفور له محمّد جواد مغنية) .

(۶)

ونشـكر القرّاء الكرام الذين شـجّعونا برسائلهم على مواصلة بحث ودراسة هذه المواضيع الهامّة فى تاريخ اُمّتنا المجيدة، ونتقدّم بالشكر إلى العلماء الذين يقدّمون لنا النقد البنّاء، فإنّ العصمة للّه ولمن عصمه. قم ـ جعفر السبحانى ۲۸ شعبان المعظم ۱۴۱۲ هـ

الشيعة لغةً و اصطلاحاً

الشيعة لغةً و اصطلاحاً

الشيعة لغة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد فى قضاياهم، يقال تشايع القوم إذا تعاونوا، وربّما يطلق على مطلق التابع، قال سبحانه: (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ)(۱) وقـال تعـالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْراهيمَ * إذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْب سَلِيم)(۲) فالشيعة هم الجماعـة التابعة لرئيس لهم . وأمّا اصـطلاحاً فلها إطلاقات عديدة بملاكات مختلفة: ۱- الشـيعة: من أحبّ علياً وأولاده باعتبارهم أهل بيت النبىّ الذين فرض اللّه سبحانه مودّتهم قال عزّوجلّ: (قُلْ لا أسْئَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرَاً إلّا المَوَدَّةَ فِى القُربَى)(۳) والشيعة بهذا المعنى تعمّ كـلّ المسـلمين إلاّ ـ النواصب، بشـهادة أنّهم يصـلّون على نـبيّهم وآله فى صـلواتهم وأدعيتهم ويتلون الآيـات النازلـة فى حقّهم صباحاً ومساءً، وهذا هو الإمام الشافعى يصفهم بقوله: ________________

۱ . القصص / ۱۵ .

۲ . الصافّات / ۸۳ ـ ۸۴ .

۳ . الشورى / ۲۳ . (۸)

يا أهلَ بيتِ رسولَ اللّهَ حبُّكُم * فَرضٌ من اللّهِ فى القرآن أنْزلهُ كَفاكُمُ من عَظيم الشّأن أنّكمُ * من لم يُصلِّ عليكم لا صلاةَ لَهُ(۱) وأمّا النواصب فهم الذين نصبوا لعلى وأهل بيته العداء وتلقّوه فريضة دينية وأعانهم على ذلك مرتزقة أصحاب البلاط، وترجع جذور هذه الفكرة إلى معاويـة حيث سنّ سبّ علىّ على المنابر وتبعه أولاده وعشيرته إلى أواخر الدولة الأموية، وكتب ابن أبى سـفيان إلى عمّاله فى جميع الآفاق: «اُنظروا إلى من اُقيمت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه» ثمّ كتب نسخة اُخرى إلى عمّ ـالـه وشـدّد الأمر فيها وقال: «من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهـدموا داره» . وعلى هـذا المنشور قام الخطباء فى كـل كورة وعلى كل منبر يَلعَنون علياً ويبرأون منه و يقعون فيه وفى أهل بيته...(۲) . ۲- من يفضّل علياً على عثمان أو على الخلفاء عامّـةً مع اعتقـاده بـأنّه رابع الخلفـاء وإنّمـا يقـدّم لاسـتفاضة مناقبه وفضـائله عن الرسول الأ ـعظم، والّتى دوّنهـا أصـحاب الحـديث فى صحاحهم ومسانيـدهم وهى تُلزم الإنسان الاعتقاد بأنّه أفضل الصـحابة، وعلى ذلك معتزلة بغداد وقليل من أهل الحديث، وعلى ذلك الاصـطلاح جرى أكثر من كتب فى الرجال والتراجم والمقالات حيث يصـفون قليلاً من الصـحابة وكثير أمن التابعين بأنّه يتشـيّع أو أنّه شيعى، وربّمـا يعـدّونه من أسـباب الجرح وكأنّ حبّ أهل البيت عمل اجرامى أو أنّ تقـدّم الخلفاء على علىّ أصل من اُصول الـدين لا يجوز تجـاوزه، مع أنّ الإمامـة من الفروع عنـد أهـل السـنّة فكيف درجـات الخلفـاء ورتبهم . وربّما يختلط الأمر على من ليس له إلمام بالاصطلاح، فلا يفرّق بينهما، ________________

۱ . الصواعق ۱۴۸ ط ۱۳۸۵ الطبعة الثانية .

۲ . وسيوافيك مصدره وبيان عداء ابن أبى سفيان للإمام وعترته وشيعته . (۹)

وأكثر من يسـتعمل هـذا الاصـطلاح هو الـذهبى فى «ميزان الاعتدال» و «سـير أعلام النبلاء» فيصف بعض التابعين و المحدّثين بالتشـيّع

ملمّحاً بذلك إلى ضعفهم، وقد رُمى أبو عبداللّه الحاكم النيسابورى بالتشيّع كمعتزلة بغداد، والمقصود تفضيلهم عليّاً على سائر الخلفاء لا أنّه الإمام المنصوص بالخلافة . ۳- الشيعة: من يشايع عليّاً وأولاده باعتبار أنّهم خلفاء الرسول و أئمّة الناس بعده، نصبهم لهذاالمقام بأمر من اللّه سبحانه، وذكر أسماءهم وخصوصيّاتهم، والشيعة بهذا المعنى هو المبحوث عنها فى المقام، وقد اشتهر بأنّ عليّاً هو الوصى حتّى صار من ألقابه، وذكره الشعراء بهذا العنوان فى قصائدهم(۱) وهو يقول فى بعض خطبه: «لا يقاس بآل محمّد من هذه الاُمّة أحد ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة...»(۲) . ومجمل القول: إنّ هذا اللفظ يشمل كل من قال: انّ قيادة الاُمة لعلى بعد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنّه يقوم مقامه فى كل ما يمت إليه سوى النبوة ونزول الوحى عليه. كل ذلك بتنصيص من الرسول، وعلى ذلك فالمقوّم للتشيّع وركنه الركين هو القول بالوصاية والقيادة بجميع شؤونها للإمام ـ عليه السلام ـ فالتشيّع هو الاعتقاد بذلك، وأمّا ما سوى ذلك فليس مقوّماً لمفهوم التشيّع ولا يدور عليه اطلاق الشيعة . ______________

۱ . خطب الإمام أبو محمّد: الحسن السبط حين قتل أميرالمؤمنين خطبته الغرّاء فقال: أنا ابن النبى وأنا ابن الوصى أخرجه الحاكم فى مستدركه ۱ / ۱۷۲، وقد ذكر ابن أبى الحديد أشعاراً وأراجيز تضمّن توصيف الإمام بالوصاية عن الصحابة والتابعين، لاحظ شرح النهج ۱ / ۱۴۳ ـ ۱۵۰ باب ما ورد فى وصاية علىّ من الشعر .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة الثانية . (۱۰)

لا شك أنّ للشيعة عقائد وآراء فى مجارى الأصول والفروع وربّما يشاركون غيرهم فيها وربّما يخالفونهم، ولكنّها ليست من سماتهم وأعرافهم وإنّما هى اُصول وأحكام دعاهم الدليل إلى تبنّيها من الكتاب والسنّة والعقل . مثلا إنّ الشيعة تقول باتّحاد الصفات الذاتية للّه سبحانه معها، وكونه سبحانه غير مرئى فى الدارين، وأنّ كلامه مخلوق له، و أنّه لا يكلّف ما لا يطاق، وأنّ حقيقة الأمر فى أفعال العباد لا ـ جبر ولا ـ تفويض بل أمر بين الأمرين، وأنّ الأنبياء معصومون إلى غير ذلك من الآراء، ولكنّها آراء كلامية للشيعة لا أنّها المقوّم للتشيّع بحيث لو خالف فيها رجل منهم، ولكنّه قال بالوصاية لعلى وبالقدرة لعترته، لخرج عن اطار التشيّع واُصوله. إنّ التشيّع بهذا المعنى عبارة عن الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية فى قالب الوصاية لعلى وعترته، والشيعة تدّعى أنّ هذه الفكرة غرست بيد النبى فى أيّام حياته، وتبنّاها لفيف من المهاجرين فى عصره، وبقوا عليها بعد حياته واقتدى بهم لفيف من التابعين لهم بإحسان وتواصل الاعتقاد به من تلك العصور إلى زماننا الحاضر، وهذا هو الّذى تدّعيه الشيعة وعليه بُنى صرح التشيّع ونحن فى غنى عن الاتيان بنصوص أعلامهم وأكابرهم فى المقام الّتى تدل على أنّ الوصاية للإمام بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالأولى طرح الموضوع على بساط البحث وعرضه على المرتكزات العقلية، ولأجل تسليط الضوء على المسائل المهمة نبحث عن الجهات التالية وكل واحدة منها فى فصل خاص بها: ۱- فى تبيين متطلّبات الظروف فى عصر النبى، فهل كانت تقتضى أن تكون صيغة الحكم هى التنصيص أو كانت تقتضى تفويض الأمر إلى اختيار الاُمّة لتنتخب الحاكم والقائد عليها؟ ۲- ما هو المرتكز فى الأذهان فى عصر الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعده فى أمر القيادة؟ (۱۱)

۳- ما هو مقتضى الكتاب والسنّة فى القيادة بعد الرسول؟ ۴- ما هو السر فى مخالفة الجمهور لنصّ الرسول وتصريحه؟ ۵- مبدأ التشيّع وتاريخه ورواد التشيّع فى عصر الرسول والصحابة والتابعين. ۶- افتراضات وهميّة حول تاريخ الشيعة . ۷- صيغة الحكومة الإسلامية عند أهل السنّة . ۸- نصوص الخلافة والركون إلى الأمر الواقع . ۹- الشيعة فى عصر الدولتين الأموية والعبّاسية. ۱۰- عقائد الشيعة الامامية الاثنا عشرية . ۱۱- أئمّة الشيعة الاثنا عشر ونبذة عن حياتهم . ۱۲- دور الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية وتطوير العلوم . ۱۳- دول الشيعة وبلدانهم عبر التاريخ . ۱۴- مصادر علوم الشيعة . فالذى نعتقد أنّ تحليل هذه الجهات يكشف الواقع للمحقّق ولا يُبقى له شكاً فى أصالة التشيّع وأنّه استمرار للإسلام عبر الحقب والأعوام . (۱۲) (۱۳)

الفصل الأول بيان متطلبات الظروف فى عصر

الفصل الأول بيان متطلبات الظروف في عصر الرسول في مجال القيادة الإسلامية (۱۴) (۱۵)

لاشك أنّ الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الاُمّة من شؤون النبي الأكرم مادام على قيد الحياة، ثمّ إنّه وقع الاختلاف بين أصحاب المقالات والفرق في صيغتها بعد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهل كانت متبلورة في صيغة النص أو في انتخاب الاُمّة . الشيعة ترى أنّ القيادة منصب تنصيصي والّذي ينصّ على خليفة الرسول هو اللّه سبحانه عن طريقه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، بينما يرى أهل السنّة غير ذلك ولكل من الاتّجاهين دلائل وبراهين، و المقصود هنا دراسة متطلّبات الظروف وتقييمها في عصر الرسالة، فهل كانت المصالح تكمن في تعيين القائد أو كانت تكمن في خلافه؟ فدراستها تُسلّط الضوء على البحث الثالث و هو وجود النص من الرسول وعدمه، وإليك بيان ذلك: إنّ الظروف السياسية الّتي كانت سائدة في المنطقة كانت توجب على الرسول أن يعيّن القائد، وكانت المصلحة الإسلامية تقتضي ذلك، لأنّ المجتمع الإسلامي كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثُلاثي، الروم، الفرس، المنافقين، وخطرهم يتمثّل بشنّ هجوم مفاجيء كاسح أو إلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين . فمصالح الاُمّة كانت توجب توحيد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر (۱۶)

الخارجي والداخلي، وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو في جسم الاُمّة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها، وبذلك يخسر الذين كانوا يتآمرون على ضرب الإسلام بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . أمّا العدوّ الأوّل فقد كان الامبراطورية الرومانية الّتي كانت تشكّل إحدى أضلاع الخطر المثلّث الّذي كان يحيط بالكيان الإسلامي ويهدّده من الخارج . وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الدوام، حتّى انّ التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتّى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى . وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي في السنة الثامنة من الهجرة في أرض فلسطين، وقد أدّت هذه المواجهة إلى مقتل القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم «جعفر الطيار» و «زيد بن حارثة» و «عبداللّه بن رواحة» . ولقد أدّى انسحاب الجيش الإسلامي بعد مقتل القادة المذكورين إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش . من هنا خرج رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في السنة التاسعة للهجرة (غزوة تبوك) على رأس جيش كبير جدّاً إلى حدود الشام ليقود بنفسه المواجهة العسكرية، وقد استطاع الجيش في هذه الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد للاُمّة الإسلامية هيبتها من جديد . غير أنّ هذا الانتصار المحدود لم يُقنع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فأعدّ قبيل ارتحاله جيشاً كبيراً من المسلمين. وأمّر عليهم «اُسامة بن زيد» وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام والحضور في تلك الجبهة. (۱۷)

أمّا الضلع الثاني من المثلث الخطير الّذي كان يهدّد الكيان الإسلامي، فكان الامبراطورية الايرانية (الفارسية) وقد بلغ غضب هذه الامبراطورية على رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومعاداتها لدعوته، أن أقدم امبراطور إيران، «خسرو پرويز» على تمزيق رسالة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وتوجيه الاهانة إلى سفيره باخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعميله في اليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو يقتله إن امتنع. و«خسرو» هذا و إن قتل زمن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلاّ ـ أنّ استقلال اليمن ـ الّتي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الايرانية ردحاً طويلا من الزمن ـ لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور اُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوّة الجديدة (القوّة الإسلامية) لهم . والخطر الثالث وهو الأعظم (لأنّ القلعة الحصينة لا ـ تهزم إلاّ ـ من داخلها) كان هو خطر حزب النفاق الّذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس، على تقويض دعائم الكيان الاسلامي من الداخل، إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في طريق العودة من تبوك إلى المدينة. فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخَطِر يقول في نفسه: إنّ الحركة الاسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورحيله، وبذلك يستريح الجميع(۱) . ولقد قام أبو سفيان بن

حرب بعـد وفاة رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضـربة إلى الأمّة الإسـلامية من الداخل، وذلك عندما أتى عليّاً ـ عليه السلام ـ وعرض عليه أن يبايعه ضدّ عُيِّن فى السقيفة، ليستطيع بذلك ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الطور / ۳۰ .

(۱۸)

شطر الاُمّة الإسـلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن حينها من الصيد فى الماء العكر . ولكنّ الإمام عليّاً ـ عليه السلام ـ أدرك بذكائه المفرط نوايا أبى سفيان الخبيثة فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريرة: «واللّه ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّـك واللّه طالما بغيت للإسـلام شـرّاً. لاحاجه لنا فى نصـيحتك» ومع أنّ الإمام ردّه خائباً لكنّه اسـتمرّ فى فتنته لشقّ عصا الاُمّـة فأخذ يتردّد فى أزقّة المدينـة منادياً: بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سـيما تيم بن مرّة أو عدى فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم وليس لها إلاّ أبـو حسن على(۱) ولقـد بلـغ دور المنـافقين الهـدّام فى الشـدة بحيث تعرّض القرآن الكريم لـذكرهم فى سـور عديـدة هى: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقون، والحشر . فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ اُمّته الحديثـة العهد بالإسـلام، الجديدة التأسـيس من دون أن يعيّن لهم قائداً دينياً سياسـياً؟ إنّ المعطيات الاجتماعية توحى بأنّه كان من الواجب أن يدفع رسول الإسلام ـ بتعيين قائد للاُمّة ـ ظهور أىّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، ويضمّن بذلك استمرار وبقاء الاُمّة الإسلامية وإيجاد حصن قوى وسياج دفاعى متين حولها. ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الكامل ۲ / ۳۲۵، العقد الفريد ۲ / ۲۴۹ .

(۱۹)

إنّ تحصـين الاُمّة وصـيانتها من الحوادث المشؤومة والحيلولة دون مطالبة كل فريق الزعامة لنفسه دون غيره وبالتالى التنازع على مسألة الخلافـة والزعامـة، لم يكن متحقّقاً إلاّ بتعيين قائـد للاُمّـة وعدم ترك الاُمور للأقدار . إنّ هذه المحاسبـة الاجتماعية تهدينا إلى صـحّة نظرية «التنصـيص على القائد بعد الرسول» ولعلّ لهذه الجهة ولجهات اُخرى طرح الرسول مسألة الخلافة فى بدء الدعوة واستمر بذلك إلى آخر ساعة من عمره الشريف كما ستوافيك نصوصها. ***

ثمّ إنّى بعـد مـا حرّرت ذلـك فى سـالف الأيّام وأوردته فى بعض محاضـراتى الكلاميـة(۱) وقفت على تقرير للمحقّق الشـهيد السـيد الصدر المغفور له فقد بيّن متطلّبات الظروف فى تقديمه على كتاب تاريخ الشـيعة للدكتور عبداللّه فياض بنحو آخر وهو تقرير رصـين نقتطف منه مـا يلى: كـان النبى الأـكرم يـدرك منـذ فترة أنّ أجله قـد دنى وأعلن ذلـك بوضوح فى حجّـة الوداع ولم يفـاجئه الموت مفاجأة، وهـذا يعنى أنّه كان يملك فرصـة كافيـة للتفكير فى مسـتقبل الـدعوة، وفى هـذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أنّه كانت أمام النبى ثلاثة طرق بالإمكان انتهاجها تجاه مسـتقبل الدعوة. الطريق الأوّل: أن يقف من مسـتقبل الدعوة موقفاً سلبياً ويكتفى بممارسة دوره فى قيادة الاُمّـة وتوجيهها فترة حياته ويترك مسـتقبلها للظروف والصدف، وهذه السـلبية لا يمكن افتراضـها فى النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ لأنّها انّما تنشأ من أحد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه . ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الإلهيات ۲ / ۵۵۴ ـ ۵۸۴، لولدنا الفاضل الروحانى الشيخ حسن مكّى العاملى ـ حفظه اللّه ـ .

(۲۰)

۱- «الاعتقـاد بأنّ هـذه السـلبية والاهمال لا تؤثّر على مسـتقبل الـدعوة، وأنّ الاُمّـة قادرة على التصـرّف بالشـكل الّـذى يحمى الـدعوة، ويضـمن عـدم الاـنحراف». وهـذا الاعتقـاد لاـ مبرّر له من الواقع اطلاقاً، لأنّ الـدعوة الإسـلامية بما أنّها كانت تغييراً انقلابياً فى بـدايته، تسـتهدف بناء اُمّـة، واستئصال كل جـذور الجاهليـة منها، تتعرّض لأكبر الأخطار إذا خلت الساحة من قائدها، وتركها دون أى تخطيط. فهنـاك الأخطـار تنبع عن طبيعـة مواجهـة الفراغ دون أى تخطيـط سـابق، فـإنّ الرسول إذا ترك الساحـة دون تخطيط لمصـير الـدعوة،

فسوف تواجه الأُمّة لأوّل مرّة، مسؤولية التصرّف بدون قائدها، تجاه مشاكل الدعوة وهى لا تملك أى مفهوم مسبق بهذا الصدد. وسوف يتطلّب منها الموقف تصرّفاً سريعاً آنيّاً بالرغم من خطورة المشكلة، لأنّ الفراغ لا يمكن أن يستمر . فلم تكن إذن خطورة الموقف بعد وفاة النبى شيئاً يمكن أن يخفى على أى قائد مُمارس للعمل العقائدى فضلا عن خاتم الأنبياء . ٢- الّذى يمكن أن يفسّر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومسيرها بعد وفاته، أنّه بالرغم من شعوره بخطر هذه السلبية لا يحاول تحصين الدعوة ضدّ ذلك الخطر، لأنّه ينظر إلى الدعوة نظرة مصلحيّة فلا يهمّه إلّا أن يحافظ عليها مادام حيّاً ليستفيد منها ويستمتع بمكاسبها ولا يعنى بحماية مستقبلها بعد وفاته. وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق على النبى حتّى لولم نلاحظه بوصفه نبيّاً ومرتبطاً باللّه سبحانه وتعالى فى كل ما يرتبط بالرسالة، وافترضناه قائداً للقائد الرسول، فى اخلاصه لدعوته، وتفانيه فيها، وتضحيته من أجلها إلى آخر لحظة من حياته، وكل تاريخه يبرهن على ذلك. الطريق الثانى: أن يخطّط الرسول القائد لمستقبل الدعوة بعد وفاته ويتّخذ (٢١)

موقفاً إيجابياً فيجعل القيمومة على الدعوة ممثّلة على أساس نظام الشورى الّذى يضم مجموع المهاجرين والأنصار، فهذا الجيل الممثّل للأُمّة هو الّذى سيكون قاعدة للحكم ومحوراً لقيادة الدعوة فى خط نُمُوّها. وفيما يلى ما يرد تلك الفكرة: ١- لو كان النبى قد اتّخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابياً يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، واسناد زعامة الدعوة إلى القيادة التى تنبثق عن هذا النظام، لكان من أبده الأشياء الّتى يتطلّبها هذا الموقف الايجابى، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للأُمّة والدعاة، على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله واعطائه طابعاً دينياً مقدّساً، واعداد المجتمع الإسلامى اعداداً فكريّاً وروحيّاً لتقبّل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الإسلام وضعاً سياسياً على أساس الشورى وانّما كانت تعيش فى الغالب وضع زعامات قبليّة وعشائريّة تتحكّم فيها القوّة والثروة وعامل الوراثة إلى حدّ كبير. ونستطيع بسهولة أن نُدرك أنّ النبىّ لم يمارس عمليّة التوعية على نظام الشورى وتفاصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية لأنّ هذه العملية لو كانت قد اُنجزت لكان من الطبيعى أن تنعكس وتتجسّد فى الأحاديث المأثورة عن النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وفى ذهنية الأُمّة وعلى أقل تقدير فى ذهنية الجيل الطبيعى منها، الّذى يضمّ المهاجرين والأنصار بوصفه، وهو المكلّف بتطبيق نظام الشورى، مع أنّنا لانجد فى الأحاديث المأثورة عن النبى أىّ صورة تشريعية محدّدة عن نظام الشورى، وأمّا ذهنية الأُمّة أو ذهنية الجيل الطبيعى منها فلا نجد فيها أى ملامح أو انعكاسات محدّدة لتوعية من ذلك القبيل . ثمّ إنّه (ـ رحمه الله ـ) استشهد بفعل الخليفة الأوّل حيث لم يمارس نظام الشورى فى حال حياته وقام بتنصيب عمر مكانه، كما فعل ذلك أيضاً الخليفة الثانى فى نطاق (٢٢)

خاص فجعله محصوراً فى ستّة أشخاص، وسيوافيك تفصيل ذلك فى الفصل الثانى . الطريق الثالث: وهو الطريق الوحيد الّذى بقى منسجماً مع طبيعة الأشياء ومعقولا على ضوء ظروف الدعوة والدعاة وسلوك النبىّ. وهو أن يقف النبى من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً ايجابياً فيختار بأمر من اللّه سبحانه وتعالى شخصاً يرشّحه عمق وجوده فى كيان الدعوة، فيعدّه اعداداً رسالياً وقيادياً خاصّاً تتمثّل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية، وليواصل بعده (بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والأنصار)، قيادة الأُمّة وبناءها عقائدياً وتقريبها باستمرار نحو المستوى الّذى يؤهّلها لتحمّل المسؤوليات القيادية .

وهكذا نجد أنّ هذا هو الطريق الوحيد الّذى كان بالامكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة وصيانة الحكم من الانحراف فى خط نموّها وهكذا كان(١) . وعلى ذلك فالقول بالتشيّع عبارة عن القول بوجود ضمان لاستمرار الدعوة بتعيين الوصىّ من جانب الرسول بأمر من اللّه، وقد عرفت أنّ طبيعة الظروف فى عصر الرسول كانت تقتضى ذلك على الوجه الكلّى، أى كان يتطلّب تعيين القائد وأن لا يترك الأمر إلى الأُمّة، وعدم اهماله وتركه للصدف، وستعرف فى الفصل الثالث أنّه قد صدّق الخبرُ الخبرَ، وأنّ الرسول قد قام بتلك الوظيفة الّتى تضمن استمرار الدعوة وسلك هذا الطريق سلوكاً واضحاً . * * *

وهناك بيان ثالث يعطى نفس ما أعطاه الوجهان وهو دراسة طبيعة الحكم من زاوية طروء الفراغ الهائل بعد رحلة الرسول فيما يمت إلى صلب الدين وهداية الأُمّة إلى الحق والحقيقة: ـــــــــــــــــــ

۱ . مقدّمة تاریخ الامامیة ۵ / ۱۶ بتلخیص .

(۲۳)

لقد درسنا متطلّبات الظروف ومقتضیات عصر النبی فی مجال القیادة وإدارة دفّة الحکم ووصلنا إلی أنّ مصالح المسلمین کانت تکمن فی تعیین القائد دفعاً للأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمین بوفاة النبیّ، ومفاجأة الأُمّة بفراغ مکانه القیادی. ویمکن لنا دراسة طبیعة الحکم من زاویة اُخری وهی ملاحظة الفراغات الهائلة الحاصلة بعد رحلة القائد، لا من جهة القیادة السیاسیة والاجتماعیة، بل فی جانب حاجة الأُمّة إلی قائد رسالی یسد تلک الفراغات المعنویة فیما یمت إلی صلب الدین وأمر هدایة الأُمّة فی مجال تفسیر الکتاب وشرح مقاصده أوّلاً وتبیین ما لم یبیّنه الرسول فی مجال الأحکام ثانیاً، وصیانة الدین الحنیف من محاولات التحریف ثالثاً فالأُمّة تواجه وتفاجیء هذه الفراغات الثلاثة، فمن الّذی یسدّها، فهل الأُمّة جمیعاً أو المهاجرون والأنصار أو أهل الحل والعقد؟ والجواب: لا، لأن المفروض ـ کما سیأتی ـ قصورهم عن ملء الفراغ، فما هو الحل لهذا المشکل؟ وهذا هو الّذی یستهدفه هذا البحث. فنقول: إنّ الرسول الأکرم لم تقتصر مسؤولیاته علی تلقّی الوحی الإلهی وابلاغ الآیات النازلة علیه بل کانت تتجاوز عن ذلک کثیراً فقد کانت وظائف ثلاث تقع علی عاتقه بالاضافة إلی ما یقوم به من سائر الوظائف: ۱- کان النبی الأکرم یفسّر الکتاب العزیز ویشرح مقاصده ویبیّن أهدافه ویکشف رموزه وأسراره. ۲- وکان یبیّن أحکام الحوادث الجدیدة الطارئة علی المجتمع الاسلامیّ عن طریق القرآن الکریم وسنّته. ۳- وکان یصون الدین من التحریف والدس، فکان وجوده مدار الحق وتمیزه عن الباطل، وکانت حیاته ضماناً لعدم تطرّق الدس والترحیف إلی دینه. (۲۴)

ولا شک أنّ موت النبیّ وفقدانه سیوجدان فراغات هائلة فی المجالات الثلاثة فیجب اعداد قائد له القابلیة والصلاحیة فی سد تلک الفراغات، ولا یقوم به إلاّ من کان یتمتّع بما کان یتمتّع به الرسول عدا خصیصة النبوّة وتلقّی الوحی، فیکون وعاء علم النبی ومخزن أسراره، ومودع حکمته، حتّی یقوم بتلک الوظیفة العظیمة. ومن الواضح أنّ هذه الکفاءات والمؤهّلات المعنویة لاتحصل لشخص بطریق عادی ولا بالتربیة البشریة المتعارفة، بل لابدّ من إعداد إلهی خاص وتربیة إلهیة خاصّة هذا من جانب، ومن جانب آخر لا یمکن للأُمّة أن تتعرّف بنفسها علی هذا الشخص وتکتشف من تتوفّر فیه تلک المؤهّلات والکفاءات بالطرق العادیة. کل ذلک یثبت نظریة التنصیص وأنّه لا محیص عن تعیین القائد بتنصیص الرسول بأمر من اللّه سبحانه، أی تنصیب من یتّصف بتلک الکفاءات الّتی لا یکتسبها إلاّ من تربّی فی حضن الرسالة والرسول. وإلیک تفاصیل هذه المفراغات، ونکتفی فی کل مورد بموجز القول: ۱- القرآن الکریم والابهامات الطارئة:

إنّ اللّه سبحانه یصف القرآن بأنّه نزل إلی النبیّ لیبیّن للناس ما نزل إلیهم فیقول: (وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیهِمْ)(۱) وقال: (وَ ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الکِتابَ إلاّ لِتُبَیِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِیهِ)(۲) فقد وصف النبی فی هاتین الآیتین بأنّه مبیّن بما فی الکتاب لا قارئ فقط، فکم فرق بین أن یقول: «لتقرأ ـــــــــــــــــ

۱ . النحل / ۴۴ .

۲ . النحل / ۶۴ . (۲۵)

للناس» وبین: (لتبیّن لهم) . إنّ هذه الآیات تکشف لنا عن أنّ القرآن رغم وضوحه من حیث اللفظ والمعنی ورغم أنّه منزّه عن مشابهة کتب الألغاز والطلاسم، یحتاج إلی مبیّن ومفسّر بسببین: ۱- وجود المجملات فی أحکام العبادات والمعاملات الواردة فی آیاته . ۲- غیاب القرائن الحالیة الّتی کانت الآیات محفوفة بها حین النزول، وکانت معلومة للمخاطبین فی ذلک الوقت . وقد کان النبیّ بنفسه یقوم بتفسیر القرآن الکریم وتبیین مجمله وتقیید مطلقه وما أشبه ذلک. وکانت القرائن الحالیة معلومة وواضحة لدی الأصحاب. ولمّا ارتحل النبیّ الأکرم إلی الرفیق الأعلی وحصل الفصل الطویل بینه وبین أمّته، حدث هناک فراغ هائل فی تفسیر القرآن فلاتری آیة من الآیات إلاّ وفی تفسیرها آراء متضاربة إلی حدّ اختلفوا فی تفسیر الآیات الّتی تتعلّق بأعمالهم الیومیة: ۱- قال سبحانه فی آیة الوضوء:

(فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ اَيْدِيَكُمْ إلى المَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ إلَى الكَعْبِيْنِ)(۱) وقد تضاربت الآراء فى فهم هذه الآية وصارت الاُمّة إلى قولين: فمن عاطف لفظ «أرجلكم» على الرؤوس فيحكم على الأرجل بالمسح، ومن عاطف له على الأيدى فيحكم على الأرجل بالغسل . ومن المعلوم أنّ إعراب القرآن الكريم إنّما حدث بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأىّ الرأيين هو الصحيح؟ ۲- لقد حكم اللّه تعالى على السارق والسارقة بقطع الأيدى حيث قال: ــــــــــــــــــــ

۱ . المائدة / ۶ .

(۲۶) (وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)(۱) وقد اختلفت الاُمّة فى مقدار القطع وموضعه: فمن قائل إنّ القطع من اُصول الأصابع دون الكف وترك الابهام كما عليه الإمامية، وجماعة من السلف. ومن قائل إنّ القطع من الكوع، وهو المفصل بين الكف والذراع كما عليه أبو حنيفة ومالك والشافعى. ومن قائل إنّ القطع من المنكب كما عليه الخوارج(۲) .

۳- سئل أبوبكر عن الكلالة فى قوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الكَلالَةِ إنَ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ)(۳) فقال: إنّى سأقول فيها برأيى فإن يكن صواباً فمن اللّه وإن يكن خطأً فمنّى ومن الشيطان، واللّه ورسوله بريئان، أراه ما خلا الولد والوالد. فلمّا استخلف عمر قال: إنّى لأستحيى اللّهَ أن أردّ شيئاً قاله أبوبكر. ۴- أمر اللّه سبحانه الورثة باعطاء السدس للكلالة فى قوله سبحانه: (وَ إنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحِد مِنْهُمَا السُّدُسُ)(۴) وفى الوقت نفسه يحكم سبحانه باعطاء الكلالة النصف أو الثلثين كما قال:(إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إن لَمْ

ــــــــــــــــــــ

۱ . المائدة / ۳۸ .

۲ . راجع الخلاف للطوسى (كتاب السرقة) ۱۸۴. أحكام القرآن للجصاص ۴۲۱: روى عن أبى هريرة انّ رسول اللّه قطع يد سارق من الكوع. ونقل ابن قدامة الخلاف إذا سرق ثانياً: فعن عطاء وربيعة وداود أنّه تقطع يده اليسرى، وعن الآخرين: تقطع رجله اليسرى. المغنى ۱۰ / ۲۶۴ ـ ۲۶۵ .

۳ . النساء / ۱۷۶ .

۴ . النساء / ۱۲ . (۲۷) يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمّا تَرَكَ)(۱) .

فما هو الحل وكيف الجمع بين هاتين الآيتين؟ لا شك انّه لم يكن ثمّة ابهام فى مورد هاتين الآيتين، بل حدث الابهام فى ذلك فيما بعد . ألا يدل هذا على ضرورة من يخلف النبى حتّى يرفع الستار عن وجه الحقّ بما عنده من علوم مستودعة . ۲- الرسالة الإسلامية والحوادث المستجدّة:

إنّ اتّساع رقعة الدولة الإسلامية ومخالطة المسلمين للشعوب والأقوام المختلفة جعلهم أمام موضوعات مستجدّة ومسائل مستحدثة، لم تكن معهودة ولا معروفة فى عهد النبى الأكرم الّذى لم تكن فيه الدولة الإسلامية قد توسّعت كما توسّعت بعد وفاته، والتحاقه بالرفيق الأعلى . وكان من الأمر المشكل أن يتحدّث النبى عن أحكام موضوعات لم يعرف المسلمون شيئاً من ماهياتها وتفصيلاتها، ولم يشاهدوا لها نظيراً فى حياتهم، ولأجل ذلك كانوا يجهلون أحكام الموضوعات المستجدّة من دون أن يجدوا لها حلولا وأجوبة، هذا من جانب . ومن جانب آخر أنّ الأحاديث الّتى رواها الصحابة والتابعون عن النبى الأكرم فى مجال الأحكام لاتتجاوز عن خمسمائة حديث(۲) حتّى قال الإمام الرازى: إنّ المنصوص حكمه من الموضوعات قليل جدّاً(۳) ولنذكر للموضوع نماذج: ــــــــــــــــــــ

۱ . النساء / ۱۷۶ .

۲ . الوحى المحمدى ۲۱۲ الطبعة السادسة .

۳ . المنار ۵ / ۱۸۹ . (۲۸)

۱- شغلت مسألة العول بال الصحابة فترة من الزمن وكانت من المسائل المستجدّة بعد الرسول الّتى واجهها جهاز الحكم، ويعنى منه

قصور التركة عن سهام ذوى الفروض. مثال ذلك: إذا ترك الميّت زوجة وأبوين وبنتين، ولمّا كان سهم الزوجة ـ حسب نص القرآن ـ الثمن وفرض الأبوين الثلث، وفرض البنتين الثلثين، والتركة لا تسع للثمن والثلث والثلثين، فلمّا عرضت المسألة على عمر ابن الخطاب قال: واللّه ما أدرى أيّكم قدّم اللّه وأيّكم أخّر ما أجد شيئاً هو أوسع لى من أن اُقسّم المال عليكم بالحصص، وأدخل على كلّ ذى حقّ ما أدخل عليه من عول الفريضة(١) . رجل طلّق امرأته قبل الإسلام مرّتين وفى الإسلام مرّة فهل تحرم عليه أو لا ـ؟ فقال عمر بن الخطاب للسائل: لا آمرك ولا أنهاك، وقال عبدالرحمان بن عمر: ولكنّى آمرك ليس طلاقك قبل الإسلام بشىء(٢) . ٢- إنّ الجيل المعاصر للرسول لم يكن يملك تصوّرات واضحة محدّدة حتّى فى مجال القضايا الدينية الّتى كان يمارسها النبى مئات المرّات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة ونذكر على سبيل المثال لذلك، الصلاة على الميّت، فإنّها عبادة، كان النبى قد مارسها عادة مئات المرّات وأدّاها فى مشهد عام من المشيّعين والمصلّين وبالرغم من ذلك يبدو أنّ الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة مادام النبى يؤدّيها ومادامو يتابعون فيها النبى فصلا بعد فصل، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبى فى عدد التكبيرات فى صلاة الميّت، فقد أخرج الطحاوى عن إبراهيم قال: قبض رسول اللّه والناس مختلفون فى التكبير على الجنازة لا تشاء أن تسمع رجلا يقول: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ــــــــــــــــــــ

١ . أحكام القرآن للجصاص ٢ / ١٠٩، مستدرك الحاكم ۴ / ٣۴٠ .

٢ . كنز العمال ۵ / ١۶١ . (٢٩)

يكبّر سبعاً، وآخر يقول: سمعت رسول اللّه يكبّر خمساً، وآخر يقول: سمعت رسول اللّه يكبّر أربعاً، فاختلفوا فى ذلك حتّى قبض أبوبكر، فلمّا ولّى عمر ورأى اختلاف الناس فى ذلك شقّ عليه جدّاً فأرسل إلى رجال من أصحاب رسول اللّه، فقال: إنّكم معاشر أصحاب رسول اللّه متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه فانظروا أمراً تجتمعون عليه، فكأنّما أيقظهم، فقالوا: نعم ما رأيت يا أميرالمؤمنين الخ(١). فقد لمس الخليفة أنّ الكتاب والسنّة النبوية غير وافيين بالحاجات الفقهية ولهذا كان يعمد إلى الأخذ بالرأى والمقاييس المصطنعة لاستنباط حكم الموضوع. فهذه تكشف بوضوح عن أنّ الصحابة يواجهون وقائع وحوادث جديدة لا يجدون لها حلولا فى الكتاب والسنّة أو فيما تلقّوه من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولذلك كانوا يحاولون استنباط قواعد ومقاييس لاتستند على أىّ دليل، فهل يصحّ هذا؟ مع أنّه سبحانه يصرّح بأنه أكمل دينه، وأتمّ نعمته فكيف يجتمع هذا الفراغ الفقهى فى المسائل المستجدّة مع الإكمال؟ ــــــــــــــــــــ

١ . عمدة القارىء ۴ / ١٢٩، ولاحظ مقدمة السيد الصدر على كتاب تاريخ الإمامية، للدكتور عبداللّه فيّاض .

(٣٠) ٣- المسلمون وصيانة الدين من التحريف:

إنّ أبرز ما كان يتمّيع به المسلمون فى عصر الرسول هو صيانة الدين من الدسّ والتحريف وهو الخطر الّذى تعرّضت له جميع المذاهب السالفة، قال سبحانه: (مِنَ الَّذِيَنَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكِلِمَ عَن مَواضِعِه)(١) . إنّ الاُمّة الإسلامية قد وصلت عند رحلة الرسول بفضل جهود صاحب الدعوة إلى درجة مرموقة من الوعى حفظت كتابها عن محاولات الزيادة والنقصان، نرى أنّ الصحابى الجليل أُبى بن كعب له موقف عظيم من عثمان فى كيفيّة كتابة آية الكنز أعنى قوله: (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لاَ يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابِ أَليم)(٢) فإنّ عثمان اراد اثبات الآية فى المصحف بلا واو فقال أُبى: «لتلحقنّها أو لأضعنّ سيفى على عاتقى»، فألحقوها(٣) . ومع هذه المقدرة لم تستطع حفظ مفاهيمه وصيانة دينها عن الدس والتحريف فتفرّقت إلى مشبّهة، تتخيّل أنّ لربّها أعضاءً كأعضاء الإنسان، إلى جبرى يرى الإنسان مسيّراً لامخيّراً، ويصوّر بعث الأنبياء أمراً لاجدوى فيه، إلى مرجئة لا ترى للعمل قيمة وتعطى للإيمان تمام القيمة، إلى ناصبىّ ينصب العداء للعترة الطاهرة، إلى إلى...، حتّى تفرّقت أُمّة النبى الأكرم كتفرّق الاُمم السالفة، وهذا دليل واضح على أنّ الاُمّة الإسلامية ما بلغت يومذاك فى الكفاءة والمقدرة العلمية إلى المستوى الّذى يؤهّلها لحفظ الإسلام أصله ولبّه، وقد مرّ فى الجزء الأوّل من هذه الموسوعة أنّ الوضّاعين والدجّالين من الأحبار والرهبان، والمغترّين بهم

---

۱ . النساء / ۴۶ .

۲ . التوبة / ۳۴ .

۳ . الدر المنثور ۳ / ۲۳۲ . (۳۱)

دسّوا بین المسلمین أحادیث موضوعة واسرائیلیات ومسیحیات ومجوسیات کثیرة، ولقد عرفت الموضوعات الهائلة فی عصر البخاری وشیوخه وتلامیذه، حتّی أنّه أخرج صحیحه من ستمائة ألف حدیث (۱). جاء فی مسند أحمد ثلاثون ألف حدیث وقد انتخبها من سبعمائة وخمسین ألف حدیث وکان یحفظ ألف ألف حدیث.(۲) . نحن نفترض أنّ متوسّط عدد الکلمات فی الحدیث عشرون کلمة فیکون مجموع ما صدر عن النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عشرین ملیون کلمة فی هذه الفترة القصیرة أی العشرة أعوام بالاضافة إلی ما کان لدیه من أعمال ووظائف، وحروب وغزوات، واتفاقیات مع شیوخ القبائل، وارتیاد إلی الأریاف، وتسییر دفّة الحکم، فهل کان بإمکانه أن یتکلّم بهذا العدد من الکلمات، سبحان اللّه، ما أجرأهم علی البهتان! ولو رجعت أنت إلی قائمة الموضوعات والمقلوبات الّتی عرضناها لک فی الجزء الأوّل(۳)لجزمت بعدم کفاءة الاُمّة لصیانة الدین من الدس والتحریف. هذه هی الفراغات الحاصلة بعد وفاة النبی الأکرم، فمقتضی الحکمة وتجسید اکمال الدین الّذی جاء به الکتاب الکریم فی قوله: (الیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُم نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإسْلاَمَ دِیناً)(۴) أن تعالج هذه المشاکل أی تفسیر الکتاب العزیز برفع الستار والابهامات الطارئة علی مفاهیمه، والإجابة علی المسائل المستجدّة، والدفاع عن حمی الشریعة ولاتحل عقدة المشکلة ولا ـــــــــــــــــ

۱ . الهدی الساری، مقدمة فتح الباری ۵۴ .

۲ . طبقات الذهبی ۹ / ۱۷ .

۳ . الجزء الأوّل من هذه الموسوعة / ۷۴ .

۴ . المائدة / ۳ . (۳۲)

تسدّ تلک الفراغات إلاّ بإمام تمتّع بتربیة إلهیة، وإعداد غیبی، ولا تصل إلیه الاُمة إلاّ بتعیین الرسول أو بتعیین من عیّنه کما فی الأئمة الباقین، فعندئذ یتجسّد قوله سبحانه (الیوم أکملت لکم دینکم وأتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم الإسلام دیناً) وإلاّ لبقیت تلک الفراغات الهائلة وجرّت علی الاُمّة الویل والویلات کما جرّتها ـ وللأسف ـ لأجل اعراض الاُمّة عن الإمام المنصوب . هذا هو الّذی نفهمه من معنی الإمام وهو میزان الحق والباطل وأنّه یرجع إلیه فی التعرّف علی الصحیح والزائف. وأمّا إذا کان الرجل علی حدّ یقول: ولّیتکم ولست بخیرکم فإن استقمت فأعینونی وإن زِغْت فقوّمونی فلاـ یصلح أن یکون إماماً بل یکون مأموماً فتصبح الرعیة إماماً، والامام ماموما، ونعم ما یقول الشاعر الشیعی ابن حماد العبدی: وقالوا رسول اللّه ما اختار بعده إماماً ولکنّا لأنفسنا اخترنا أقمنا إماماً إن أقام علی الهدی أطعنا وإن ضلّ الهدایة قوّمنا فقلنا إذا أنتم إمام إمامکم بحمد من الرحمن تُهْتم وما تُهْنا ولکنّنا اخترنا الّذی اختار ربّنا لنا یوم خم ما اعتدینا ولا جُرنا وهناک کلمة قیّمة للفیلسوف ابن سینا تشیر إلی فائدة تنصیب الإمام فیقول: «ثمّ إنّ هذا الشخص الّذی هو النبی لیس ممّا یتکرّر وجود مثله فی کل وقت، فإنّ المادّة الّتی تقبل کمال مثله یقع فی قلیل من الأمزجة، فیجب لا محالة أن یکون النبی قد دبّر لبقاء ما یسنّه ویشرّعه فی اُمور المصالح الإنسانیة تدبیراً عظیماً(۱) ـ إلی أن قال ـ والاستخلاف بالنص أصوب، فإنّ ذلک لا یؤدّی إلی التشعّب(۲)والتشاغب ـــــــــــــــــ

۱ . اشارة إلی سدّ الفراغات الحاصلة بعد وفاته .

۲ . اشارة إلی أنّ مصالح الإسلام تکمن فی النص . (۳۳)

والاختلاف»(۱) . إلی هنا خرجنا بهذه النتیجة: انّ مصالح الإسلام والمسلمین کانت تکمن فی تعیین الإمام، لا تفویض الأمر إلی الأمّة، وترک الأمر للظروف والصدف لترسیه علی أی شاطیء تختاره . ـــــــــــــــــ

۱ . الشفاء ۲ (الفن الثالث عشر من الالهيات الفصل الثالث والخامس) ۵۵۸ ـ ۵۶۴ طبع ايران .

الفصل الثانى ماهو المرتكز فى أمر القيادة فى

الفصل الثانى ماهو المرتكز فى أمر القيادة فى ذهن الرسول والأُمّة (۳۶) (۳۷)

قد عرفت أنّ مقتضيات الظروف ومتطلّباتها كانت تستدعى تعيين الإمام من جانب الرسول، كما أنّ كمال الدين فى أبعاده الثلاثة المختلفة المذكورة آنفاً تستدعى ذلك أيضاً، فهلمّ معى ندخل فى الموضوع الثانى الّذى ألمحنا إليه فى بداية البحث ضمن الأُمور الّتى لا ـ مناص للمحقّق إلاّ ـ دراستها، وهو تبيين المرتكز فى الأذهان فى أمر الزعامة يوم بعث الرسول وبعده. إنّ النصوص التاريخية تشهد بأنّ الرسول الأكرم خيّب آمال الطامحين فى تولّى الخلافة من بعده وقال بأنّه بيداللّه، يعنى لابيدى ولا بيد الناس، ويكفى فى ذلك ما نتلوه: ۱- لمّا عرض الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نفسه على بنى عامر فى موسم الحج ودعاهم إلى الإسلام قال له كبيرهم: «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك اللّه على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟» فقال النبى: «الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء»(۱) . ــــــــــــــــ

۱ . السيرة النبوية لابن هشام ۲ / ۴۲۴ فلو كان الأمر ملقىً على عاتق الأُمّة فما معنى كون الأمر إلى اللّه؟

(۳۸)

ولم يكن ذلك الأمر مختصّاً بالنبى الأكرم، بل الامعان فى تاريخ أصحابه والخلفاء الذين تعاقبوا على مسند الحكومة بعد النبى يدلّ على أنّهم انتهجوا أيضاً نهج تنصيب الخليفة، لا تفويض أمره إلى الأُمّة. فلو أغمضنا النظر عن خلافة أبى بكر وما جرى حولها من لغط وشغب، وضرب وشتم وارعاب وارهاب وغير ذلك من الأُمور الّتى تجعلها بعيدة كل البعد عن الشورى والانتخاب النزيه، فلنا فى انتخاب الخليفتين الآخرين دليل واضح على أنّ المتصوّر من الخلافة عندهم هو تعيين الخليفة شخصاً لا تفويض أمر انتخابه للظروف والأُمّة . ۲- قال ابن قتيبة: دعا أبوبكر عثمان بن عفّان فقال: اكتب عهدى، فكتب عثمان وأملى عليه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبوبكر بن أبى قحافة آخر عهده بالدنيا نازحاً عنها و أوّل عهده بالآخر داخلا فيها، انّى أستخلف علكيم عمر بن الخطاب...(۱) . ويظهر من ابن الأثير فى كامله أنّه غشى على الخليفة أثناء الاملاء وانّما أكمله عثمان وكتب فيه استخلاف عمر من عند نفسه، ثم أفاق أبوبكر فقال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه فكبّر أبوبكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ فى غشيتى(۲). فهل يمكن للخليفة أن يلتفت إلى الخطر الكامن فى ترك الأُمّة دون خليفة، ولا يلتفت إليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ۳- وأمّا استخلاف عثمان، فقد اتّفقت كلمة المؤرّخين على أنّ عمر طلب ستة أشخاص من أصحاب النبى وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيداللّه، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقّاص، ــــــــــــــــ

۱ . الامامة والسياسة لابن قتيبة ۱ / ۱۸ طبع مصر .

۲ . الكامل فى التاريخ لابن الأثير ۲ / ۲۹۲، الطبقات الكبرى ۳ / ۲۰۰ طبع بيروت . (۳۹)

وعبدالرحمان بن عوف، وكان طلحة غائباً. فقال: يا معشر المهاجرين الأوّلين، انّى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً، فإن يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم، فتشاوروا ثلاثة أيّام فإن جاءكم طلحة إلى ذلك، وإلاّ فأعزم عليكم باللّه أن لا تتفرّقوا فى اليوم الثالث حتّى تستخلفوا(۱). حتّى قال لصهيب: «صلّ بالناس ثلاثة أيّام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما... وإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا، فحكّموا عبداللّه بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبداللّه بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع فيه الناس»(۲) . وهناك كلمات صدرت من الصحابة فى ثنايا خلافة الخلفاء وبعدهم تعرب عن أنّ الرأى السائد والمرتكز فى أذهانهم هو تعيين الخليفة وانّ مسألة نظام الشورى شعار رفعه معاوية مقابل على ـ عليه السلام ـ على الرغم من أنّه استخلف عندما مات، ولم

یعتدّ بمنطقه وإنّما جرّده سلاحاً علی علیّ، وإن کنت فی ریب من هذا الأمر نتلو علیک کلماتهم الّتی صدرت عفواً وارتجالا عند موت الخلیفة وارتحاله: ۴- نقل أنّ عمر بن الخطاب لمّا أحسّ بالموت قال لابنه عبداللّه: اذهب إلی عائشة وأقرأها منّی السلام، واستأذن منها أن اُقبر فی بیتها مع رسول اللّه ومع أبی بکر، فأتاها عبداللّه بن عمر فأعلمها... فقالت: نعم وکرامة. ثمّ قالت: یا بنیّ أبلغ عمر سلامی فقل له: لا تدع اُمّة محمّد بلا راع، استخلف علیهم، ولا تدعهم ــــــــــــــــ

۱. الامامة و السیاسة ۱ / ۲۳.

۲. الکامل لابن الأثیر ۳ / ۳۵. (۴۰)

بعدک هملا، فإنّی أخشی علیهم الفتنة(۱) فأتی عبداللّه (إلی أبیه) فأعلمه(۲) . ۵- نقل الحافظ أبو نعیم الاصفهانی المتوفّی عام ۴۳۰ انّ عبداللّه بن عمر دخل علی أبیه قبیل وفاته فقال: إنّی سمعت الناس یقولون مقالة، فآلیت أن أقولها لک، وزعموا أنّک غیر مستخلف، وأنّه لو کان لک راعی إبل ـ أو راعی غنم ـ ثم جاءک وترکها لرأیت أن قد ضیع، فرعایة الناس أشد(۳) . ۶- قدم معاویة المدینة لیأخذ من أهل المدینة البیعة لیزید، فاجتمع مع عدّة من الصحابة إلی أن أرسل إلی ابن عمر فأتاه و خلا به فکلّمه بکلام وقال: إنّی کرهت أن أدع اُمّة محمّد بعدی کالضأن لاراعی لها(۴) . هذه النصوص تدل بجلاء علی أنّ ادّعاء انتخاب الخلیفة عن طریق الاستفتاء الشعبی أو بمراجعة أهل الحلّ والعقد، أو اتّفاق الأنصار والمهاجرین لم یکن له أصل ولا ذکر فی دراسات المتقدّمین من أعلام التاریخ و کتّاب السیرة وعلماء المسلمین، وسیوافیک الکلام فی استخلاف الصحابة بعضهم لبعض. ولو دلّ هذا الأمر علی شیء فإنّما یدلّ علی أنّ الأصل الّذی کان یعتقد به جمیع الصحابة والخلفاء فی مسألة الخلافة والقیادة کان هو التنصیص والتعیین وعدم ترک الأمر إلی نظر الاُمّة وانتخابها. ــــــــــــــــ

۱. وهل یمکن أن تلتفت اُمّ المؤمنین إلی هذه النکتة ولا یلتفت إلیها النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ!

۲. الامامة و السیاسة للدینوری ۱ / ۳۲.

۳. حلیة الأولیاء ۱ / ۴۴.

۴. الامامة والسیاسة ۱ / ۱۶۸ طبع مصر. (۴۱)

الفصل الثالث ماهو مقتضی الکتاب والسنّة

الفصل الثالث ماهو مقتضی الکتاب والسنّة فی صیغة الخلافة بعد الرسول (۴۲) (۴۳)

إنّ مقتضی الکتاب والسنّة فی صیغة القیادة بعد الرسول هو التنصیص لا التفویض إلی الاُمّة ولا ترک الأمر إلی الظروف والصدف، فنقدّم الکلام فی السنّة فإنّها صریحة فی التعیین وأمّا الکتاب فسیأتی البحث عنه. فنقول: إنّ سیرة النبی الأکرم ونصوصه فی مواقف مختلفة تثبت بوضوح أنّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ غرس النواة الاُولی فی أمر القیادة منذ أن أصحر بالدعوة وتعاهدها إلی أن لفظ أنفاسه الأخیرة. وهذه النصوص من الکثرة والوفرة بحیث إنّه لا یمکن استیعابها ولا ذکر کثیر منها، ویکفینا مؤونة ذلک، الموسوعات الحدیثیة فی المناقب والفضائل والمؤلّفات الکلامیة فی أمر الولایة، ونحن نکتفی بالقلیل من الکثیر . ۱- التنصیص علی الخلیفة فی حدیث بدء الدعوة:

بُعث الرسول الأکرم لهدایة الناس وإخراجهم من الوثنیة إلی التوحید، ومن الشرّ إلی الخیر، ومن الشقاء إلی السعادة، و کانت الظروف المحدقة به قاسیة جدّاً، لأنّه بعث فی اُمّة عریقة فی الوثنیة، ویخاطبهم سبحانه: (لِتُنْذِرَ قَوْماً (۴۴) ما أُنذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ)(۱)، فأخذ بالدعوة سرّاً ونشر دینه خفاءً سنوات عدیدة إلی أن نزل قوله سبحانه: (وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الأَقْرَبِینَ)(۲) فعند ذلک أمر الرسول علی بن أبی طالب وهو شاب یافع یتراوح عمره بین (۱۳ سنة إلی ۱۵) أمره رسول اللّه أن یعد طعاماً ولبناً ثم دعا (۴۵) رجلا من سُراة بنی هاشم ووجوههم، وبعد أن فرغوا من الطعام قال رسول اللّه: «إنّ الرائد لا یکذب أهله، واللّه الّذی لا إله إلاّ هو إنّی رسول اللّه

إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، واللّه لتموتنّ كما تنامون، و لتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وانّها الجنّة أبداً والنار أبداً ـ ثم قال: - يا بنى عبدالمطلب إنّى واللّه ما أعلم شابّاً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، انّى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، وقد أمرنى اللّه عزّوجل أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بى ويؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى وخليفتى فيكم» .

ولمّا بلغ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى هذا الموضع وقد أمسك القوم وسكتوا عن آخرهم، قام على ـ عليه السلام ـ فجأة وقال: أنا يا رسول اللّه أكون وزيرك على ما بعثك اللّه، فقال له رسول اللّه: اجلس، ثم كرّر دعوته ثانية وثالثة، ففى كلّ مرّة يحجم القوم عن تلبية دعوته ويقوم على ويعلن استعداده لمؤازرة النبى ويأمره رسول اللّه بالجلوس حتّى إذا كان فى المرّة الثالثة، أخذ رسول اللّه بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: «إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»(۳) .

---

۱ . يس / ۶ .

۲ . الشعراء / ۲۱۴ .

۳ . مسند أحمد ۱ / ۱۱۱، تاريخ الطبرى ۲ / ۶۲ ـ ۶۳، تاريخ الكامل ۲ / ۴۰ ـ ۴۱، إلى غير ذلك من المصادر المتوفّرة يقف عليها من سبر كتب السيرة ـ عند سرد حوادث بدء الدعوة ـ وكتب التفسير فى تفسير الآية الآنفة فى سورة الشعراء . (۴۵)

نحن لا ـ نُريد أن نحوم حول الرواية ونعرض عن الإشارة إلى ماجنى عليها بعض المؤرّخين والكتّاب الجدد(۱) ولكن نذكر نكتة أنّ النبى أعلن وزيره وخليفته ووصيّه يوم أعلن رسالته وكأنّهما فرقدان فى سماء الوحى لا ـ يفترقان، وما القيادة بعد النبى إلاّ استمرار لوظائف النبوّة، وإن كانت النبوّة مختومة ولكن الوظائف والمسؤوليات كانتا مستمرّتين. ۲- حديث المنزلة:

روى أصحاب السير والحديث أنّ رسول اللّه خرج إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له على: «أخرج معك»؟ فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لا»، فبكى على فقال له رسول اللّه: «أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى، انّه لا ينبغى أن أذهب إلاّ ـ وأنت خليفتى»، أخرجه البخارى فى صحيحه(۲) والاستثناء يدل على ثبوت ما لهارون من المناصب لعلى سوى النبوّة سيأتى توضيحه. وروى مسلم فى صحيحه انّ إمام الفئة الباغية قال لسعد بن أبى وقاص: ما منعك أن تسب أبا تراب فقال: امّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّه فلن أسبّه لأن تكون لى واحدة منها أحبّ إلىّ من حمر النعم، سمعت رسول اللّه يقول له وقد خلّفه فى بعض مغازيه بعد ما شكى إليه على بقوله: «يا رسول اللّه خلّفتنى مع النساء والصبيان»: «أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ـــــــــــــــــــ

۱ . كالدكتور محمد حسين هيكل فى حياة النبى، لاحظ محاضراتنا فى سيرة النبى وقد طبعت باسم (سيّد المرسلين ۱ / ۳۹۴ ـ ۳۹۷) .

۲ . صحيح البخارى ۵ باب فضائل أصحاب النبى باب مناقب على ۲۴ وغيره . (۴۶)

لا نبوّة بعدى» . وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية رجلا يحبّ اللّه ورسوله، ويحبّه اللّه ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لى عليّاً، فأُتى به أرمد العين، فبصق فى عينه ودفع الراية إليه ففتح عليه. ولمّا نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعَالَوْ نَدْعُ أبْناءَنا وَ أبْناءَكُمْ) دعا رسول اللّه عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلى»(۱) . ۳- حديث الغدير:

إنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة رواه الصحابة والتابعون والعلماء فى كل عصر وجيل، ولسنا بصدد اثبات تواتره وذكر مصادره فقد قام غير واحد من المحقّقين بهذه المهمّة، وانّما الهدف ايقاف القارىء على نصوص الخلافة فى حقّ على حتّى يقف على أنّ النبى الأعظم هو الباذر الأوّل لبذرة التشيّع والدعوة إلى على بالامامة والوصاية، وعلى أنّ مسألة التشيّع قد نشأت قبل رحلته، ونذكر فى المقام ما ذكره ابن حجر وقد اعترف بصحّة سنده، يقول: إنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خطب بغدير خم تحت شجرات، فقال: «أيّها الناس أنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبى إلاّ ـ نصف عمر الّذى يليه من قبله، وانّى لأظن أنّى يوشك أن أُدعى فأُجيب وانّى مسؤول وانّكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجهدت ونصحت فجزاك اللّه خيراً، فقال: «أليس

تشهدون أن لا ـ إله إلاّ ـ اللّه وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ جنّته حق وأنّ ناره حقّ وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق بعد الموت وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ ــــــــــــــــــــ

١ . صحيح مسلم ۶ باب فضائل على ١٢٠ ـ ١٢١ طبعة محمّد علىّ صبيح .

(۴٧)

اللّه يبعث من فى القبور؟» قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: «اللّهمّ اشهد» ثمّ قال: «يا أيّها الناس إنّ اللّه مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا ـ يعنى عليّاً ـ مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه» ثمّ قال: «يا أيّها الناس انّى فرطكم وانّكم واردون علىّ الحوض، حوض أعرض ممّا بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضّة وانّى سائلكم حين تردون علىّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلّفونى فيهما الثقل الأكبر كتاب اللّه عزّوجلّ سبب طرفه بيد اللّه وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا ـ تبدلوا، وعترتى أهل بيتى، فإنّه نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتّى يردا علىّ الحوض»(١). وأخرجه غير واحد من أئمة الحديث منهم الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بواد يقال له وادى خم، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير، قال: «فخطبنا وظُلِّل لرسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون، أو لستم تشهدون، أنّى أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»(٢) . وأخرجه الحاكم فى مناقب على من مستدركه عن طريق زيد بن أرقم من طريقين صحّحها على شرط الشيخين قال: لمّا رجع رسول اللّه من حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: «إنّى دعيت فأجبت، قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه وعترتى، فانظروا كيف تخلّفونى فيهما، ــــــــــــــــــــ

١ . الصواعق ۴٣ ـ ۴۴، وأخرجه من طريق الطبرانى وغيره، وحكم بصحّته.

٢ . مسند الامام أحمد ۴ / ٣٧٢، وأخرجه الامام أيضاً فى مسنده من حديث البراء بن عازب من طريقين، لاحظ الجزء الرابع الصفحة ٢٨١ . (۴٨)

فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض ـ ثمّ قال: ـ إنّ اللّه عزّوجلّ مولاى وأنا مولى كل مؤمن ـ ثمّ أخذ بيد على فقال: ـ من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه...»(١) . وأخرجه النسائى فى خصائصه عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع النبى من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثمّ قال: «كأنّى دعيت فأجبت، وانّى تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه وأهل بيتى، فانظروا كيف تخلّفونى فيهما، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض ـ ثمّ قال: ـ إنّ اللّه مولاى وأنا ولى كل مؤمن ـ ثمّ أخذ بيد على فقال: ـ من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ فقال: وإنّه ما كان فى الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأُذنه(٢) . إنّ سؤال أبى الطفيل يعرب عن حقيقة مرّة، وهو أنّه يرى التنافى بين مضمون الحديث وعمل الأُمّة، فإنّ الحديث نصٌّ على ولايته وخلافته والأُمّة صرفتها عن على، فلأجل ذاك عاد يتعجّب ويسأل، وليس التعجّب مختصّاً به، فهذا هو الكميت يصرّح به فى هاشمياته ويقول: ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الخلافة لو أُطيعا ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقّاً أُضيعا(٣) ــــــــــــــــــــ

١ . المستدرك ٣ / ١٠٩، مع أنّ الذهبى فى تعليقته على المستدرك يعلّق على مواضع من تصحيحات الحاكم صرّح فى هذا المقام بصحّة الحديث .

٢ . الخصائص العلوية ٢١ .

٣ . الهاشميات طبعت غير مرّة وشرحها غير واحد من أُدباء العصر كالرافعى المصرىّ، والأستاذ محمد شاكر الخياط وقد دبَّ إليها الدس والتحريف، لاحظ الغدير ٢ / ١٨١ . (۴٩)

ولو أردنا استقصاء مصادر الحديث ومسانيده ورواته من الصحابة والتابعين والعلماء لأحوجنا ذلك إلى تأليف مفرد، وقد قام بحمداللّه أعلام العصر ومحقّقوه بذلك المجهود(۱) . والمهم هو دلالـة الحـديث على الولا يهٔ العامّهٔ والخلافهٔ الكبرى لعلى بعد الرسول، ويكفى فى ذلك التدبّر فى الاُمور التالية: ۱- إنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال فى خطبته: «أنا أولى بهم من أنفسهم ـ ثمّ قال: ـ فمن كنت مولاه» وهـذا قرينـهٔ لفظيهٔ على أنّ المراد من المولى هو الأولى، فالمعنى أنّ اللّه أولى بى من نفسـى، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسـهم، ومن كنت أولى به من نفسه، فعلى أولى به من نفسه. وهـذا هو معنى الولايهٔ الكبرى للإمام. ۲- ذيل الحديث وهو قوله ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ : «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» وفى بعض الطرق «وانصـر من نصـره واخـذل من خـذله» فإنّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ لمّا نصّبه إماماً على الاُمّهٔ بعده، كان يعلم أنّ تطبيق هذا الأمر رهن توفّر الجنود والأعوان وطاعهٔ أصحاب الولايات والعمّال، مع علمه بأنّ فى الملأ من يحسـده وفيهم من يحقد عليه، وفى زمرهٔ المنافقين من يضـمر له العداء، فعاد يدعو لمن والاه ونصـره، وعلى من عاداه وخـذله، ليتمّ أمر الخلافهٔ، وليُعْلم الناس أنّ موالاته موالاهٔ للّه وأنّ عداءه عداؤه، والحاصل أنّ هذا الدعاء لا يناسب إلاّ من نصـب زعيماً للإمامـهٔ والخلافهٔ. ۳- إنّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ أصـدر كلامـه بأخـذ الشـهادهٔ من الحضّار بأن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّـداً رسول اللّه، ثمّ قال: إنّ اللّه مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . العبقات للسيد مير حامد حسين (ت ۱۳۰۶)، والغدير للعلامهٔ الفذ عبدالحسين الأمينى (ت ۱۳۹۰)، وكلاهما من حسنات الدهر .

(۵۰)

أولى بهم من أنفسهم، فقال: «فمن كنت مولاه فهذا على مولاه» . ۴- إنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر قبل بيان الولايهٔ قوله: «كأنّى دعيت فأجبت» أو ما يقرب من ذلك، وهو يعرب أنّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ لم يبق من عمره إلاّ قليل يحاذر أن يـدركه الأجل، فأراد سـد الفراغ الحاصل بموته ورحلته بتنصـيب علىّ إماماً وقائـداً من بعـده . هـذه القرائن وغيرها الموجودهٔ فى كلامه، توجب اليقين بأنّ الهـدف من هـذا النبأ فى ذلك المحتشـد العظيم ليس إلاّ إكمال الـدين واتمام النعمـهٔ من خلال ما أعلن عنه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ انّ علياً قائـد وإمام الاُمّـهٔ، ومن أراد التوسع فى الاطلاع على هذه القرائن فليرجع إلى الأثر القيّم الغدير(۱). لا يشك من درس مضـمون حديث الغدير وما حوله من القرائن يقف على أنّ المراد منه هو نصب على للامامهٔ والخلافهٔ وهذا هو الّذى فهمه الحضّار من المهاجرين والأنصار فى ذلك المحفل كما فهمه من بلغه النبأ بعـد حين ممّن يُحتـجّ بقوله فى اللغـهٔ، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشـعراء ورجال الأدب إلى العصر الحاضر، وهذا هو حسّان بن ثابت الحاضر مشهد الغدير وقد استأذن رسول اللّه أن ينظم الحديث فى أبيات منها قوله: وقال له قم يا على فانّنى رضيتك من بعدى إماماً وهاديا(۲) حتّى انّ عمرو بن العاص الّذى لا يخفى عداؤه لعلى على أحد يقول فى قصيدته الّتى أرسلها إلى معاويهٔ شاكياً إيّاه: وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصّصهٔ فى على ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الغدير ۱ / ۳۷۰، وقد ذكر هناك ما يقرب من عشرين قرينهٔ على ما هو المراد من الحديث .

۲ . رواهٔ غير واحد من حفاظ الفريقين لاحظ الغدير ۲ / ۳۵ ـ ۳۷ . (۵۱)

وفى يوم خم رقى منبراً * وبلّغ والصـحب لم ترحل فأمنحه إمرهٔ المؤمنين * من اللّه مستخلف المنحل وفى كفّه كفّه معلناً * ينادى بأمر العزيز العلى وقـال: فمن كنت مـولى له * على له اليوم نعم الـولى(۱) شـبهتان واهيتـان: وقـد توالى فهم الاُدباء والعلماء على ذلك فى طيّات القرون عبر النظم والنثر. غير أنّ هناك لفيفاً من الناس ممّن يعاند الحقيقهٔ ولا يرضـى بقبولها، أبدى شـبهتين ضـعيفتين نذكرهما على وجه الإجمال: الشبههٔ الاُولى:

إنّ المولى يراد به معان مختلفهٔ فمنها،المحبّ والناصـر، فمن أين علم أنّ المراد بها المتولّى والمالك للأمر والأولى بالتصرّف؟ يلاحظ عليه: أنّ لفظ المولى ليس له إلاّ معنى واحـد وهو: الأولى. قال سـبحانه: (فَالْيَوْمَ لا يُؤخَـذُ مِنْكُم فِدْيَةٌ وَ لا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُم النَّارُ هِى مَوْلاكُمْ وَبِئسَ المَصير)(۲) وقـد فسّره غير واحد من المفسّـرين بأنّ المراد أنّ النار أولى بكم، غير أنّ الّذى يجب التركيز عليه هو أنّ الاُولى هو المعنى الوحيد للمولى ـــــــــــــــــــــــــــــ

١ . والقصيدة تربو على ۶۶ بيتا، نقل قسماً منها ابن أبى الحديد فى شرحه ١٠ / ۵۶ ـ ۵۷ ونقلها برمتها الأمينى فى الغدير ٢ / ١١۵ ـ ١١٧ .

٢ . الحديد / ١۵ . (۵٢)

وانّ كلّما ذكر من المعانى المختلفة له إنّما هى من موارد استعماله ومتعلّقاته، فقد ذكروا له من المعانى سبعة وعشرين معنى، خلطوا فيها المتعلّق بالمعنى، ومورد الاستعمال بالموضوع له، فقد قيل إنّ من معانيه الرب، والعم، والمعتق، والعبد، والمالك، والتابع، والمحب، والناصر وكلّها متعلّقات للمعنى، وليس له إلاّ معنى واحد وهو الجامع لهاتيك المعانى جمعاء، ومأخوذ فى كل منها بنوع من العناية، ولم يطلق لفظ المولى على شىء منها إلاّ بمناسبة. ١- فالربّ سبحانه هو أولى بخلقه من أى قاهر عليهم، خلق العالمين كما شاءت حكمته يتصرّف فيه بمشيئته. ٢- والعم أولى الناس بكلاءة ابن أخيه والعطف عليه وهو القائم مقام والده الّذى كان أولى به. ٣- و«المعتِق» أولى بالتفضّل على من أعتقه، كما أنّ المعتق أولى بأن يعرف جميل من أعتقه عليه . ۴- والمالك أولى بالتصرّف فى ماله وكلاءة مماليكه . ۵- والتابع أولى بمناصرة متبوعه ممّن لا يتبعه . ۶- والمحب والناصر أولى بالدفاع عمّن أحبّه أو التزم بنصرته. فإذن ليس للمولى إلاّ معنى واحد، وتختلف هذه الأولوية بحسب الاستعمال فى الموارد المختلفة . الشبهة الثانية:

المراد أنّه أولى بالإمامة مآلا وإلاّ كان هو الإمام مع وجود النبى ولا تعرض فيه لوقت المآل، فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له، فلا ينافى حينئذ تقديم الأئمة (۵٣)

الثلاثة عليه(١). وهذه الشبهة من الوهن بمكان، وذلك لأنّه لا ـ يجتمع مع حكمة المتكلّم وبلاغته ولا مع شىء من أفعاله العظيمة وأقواله الجسيمة، وهو يستلزم أن لا تعم ولايته جميع الناس والحضّار، فيخرج عن ولايته الخلفاء الثلاثة، مع أنّ الشيخين ـ حينما سمعا قول رسول اللّه ـ قالا له: بخ بخ لك يا على، أمسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة(٢) . حصيلة البحث:

إنّ من سبر غضون السير والتواريخ يقف على أنّ النبى الأكرم لم يبرح يدعو الناس إلى على بالتصريح تارة، والاشارة اُخرى من بدء الدعوة إلى ختامها. فتارة يعرّفة بأنّه خليفته ووصيّه ووزيره، واُخرى بأنّ منزلته منه منزلة هارون من موسى، وأنّ له كل المناصب الثابتة لهارون إلاّ منصب واحد وهو النبوّة، والدليل على ذلك هو الاستثناء «إلاّ أنّه لا نبى بعدى» وقد كان هارون وزيراً لموسى وشريكاً له فى النبوّة قال سبحانه: (وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ)(٣) وقال سبحانه حاكياً عن موسى: (وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ

١ . الصواعق المحرقة ۴۴ .

٢ . مسند أحمد ۴ / ٢٨١ .

٣ . القصص / ٣۴ ـ ٣۵ . (۵۴) بِنا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى)(١).

وثالثة ينصبه قائداً وإماماً فى هواء حار وارض جافة فى محتشد عظيم مبتدئاً كلامه بما يرجع إلى اُصول الدين من أخذ الشهادة من الناس على ولاية اللّه و ولاية الرسول ثم يأخذ بيد على وهو على المنبر محرّكاً شعور الحاضرين وليشد القلوب نحو على ويقول: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» . ودلالة هذه الأحاديث على خلافة من عيّنه الرسول على وجه لا ينكره إلاّ مكابر ولا يردّه إلاّ معاند، وكفانا فى الموضوع ما ألّفه أصحابنا حول هذه الأحاديث الثلاثة . * * * مرجعية أهل البيت الفكرية بعد الرسول:

دلّت الأحاديث السابقة على أنّ الزعامة السياسية والخلافة بعد الرسول تتمثّل فى على وعترته، وهناك أحاديث متوفّرة تسوقنا إلى مرجعيتهم الفكرية وأنّهم الأئمة والأوصياء بعد الرسول وأنّه لابدّ للمسلم أن يرجع إليهم فى دينه، ويأخذ عنهم اُصوله وفروعه، وأنّ النبى الأكرم جعلهم المغزع بعده، والعترة والكتاب توأمان لايفترقان، وإليك بعض ما ورد عن الرسول فى المقام: ۴- حديث الثقلين:

إنّ النبى الأكرم أيقظ الغافلين وبيّن مرجع الاُمّة بعد رحلته بهتافه الدوى وقال: «يا أيّها الناس إنّى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب اللّه وعترتى ـــــــــــــــ

١ . طه / ٢٩ ـ ٣٦.

(٥٥)

أهل بيتى»(١) . وقال: «إنّى تركت ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»(٢) . وقال: «إنّى تارك فيكم خليفتين: كتاب اللّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»(٣) . وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وأهل بيتى وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»(۴) . وقال: «إنّى اُوشك أن اُدعى فاُجيب، وإنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه عزّوجلّ وعترتى، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وأنّ اللطيف الخبير أخبرنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»(۵) . وقال فى منصرفه من حجّة الوداع ونزوله غدير خم: «كأنّى دعيت فاجبت، انّى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»(۶) . ـــــــــــــــ

١ . كنز العمال ١ / ۴۴، أخرجه الترمذى والنسائى عن جابر.

٢ . كنز العمال ١ / ۴۴، أخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم .

٣ . مسند أحمد ۵ / ١٨٢، ١٨٩ .

۴ . المستدرك للحاكم ٣ / ١۴٨ .

۵ . مسند أحمد ٣ / ١٧ ـ ٢۶، أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى .

۶ . المستدرك للحاكم ٣ / ١٠٩، أخرجه من حديث زيد بن أرقم . (۵۶) ۵- حديث السفينة:

إنّ النبى الأكرم يشبّه أهل بيته بسفينة نوح ويقول: «ألا ـ انّ مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق»(١). وفى حديث آخر يقول: «إنّما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له»(٢) وفى حديث ثالث: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتى أمان لاُمّتى من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»(٣) . ومن المعلوم أنّ المراد ليس جميع أهل بيته على سبيل الاستغراق لأنّ هذه المنزلة ليست إلّا لحجج اللّه ولفيف من أهل بيته، وقد فهمه ابن حجر وقال: يحتمل أنّ المراد بأهل البيت الذين هم أمان، علماؤهم، لأنّهم الذين يهتدى بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون، ـ وقال فى مقام آخر ـ انّه قيل لرسول اللّه: «ما بقاء الناس بعدهم؟» قال: «بقاء الحمار إذا كسر صلبه»(۴). والمراد من تشبيههم ـ عليهم السلام ـ بسفينة نوح: أنّ من لجأ إليهم فى الدين فأخذ فروعه واُصوله عن أئمّتهم الميامين نجا من عذاب اللّه، ومن تخلّف عنهم كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر اللّه غير أنّ ذاك غرق فى الماء، وهذا غرق فى الحميم. والوجه فى تشبيههم بباب حطة هو أنّ اللّه تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله، والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة، وقد جعل انقياد ـــــــــــــــ

١ . مستدرك الحاكم بسنده إلى أبى ذر ٣ / ١۵١ .

٢ . الأربعون حديثاً للنبهانى ٢١۶، نقله عن الطبرانى فى الأوسط .

٣ . مستدرك الحاكم بسنده إلى ابن عباس ٣ / ١۴٩ .

۴ . الصواعق لابن حجر (الباب الحادى عشر): ٩١، ١۴٢ . (۵٧)

هذه الاُمّة لأهل بيت نبيّها وأتباعهم، مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. ثمّ إنّ ابن حجر قد

أوضح حقيقة التشبيه فى كلامه وقال: «ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعيم، وهلك فى مفاوز الطغيان ـ إلى أن قال: ـ وبباب حطة ـ يعنى ووجه تشبيههم بباب حطة ـ انّ اللّه جعل دخول ذلك الباب الّذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها»(۱) . وفى هذه الأحاديث الخمسة غنى وكفاية لطلاّب الحق . *** الائمّة الاثنا عشر فى حديث الرسول:

إنّ هناك روايات تحدّد وتعيّن عدد الأئمّة بعد الرسول، وإن لم تذكر أسماءهم، ولكنّها تذكر سماتهم وهذه هى أحاديث الأئمة الاثنى عشر رواها أصحاب الصحاح والمسانيد نذكرها إكمالا للبحث، وهى على وجه لا ينطبق إلاّ على من عيّنهم الرسول ووصفهم بالخلافة والزعامة، ولذلك نذكرها فى عداد أدلّة التنصيص على الخلافة. والإمعان فيها يرشد القارىء إلى الحق، ويأخذ بيده حتّى يرسى مركبه على شاطىء الأمان والحقيقة. ـــــــــــــــــ

۱ . لاحظ الصواعق (الباب الحادى عشر): ۹۱، وقد علّق سيّدنا الإمام شرف الدين على كلام ابن حجر وقال: قل لى لماذا لم يأخذ بهدى أئمّتهم فى شىء من فروع الدين و عقائده، ولا شىء من أُصول الفقه وقواعده، ولا شىء من علوم السنّة والكتاب، ولا فى شىء من الأخلاق والسلوك والآداب فلماذا تخلّف عنهم فأغرق نفسه فى بحار كفر النعم، وأهلكها فى مفاوز الطغيان (المراجعات ۲۵) .

(۵۸)

ويطيب لى أن أذكر مجموع هذه النصوص فإنّها تؤكّد بعضها بعضاً وإليك البيان: الائمة الاثنا عشر:

۱- روى البخارى عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللّه يقول: «يكون اثنا عشر أميرا» فقال كلمة لم اسمعها، فقال أبى: أنّه قال: «كلّهم من قريش»(۱) . ۲- روى مسلم عنه أيضاً قال: دخلت مع أبى على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسمعته يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» قال ثمّ تكلّم بكلام خفى علىّ، قال فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» . ۳- و روى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ماوليهم اثنا عشر رجلا» ثمّ تكلّم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكلمة خفيت علىّ فسألت أبى: ماذا قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ؟فقال: «كلّهم من قريش» . ۴- وروى عنه أيضاً نفس الحديث إلاّ أنّه لم يذكر: «لا يزال أمر الناس ماضياً». ۵- و روى مسلم عنه أيضاً يقول: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» ثمّ قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبى: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش»(۲) . ـــــــــــــــــ

۱ . صحيح البخارى ۹ / ۱۰۱، كتاب الأحكام، الباب ۵۱ (باب الاستخلاف) .

۲ . صحيح مسلم ۶ / ۳ . (۵۹)

۶- وروى مسلم عنه ايضاً قال: انطلقت إلى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومعى أبى فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة» فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبى: ما قال؟، قال: «كلّهم من قريش» . ۷- وروى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم جمعة عشية رجم الأسلمى يقول: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»(۱) . ۸- روى أبو داود عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللّه يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر» فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة، خفيت، قلت لأبى: يا أبه ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش»(۲). ۹- روى الترمذى عن جابر بن سمرة قال: قال رسول اللّه: «يكون من بعدى اثنا عشر أميراً» ثمّ تكلّم بشىء لم أفهمه فسألت الّذى يلينى، فقال: قال: «كلّهم من قريش» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن جابر، ثمّ ذكر طريقاً آخر إلى جابر(۳) . ۱۰- روى أحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبى يقول: «يكون لهذه الأُمّة اثنا عشر خليفة» ورواه عن ۳۴ طريقاً(۴) . ۱۱- روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين فى كتاب معرفة الصحابة عن عون بن جحيفة عن أبيه قال: كنت مع عمّى عند النبى فقال: «لا

يزال أمر اُمّتى ـــــــــــــــــــ

۱ . صحيح مسلم ۶ / ۳ ـ ۴ .

۲ . صحيح أبى داود ۲، كتاب المهدى ۲۰۷ (طبع مصر) وروى أيضاً نحوه بطريقين آخرين .

۳ . صحيح الترمذى ۲ / ۴۵ (طبع عام ۱۳۴۲) .

۴ . مسند أحمد ۵ / ۸۶ ـ ۱۰۸ . (۶۰)

صالحاً حتّى يمضى اثنا عشر خليفة» ثم قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمّى ـ وكان أمامى ـ : ما قال يا عم؟ قال: قال: «كلّهم من قريش»(۱) . ونحن نكتفى فى حديث «الأئمة الاثنا عشر» بالأحاديث الاثنا عشر ولا نتجاوز عنها تيمّناً وتبرّكاً، ورواه كثير من أعلام الاُمّة فى مجامعهم الحديثية والتاريخية. ۱- رواه أحمد بسنده عن مسروق قال: كنّا جلوساً عند عبداللّه بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمان هم سألتم رسول اللّه كم يملك هذه الاُمّة من خليفة؟ فقال عبداللّه بن مسعود: ما سألنى عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول اللّه فقال: «اثنا عشر كعدة نقباء بنى اسرائيل(۲) . ۳- وقال المتّقى الهندى فى منتخب كنز العمّال: يملك هذه الاُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بنى إسرائيل، وأخرجه عن أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير، والحاكم فى المستدرك(۳) . ـــــــــــــــــــ

۱ . المستدرك على الصحيحين (كتاب معرفة الصحابة) ۳ / ۶۱۷ ـ ۶۱۸ (طبع الهند) .

۲ مسند أحمد ۱ / ۳۹۸ .

۳ . منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ۵ / ۳۱۲ . (۶۱)

۴- قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود، انّه سئل كم يملك هذه الاُمّة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللّه فقال: «اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل»(۱) . ۵- قال ابن حجر فى الصواعق: أخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة انّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش»(۲) . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على أنّ الأئمة بعد النبى الأكرم اثنا عشر، وقد جاء فيها سماتهم وصفاتهم وعددهم، غير أنّ المهم هو تعيين مصاديقها والاشارة إلى أعيانها وأشخاصها، ولا ـ تعلم إلاّ ـ بوجود السمات الواردة فى هذه الأحاديث فيهم، وأمّا السمات الواردة فيها فإليك مختصرها: ۱- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة . ۲- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً . ۳- لا يزال الدين قائماً . ۴- لا ـ يزال أمر اُمّتى صالحاً . ۵- لا يزال أمر هذه الاُمّة ظاهراً . ۶- حتّى يمضى فيهم اثنا عشر . ۷- ما وليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش . ۸- عددهم كعدد نقباء بنى إسرائيل . وهذه السمات والخصوصيات لا توجد مجتمعة إلاّ فى الأئمّة الاثنى عشر المعروفين عند الفريقين، وتلك الأحاديث من أنباء الغيب ومعجزات النبى الأكرم ـــــــــــــــــــ

۱ . تاريخ الخلفاء ۱۰ .

۲ . الصواعق ۱۸۹ ط تخريج عبدالوهاب وعبد اللطيف . (۶۲)

خصوصاً إذا ضُمّت إليها أحاديث الثقلين والسفينة وكون أهل بيت النبى أماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وسيوافيك تفصيل هذه الأحاديث الثلاثة . فالأئمّة الاثنا عشر المعروفون بين المسلمين، أوّلهم على أميرالمؤمنين، وآخرهم المهدى تنطبق عليهم تلك العلائم، ومن وقف على حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية يقف على أنّهم هم المثل العليا فى سماء الاخلاق وفى القمّة والذروة فى العلم والاحاطة بالقرآن والسنّة، وانّه سبحانه بهم حفظ دينه عن التحريف وبهم اعتزّ الدين . وأمّا ما ورد فى بعض هذه الطرق: «كلّهم تجتمع عليهم الاُمّة» على فرض الصحة، فالمراد تجتمع على الاقرار بإمامتهم جميعاً وقت ظهور آخرهم، و ـ على فرض الابهام ـ لا تمنع عن الأخذ بمضامين الحديث . هلمّ معى نقرأ ماذا يقول غير الشيعة فى حق هذه الأحاديث، فكيف يفسّرها بالخلفاء القائمين بالأمر بعد النبى الأكرم؟ وإليك نقل كلامهم: ۱- إنّ قوله اثنا عشر اشارة إلى عدد خلفاء بنى اُمية وأوّل بنى اُمّية

يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار وعدتهم اثنا عشر ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، ولا مروان بن الحكم لكونه صحابياً أو لأنّه كان متغلبا بعد أن اجتمع الناس على عبداللّه بن الزبير، وليس على المدح بل على استقامة السلطنة وهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية ثم عبدالملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبدالعزيز ثم يزيد بن عبدالملك ثم هشام بن عبدالملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمّد(۱) . ــــــــــــــــــــ

۱ . فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ۱۳ / ۲۱۲ ط دار المعرفة. وفى المصدر: عدتهم ثلاثة عشر .

(۶۳) يلاحظ عليه: إذا كان الرسول أراد هذا ولم يكن فى مقام مدحهم فأى فائدة فى الأخبار بذلك. ثمّ كيف يقول انّها صدرت على غير سبيل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصريحة فى المدح فيقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً قائماً»، أو «أمر اُمّتى صالحاً» والعجب انّه جعل أوّل الخلفاء يزيد بن معاوية بحجّة أنّه استقامت له السلطنة مع أنّه كيف استتبت له السلطنة وقد ثار عليه العراق فى السنة الاُولى وثار عليه أهل المدينة فى السنة الثانية وكان مجموع أيّامه مؤلّفة من حروب دامية بين قتل ونهب وتدمير.
۲- «إنّ المراد أنّه يملك اثنا عشر خليفة بهذه السمات بعد وفاة المهدى» وهذا من أغرب التفاسير لأنّها ظاهرة فى اتصال خلافتهم بعصر النبى الأكرم ولأجل تبادر ذلك سأل الناس عبداللّه بن مسعود عن عدد من يملك أمر هذه الاُمّة(۱) . ۳- ما نقله ابن حجر فى فتح البارى عن القاضى عياض انّ المراد الخلفاء الذين اجتمع عليهم الناس وهم أبوبكر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، ويزيد، وعبدالملك، وأولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وعمر بن عبدالعزيز بين سليمان ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك(۲) . ولا يكاد ينقضى تعجّبى من القاضى عياض وابن حجر كيف يعرّفان هؤلاء بمن عزّ بهم الإسلام والدين وصار منيعاً وفيهم يزيد بن معاوية ذلك السكير المستهتر الّذى كان يشرب الخمر ويدع الصلاة، ولم يكتف بذلك بل ضرب الكعبة بالمنجنيق ــــــــــــــــــــ

۱ . فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ۱۳ / ۲۱۳ ومثله ما نقله أيضاً: اثنا عشر خليفة فى جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة .

۲ . المصدر نفسه ولاحظ تاريخ الخلفاء ۱۱ . (۶۴)

وأباح المدينة ثلاثة أيّام بأعراضها وأموالها وأنفسها. وهل اعتزّ الإسلام بعبد الملك وكفى فى مساويه تنصيبه الحجاج على العراق فقتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفى(۱) . كيف اعتزّ الدين بالوليد بن يزيد بن عبدالملك المنتهك لحرمات اللّه الّذى حاول أن يشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ففتح المصحف فخرج (فَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلّ جَبّار عَنِيد) فألقاه ورماه بالسهام وقال: تهددنى بجبّار عنيد * فها أنا ذاك جبّار عنيد إذا ماجئت ربّك يوم حشر * فقل يا رب مزّقنى الوليد ومن أراد أن يقف على جنايات الرجل وأقربائه وأجداده فليقرأ التاريخ الّذى اسودّت صفحاته بسبب أفعالهم الشنيعة. إنّ للكاتب القدير السيد محمّد تقى الحكيم كلاماً فى هذه الأحاديث يطيب لى نقله. قال: والّذى يستفاد من هذه الروايات: ۱- أنّ عدد الأمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثنى عشر وكلّهم من قريش . ۲- أنّ هؤلاء الاُمراء معيّنون بالنص كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بنى إسرائيل لقوله تعالى: (وَ لَقَد أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِى إسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً)(۲) . ۳- أنّ هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقى الدين الاسلامى أو حتّى تقوم الساعة كما هو مقتضى رواية مسلم «انّ هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» وأصرح من ذلك روايته الاُخرى فى نفس الباب: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ــــــــــــــــــــ

۱ . تاريخ الخلفاء ۲۵۰ و غيره.

۲ . المائدة / ۱۲ . (۶۵)

ما بقى من الناس اثنان». إذا صحّت هذه الاستفاده فهى لا تلتئم إلاّ مع مبنى الإمامية فى عدد الأئمة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهى منسجمة جدّاً مع حديث الثقلين وبقاؤهما حتّى يردا عليه الحوض . وصحّة هذه الاستفادة موقوفة على أن يكون المراد من بقاء الأمر فيهم بقاء الإمامة والخلافة ـ بالاستحقاق ـ لا بالسلطة الظاهرية لأنّ الخليفة الشرعى

خليفة يستمد سلطته من اللّه، وهى فى حدود السلطة التشريعية لا التكوينية، لأنّ هذا النوع من السلطة هو الّذى تقتضيه وظيفته كمشرع، ولا ينافى ذلك ذهاب السلطة منهم فى واقعها الخارجى وتسلّط الآخرين عليهم، على أنّ الروايات تبقى بلا تفسير لو تخلّينا عن حملها على هذا المعنى لبداهة أنّ السلطة الظاهرية قد تولّاها من قريش أضعاف أضعاف هذا العدد، فضلا عن انقراض دولهم وعدم النص على أحد منهم ـ أمويين وعباسيين ـ باتّفاق المسلمين . ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الروايات كانت مأثورة فى بعض الصحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمة فلا يحتمل أن يكون من الموضوعات بعد اكتمال العدد المذكور، على أنّ جميع رواتها من أهل السنّة ومن الموثوقين لديهم ولعلّ حيرة كثير من العلماء فى توجيه هذه الأحاديث وملاءمتها للواقع التأريخى كان منشؤها عدم تمكّنهم من تكذيبها، ومن هنا تضاربت الأقوال فى توجيهها وبيان المراد منها . والسيوطى ـ بعد أن أورد ما قاله العلماء فى هذه الأحاديث المشكلة ـ خرج برأى غريب وهو: وعلى هذا فقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز فى بنى اُمية وكذلك الظاهر لما اوتيه من العدل، وبقى الاثنان منتظران، أحدهما المهدى لأنّه من أهل بيت محمّد ولم يُبيّن (۶۶) المنتظر الثانى، ورحم اللّه من قال فى السيوطى: انّه حاطب ليل» . * * *

يستفاد من حديث الثقلين اُمور مهمة لو اهتمّت بها الاُمّة لاجتمعت على مائدة أهل البيت واستغنت عن غيرهم، وهاهى: ۱- إنّ اقتران العترة الطاهرة بالقرآن الكريم إشارة إلى أنّ عندهم علم القرآن وفهمه علماً لائقاً بشأنه . ۲- إنّ التمسّك بالكتاب والعترة يعصم من الضلالة ولا يغنى أحدهما عن الآخر . ۳- يحرم التقدّم على العترة كما يحرم الابتعاد عنهم . ۴- إنّ العترة لا ـ تفارق الكتاب، وانّهما مستمرّان إلى يوم القيامة . أفيصحّ بعد هذه التصريحات والاشارات ترك العترة والأخذ بقول غيرهم؟ مقتضى الكتاب فى صيغة القيادة بعد الرسول:

قد تعرّفت على مقتضى السنّة النبوية فى مجال القيادة بعد الرسول، وكلّها تدل على أنّ الرسول قام بتعيين الوصى بعده، وعيّن خليفة المسلمين تعييناً شخصياً، وقد كرّر وأكّد ذلك فى مواقف متعدّدة ـ حتّى لا يبقى شكّ ـ وحاول تأكيد الأمر فى آخر ساعة من حياته الشريفة عن طريق الكتابة، ولكن حال بعضهم دون تحقق اُمنية الرسول، فلم يكتب شيئاً، وأمرهم بالخروج عن مجلسه، ونردف ذلك البحث بما وعدناه سابقاً من تبيين مقتضى الكتاب فى مسألة الخلافة، وقد نزلت آيات أوضحها آية الولاية فى سورة المائدة، فنحن نأتى بها مع ما يتقدّمها حتّى تتّضح دلالتها: (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُم أَولِيَاءُ بَعْض وَ مَن يَتَوَلَّهُم مَنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمينَ* (۶۷) فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْر مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزَّة عَلى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ لا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِم ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشاءُ وَ اللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم راكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الغَالِبُونَ)(۱)، وموضع الاستدلال هو الآيتان الأخيرتان.

وقبل الاستدلال بالآية نذكر شأن نزولها: روى المفسّرون عن أنس بن مالك وغيره أنّ سائلا أتى المسجد وهو يقول: من يقرض الملىّ الوفى، وعلى راكع يشير بيده للسائل: اخلع الخاتم من يدى. فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل بـ (إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)فأنشأ حسّان بن ثابت يقول: أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى * وكل بطىء فى الهدى ومسارع أيذهب مدحى والمحبين ضايعا * وما المدح فى ذات الإله بضايع فأنت الّذى أعطيت إذ أنت راكع * فدتك نفوس القوم يا خير راكع بخاتمك الميمون يا خير سيّد * ويا خير شار ثم يا خير بايع ______________

۱ . المائدة / ۵۱ ـ ۵۶ .

فأنزل فيك اللّه خير ولاية * وبيّنها فى محكمات الشرايع(۱) وإليك تفصيل الآية حرفياً: ۱- الولى والمولى والأولى بمعنى واحد، قال رسول اللّه: «أيّما امرأة نكحت بغير اذن وليّها فنكاحها باطل...»(۲) وقال: «يا على أنت ولى كل مؤمن من بعدى»(۳) ولو اُطلق على الناصر والمحب فهو كاطلاق المولى عليهما، وقد عرفت أنّه ليس للمولى إلاّ معنى واحد وهو الأولى، فلو أُطلق على الناصر والمحب فلأجل أنّ المحب أولى بالدفاع عن محبوبه والتزامه بنصرته، والصديق أولى بحماية صديقه، فتفسير الولى بالمحب والناصر والصديق من باب خلط المتعلّق بالمفهوم . ۲- لو كان المراد من الولى هو الناصر وما أشبهه يلزم الاكتفاء بقوله (إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا) من دون حاجة إلى التقييد بإيتاء الزكاة حال الركوع . ۳- لو كان الولى بمعنى الناصر أو المحب يلزم وحدة الولى والمولّى عليه فى قوله: (والّذين آمنوا) وما هذا إلاّ لأنّ كل مؤمن ناصر لأخيه المؤمن ومحبّ له(۴). مع أنّ ظاهر الآية أنّ هناك أولياء ثلاثة: ۱- اللّه، ۲- رسوله، ۳- المؤمنون بالشروط الثلاثة، وأنّ هناك مولى عليه، وهو غير الثلاثة ولا يتحقّق ــــــــــــــــــ

۱ . رواه الطبرى فى تفسيره ۶ / ۱۸۶ والجصاص فى أحكام القرآن ۲ / ۴۴۶ والسيوطى فى الدر المنثور ۲ / ۲۹۳ وغيرهم .

۲ . مسند أحمد ۶ / ۶۶ روتها عائشة عن النبى الأكرم .

۳ . مسند أحمد ۴ / ۴۳۷، مستدرك الحاكم ۳ / ۱۱۱ .

۴ . اللّهمّ إلاّ أن يقول القائل انّ المؤمنين الموصوفين بالأوصاف الثلاثة أولياء المؤمنين غير الموصوفين بها وهو كماترى تفسير ساقط .

(۶۹)

ذلك المعنى إلاّ بتفسير الولى بالزعيم والمتصرّف فى شؤون المولّى عليه، فهؤلاء الثلاثة أولياء وغيرهم مولّى عليهم . ۴- فإذا كانت الحال كذلك فلماذا أفرد الولى ولم يجمعه؟ والجواب عنه واضح، وهو أنّه أفرده لإفادة أنّ الولاية للّه على طريق الأصالة وللرسول والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قيل إنّما أولياؤكم اللّه ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع. ۵- إنّ قوله (الّذين يقيمون) بدل من (الذين آمنوا) كما أنّ الواو فى قوله (وهم راكعون)للحال، وهو حال من قوله (يؤتون الزكاة) معنى ذلك انّهم يؤتونها حال ركوعهم فى الصلاة . ۶- إذا كان المراد من قوله: (الّذين آمنوا) هو الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ فلماذا جيىء بلفظ الجماعة؟ والجواب: جيىء بها ليرغّب الناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه، وليتبه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقّد الفقراء حتّى إن لزمهم أمر لا ـ يقبل التأخير وهم فى الصلاة لم يؤخّروا إلى الفراغ منها(۱) . وهناك وجه آخر، وهو أنّه أتى بلفظ الجمع دون المفرد لأجل أنّ شانئى على وأعداء بنى هاشم، وسائر المنافقين من أهل الحسد والحقد، لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد، إذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع فى تمويه، ولا ملتمس فى التضليل، فيكون منهم ـ بسبب يأسهم ـ حينئذ ما تُخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتّقاء من معرّتهم، ثمّ كانت النصوص بعدها تترى بعبارات مختلفة ومقامات متعدّدة وبثّ فيهم أمر الولاية تدريجاً تدريجاً ــــــــــــــــــ

۱ . الكشاف ۱ / ۶۴۸ طبع مصر الحلبى .

(۷۰)

حتّى أكمل اللّه الدين وأتمّ النعمة، جرياً منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على عادة الحكماء فى تبليغ الناس ما يشق عليهم(۱) . وهناك وجه ثالث أشار إليه الشيخ الطبرسى فى تفسير الآية، وهو أنّ النكتة فى اطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين، تفخيمه و تعظيمه، وذلك أنّ أهل اللغة يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، وذلك أشهر فى كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه (۲) . ۷- إنّما ذكر من صفات الولى من الذين آمنوا إقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، لأنّهما ركنان عظيمان للإسلام ووظيفتان رئيستان للقائد، وهو أن يقيم الصلاة (لا ـ أن يصلّى وحده) ويؤتى الزكاة . وعلى كل تقدير فتقييد الولى من المؤمنين بالأُوصاف الثلاثة، وتقييد إيتاء الزكاة بحال الركوع يجعل الكلّى مخصّصاً فى فرد واحد، وهو مثل قولك: «رأيت رجلا سلّم علىّ أمس قبل كل أحد» وهو وإن كان كلّياً قابلاً للانطباق على كثيرين قبل التطبيق، لكنّه بعده ينحصر فى فرد . ثمّ إنّ إمام المشكّكين

فخر الدين الرازى استشكل على الاستدلال بالآية بوجوه رديئة ساقطة نذكر بعضها ونترك الباقى صيانة للوقت عن الضياع، ولعلّه لأجل هذه التشكيكات لمّا دنا أجله أملى على تلميذه إبراهيم بن أبى بكر الاصفهانى وصيّة فى الحادى والعشرين من محرّم سنة ۶۰۶، وجاء فى الوصيّة قوله: فاعلموا أنّى كنت رجلا محبّاً للعلم، فكنت أكتب فى كل شىء شيئاً لا أقف على كمّيته وكيفيته، ______________

١ . المراجعات ١۴۶ .

٢ . مجمع البيان ٢ / ٢١١ . (٧١)

سواء أكان حقّاً أو باطلا أو غثّاً أو سميناً...(١). ألف ـ إنّ المراد من الولى فى الآية ليس هو المتصرّف، بل المراد الناصر والمحب، بشهادة ما قبلها وما بعدها، أمّا ما قبل هذه الآية فلأنّه تعالى قال: (يا أيّها الذين آمنوا لا تَتَّخذوا اليهود والنصارى أولياء) وليس المراد لاتتّخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرّفين فى أرواحكم وأموالكم، لأنّ بطلان هذا كالمعلوم. بل المراد لا تتّخذوا اليهود والنصارى أحباباً وأنصاراً ولا تخالطوهم ولا تعاضدوهم، ثمّ لمّا بالغ فى النهى عن ذلك قال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذوُا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَ الكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللّهَ إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ)ـ المائدة/٥٧ـ(٢). حاصل التشكيك هو أنّ الولى فى الآية المتقدّمة والمتأخّرة بمعنى المحب والناصر فلو فسّرت فى الآية بالمتصرّف يلزم التفكيك . والجواب أنّ الولى فى الآية المتقدّمة عليها والمتأخّرة عنها، وفى نفسها بمعنى واحد ليس له فى جميع المقامات إلّا معنى واحد وهو الأولى، غير أنّه يختلف متعلّق الولاية جوهراً أوّلاـ وسعة وضيقاً ثانياً، حسب اختلاف موصوفها ومن قامت به الولاية. فلو كان الولى هو اللّه والرسول فيكون متعلّق الولاية هو النفس والنفيس، فهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكيف بأموالهم، فهما أولى بالتصرّف فى كل مايمت إلى المؤمنين . ولو كان الولى من الأب والجد، يكون المتعلّق شؤون الصغير ومصالحه ، ______________

١ . دائرة المعارف لفريد وجدى ۴ / ١۴٨ .

٢ . مفاتيح الغيب ١٢ / ٢٨ . (٧٢)

من حفظ نفسه وعرضه وماله. فيكون أولى بالتصرّف من الصغير فى أمواله وشؤونه، ومنها تزويجه بالغير . ولو كان الموصوف رئيس القبيلة، حيث كان الرائج فى عهد الجاهلية، عقد ولاء الدفاع بين القبيلتين، فيكون هو أولى بالدفاع عن المنتمى فى النوائب والنوازل، إلى غير ذلك من الموارد المختلفة حسب الموصوف. وبذلك يظهر أنّ المراد من الأولياء فى قوله (لاـ تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء) هو الأولى لما ستعرف من أنّها نزلت فى حق (عبادة بن الصامت وعبداللّه بن اُبىّ) واليهود، وكان بينهما وبين اليهود عقد ولاء الدفاع فكان كل من الطرفين وليّاً للآخر، أى أولى بالدفاع والذب عن المولى عليه من غيره. قال المفسّرون: نزلت فى حق عبادة بن الصامت وعبداللّه بن اُبى بعد غزوة بدر، حيث لمّا انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: آمنوا قبل أن يُصيبكم اللّه بيوم مثل يوم بدر، فقال مالك بن ضيف (اليهودى): أغرّكم أن اصبتم رهطاً من قريش لاعلم لهم بالقتال، أما لو أمرونا العزيمة أن نستجمع عليكم، لم يكن لكم يدان لقتالنا، فجاء عبادة بن الصامت الخزرجى إلى رسول اللّه فقال: يا رسول اللّه إنّ لى أولياء من اليهود، كثير عددهم قويّة أنفسهم، شديدة شوكتهم، وانّى أبرأ إلى اللّه ورسوله من ولايتهم، ولا مولى لى إلّا اللّه ورسوله. فقال عبداللّه بن اُبى: لكنّى لاـ أبرأ من ولاية اليهود، لأنّى أخاف الدوائر فلابد لى منهم. فقال رسول اللّه: «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه» قال: اذن اقبل، وأنزل اللّه الآية(١) . فقد اتّخذ الرجلان اليهود أولياء ليتفرّع عليه النصرة والذبّ كما أنّه سبحانه ______________

١ . مجمع البيان ٢ / ٢٠۶ وغيره .

(٧٣)

جعل الأب والجد أولياء ليتفرّع عليه حفظ شؤون المولى عليه، وعلى ضوء ذلك فالولى فى جميع المقامات بمعنى واحد، والاختلاف انّما هو فيما يتفرّع على الولاية، لا أنّه تارة بمعنى الأولى وثانياً بمعنى الناصر وثالثاً بمعنى المحب . ب ـ والّذى يرشدك على أنّ الولى

فى قوله سبحانه: (يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء) ليس بمعنى الحب والمحبّة كما احتمله الرازى، انّه ورد نظير هذا النص فى قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَ مَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(۱) وليس الولى بمعنى المحبوب. وذلك لأنّ حب الآباء والاخوان أمر فطرى، فطرالناس عليه من غير فرق بين الكافر والمسلم، ولو كان المراد من التولّى هو الحب يلزم النهى عن أمر جبلّىّ ولأجل ذلك لا محيص عن تفسيره باتخاذهم أولياء على غرار اتخاذ الرسول والإمام أولياء، بأن تكون ولايتهم على أعناق المؤمنين، كما أنّه ليس أيضاً بمعنى النصرة لجواز طلب النصرة من الكافر وهذا هو القرآن يجعل شيئاً من الزكاة للمؤلّفة قلوبهم . ج - إنّ قوله (ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم) يحكى عن أنّ التولّى على وجه يلحق المتولّى باليهود والنصارى، وهو لا ينطبق على مجرّد الحب وطلب النصرة والحبّ لا لأجل كونهم كافرين، بل لأسباب اُخرى من حسن الجوار وغيره . د ـ إنّه سبحانه يندّد ببعض المؤمنين بقوله: (يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه...)وهذا يعرب عن أنّ التولّى كان على وجه ينتهى إلى ارتداد المتولّى . ــــــــــــــــــــ

۱ . التوبة / ۲۳ .

(۷۴)

أفبعد هذه القرائن يصحّ للرازى أن يفسِّر التولّى فى هذه الآيات بالحب والنصرة. على أنّ تفسير ولاية اللّه والرسول بالحبّ والنصرة تفسير بأمر واضح لا يحتاج إلى زيادة تأكيد . هذه هى الشبهة المهمّة فى كلامه، وأمّا باقى الشبهات، فليس بشىء ذى بال. مثلا يقول: لو نزلت الآية فى حق على، يجب أن يكون نافذ التصرّف حال حياة الرسول، والآية تقتضى كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية فى الحال(۱) . والجواب: انّ هذا المقام كان ثابتاً لعلى كثبوته للّه سبحانه والرسول، غير أنّه لا ـ يقوم بتطبيقه على صعيد الحياة إلاّ عند الحاجة، وهو عند ارتحال الرسول ومفارقته الاُمّة، وهذا هو المفهوم من تعيين ولى العهد عند الاُمم . وأنت إذا قارنت الآية وما ورد حولها من شأن النزول، وما نزل فى حق على من الآيات التى تعرّف طهارته من الذنب(۲)، وكون حبّهم ومودّتهم أجراً للرسالة(۳)، وانّه نفس النبى الأكرم(۴)، انّ بيته من أفضل البيوت الّتى قال فى حقّها سبحانه: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) ـ النور / ۳۶ ـ (۵) لوقفت على أنّ الذكر الحكيم يواكب السنّة فى تعيين مصير الاُمّة الإسلامية فى مجال القيادة ــــــــــــــــــــ

۱ . مفاتيح الغيب ۱۲ / ۲۸ .

۲ . اشارة إلى نزول قوله سبحانه: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فى حق على وأهل بيته ـ الأحزاب / ۳۳ ـ .

۳ . اشارة إلى قوله سبحانه: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة فى القربى) ـ الشورى / ۲۳ ـ .

۴ . إشارة إلى قوله سبحانه فى أمر المباهلة مع نصارى نجران: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ـ آل عمران / ۶۱ ـ .

۵ . إشارة إلى ما رواه السيوطى فى الدر المنثور من قول أبى بكر للنبىّ بعد نزول الآية: قال يا رسول اللّه أهذا البيت منها ـ أى بيت على وفاطمة ـ؟ قال: هم من أفاضلها ۵ / ۵۰ . (۷۵)

والخلافة وأنّه سبحانه ألقى مقاليد الزعامة إلى الإمام أميرالمؤمنين، وبذلك أخرج الاُمّة من التنازع والاحتكاك بعد الرسول الأعظم . ونحن نكتفى من البرهنة على خلافة الإمام بهذه الآية، وهناك آيات استدلّ بها الأصحاب على ولاية الإمام، ونفى ولاية الغير، أوضحنا مداليلها فى مؤلفاتنا الكلامية، فمن أراد فليرجع(۱) . ــــــــــــــــــــ

۱ . الإلهيات ۲ / ۶۱۸ ـ ۶۳۲ .

الفصل الرابع ما هو السرّ

الفصل الرابع ما هو السرّ فى مخالفة الجمهور نص الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۷۸) (۷۹)

لقد ظهرت الحقيقة بأجلى صورها وثبت أنّ الرسول لم يرحل عن أُمّته إلاّ بعد أن نصّب علياً للخلافة والقيادة، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه وهو أنّه لو كان الحق كما نطقت به النصوص كتاباً وسنّة، فلماذا أعرض الجمهور عن ما اُمروا أن يتمسّكوا به؟ وهذه هى الشبهة المهمّة فى الباب وهذا هو السؤال الّذى ترك العقول متحيرة تبحث عن جواب مقنع، وقد اعتمد على ذلك بعض المنصفين من أهل السنّة فى ردّه لمذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، فقال: أُنظر إلى جمهور أهل القبلة والسواد الأعظم من ممثّلى هذه الملّة فإذا هم مع أهل البيت على خلاف ما توجبه ظواهر تلك الأدلّة، فانا أُؤامر منّى نفسين، نفساً تنزع إلى متابعة الأدلّة واُخرى تفزع إلى الأكثرية من أهل القبلة(۱) . والاجابة عن الشبهة سهلة لمن راجع التاريخ وسيرة الصحابة فى عصر الرسول وبعده. فإنّ القرآن الكريم رغم أمره باتباع الرسول وعدم التقدّم عليه(۲)، ورغم أمره ______________

۱ . من كلام شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى فى رسالته إلى السيد شرف الدين، لاحظ المراجعات ص ۲۵، رقم المراجعة ۱۱ .

۲ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ـ الحجرات / ۱ ـ . (۸۰)

بالتسليم له وأنّ الايمان رهنه(۱)، ورغم أنّه يندّد ببعض المسلمين الذين كانوا يتمنّون طاعة الرسول لهم فى بعض المواقف وقال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)(۲). رغم كل ذلك نشاهد رجالا يقفون أمام النبى فى غير واحد من المواقف ويخالفونه بعنف وقوّة ويقدّمون الاجتهاد والمصالح الشخصية على أوامر الرسول فى مواطن كثيرة، وإليك نزراً يسيراً منها وبالالمام بها تسهل عليك الاجابة عن السرّ فى مخالفة عدّة من الأصحاب لأمر النبى فى مسألة الوصاية والقيادة: ۱- اختلافهم مع النبى فى الأنفاق والأُسرى:

انتصر المسلمون فى غزوة بدر وجمع غير واحد من المسلمين ما فى معسكر العدو فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا ،وقال الذين يقاتلون العدوّ ويطلبونه: واللّه لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتّى اصبتم ما أصبتم، وقال الذين يحرسون رسول اللّه: ما أنتم بأحقّ به منّا واللّه لقد رأينا أن نقتل العدوّ إن منحنا اللّه كرّة العدوّ فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منّا. فنزل قوله سبحانه: (يَسْأَلُونَکَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ و الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ) ـ الأنفال / ۱ ـ (۳) . وأمّا اختلافهم فى الأسرى فيكفى فى ذلك قوله سبحانه: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ ________________

۱ . (فَلاَ وَرَبِّکَ لا يُؤمِنونَ حتّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) ـ النساء / ۶۵ ـ .

۲ . الحجرات / ۷ .

۳ . السيرة النبوية لابن هشام ۱ / ۶۴۱ ـ ۶۶۲ . (۸۱) يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا واللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللّهُ عِزِيزٌ حَكِيمٌ * لولا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظيمٌ)(۱). نحن نضرب الصفح عمّا ذكره المفسّرون حول الآية من القصص غير أنّ قوله سبحانه (لولا كتاب...) يعرب عن أنّهم اختلفوا إلى حدّ كانوا مستحقّين لنزول العذاب لولا سبق كتاب من اللّه، ومن الجرأة ما يظهر عن بعض المفسّرين(۲) من أنّ العتاب يعم النبى أيضاً مع أنّ نبيّ العظمة أجلّ من أن يشاركهم فى العتاب فضلا عن العقاب وحاشا ساحة الحق أن يهدّد نبيّه بعذاب عظيم وقد عصمه من المعاصى، والعذاب العظيم لا ينزل إلاّ على عمل اجرامى كبير، ونحن لا نفسّر الآية ولا نريد أن نخوض فى خصوصيّات القصة ويكفينا أنّها تكشف عن تباعد المؤمنين على النبيّ فى مسألة الأسرى إلى حدّ استحقّوا هذا التنديد . ۲- مخالفتهم الأمر الرسول فى اُحد:

ورد رسول اللّه اُحد حين بلغه أنّ أباسفيان يريد شنّ هجوم على المدينة، واستقبل الرسول المدينة وجعل جبل عينين عن يساره، ونصب خمسين رجلا نبّالا على جبل عينين وأمّر عليهم عبداللّه بن جبير وقال له: «انضح الخيل عنّا بالنبل، لا يأتوننا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك». ولمّا صار الانتصار حليف المسلمين وأخذ العدو بالانسحاب عن ساحة القتال مولّياً نحو مكّة، خالف الرماة أمر الرسول وأخلوا مكانهم طمعاً فى الغنائم، فكلّما نصحهم أميرهم بالبقاء وعدم ترك العينين خالفوه .

١ . الأنفال / ٦٧ ـ ٦٨ .

٢ . لاحظ الأقوال فی الميزان ٩ / ١٣٧ . (٨٢)

ولمّا رأى العدو المنهزم أنّ جبل العينين قد أضحى خالياً من الرماة، وكان جبل العينين يقع على ضفتين يتخلّلهما معبر، فاستغل العدو الفرصة فأدار خالد بن الوليد من معه من وراء المسلمين، فورد المعسكر من هذا المعبر على حين غفلة منهم، فوضع السيوف فيهم فقتل منهم لفيفاً إلى أن تحوّل النصر إلى هزيمة، وكان ذلک نتيجة مخالفة المسلمين لوصيّة الرسول، وتقديماً للاجتهاد على النص، والرأی الخاطئ على الدليل، وكم له من نظير فی حياة النبی ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعد وفاته . ٣- مخالفتهم فی صلح الحديبية:

دخلت السنة الثالثة للهجرة واشتاق النبی إلى زيارة بيت اللّه فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلاّ سلاح المسافر فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبية، منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة فی كتبهم. فكانت نتيجة تلک الوثيقة رجوع النبی إلى المدينة ومجيئه فی العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح اثارت حفيظة بعض المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطاب وثب فأتى أبابكر فقال: «أليس برسول اللّه؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطی الدنيّة فی ديننا»(١) . فقد زعم الرجل أنّ البنود الواردة فی صلح النبی تعنی اعطاء الدنية فی الدين، حتّى أنّ النبی أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ اللّه سبحانه أراه فی المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة، قالوا: ما حلقنا ولا ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٨٣)

قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل اللّه سبحانه قوله: (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنَّ شَاءَ اللّهُ آمِنِين)(١) . ولو أراد المتتبع أن يتعمّق فی السيرو التفاسير يجد أنّ مخالفة القوم للرسول لم تكن مختصّة بموضوع دون موضوع، فكان تقديم الاجتهاد على النص شيئاً رائجاً عندهم ولنكتف فی المقام بالمخالفتين الأخيرتين أيّام مرض وفاته. ٤- مخالفتهم فی تجهيز جيش اُسامة:

اتّفق المؤرّخون على أنّ النبی الأكرم أمر بتجهيز جيش اُسامة فقال: «جهّزوا جيش اُسامة، لعن اللّه من تخلّف عنه» فقال قوم: «يجب علينا امتثال أمره» واُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: «قد اشتدّ مرض النبی فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه، فنصبر حتّى ننظر أی شیء يكون من أمره»(٢) . هذا ما يذكره الشهرستانی ملخّصاً، وذكره المؤرّخون على وجه التفصيل، فقال الطبری فی أحداث سنة إحدى عشرة: «وضرب على الناس بعثاً وأمّر عليهم اُسامة بن زيد، وأمره أن يوطیء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون فی ذلک، وردّ عليهم النبی ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّه لخليق لها أی حقيق بالامارة وإن قلتم فيه لقد قلتم فی أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها» فطار الأخبار بتحلل السير بالنبی ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (٣) . ويقول أيضاً: «لقد ضرب بعث اُسامة، فلم يستتبّ لوجع رسول اللّه وقد أكثر ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . الفتح / ٢٧ .

٢ . الملل والنحل للشهرستانی ١ / ٢٩ ـ ٣٠ (تحقيق محمّد بن فتح اللّه بدران) .

٣ . تاريخ الطبری ٢ / ٤٢٩ . (٨٤)

المنافقون فی تأمير اُسامة، فخرج النبی ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلک وقال: «وقد بلغنی أنّ أقواماً يقولون فی أمارة أُسامة، ولعمری لئن قالوا فی أمارته لقد قالوا فی أمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة وأنّه لخليق لها بعد اُسامة» وقال: «لعن اللّه الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد»(١) فضرب بالجرف وأنشأ الناس فی العسكر، ونجم طليحة وتمهّل الناس وثقل رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يستتم الأمر ينظرون أوّلهم آخرهم حتّى توفّی اللّه نبيّه»(٢) . وقد ذكر القصة

ابن سعد فى طبقاته(۳)، والحلبى فى سيرته(۴)، ومن أراد التوسّع فليرجع إليهما. ۵- مخالفتهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى احضار القلم والدواة:

عن ابن عباس قال: «لمّا اشتدّ بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وجعه، قال: «ائتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» قال عمر: إنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «قوموا عنّى ولا ينبغى عندى التنازع» فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين كتابه(۵) . ________

۱ . لا ـ يخفى أنّه لاصلة لهذه الجملة لما قبل القصة وما بعده ولعلّه تحريف لما نقلناه عن الشهرستانى من أنه لعن المتخلّفين فبدّله الراوى بهذا .

۲ . تاريخ الطبرى ۲ / ۴۳۰ .

۳ . الطبقات ۲ / ۱۸۹ ـ ۱۹۰ .

۴ . السيرة ۳ / ۲۲۷ ـ ۲۲۸ .

۵ . صحيح البخارى ۱ باب كتابة العلم ۳۰، الطبقات الكبرى ۲ / ۲۴۲ وجاء فيه: فقال بعض من كان عنده انّ نبى اللّه ليهجر . (۸۵)

إنّ الراوى نقل الرواية بالمعنى كى يخفف من شدة الصدمة التى تحصل فيما لو نقل الرواية بألفاظها والشاهد على ما نقول أنّ البخارى نفسه روى الرواية بشكل آخر أيضاً، فروى عن ابن عباس إنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصى قلت: ياابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول اللّه وجعه فقال: «ائتونى بكتف اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا، ولا ينبغى عند نبى تنازع، فقالوا: ما له؟ أهجر، استفهموه، فقال: «ذرونى فالذى أنا فيه خير ممّا تدعوننى إليه» فأمرهم بثلاث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» و الثالثة خير إمّا أن سكت عنها وإمّا أن قالها فنسيتها»(۱) . ولعلّ الثالثة الّتى نسيها الراوى هو الّذى كان أراد النبى أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال ولكن ذكره شفاهاً عوض كتابته، لكن السياسة اضطرّت المحدّثين إلى ادّعاء نسيانه . ولعلّ النبى أراد أن يكتب فى مرضه تفصيل ما أوجبه عليهم فى حديث الثقلين وتشهد بذلك وحدة لفظهما، حيث جاء فى الثانى: «إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب اللّه وعترتى». وقد فهم الخليفة ما يريده رسول الإسلام وحدّث به بعد مدة من الزمن لابن عباس فقال له يوماً: يا عبداللّه إنّ عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقى فى نفس على شىء من الخلافة؟ قال ابن عباس: قلت: نعم، قال: أو يزعم أنّ رسول اللّه نصّ عليه؟ قلت: نعم، فقال عمر: لقد كان من رسول اللّه فى أمره ذروة من قول لا تثبت حجّة، ولا تقطع عذراً ولقد كان يربع فى أمره وقتاً ما، ولقد أراد فى مرضه أن يصرّح باسمه

____

۱ . صحيح البخارى ۴ باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ۹۹ .

(۸۶)

فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام، فعلم رسول اللّه انّى علمت ما فى نفسه فأمسك(۱) . والعجب أنّ أحمد أمين مع ما يكن على الشيعة من عداء وقسوه يعترف بما ذكرنا بصراحة . أراد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى مرضه الّذى مات فيه أن يعيّن من يلى الأمر بعده ففى الصحيحين: البخارى ومسلم أنّ رسول اللّه لمّا اصفرّ قال: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، وكان فى البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال عمر: إنّ رسول اللّه قد غلب عليه الوجع(۲) وعندكم القرآن. حسبنا كتاب اللّه فاختلف القوم واختصموا فمنهم من قال: قرّبوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده ومنهم من قال القول ما قاله عمر فلمّا أكثروا اللغو(۳) والاختلاف عنده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: قوموا فقاموا. وترك الأمر خصوصاً لمن جعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتّى عصرنا هذا بين السعوديين والهاشميين(۴) . هذه نماذج من مخالفة القوم لصريح النصوص الصادرة عن النبى الأكرم، وكل ذلك

يعرب عن فقدانهم روح التسليم للنبى ولأحكامه، فلم يكونوا ملتزمين بما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم من النصوص، نعم، ربّما يوجد بينهم من كان أطوع —————

۱ . شرح نهج البلاغة ۳ / ۱۷، وكأنَّ الرجل كان أشفق على الإسلام من رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

۲ . وفى موضع آخر فى صحيح البخارى: أنّه قال «إنّ الرجل ليهجر» .

۳ . والصحيح: اللغط .

۴ . أحمد أمين يوم الإسلام: ۴۱ . (۸۷)

للنبى من الظل لـذى الظل، ولكن المتنفّـذين لم يكونوا متعبّدين بالنصوص فضـلا عن تعبّدهم بالاشارات والرموز، وربّما كانوا يقابلون النبى بكلمات عنيفـة يقابل بها من هو أقل منه شأناً. ويااليت انّهم اكتفوا فى مجال المخالفـة للنصوص أثناء حياته، ولكنّهم خالفوها بعد وفـاته أكـثر ممّـا خالفوهـا أيّـام حيـاته، يقف على ذلـك من سبر التاريـخ وسـيرة الخلفـاء فى غير واحـد من المجالاـت . ولقـد حـاول الشهرستانى فى ملله ونحله(۱)، والسيد الشريف فى شرح المواقف(۲) تحديد بدء الخلاف بين المسـلمين بأيّام مرض النبى عندما كان طريـح فراشه. ولكن ذلـك التحديـد من حسن ظنّهمـا بالصـحابة وأنّهم كلّهم عـدول، غير أنّـك عرفت أنّ تاريـخ الخلاـف يرجع إلى بدايات الهجرة، وقد اكتفينا بموارد خمسة وضربنا الصفح عن ذكر موارد اُخرى . هذا كلّه يرجع إلى مخالفتهم الرسول فيما يامر وينهى أيّام حياته، وأمّا مخالفتهم لنصوص الرسول بعد رحلته فحدّث عنها ولا حرج . ۱- التصرّف فى أذان الفجر:

أخرج الإمـام مالـك فى موطئه: انّ المؤذّن جـاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه بصـلاة الصـبح، فوجـده نائماً فقال: الصـلاة خير من النوم. فـأمره عمر أن يجعلهـا فى نـداء الصـبح . وقـال الزرقـانى فى تعليقته على هـذه الكلمـة مـن شـرحه للموطأ مـا هـذا لفظـه: هـذا

۱ . الملل و النحل ۱ / ۲۹، ولاحظ التبصير فى الدين للاسفرائينى ۱۹ .

۲ . شرح المواقف ۸ / ۳۷۲ . (۸۸)

البلاغ أخرجه الدارقطنى فى السنن من طريق وكيع فى مصنّفه عن العمرى عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنّه قال لمؤذّنه: إذا بلغت حىّ على الفلاح فى الفجر فقل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم(۱) . ۲- الحيلولة بين فاطمة وميراثها:

استفاضت الآيـات باطلاقاتهـا تـارة ونصوصـها تـارة اُخرى على أنّ أولاد الأنبياء يرثون آباءهم كسائر الناس أمّا الاطلاقات فيكفى فى ذلـك قوله سـبحانه: (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)(۲) وأمّـا النصوص فيكفى فى ذلـك قوله سـبحانه: (وَوَرِثَ سُلَيمانُ دَاوُدَ)(۳) وقال سـبحانه ناقلا عن زكريا: (فَهَبْ لِى مِن لَدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً)(۴) . إنّ طلب زكريا من اللّه سـبحانه أن يهبه ولداً وأن يجعله رضـيّاً لأوضح دليل على أنّ المراد من الوراثة، والوراثة فى المال لا النبوّة، لبداهة أنّ الإنسـان لاـ يكون نبيّاً إلاّ أن يكون رضـيّاً، على أنّ لفظ الوراثـة وما يشـتق منه ظاهر فى الوراثـة فى المال ولا يسـتعمل فى غيره إلاّ توسّـعاً ومجازاً ومع ذلك فقـد خالفت القيادة بعـد رسول اللّه هذا النص وحرّمت فاطمة من ميراث أبيها بحجّة أنّه سـمع من النبى قوله: نحن الأنبياء لا نورث، مع أنّه لو صحّ هذا الحديث لكان على النبى أن يذكره لورّاثه حتّى لا يقعوا فى الخطأ ولا يطلبوا شـيئاً ليس لهم، فهل أنّ النبى أهمل هذا البيان اللازم وذكره لغير —————

۱ . الموطأ باب ما جاء من النداء فى الصلاة الحديث ۸، والموطأ مع شرح الزرقانى ۱ / ۱۵۰ طبع مصر .

۲ . النساء / ۱۱ .

۳ . النمل / ۱۶ .

۴ . مريم / ۵ ـ ۶ . (۸۹)

وارثه؟ روى البخـارى عن عائشـة: انّ فاطمـة ـ عليها السـلام ـ بنت النبى أرسـلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول اللّه ممّا أفاء اللّه

عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فقال أبوبكر: «إنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «لا ـ نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال»، وإنّى واللّه لا اُغيّر شيئاً من صدقة رسول اللّه عن حالها الّتى كان عليها فى عهد رسول اللّه، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول اللّه» فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر، فهجرته، فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها على ليلا، فلم يؤذِن بها أبابكر، وصلّى عليها(۱) . وقال ابن قتيبة: قال عمر لأبى بكر (رضى اللّه عنهما): انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقاجميعاً فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوَّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم ترد السلام، فتكلّم أبوبكر وقال: يا حبيبة رسول اللّه، واللّه إنّ قرابة رسول اللّه أحبّ إلىّ من قرابتى، وانّك لأحبّ إلىّ من عائشة ابنتى، ولوددت يوم مات أبوك أنّى متّ ولا ابقى بعده، أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنَعْك حقّك وميراثك من رسول، إلاّ أنّى سمعت أباك رسول اللّه يقول: «لا ـ نورث ما تركنا فهو صدقة»(۲) . يلاحظ عليه أوّلا: أنّ الرسول الأعظم وكذا كل من يتولّى الحكومة الإسلامية تكون له ملكيتين: ملكية شخصية تتعلّق بنفسه ويتصرّف فيها بما أنّها ماله الشخصى، وملكية تتعلّق بمقام الرسالة ويتصرّف فيها بما أنّه رسول وممثّل ________________

۱ . صحيح البخارى ۵ باب غزوة خيبر ۱۳۹ .

۲ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة ۱ / ۱۳ . (۹۰)

الدولة الإلهية، والقسم الثانى من الملكيتين لا تورث بل تنتقل إلى من يمارس المسؤولية بعده. ونحن نربأ بفاطمة أن تطالب أبابكر بالأموال الّتى تعد من شؤون الدولة الإسلامية وانّما جاءت لتطلب ما كان ملكاً خاصّاً لأبيها، بما أنّه أحد الناس والمسلمين، يملك ما شاء باحدى الطرق الشرعية ويرثه أولاده بعده . ثانياً: أنّ ما يرويه البخارى عن الخليفة أنّه قال: «وإنّى واللّه لا اُغيّر شيئاً من صدقة رسول اللّه عن حالها الّتى كان عليها» واقع فى غير محلّه لأن حبيبة رسول اللّه لم تطلب منه صدقات أبيها حتّى تجاب بأنّ الصدقة لا تغيّر ولا تتبدّل و إنّما سألته أن يدفع لها ما ملكه رسول اللّه ونحله لبنته أعنى فدك أيّام حياته عندما نزل قوله سبحانه: (وَ آتِ ذَالقُرْبى حَقَّهُ وَ المِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ)(۱) .

نحن نفترض أنّ الرسول قال: لا ـ نورث ما تركناه صدقة، ولكن من المحتمل جدّاً، أنّ الفعل «لا نورث» فعل معلوم لا مجهول ومعناه نحن معاشر الأنبياء لا نورث الأشياء الّتى تركناها صدقة، فيكون لفظة ما مفعولا للفعل المبنى على الفاعل وعند ذلك لاصلة للحديث بكل ما يتركه النبى حتّى أمواله الشخصية والمقصود النهائى هو أنّ الصدقة لا تورث كالزكاة وأمثالها. ۳- النهى عن متعة الحج:

قال سبحانه: (فَمَنْ تَمَتَّع بِالعُمْرَةِ اِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ(۲) فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيّام فِى الحَجِّ وَ سَبْعَة إذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ ________________

۱ . الاسراء / ۲۶.

۲ . أى فعليه ما يتسيّر من الهدى، ومن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحج، وهى يوم السابع من ذى الحجّة وتنتهى بيوم عرفة، والتمتّع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكّة ومن يجرى مجراهم فى القرب إليها. (۹۱) لِمَن لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى المَسْجِدِ الحَرَامِ)(۱) .

إنّ صفة التمتّع بالعمرة إلى الحج عبارة عن الاحرام فى أشهر الحج من احدى المواقيت، ثم الدخول إلى مكّة للطواف بالبيت والصلاة بعده، والسعى بين الصفا والمروة ثم التقصير وعندئذ يحلّ له كل ما كان محرماً عليه، فيقيم على هذه الحالة حتّى ينشأ فى تلك السنة احراماً آخر للحج ويخرج إلى عرفات ثمّ يفيض إلى المشعر الحرام، إلى آخر الأعمال، هذا هو التمتّع بالعمرة إلى الحج، وانّما اُضيف الحج بهذه الكيفية إلى التمتع وقال سبحانه: (فَمَن تَمَتَّع بالعمرة إلى الحجّ)لما فيه من المتعة واللذّة باباحة محرمات الاحرام فى المدّة المتخلّلة بين الاحرامين من غير فرق بين محرَّم وآخرَ حتّى مسِّ النساء . هذا هو الّذى شرّعه القرآن وخالفه بعض أصحاب السلطة،

روى مالك عن سعد بن أبى وقّاص والضّحّاك بن قيس: لا يفعل ذلك إلاّ من جهل أمر اللّه عزّوجلّ، فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخى، فقال الضحاك: فإنّ عمر قد نهى عن ذلك ،فقال سعد: قد صنعها رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصنعناها معه(۲) . روى أحمد بن حنبل عن أبى موسى: انّه كان يفتى بالمتعة، فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك فإنّك لا تدرى ما أحدث أميرالمؤمنين فى النسك بعدك، حتّى لقيه بعد فسأله، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : قد علمت أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلّوا بهن معرسين فى الاراك ثمّ يروحون بالحج ـــــــــــــــــــ

۱ . البقرة / ۱۹۶ .

۲ . موطأ مالك ۲۳۵ باب ما جاء فى التمتّع برقم ۷۶۷ . (۹۲)

تقطر رؤوسهم(۱) . وروى أيضاً عن طريق آخر عنه: انّ عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: هى سنّة رسول اللّه ـ يعنى المتعة ـ ولكن أخشى أن يعرسوا بهنّ تحت الاراك، ثمّ يروحوا بهنّ حجّاجاً(۲) . وقد استفاض القول عن الخليفة انّه قال: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما(۳) . قال القرطبى: لا خلاف بين العلماء فى أنّ التمتّع جائز وأنّ الإفراد جائز، وأنّ القِران جائز لأنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رضى كلاّ ولم ينكره فى حجّته على أحد من أصحابه، بل أجازه لهم ورضيه منهم... احتجّ من فضّل التمتّع بما رواه مسلم عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة فى كتاب اللّه ـ يعنى متعة الحج ـ وأمرنا بها رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول اللّه حتّى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء(۴) . ۴- اسقاط سهم ذوى القربى من الخمس بعد وفاة الرسول :

ورد النص فى الذكر الحكيم على أنّ لذى القربى سهم من الخمس قال سبحانه: (وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُم مِن شَىْء فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ للرَّسُولِ وَ لِذِى ـــــــــــــــــــ

۱ . مسند أحمد ۱ / ۴۹ – ۵۰ .

۲ . مسند أحمد ۱ / ۴۹ ـ ۵۰ .

۳ . تفسير الامام الرازى ۵ / ۱۶۷ وفسّر الآية بالتمتّع بمحظورات الاحرام، وشرح التجريد للمحقّق القوشجى (وهو من أئمة الأشاعرة): وقد عدّه من اجتهاد الخليفة. نعم هو من اجتهاده مقابل النص .

۴ . الجامع لأحكام القرآن ۲ / ۳۸۸ . (۹۳) القُرْبَى وَ اليَتَامَى وَ المَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إن كُنتُم آمَنْتُم بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ)(۱). وقد أجمع أهل القبلة على أنّ الرسول كان يختصّ بسهم من الخمس ويخصّ أقاربه بسهم آخر. وأنّه لم يعهد تغيير ذلك حتّى دعاه اللّه إليه. غير أنّ أصحاب السلطة بعد الرسول أسقطوا سهم بنى هاشم من الخمس، وجعلوهم كغيرهم من يتامى النساء و مساكينهم وأبناء السبيل منهم، وقد عرفت فى المخالفة الثالثة أنّ فاطمة ـ عليها السلام ـ طلبت من أبى بكر ما بقى من خمس خيبر .

ويشهد بذلك ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس أنّه كتب إليه نجدة يسأله عن سهم ذى القربى، وعن اليتيم متى ينقضى يتمه، وعن المرأة والعبد يشهدان الغنيمة، وعن قتل أطفال المشركين، فكتب إليه ابن عباس: انّك كتبت إلىّ تسأل عن سهم ذى القربى لمن هو؟ وانّا كنّا نراها لقرابة رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأبى ذلك علينا قومنا. وعن اليتيم متى ينقضى يتمه؟ قال: إذا احتلم...(۲) . هذا وقد نقل القرطبى أقوالا فى كيفيّة تقسيم الخمس، وهى بين من يأخذ بنص الآية ويجعل سهماً لذى القربى ومن يجتهد أمام النص. ونقلها صاحب المنار فى تفسيره(۳) . ۵- قطع سهم المؤلّفة قلوبهم:

قال سبحانه: (إِنَّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرآءِ وَ المَسَاكِينِ و العَامِلينَ عَلَيْهَا ـــــــــــــــــــ

۱ . الأنفال / ۴۱ .

۲ . مسند أحمد ۱ / ۲۴۸ .

٣ . تفسير القرطبى ٨ / ١٠، المنار ١٠ / ١٧ ـ ١٨ . (٩۴) والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقَابِ وَ الغَارِمينَ وَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلَيمٌ حَكِيمٌ)(١)، الآية صريحة فى أنّ لكلّ واحد من الأصناف المذكورة سهم ودلّت كتب السيرة والفقه على أنّ الرسول يعطى سهم المؤلّفة قلوبهم، فيؤلّف بذلك قلوبهم، وهذه سيرته المستمرّة معهم، لكن لمّا ولّى ابوبكر جاء المؤلّفة قلوبهم لاستيفاء سهمهم جرياً على عادتهم مع رسول اللّه فكتب أبوبكر لهم بذلك، فذهبوا بكتابه إلى عمر ليأخذوا خطّه عليه فمزّقه وقال: لا حاجة لنا بكم، فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم، فإن أسلمتم وإلاّ فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبى بكر فقالوا له: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء اللّه تعالى، وأمضى ما فعله عمر(٢) .

فاستمرّ الأمر على ذلك بعدهم، وأقصى ما عند المحقّقين من تبرير عمل الخليفة ما ذكره الدواليبى فى كتابه اُصول الفقه وقال: ولعلّ اجتهاد عمر ـ رضى الله عنه ـ فى قطع العطاء الّذى جعله القرآن الكريم للمؤلّفة قلوبهم كان فى مقدّمة الأحكام الّتى قال بها عمر تبعاً لتغيير المصلحة بتغير الأزمان رغم أنّ النص القرآنى لا يزال ثابتاً غير منسوخ(٣) . وما ذكره الاُستاذ يعارض ذيله صدره، فما معنى أنّ النص القرآنى لا يزال ثابتاً غيرمنسوخ، فإذا كان غير منسوخ فما معنى الاجتهاد فى مقابل النص، لأنّ معنى ذلك ابطال القرآن فى فترة خاصة، ولو صحّ لأصحاب السلطة هذا النمط من العمل لما بقى من الإسلام أثر، فالنص لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا تتقيّد اطلاقاته ولا عموماته بالمصالح المرسلة . ________________

١ . التوبة / ۶٠ .

٢ . الجوهرة النيرة ١ / ١۶۴ وهى فى الفقه الحنفى ونقله فى المنار ١٠ / ۵٧۶ .

٣ . اُصول الفقه للدواليبى: ٢٣٩ . (٩۵)

نعم يجوز على القول بعدم لزوم الاستيعاب فى تقسيم الزكاة، دفعها إلى صنف دون صنف، لكنّه إنّما يجوز مؤقّتاً لا دائماً، غير أنّ الخليفة قام بقطع سهم المؤلّفة قلوبهم من رأس، وهذا هو الّذى فهمه أبو حنيفة، والشافعى(١) بحجّة أنّ اللّه أعزّ الإسلام وهو اجتهاد من عمر بأنّه ليس من المصلحة استمرار هذا الأمر. ولا نريد من الاجتهاد فى مقابل النص إلاّ هذا . هذه نماذج خمسة من مخالفتهم للنصوص والعمل وفق اجتهادات ذوقية، غير أنّ أصحاب السلطة قدّموها على النصوص بقوة وحماس، وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ النصوص كانت أداة طيّعة للتغيير حسب الأهواء والميول الشخصية سواء أكانوا مقصّرين فى هذا التأويل أم قاصرين . والهدف ايقاف القارىء على أن مخالفة النصوص لأصحاب النفوذ لم يكن أمراً عسيراً أو شيئاً نادراً . وبذلك تبيّن أنّ إعراضهم عن أدلّة تنصيب الإمام للخلافة، لم يكن أمراً عجيباً، وذلك لجريان سيرة الصحابة على تقديم المصالح المزعومة على النصوص وبذلك يقطع العذر على من زعم أنّه لو كان فى مسألة الخلافة وامامة الامام أميرالمؤمنين، نصّ، لما خالفه الصحابة العدول وتلقّوه بالقبول. فيقال أوما أمرهم النبىّ، بإحضار القلم والدواة، فحالوا بينه وبين منيته، أو ماحثهم على تجهيز جيش اُسامة ولعن المتخلّفين عنه، ولكنّهم اثّاقلوا إلى الأرض أو ما.. أوما... وهناك كلمة لابن ابى الحديد، وهو يقارن بين سياستى على وعمر و سياستى على ومعاوية وإليك نصّه . اعلم انّ السائس لا يتمكّن من السياسة البالغة إلاّ إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى ________________

١ . المنار ١٠ / ۵٧۶ .

(٩۶)

فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره وتوطيد قاعدته، سواء أوافق الشريعة أم لم يوافقها، ومتى لم يعمل فى السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، وإلاّ ـ فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله . وأميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ كان مقيّداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتّباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير، إذا لم يكن للشرع موافقا، فلم تكن قاعدته فى خلافته، قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك ولسنا بهذا القول ضارّين على عمر بن الخطاب ولا ناسبين إليه ما هو منزّه عنه، ولكنّه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان، والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط، من اُصول، تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النص، ويكيد

خصمه، ويأمر أُمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدّب بالدرّة والسوط من يغلب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقّون به التأديب. كل ذلك بقوّة اجتهاده وما يؤدّيه إليه نظره. ولم يكن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعدّاها إلى الاجتهاد والأقيسة، ويطبّق أُمور الدنيا على الدين ويسوق الكل مساقاً واحداً، فاختلفت طريقتاهما فى الخلافة والسياسة(١) . وقال الجاحظ: وربّما رايت بعض من يظن بنفسه العقل والتحسين والفهم والتمييز، وهو من العامة وهو يظن أنّه من الخاصة يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً، وأصحّ فكراً، وأجود رؤية وأبعد غاية، وأدق مسلكاً، وليس الأمر كذلك، وسأومى إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه، والمكان الّذى دخل عليه الخطأ من قبله . ـــــــــــــــــــ

١ . شرح نهج البلاغة ١٠ / ٥٧٢ .

(٩٧)

كان على ـ عليه السلام ـ لا يستعمل فى حربه، إلاّ ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة، كما يستعمل الكتاب والسنّة(١) . وفى حياة الخليفة عشرات الشواهد على اجتهاده تجاه النص، وأى اجتهاد تجاهه أظهر وأولى من منع تدوين الحديث وكتابته الّذى هو المصدر الثانى الرئيسى للمسلمين بعد الذكر الحكيم، وقد بلغت السنّة من الكمال مكانة حتّى صار لفظ السنّى شعاراً لجمهور المسلمين . ولعلّ فى قوله سبحانه: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ واتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم)(٢). إشارة إلى بعض هذه الأُمور، ومعنى الآية: لا تقولوا حتّى يقول، ولا تأمروا حتّى يأمر، ولا تفتوا حتّى يفتى، ولا تقطعوا أمراً حتّى يقطع، بالتالى: لاـ تقولوا خلاف الكتاب والسنّة فانّه تقدُّم على اللّه و رسوله. فإذا كان هذا حال الخليفة وعمله طيلة حياته، فلا عجب أن يجتهد أمام نصوص الولاية والخلافة ويسدل عليها الستار، ولا يلتفت إليها وينـدفع إلى تتبع مظان المصالح المزعومة فى مجال الخلافة بعد عصر الرسول، وفى ما ذكرنا من مظان الاجتهاد أمام النص كفاية لطالب الحق . ـــــــــــــــــــ

١ . شرح نهج البلاغة ١٠ / ٥٧٨، نقلا عن أبى عثمان الجاحظ .

٢ . الحجرات / ١ .

الفصل الخامس مبدأ التشيّع و تاريخ تكوّنه

الفصل الخامس مبدأ التشيّع و تاريخ تكوّنه (١٠٠) (١٠١)

زعم غير واحد من الكُتّاب القدامى والجُدد، أنّ التشيّع كسائر المذاهب الإسلامية، من إفرازات الصراعات السياسية وذهب بعض آخر إلى القول انّه نتيجة الجدال الكلامى والصراع الفكرى، فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره فى الساحة الإسلامية وكأنّهم يتلقّون التشيّع كظاهرة طارئة على المجتمع الاسلامى، ويظنّون أنّ القطاع الشيعى من جسم الأُمّة الإسلامية باعتباره قطاعاً تكوَّن على مرّ الزمن لأحداث وتطوّرات سياسية أو اجتماعية فكرية أدّت إلى تكوين ذلك المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير ثمّ اتّسع ذلك الجزء بالتدريج . وبعد أن افترض هؤلاء أنّه أمر طارىء، أخذوا بالفحص والتفتيش عن علّته أو علله، فذهبوا فى تعيين المبدأ إلى كونه ردّة فعل سياسية أو فكرية كما سيوافيك، ولكنّهم لو كانوا عارفين أنّ التشيّع ولد منذ عهد النبىّ الأكرم لما تسرّعوا فى ابداء الرأى فى ذلك المجال، ولعلموا أنّ التشيّع والإسلام وجهان لعملة واحدة، وليس للتشيّع تاريخ ولا مبدأ، سوى تاريخ الإسلام و مبدئه. وأنّ النبىّ الأكرم هو الغارس لبذرة التشيّع فى صميم الإسلام من أوّل يوم أُمر بالصدع واظهار الحقيقة، إلى ان لبّى دعوة ربّه . فالتشيّع ليس إلاّ عبارة عن استمرار قيادة النبىّ بعد وفاته عن طريق من نصبه (١٠٢)

إماماً للناس، وقائداً للاُمّة حتّى يرشدها إلى النهج الصحيح والهدف المنشود، وكان هذا المبدأ أمراً ركّز عليه النبىّ فى غير واحد من المواقف الحاسمة، فإذا كان التشيّع متبلوراً فى استمرار القيادة بالوصى، فلا نجد له تاريخاً سوى تاريخ الإسلام والنصوص الواردة عن رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . وقد عرفت فى الفصل الثالث نصوصاً متوفرة فى وصاية الامام أميرالمؤمنين، فتاريخ صدورها عن

النبیّ هو نفس تاریخ التشیّع، والشیعة هم المسلمون المهاجرین والأنصار ومن تبعهم باحسان فی الأجیال اللاحقة، هم الذین بقوا علی ما کانوا علیه فی عصر الرسول فی أمر القیادة ولم یُغیِّروه ولم یتعدّوا عنه إلی غیره، ولم یأخذوا بالمصالح المزعومة فی مقابل النصوص، وصاروا بذلک المصداق الأبرز لقوله سبحانه: (یا أَیُّها الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَینَ یَدَیِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمیعٌ عَلیمٌ)(۱) ففزعوا فی الاُصول والفروع إلی علی وعترته الطاهرة، وانحازوا عن الطائفة الاُخری الذین لم یتعبّدوا بنصوص الخلافة والولایة وزعامة العترة حیث ترکوا النصوص، وأخذوا بالمصالح . إنّ الآثار المرویّة فی حقّ شیعة الامام عن لسان النبیّ الأکرم ترفع اللثام عن وجه الحقیقة وتعرب عن التفاف قسم من المهاجرین حول الوصی، فکانوا معروفین بشیعة علی فی عصر الرسالة، وانّ النبیّ الأکرم وصفهم فی کلماته بأنّهم هم الفائزون، وإن کنت فی شکّ من هذا الأمر فسأتلوا علیک بعض ما ورد من النصوص فی المقام . ۱- أخرج ابن مردویه عن عائشة، قالت: قلت یا رسول اللّه من أکرم الخلق علی اللّه؟ قال: «یا عائشة، أما تقرأین (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ـــــــــــــــ

۱ . الحجرات / ۱ .

(۱۰۳) أُوْلئِکَ هُمْ خَیْرُ البرِیَّة) ـ البیّنة / ۷ ـ»(۱) .

۲- أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبداللّه قال: کنّا عند النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فأقبل علی فقال النبی: «والّذی نفسی بیده إنّ هذا وشیعته لهم الفائزون یوم القیامة،ونزلت (إنّ الّذین آمنوا وعملوا الصالحات اُولئک هم خیر البریّة) فکان أصحاب النبی إذا أقبل علی قالوا: جاء خیر البریّة(۲) . ۳- أخرج ابن عدی وابن عساکر عن أبی سعید مرفوعاً: علیّ خیر البریّة(۳) . ۴- وأخرج ابن عدی عن ابن عباس قال: لمّا نزلت (إنّ الّذین آمنوا وعملوا الصالحات اُولئک هم خیر البریّة) قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لعلی: «هو أنت وشیعتک یوم القیامة راضین مرضیّین» . ۵- أخرج ابن مردویه عن علی قال: قال لی رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : «ألم تسمع قول اللّه: (إنّ الّذین آمنوا وعلموا الصالحات اُولئک هم خیر البریّة) أنت وشیعتک وموعدی وموعدکم الحوض إذا جاءت الاُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلین»(۴) . ۶- روی ابن حجر فی صواعقه عن اُمّ سلمة: کانت لیلتی، وکان النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عندی فأتته فاطمة فتبعها علی(رحمهما الله) فقال النبی: یا علی أنت وأصحابک فی الجنّة، أنت وشیعتک فی الجنّة (۵). ۷- روی ابن الأثیر فی نهایته: قال النبی مخاطباً علیّاً: یا علی إنّک ستقدم علی ـــــــــــــــ

۱ . الدر المنثور للسیوطی ۶ / ۵۸۹ .

۲ . الدر المنثور للسیوطی ۶ / ۵۸۹ .

۳ . الدر المنثور للسیوطی ۶ / ۵۸۹ .

۴ . الدر المنثور للسیوطی ۶ / ۵۸۹ .

۵ . الصواعق: ۱۶۱ طبع مکتبة القاهرة . (۱۰۴)

اللّه أنت وشیعتک راضین مرضیّین، ویقدم علیه عدوُّک غضابا مقمحین، ثم جمع یده إلی عنقه یریهم کیف الإقماح. قال ابن الأثیر: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر(۱) . ۸- روی الزمخشری فی ربیعه: انّ رسول اللّه قال: «یا علی إذا کان یوم القیامة أخذت بحجزة اللّه تعالی، وأخذت أنت بحجزتی، وأخذ ولدک بحجزتک، وأخذ شیعة ولدک بحجزهم، فتری أین یؤمر بنا»(۲) . ۹- روی أحمد فی المناقب: انّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ قال لعلی: «أما ترضی أنّک معی فی الجنّة والحسن والحسین وذرّیتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّیتنا، وشیعتنا عن أیماننا وشمائلنا»(۳). ۱۰- روی الطبرانی: انّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ قال لعلی: «أوّل أربعة یدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسین وذرّیتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّیاتنا، وشیعتنا عن أیماننا وشمائلنا»(۴). ۱۱- أخرج الدیلمی: «یا علی إنّ اللّه قد غفر لک ولذرّیتک ولولدک ولأهلک ولشیعتک، فابشر انّک الأنزع البطین»(۵) . ۱۲- أخرج الدیلمی عن النبی انّه قال: «أنت وشیعتک تردون الحوض روّاء مرویین، بیضة وجوهکم وانّ عدوّک یردون الحوض ظماء مقمحین»(۶) . ۱۳- روی

المغازلى بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه: ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . النهاية مادة قمح ۴ / ۱۰۶، ورواه ابن حجر فى الصواعق ۱۵۴ .

۲ . ربيع الأبرار .

۳ . الصواعق ۱۶۱ .

۴ . الصواعق ۱۶۱ .

۵ . الصواعق ۱۶۱ .

۶ . الصواعق ۱۶۱ . (۱۰۵)

«يدخلون من اُمّتى الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ـ ثمّ التفت إلى على فقال: ـ هم شيعتك وأنت إمامهم»(۱) . ۱۴- روى المغازلى عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور فلمّا بصر به، قال له: يا سليمان تصدَّر، قال: أنا صدر حيث جلست ـ إلى أن قال فى حديثه: ـ حدّثنى رسول اللّه قال: «أتانى جبرئيل ـ عليه السلام ـ آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق، فإنّه أوّل حجر شهد للّه بالوحدانيّة، ولى بالنبوّة، ولعلى بالوصيّة، ولولده بالامامة، ولشيعته بالجنّة»(۲) . ۱۵- وروى أيضاً بسنده إلى سلمان الفارسى عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «يا على تختّم باليمين تكن من المقرّبين، قال: يا رسول اللّه ومن المقرّبون؟ قال: جبرئيل وميكائيل، قال: فبما أتختّم يا رسول اللّه؟ قال: بالعقيق الأحمر، فإنّه جبل أقرّ للّه بالوحدانية، ولى بالنبوّة،ولك بالوصية، ولولدك بالإمامة، ولمحبّيك بالجنّة، ولشيعتك وشيعة ولدك بالفردوس»(۳) . ۱۶- روى ابن حجر: انّه مرّ على على جمع فأسرعوا إليه قياماً، فقال: هؤلاء ما لى لا ارى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبّتنا» فأمسكوا حياءً، فقال له من معه: نسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم، لما أنبأتنا بصفة شيعتكم ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . مناقب المغازلى ۲۹۳ .

۲ . مناقب المغازلى ۲۸۱، ورواه السيد البحرانى فى غاية المرام عنه، وأنت إذا تدبّرت فى الآيات الدالّة على سريان العلم والشعور فى عامّة الموجودات مثل قوله: (وَ إنّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ) ـ البقرة / ۷۴ ـ تستطيع أن تُصَدِّقَ ما جاء فى الحديث من شهادة العقيق بوحدانية اللّه .

۳ . علل الشرائع ۱۵۸ طبع النجف . (۱۰۶)

فقال: «شيعتنا هم العارفون باللّه، العاملون بأمر اللّه»(۱) . ۱۷- روى الصدوق (۳۰۶ ـ ۳۸۱ هـ): انّ ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه يقول: «إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ اللّه تبارك وتعالى لشيعة على من الثواب والزلفى والكرامة...»(۲) . وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظة...، تعرب عن كون على ـ عليه السلام ـ متميّزاً بين أصحاب النبى بأن له شيعة وأتباعاً، ولهم مواصفات وسمات كانوا مشهورين بها، فى حياة النبى وبعدها. فبعد هذه النصوص لا يصحّ لباحث أن يلتجىء إلى فروض ظنّية أو وهمية فى تحديد تكوّن الشيعة وظهورها. الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق:

قد غلب استعمال الشيعة بعد عصر الرسول تبعاً له فيمن يوالى عليّاً وأهل بيته ويعتقد بإمامته ووصايته ويظهر ذلك من خلال كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات نشير إلى بعضها. ۱- روى المسعودى فى حوادث وفاة النبى: انّ الإمام عليّاً أقام ومن معه من شيعته فى منزله بعد أن تمّت البيعة لأبى بكر(۳) . ۲- قال الامام عند تنديده بأعمال طلحة والزبير: «إنّ أتباع طلحة والزبير فى البصرة قتلوا شيعتى وعمّالى»(۴) . ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . الصواعق ۱۵۴ .

۲ . علل الشرايع ۱۵۶ طبع النجف .

۳ . الوصية للمسعودى ۱۲۱ طبع النجف .

۴ . وقعة صفين ۷ طبع مصر . (۱۰۷)

۳- روى أبو مخنف عن الحجاج: اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فذكرونا هلاك معاوية فحمدنا اللّه عليه فقال: إنّ معاوية قد هلك وانّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه(۱) . ۴- وقال محمّد بن أحمد بن خالد البرقى (ت ۲۷۴ هـ): إنّ أصحاب على ينقسمون إلى الأصحاب ثمّ الأصفياء ثمّ الأولياء، ثم شرطة الخميس... ومن الأصفياء سلمان الفارسى، والمقداد، وأبوذر، وعمّار، وأبو ليلى، و شبير، و أبو سنان، و أبو عمرة، وأبو سعيد الخدرى، وأبو برزة، و جابر بن عبداللّه، والبراء بن عازب، وطرفة الأزدى(۲) . ۵- وقال النوبختى (ت ۳۱۳ هـ): إنّ أوّل الفرق الشيعة، وهم فرقة على بن أبى طالب، المسمّون شيعة على فى زمان النبى وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته(۳) . ۶- وقال أبو الحسن الأشعرى: وانّما قيل لهم الشيعة، لأنّهم شايعوا عليّاً، ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول اللّه(۴) . ۷- ويقول الشهرستانى: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة(۵) . ۸- وقال ابن حزم: ومن وافق الشيعة فى أنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول اللّه

---

۱ . مقتل الامام الحسين لأبى مخنف: تحقيق حسن الغفارى ۱۵ ولاحظ ۱۶ .

۲ . الرجال للبرقى: (طبع طهران) / ۳، ولاحظ فهرست ابن النديم ۲۶۳ (طبع القاهرة) وعبارته قريبة من عبارة البرقى.

۳ . فرق الشيعة ۱۵ .

۴ . مقالات الاسلاميين ۱ / ۶۵ طبع مصر .

۵ . الملل والنحل ۱ / ۱۳۱ . (۱۰۸)

وأحقّهم بالإمامة وولده من بعده، فهو شيعىّ، وإن خالفهم فى ماعدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون. فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيّا(۱) . هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جاء فى كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات، تعرب عن أنّ لفيفاً من الأُمّة فى حياة الرسول وبعده إلى عصر الخلفاء وبعدهم، كانوا مشهورين بالتشيّع لعلى وأنّ لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرسول وتبعته الأُمّة عليه . «إنّ الامام وإن تسامح وتساهل فى أخذ حقّه تبعاً لمصالح عظيمة مكنونة فى مثل هذا التصرّف الحكيم، لكن أخذت فكرة استخلاف النبى علياً طريقها فى النفوس والقلوب، وتضاعف عدد المتشيعين له على مرور الأيام، ورجع الكثير من المسلمين إلى الماضى القريب، واحتشدت فى أذهانهم صور عن مواقف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تلك المواقف الّتى كان يصرح فيها باستخلاف على من بعده تارة، ويلمّح فيها أُخرى، فالتفّوا حول على ـ عليه السلام ـ وأصبحوا من الدعاة الأوفياء له فى جميع المراحل الّتى مرّبها، وما زال التشيّع ينمو وينتشر بين المسلمين فى الأقطار المختلفة، يدخلها مع الإسلام جنباً إلى جنب، واستحكم أمره فى السنين الّتى استولى فيها علىّ الحكم، فشاعت بين المسلمين أحاديث استخلافه، ووجد الناس من سيرته وزهده وحكمته ما أكدّ لهم صحّة تلك المرويات، وأنّه هو المختار لقيادة الأُمّة وحماية القرآن ونشر تعاليمه ومبادئه»(۲) . والعنصر المقوّم لإطلاق عبارة الشيعة هو مشايعة على بعد النبى الأكرم فى الزعامة والوصاية أوّلا، وفى الفعل والترك ثانياً، ومع هذا لا يصحّ لأى كاتب ـــــــــــــــــ

۱ . الفصل فى الملل والنحل ۲ / ۱۱۳ طبع بغداد .

۲ . الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ۲۸ ـ ۲۹ . (۱۰۹)

افتراض علّة اجتماعية أو سياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة . ولأجل أن نتعرّف على شيعة على من الصحابة نأتى باسماء رُوّاد الشيعة على وجه الاجمال ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ما كتب حولهم من المؤلّفات، وسنأتى بأسماء تلك الكتب فى آخر البحث: روّاد التشيّع فى عصر النبى:

إنّ الاحالة للتعرّف على روّاد التشيّع إلى الكتب المؤلّفة فى ذلك المضمار لا ـ تخلو من عسر وغموض، فلأجل ذلك نأتى باسماء لفيف من الصحابة الشيعة المعروفين بالتشيّع: ۱- عبداللّه بن عباس، ۲- الفضل بن العباس، ۳- عبيداللّه بن العباس، ۴- قثم بن العباس،

۵- عبدالرحمان بن العباس، ۶- تمام بن العباس، ۷- عقيل بن ابى طالب، ۸- أبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب، ۹- نوفل بن الحرث، ۱۰- عبداللّه بن جعفر بن أبى طالب، ۱۱- عون بن جعفر، ۱۲- محمد بن جعفر، ۱۳- ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب، ۱۴- الطفيل بن الحرث، ۱۵- المغيرة بن نوفل بن الحارث، ۱۶- عبداللّه بن الحرث بن نوفل، ۱۷- عبداللّه بن أبى سفيان بن الحرث، ۱۸- العباس بن ربيعة بن الحرث، ۱۹- العباس بن عتبة بن ابى لهب، ۲۰- عبدالمطلب بن ربيعة بن الحرث، ۲۱- جعفر بن أبى سفيان بن الحرث . هؤلاء من مشاهير بنى هاشم، وأمّا غيرهم فإليك أسماء لفيف منهم: ۲۲- سلمان المحمّدى، ۲۳- المقداد بن الأسود الكندى، ۲۴- أبوذر الغفارى، ۲۵- عمّار بن ياسر، ۲۶- حذيفة بن اليمان، ۲۷- خزيمة بن ثابت، ۲۸- أبو أيوب الأنصارى مضيّف النبى، ۲۹- أبو الهيثم مالك بن التيهان، (۱۱۰)

۳۰- أُبى بن كعب(۱)، ۳۱- سعد بن عبادة، ۳۲- قيس بن سعد بن عبادة، ۳۳- عدى بن حاتم، ۳۴- عبادة بن الصامت، ۳۵- بلال بن رباح الحبشىّ، ۳۶- أبو رافع مولى رسول اللّه، ۳۷- هاشم بن عتبة، ۳۸- عثمان بن حنيف، ۳۹- سهل بن حنيف، ۴۰- حكيم بن جبلة العبدى، ۴۱- خالد بن سعيد بن العاص، ۴۲- ابن الحصيب الأسلمى، ۴۳- هند بن أبى هالة التيميمى، ۴۴- جعدة بن هبيرة، ۴۵- حجر بن عدى الكندى، ۴۶- عمرو بن الحمق الخزاعى، ۴۷- جابر ابن عبداللّه الأنصارى، ۴۸- محمّد بن الخليفة أبى بكر، ۴۹- أبان بن سعيد بن العاصى، ۵۰- زيد بن صوحان الزيدى. هؤلاء خمسمون صحابيّاً من الطبقة العليا للشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيّعهم فليرجع إلى الكتب المؤلّفة فى الرجال ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة. وفى الختام نذكر ما ذكره محمّد كرد على فى كتابة «خطط الشام» قال: عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة على فى عصر رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مثل سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول اللّه على النصح للمسلمين والائتمام بعلى بن ابى طالب والموالاة له، ومثل أبى سعيد الخدرى الّذى يقول: أُمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج، قيل: فما الواحدة الّتى تركوها؟ قال: ولاية على بن أبى طالب، قيل له: وانّها لمفروضة معهن؟ قال: نعم هى مفروضة معهن، ومثل أبى ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، ________________

۱ . نقل سيّدنا شرف الدين عن تاريخ ابن شحنة انّه ممّن تخلّف عن بيعة السقيفة مع على ـ عليه السلام ـ .

(۱۱۱)

وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت، وأبى أيّوب الأنصارى، وخالد بن سعيد، وقيس ابن سعد بن عبادة(۱) . الكتب المؤلّفة حول روّاد التشيّع:

إنّ لفيفاً من أصحابنا الإمامية قاموا بافراد كتاب أو رسالة حول روّاد التشيّع ونذكر فى المقام ما وقفنا عليه . ۱- صدر الدين السيّد على المدنى الحسينى الشيرازى، صاحب كتاب سلافة العصر فى أعيان أهل العصر، وأنوار الربيع فى علم البديع، وطراز اللغة. توفّى عام (۱۱۲۰)، أفرد تاليفاً فى ذلك المجال أسماه بـ «الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الإمامية»، فخصَّ الطبقة الاُولى بالصحابة الشيعة، وخصَّص الباب الأوّل لبنى هاشم من الصحابة، والباب الثانى فى غيرهم منهم. وجاء فى الباب الأوّل بترجمة (۲۳) صحابيّاً من بنى هاشم لم يفارقوا عليّاً قط، كما جاء فى الباب الثانى بترجمة (۴۶) صحابيّاً(۲) . ۲- ذكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فى كتابه «أصل الشيعة واُصولها» أسماء جماعة من الصحابة الذين كانوا يشايعون عليّاً فى حلّه وترحاله وقال معلّقاً على قول أحمد أمين الكاتب المصرى «والحق إنّ التشيّع كان مأوى يرجع إليه كل من أراد هدم الإسلام»: ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفا أن لا تتعكّر، ونيران البغضاء أن لا تتسعّر، وأن تنطبق علينا حكمة القائل: «لا تنه عن خلق وتأتى مثله» لعرّفناه من الّذى يريد هدم قواعد الإسلام بمعاول الالحاد والزندقة، ________________

۱ . خطط الشام ۵ / ۲۵۱ .

۲ . الدرجات الرفيعة ۷۹ ـ ۴۵۲ طبع النجف . (۱۱۲)

ومن الّذى يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة، ولكنّا نريد أن نسال ذلك الكاتب أىّ طبقة من طبقات الشيعة أرادت هدم الإسلام؟ هل الطبقة الاُولى وهم أعيان صحابة النبى وأبرارهم كسلمان المحمّدى أو الفارسى، وأبى ذر، والمقداد، وعمّار، وخزيمة ذى الشهادتين، وابن التيهان، وحذيفة بن اليمان والزبير، والفضل بن العباس وأخيه الحبر عبداللّه، وهاشم بن عتبة المرقال، وأبى أيّوب الأنصارى وأبان وأخيه خالد بن سعيد بن العاص، واُبى بن كعب سيد القرّاء، وأنس بن الحرث بن نبيه، الّذى سمع النبى يقول: «إنّ ابنى الحسين ـ عليه السلام ـ يقتل فى ارض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس وقتل مع الحسين. راجع الاصابة والاستيعاب وهما من أوثق ما ألّف علماء السنّة فى تراجم الصحابة، ولو أردت أن أعدّ عليك الشيعة من الصحابة واثبات تشيّعهم من نفس كتب السنّة لأحوجنى ذلك إلى افراد كتاب ضخم(۱) . ۳- قام الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين (۱۲۹۰ - ۱۳۷۷) بجمع أسماء الشيعة فى الصحابة حسب حروف الهجاء، وقال: وإليك اكمالا للبحث بعض ما يحضرنى من أسماء الشيعة من أصحاب رسول اللّه لتعلم أنّ بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا، وسأفرد لهم إن وفق اللّه كتاباً يوضح للناس تشيّعهم ويحتوى على تفاصيل شؤونهم، ولعلّ بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقنى إلى تأليف ذلك الكتاب فيكون لى الشرف إذ خدمته بذكر أسماء بعضهم فى هذا الباب وهى على ترتيب حروف الهجاء، ثم ابتدأ بأبى رافع القبطى مولى رسول اللّه، وختمهم بيزيد بن حوثرة الأنصارى ولم يشير من حياتهم إلى شىء، وإنّما ألقى ذلك على الأمل أو على من يسبقه من بعض أهل النشاط . ـــــــــــــــــــ

۱ . أصل الشيعة واُصولها ۵۳ ـ ۵۴ مطبعة العرفان .

(۱۱۳)

وقد ذكر السيد شرف الدين من أسمائهم مايربو على مائتين(۱) . ۴- قام الخطيب المصقع الدكتور الشيخ أحمد الوائلى «حفظه اللّه» بذكر أسماء روّاد التشيّع فى عصر الرسول فى كتابه المطبوع «هويّة التشيّع» فجاء باسم مائة وثلاثين من خُلّص أصحاب الإمام من الصحابة الكرام، يقول بعد ما يذكر تنويه النبى باستخلاف على فى غير واحد من المواقف: ولا يمكن أن تمر هذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها من دون أن تشد الناس لعلى، ودون أن تدفعهم للتعرّف على هذا الإنسان الّذى هو وصى النبى، ثمّ لابدّ للمسلمين من اطاعة الأوامر الّتى وردت فى النصوص، والالتفات حول من وردت فيه، ذلك معنى التشيّع الّذى نقول انّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الّذى بذر بذرته، وقد أينعت فى حياته وعرف جماعة بالتشيّع لعلى والالتفات حوله، وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيل الأوّل من الصحابة الذين عرفوا بتشيّعهم للإمام على(۲) . ۵- آخرهم وليس أخيرهم كاتب هذه السطور حيث قام مجيباً دعوة السيد شرف الدين فألّف كتاباً فى ذلك المجال فى عدّة أجزاء، نشر منه جزءان، وانتهينا فى الجزء الثانى من ترجمة أبى ذر (جندب بن جناده) ذلك الصحابى العظيم، والكتاب باللغة الفارسية ونقله إلى العربية الشيخ المحقّق البارع جعفر الهادى وطبع ونشر . ومن أراد أن يقف على روّاد التشيّع فى كتب الرجال لأهل السنّة فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية: ـــــــــــــــــــ

۱ . الفصول المهمّة فى تأليف الاُمّة ۱۷۹ ـ ۱۹۰ .

۲ . هوية التشيّع ۳۴ . (۱۱۴)

۱- الاستيعاب لأبى عمرو (ت ۴۵۶). ۲- اُسد الغابة للجزرى (۶۰۶) . ۳- الاصابة لابن حجر (۸۵۲) . إلى غير ذلك من اُمّهات كتب الرجال . (۱۱۵)

الفصل السادس افتراضات وهمية حول تاريخ

الفصل السادس افتراضات وهمية حول تاريخ الشيعة (۱۱۶) (۱۱۷)

قد تعرّفت على تاريخ التشيّع، وأنّه ليس وليد الجدال الكلامى، ولا إنتاج السياسات الزمنية وانّما هو وجه آخر للاسلام وهما وجهان

لعملة واحدة ;إلاّ أنّ هناك جماعة من المؤرخين وكُتّاب المقالات ظنّوا أنّ التشيّع أمر حادث وطارىء على المجتمع الاسلامى، فأخذوا يُفتّشون عن مبدئه ومصدره، وأشد تلك الظنون عدوانية ما تلوكه أشداق بعض المتقدمين والمتأخرين، هو كونه وليد عبداللّه بن سبأ ذلك الرجل اليهودى، الذى ـ بزعمهم ـ طاف الشرق والغرب، وأفسد الأُمور على الخلفاء والمسلمين وألّب الصحابة والتابعين على عثمان، فقتل فى عقر داره، ثم دعا إلى على بالإمامة والوصاية، وإلى النبى بالرجعة، وكوَّن مذهباً بإسم الشيعة، فهو صنيع ذلك الرجل اليهودى المتظاهر بالاسلام وبما أنّ للموضوع أهمية خاصة لا نكتفى ببيان توهم واحد بل نأتى على ذكر كل تلك الإدعاءات واحدة بعد الأُخرى، مع رعاية التسلسل الزمنى . (۱۱۸) (۱۱۹) الافتراض الأول: الشيعة ويوم السقيفة

إنّ مأساة السقيفة جديرة بالقراءة والتحليل، وسوف نتطرّق إليها فى فصل خاص عند البحث عمّا تنعقد به الامامة لدى السنّة والشيعة، ولكن نذكر هنا موجز ما ذكره الطبرى وغيره الّذى صار سنداً لمن تخيّل أنّ الشيّع تكوّن فى ذلك اليوم . قال الطبرى: اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبابكر فاتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبوبكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء ـ إلى أن قال ـ فبايعه عمر، وبايعه الناس، فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّا. ثم قال: أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: واللّه لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مسلّطاً بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه، وقال ايضاً: وتخلّف على والزبير واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتّى يبايَع على، فبلغ ذلك أبابكر وعمر فقالا: خذوا سيف الزبير...(۱) . ـــــــــــــــــــــ

۱ . تاريخ الطبرى ۲ / ۴۴۳ ـ ۴۴۴ .

(۱۲۰)

وقال اليعقوبى: ومالوا مع على بن أبى طالب منهم، العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبى بن كعب...(۱) . يلاحظ على تلك النظرية: انّ هذه النصوص تدل على أنّ فكرة التشيّع لعلىّ كانت مختمرة فى أذهانهم منذ عهد الرسول إلى وفاته، فلمّا رأت الجماعة أنّ الحق خرج عن محوره، عمدوا إلى التمسّك بالحق بالاجتماع فى بيت على الّذى أوصاهم النبى به طيلة حياته، إذ من البعيد جداً أن يجتمع رأيهم على على فى يوم واحد فى ذلك اليوم العصيب. فالمعارضة كانت استمراراً لما كانوا يلتزمون به فى حياة النبى، ولم تكن فكرة خلقتها الظروف والأحداث . كان أبوذر وقت أخذ البيعة غائباً ولمّا جاء قال: أصبتم قناعة، وتركتم قرابة، لو جعلتم الأمر فى أهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم الاثنان(۲) وقال سلمان: أصبتم ذا السن، وأخطأتم المعدن، أما لو جعلتموه فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا . وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات: انّ عامة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر . وروى الجوهرى فى كتاب السقيفة: انّ سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليّاً. وروى أيضاً: انّه لمّا بويع أبوبكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار ـــــــــــــــــــــ

۱ . تاريخ اليعقوبى ۲ / ۱۰۳ طبع النجف .

۲ . ابن قتيبة: الامامة والسياسة ۱۲ . (۱۲۱)

على بيعته ولام بعضهم بعضاً، وهتفوا باسم الامام على ولكنّه لم يوافقهم(۱). ومن المستحيل عادةً اختمار تلك الفكرة بين هؤلاء فى يوم واحد، بل يعرب ذلك عن وجود جذور لها، قبل رحلة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويؤكد ذلك نداءاته الّتى ذكرها فى حق علىّ وعترته فى مواقف متعدّدة، فامتناع الصحابة عن بيعة الخليفة ومطالبتهم بتسليم الأمر إلى على انّما هو لأجل مشايعتهم لعلى زمن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما هذا إلاّ اخلاص ووفاء منهم للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو أين هو من تكوّن التشيّع يوم السقيفة . ويؤيد ذلك ما رواه الصدوق: انّه بعد ما استتبّ الأمر لأبى بكر اعترض عليه (لفيف) من الصحابة فى مسجد النبى وكلّ يذكر وصايا النبى فى حق على بالوصاية من بعده، وسيوافيك نصوصهم فى فصل مأساة السقيفة على وجه موجز .

١ . ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۶ / ۴۳ ـ ۴۴ . (١٢٣) الافتراض الثانى: التشيّع صنيع عبداللّه بن سبأ «إنّ يهودياً باسم عبداللّه بن سبأ المكنّى بابن الأمة السوداء فى ـ صنعاء ـ أظهر الإسلام فى عصر عثمان و اندّس بين المسلمين، وأخذ ينتقل فى حواضرهم وعواصم بلادهم: الشام، والكوفة، والبصرة، ومصر، مبشّراً بأنّ للنبى الأكرم رجعة كما أنّ لعيسى بن مريم رجعة، وأنّ عليّاً هو وصى محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما كان لكل نبى وصى، وأنّ علياً خاتم الأوصياء كما كان محمّداً خاتم الأنبياء، وأنّ عثمان غاصب حق هذا الوصى وظالمه، فيجب مناهضته لارجاع الحق إلى أهله» . «إنّ عبداللّه بن سبأ بثّ فى البلاد الإسلامية دعاته، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والطعن فى الاُمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابى الكبير والتابعى الصالح من أمثال أبى ذر، وعمار بن ياسر، و محمد بن حذيفة، و عبدالرحمان بن عديس، و محمّد بن أبى بكر، وصعصعة بن صوحان العبدى، ومالك الأشتر، إلى غيرهم من أبرار المسلمين وأخيارهم فكانت السبأية تثير الناس على ولاتهم، تنفيذاً لخطة زعيمها، وتضع كتباً فى عيوب الاُمراء وترسل إلى غير مصرهم من الأمصار، فنتج عن ذلك قيام جماعات (١٢۴)

من المسلمين بتحريض السبأيين، وقدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان فى داره، حتّى قتل فيها، كل ذلك كان بقيادة السبأيين ومباشرتهم». إنّ المسلمين بعدما بايعوا عليّاً، ونكث طلحة والزبير بيعته، وخرجا إلى البصرة رأى السبأيون أنّ رؤَساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنّه إن تمّ ذلك سيؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً ـ وقرّروا أن يندسّوا بين الجيشين ويثيروا الحرب بكرة دون علم غيرهم، وانّهم استطاعوا أن ينفّذوا هذا القرار الخطير فى غلس الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السبأيين فى جيش على من كان بازائهم من جيش البصرة ففزع الجيشان وفزع رؤسائهما، وظنّ كلّ بخصمه شرّاً، ثمّ إنّ حرب البصرة وقعت بهذا الطريق، دون أن يكون لرؤساء الجيشين رأى أو علم. إلى هنا انتهت قصة السبأية، ولا يذكر منهم شىء بعد ذلك فى التواريخ هذا هو الّذى يذكره الطبرى فى تاريخه، ويقول: فيما كتب به إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسى قال: كان عبداللّه بن سبأ يهوديّاً من أهل صنعاء اُمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل فى بلدان المسلمين يحاول اضلالهم فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة، ثمّ الكوفة، ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب فمن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمّداً يرجع، وقد قال اللّه عزّوجلّ: (إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ اِلى مَعاد)(١)، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال: فَقُبِل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبى ولكل نبى وصى، ـــــــــــ

١ . القصص / ٨٥ .

(١٢۵)

وكان على وصى محمّد. ثم قال: محمّد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يجز وصية رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ووثب على وصى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتناول أمر الاُمّة ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فانهضوا فى هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا باللعن على اُمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبثّ دعاته وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السرّ إلى ما عليه رأيهم، واظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه اُولئك فى أمصارهم، وهؤلاء فى أمصارهم، حتّى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون... إلى آخر ما يذكره الطبرى فى المقام، وفى أحداث السنوات التالية إلى سنة ٣۶ الّتى وقعت فيها حرب الجمل. ولا يأتى بعد

بشيء عن السبأية(۱) . ثمّ إنّك قد تعرّفت على كبار السبأية وأنّهم كانوا من أكابر الصحابة والتابعين، كأبى ذرّ الغفارى وعمّار بن ياسر، ومحمّد بن أبى حذيفة، الذين عرفهم المسلمون بالزهد والتقى والصدق والصفا، وأمّا عبدالرحمان بن عديس البلوى فهو ممّن بايع النبى تحت الشجرة وشهد فتح مصر، وكان رئيساً على من سار إلى عثمان من مصر(۲) . ــــــــــــــــــــــــ

۱ . الطبرى ۳ / ۳۷۸ .

۲ . أُسد الغابة ۳ / ۳۰۹ قال: وشهد بيعة الرضوان وبايع فيها وكان أمير الجيش القادمين من مصر لحصر عثمان بن عفان ـ رضى اللّه عنه ـ لمّا قتلوه روى عنه جماعة من التابعين بمصر... (۱۲۶)

وأمّا محمّد بن أبى بكر، فأُمّه أسماء بنت عميس الخثعمية تزوّجها أبوبكر بعد استشهاد جعفر بن أبى طالب فولدت له محمّداً فى حجّة الوداع بطريق مكّة، ثم نشأ فى حجر على بعد أبيه، وشهد معه حرب الجمل، كما شهد صفّين، ثم ولى مصر عن على، إلى أن قتل فيها بهجوم عمرو بن العاص عليها(۱) . وأمّا صعصعة بن صوحان العبدى، أسلم على عهد رسول اللّه، كان خطيباً فصيحاً شهد صفّين مع على. ولمّا استشهد على، واستولى معاوية على العراق، نفاه إلى البحرين ومات فيها(۲) . وأمّا الأشتر، فهو مالك بن الحرث النخعى، وهو من ثقات التابعين، شهد وقعة اليرموك، صحب علياً فى الجمل وصفّين، ولاّه على مصر سنة (۳۸) ثم وصل إلى القلزم، دسّ إليه معاوية عميلا له، فتوفّى بالسم(۳) . هذا هو الّذى يذكره الطبرى وقد أخذه من جاء بعده من المؤرّخين وكتّاب المقالات حقيقة راهنة، وبنوا عليه مابنوا من الأفكار والآراء فصارت الشيعة وليدة السبأية فى زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال، وإليك من ذكرها مغمض العينين: ــــــــــــــــــــــــ

۱ . كان أحد من توثّب على عثمان حتّى قتل ثم انضمّ إلى على: أُسد الغابة ۴ / ۳۲۴، والاستيعاب ۳ / ۳۲۸، والجرح والتعديل ۷ / ۳۰۱ .

۲ . أُسد الغابة ۳ / ۳۲۰ قال: تقدم نسبه فى أخيه زيد وكان صعصعة مسلماً على عهد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يره وصغر عن ذلك وكان سيّداً من سادات قومه عبد القيس وكان فصيحاً بليغاً لسناً ديّناً فاضلا يعد فى أصحاب على ـ رضى اللّه عنه ـ وشهد معه حروبه .

۳ . ملك العرب، أحد الأشراف والأبطال: الطبقات الكبرى ۶ / ۲۱۳، الاصابة ۳ / ۴۵۹، سير أعلام النبلاء ۴ / ۳۴ . (۱۲۷)

۱- ابن الأثير (ت ۶۳۰)، فقد أورد القصّة منبثة بين حوادث (۳۰ ـ ۳۶) وهو وإن لم يذكر المصدر فى المقام، لكنّه يصدر عن تاريخ الطبرى فى حوادث القرون الثلاثة الأول(۱) . ۲- ابن كثير الشامى (ت ۷۷۴) فقد ذكر القصّة فى تاريخه «البداية والنهاية» وأسندها عند ما انتهى من سرد واقعة الجمل، إلى تاريخ الطبرى، وقال: هذا ملخّص ما ذكر أبو جعفر بن جرير(۲) . ۳- ابن خلدون (ت ۸۰۸)، فى تاريخه «المبتدأ والخبر» أورد القصّة فى حادثة الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخّصاً من كتاب أبى جعفر الطبرى(۳) . وأمّا المتأخّرون، وأخصّ الكتّاب الجدد فإنّهم يذكرون القصّة، فنذكر منهم مايلى: ۴- محمّد رشيد رضا، منشيء مجلة المنار (ت ۱۳۵۴)، ذكره فى كتابه ــــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ مقدمة تاريخ الكامل يقول فيه: فابتدأت بالتاريخ الكبير الّذى صنّفه الامام أبو جعفر الطبرى إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه فأخذت ما فيه جميع تراجمه، لم أخل بترجمة واحدة منها لاحظ ۱ / ۳ طبع دار صادر .

۲ . البداية والنهاية ۷ / ۲۴۶ طبع دار الفكر بيروت .

۳ . تاريخ ابن خلدون يقول: «وبعث (عثمان) إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر: محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأُسامة بن زيد إلى البصرة، وعبداللّه بن عمر إلى الشام و عمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه، فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامّهم إلاّ عماراً فانّه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه، منهم عبداللّه بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يهوديّاً وهاجر أيّام عثمان فلم يحسن اسلامه وأُخرج من البصرة... تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر ۲ / ۱۳۹، وقال ۱۶۶: هذا أمر الجمل

ملخّص من كتاب أبى جعفر الطبرى اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء . (۱۲۸)
«السنّة والشيعة» وقال: وكان مبتدع اُصوله (التشيّع) يهودى اسمه عبداللّه بن سبأ، أظهر الإسلام خداعا، ودعا إلى الغلوّ فى على كرم اللّه وجهه، لأجل تفريق هذه الاُمّة، وافساد دينها ودنياها عليها، ثمّ سرد القصّة وقال: ومن راجع أخبار واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبأيين دون ما كاد يقع من الصلح(۱) . ۵- أحمد أمين (ت ۱۳۷۲)، وهو الّذى استبطل عبداللّه بن سبأ فى كتابه «فجر الإسلام وقال: إنّ ابن السوداء كان يهوديّاً من صنعاء أظهر الإسلام فى عهد عثمان، وحاول أن يُفسد على المسلمين دينهم وبثّ فى البلاد عقائد كثيرة ضارّة، وقد طاف فى بلاد كثيرة، فى الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، ثمّ ذكر أنّ أباذر تلقّى فكرة الاشتراكية من ذلك اليهودى، وهو تلقّى هذه الفكرة من مزدكيي العراق أو اليمن. وقد كان لكتاب «فجر الإسلام» عام انتشاره (۱۹۵۲ م) دوىّ واسع النطاق فى الأوساط الإسلامية، فإنّه أوّل من ألقى الحجر فى المياه الراكدة بشكل واسع، وقد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألّف الشيخ المصلح كاشف الغطاء «أصل الشيعة واُصولها» ردّاً عليه، كما ردّ عليه العلاّمة الشيخ عبداللّه السبيتى بكتاب أسماه «تحت راية الحق» . ۶- فريد وجدى مؤلّف دائرة المعارف (ت ۱۳۷۰) فقد أشار إلى ذلك فى كتابه عند ذكره لحرب الجمل ضمن ترجمة الإمام على بن ابى طالب(۲) . ۷- حسن إبراهيم حسن، وذكره فى كتابه (تاريخ الإسلام السياسى) وقد ذكر فى اُخريات خلافة عثمان قوله: «فكان هذا الجوّ ملائماً تمام الملائمة ومهيّئاً لقبول دعوة (عبداللّه بن سبأ) ومن لفّ لفّه والتأثّر بها إلى أبعد حد «وقد أذكى نيران هذه

۱ . السنّة والشيعة ۴ ـ ۶ ـ ۴۵ ـ ۴۹ ـ ۱۰۳ .

۲ . دائرة المعارف ۶ / ۶۳۷ . (۱۲۹)

الثورة صحابى قديم اشتهر بالورع والتقوى ـ وكان من كبار أئمّة الحديث ـ وهو أبوذر الغفارى الّذى تحدّى سياسة عثمان ومعاوية واليه على الشام بتحريض رجل من أهل صنعاء وهو عبداللّه بن سبأ، وكان يهديّاً فأسلم، ثمّ أخذ ينتقل فى البلاد الإسلامية، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة فالكوفة والشام ومصر... الخ(۱) . هذا حال من كتب عن الشيعة من المسلمين، وأمّا المستشرقون المتطفّلون على موائد المسلمين فحدّث عنهم ولا حرج، فقد اتبعوا تلك الفكرة الخاطئة فى كتبهم الاستشراقية الّتى تؤلّف لغايات خاصّة، فم أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى ما ألّفه الباحث الكبير السيد مرتضى العسكرى فى ذلك المجال، فإنّه ـ دام ظلّه ـ حقّق المقال ولم يبق فى القوس منزعاً(۲) . نظر المحقّق فى الموضوع
۱- إنّ ما جاء فى تاريخ الطبرى من القصّة، على وجه لا يصحّ نسبته إلاّ إلى عفاريت الأساطير ومردة الجن، إذ كيف يصحّ لإنسان أن يصدّق أنّ يهوديّاً جاء من صنعاء وأسلم فى عصر عثمان، و استطاع أن يُغرى كبار الصحابة والتابعين، ويخدعهم ويطوف بين البلاد واستطاع أن يكوّن خلايا ضدّ عثمان ويستقدمهم على المدينة ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم باحسان، هذا شىء لا يحتمله العقل وإن وطّن على قبول العجائب والغرائب . إنّ هذه القصّة تمس كرامة المسلمين والصحابة والتابعين، وتصوّرهم اُمّة

۱ . تاريخ الإسلام السياسى ۳۴۷ .

۲ . عبداللّه بن سبأ ۱ / ۴۶ ـ ۵۰، وكتابه هذا من أنفس الكتب وحسنات الزمان . (۱۳۰)

ساذجة يغترّون بفكر يهودى وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون . ۲- إنّ القراءة الموضوعية للسيرة والتاريخ توقفنا على سيرة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان، فإنّهما كانا يعاقبان المعارضين لهم، وينفون المخالفين ويضربونهم، فهذا أبوذر الغفارى نفاه عثمان من المدينة إلى الربذة لاعتراضه عليه فى تقسيم الفىء وبيت المال بين أبناء بيته، كما أنّ غلمانه ضربوا عمّار بن ياسر حتّى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه(۱). إلى غير ذلك من مواقفهم من مخالفيهم ومعارضيهم التى يقف عليها المتتبع، ومع ذلك نرى أنّ رجال الخلافة وعمّالها يغضّون الطرف عمّن يُؤلّب الصحابة والتابعين على اخماد حكمهم، وقتل خليفتهم فى عقر داره،

ويجر الويلات على كيانهم. وهذا شىء لا يقبله من له أدنى إلمام بتاريخ الخلافة وسيرة معاوية . يقول العلاّمة الأمينى: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه اُمراء الأُمّة وساستها فى البلاد، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة والتأديب بالضرب والاهانة، والزج إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى الاعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرنُّ فى مسامع الملأ الدينى: (إِنَّما جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَاداً أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُواْ أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِن خِلاف أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(۲)

۱ . الاستيعاب ۲ / ۴۲۲ .

۲ . المائدة / ۳۳ . (۱۳۱)

فهّلا اجتاح الخليفة جرثومة تلكم القلاقل بقتله؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من اُمّة محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ففعل بهم ما فعل(۱) . وهناك لفيف من الكتّاب ممّن حضر أو غبر، بدل أن يفتحوا عيونهم على الواقع المرير، ليقفوا على الأسباب المؤدّية إلّى قتل الخليفة حاولوا التخلّص من أوزار الحقيقة، فنحتوا فروضاً وهمّية سببت قتل الخليفة وأودت به . وفى حق هؤلاء يقول الكاتب المعاصر: «وفى الشرق كتَّابٌ لا يعنيهم من التاريخ واقعٌ ولا من الحياة حال أو ظرف، فإذا بهم يعلّلون ثورة المظلومين على أيام عثمان، ويحصرون أحداث عصر بل عصور، بإرادةِ فرد يطوّفُ فى الأمصار والأقطار ويؤلّبُ الناس على خليفة ودولة! إنّ النتيجة العملية لمثل هذا الزعم وهذا الافتراء هى أنّ الدولة فى عهد عثمان ووزيره مروان إنّما كانت دولةً مثاليّة، وأنَّ الأمويّين والولاة والأرستقراطيين إنَّما كانوا رُسُلَ العدالة الاجتماعية والإخاء البشرى فى أرض العرب. غير أنّ رجلا فرداً هو عبداللّه بن سبأ أفسدَ على الأمويين والولاة والأرستقراطيين صلاحَهم وبرّهم إذ جعل يطوف الأمصارَ والأقطارَ مؤلِّبا على عثمان واُمرائه وولاته الصالحين المُصلحين. ولولا هذا الرجل الفرد وطوافُه فى الأمصار والأقطار لعاش الناس فى نعيم مروان وعدل الوليد وحلم معاوية عيشاً هو الرغادة وهو الرخاء . وفى مثل هذا الزعم افتراءٌ على الواقع واعتداءٌ على الخَلق ومسايرةٌ ضئيلة الشأن لبعض الآراء، يلفّ ذلك جميعاً منطقٌ ساذج وحجَّةٌ مصطنعة واهية. وفيه ما هو أخطر من ذلك: فيه تضليلٌ عن حقائق اساسية فى بناء التاريخ، إذ يحاول صاحب هذا المسعى الفاشل أنْ يحصر أحداثَ عصر بكامله، بل عصور كثيرة، بإرادة فرد يطوف

۱ . الغدير ۹ / ۲۱۹ ـ ۲۲۰ .

(۱۳۲)

فى الأمصار ويؤلِّب الناسَ على دولة فيثور هؤلاء الناس على هذه الدولة لا لشىء إلاّ لأنّ هذا الفرد طاف بهم وأثارهم! أمّا طبيعة الحكم وسياسة الحاكم وفساد النظام الاقتصادى والمالى والعمرانى، وطغيان الأثرة على ذوى السلطان، واستبداد الولاة بالأرزاق، وحمل بنى اُميَّة على الأعناق، والميل عن السياسة الشعبية الديمقراطية إلى سياسة عائلية أرستقراطية رأسمالية، وإذلال من يضمر لهم الشعبُ التقدير والاحترام الكثيرين أمثال أبى ذرّ وعمّار بن ياسر وغيرهما، أمّا هذه الاُمور وما إليها جميعاً من ظروف الحياة الاجتماعية، فليست بذات شأن فى تحريك الأمصار وإثارتها على الاُسرة الاُمويّة الحاكمة ومن هم فى ركابها، فى نظر هؤلاء! بل الشأن كلّ الشأن فى الثورة على عثمان لعبداللّه بن سبأ الّذى يلفت الناس عن طاعة الأئمة ويلقى بينهم الشر. أليس من الخطر على التفكير أن ينشأ فى الشرق، من يعلّلون الحوادث العامة الكبرى، المتصلة اتّصالا وثيقاً بطبيعة الجماعة واُسس الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية، بارادة فرد من عامة الناس يطوف فى البلاد باذراً للضلالات والنساء فى هذا المجتمع السليم . أليس من الخطر على التفكير أن نعلّل الثورات الاصلاحية فى التاريخ تعليلا صبيانياً نستند فيه إلى رغبات أفراد فى التاريخ شاءوا أن يحدثوا شغباً فطافوا الأمصار وأحدثوه(۱) . ۳- إنّ رواية الطبرى نقلت عن أشخاص لاـ يصحّ الاحتجاج بهم: أ: السرى: إنّ السرى الّذى يروى عنه الطبرى، إنّما هو أحد رجلين:

۱ . الإمام على صوت العدالة الإنسانية ۴ / ۸۹۴ ـ ۸۹۶ وللكلام صلة من أراد فليرجع إليه .

(۱۳۳)

۱- السرىّ بن إسماعيل الهمدانى الّذى كذّبه يحيى بن سعيد، وضعّفه غير واحد من الحفّاظ(۱) . ۲- السرىّ بن عاصم بن سهل الهمدانى نزيل بغداد المتوفّى عام (۲۵۸) وقد أدرك ابن جرير الطبرى شطراً من حياته يربو على ثلاثين سنة، كذّبه ابن خراش، ووهاه ابن عدى، وقال: يسرق الحديث، وزاد ابن حبان: ويرفع الموقوفات، لا يحل الاحتجاج به، وقال النقاش فى حديث وضعه السرى(۲) فالاسم مشترك بين كذّابين لايهمّنا تعيين أحدهما. واحتمال كونه السرى بن يحيى الثقة غير صحيح، لأنّه توفّى عام (۱۶۷) مع أنّ الطبرى من مواليد عام (۲۳۴) فالفرق بينهما (۵۷) عاماً، فلا مناص أن يكون السرى، أحد الرجلين الكذابين . ب ـ شعيب، والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفى المجهول، قال ابن عدى: ليس بالمعروف، وقال الذهبى: راوية، كتب سيف عنه: فيه جهالة(۳) . ت ـ سيف بن عمر، قال ابن حبان: كان سيف بن عمر يروى الموضوعات عن الاثبات، وقال: قالوا: إنّه كان يضع الحديث واتّهم بالزندقة. وقال الحاكم: اتّهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط، وقال ابن عدى: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدى: عامّة حديثه منكر. وقال البرقانى عن الدار قطنى: متروك. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدى. وقال أبو داود: ليس بشىء. وقال النسائى: ضعيف، وقال السيوطى: وضّاع، وذكر حديثاً من طريق السرى بن ـــــــــــــــــــــــ

۱ . قال يحيى القطان: استبان لى كذبه فى مجلس واحد، وقال النسائى: متروك، وقال غيره: ليس بشىء، وقال أحمد: ترك الناس حديثه لاحظ ميزان الاعتدال ۲ / ۱۱۷ .

۲ . تاريخ الخطيب ۹۹۳، ميزان الاعتدال ۲ / ۱۱۷، لسان الميزان ۳ / ۱۲ .

۳ . ميزان الاعتدال ۲ / ۲۷۵، لسان الميزان ۳ / ۱۴۵ . (۱۳۴)

يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف(۱) . ج ـ فإذا كان هذا حال السند، فكيف نعتمد فى تحليل تكوّن طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تشكّل خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية مع أنّ هذا هو حال سندها ومتنها، فالاعتماد عليها خداع وضلال . ۴- عبداللّه بن سبأ، اُسطورة تاريخية:

إنّ القرائن والشواهد والاختلاف الموجود فى حق الرجل ومولده، وزمن إسلامه ومحتوى دعوته يشرف المحقّق على القول، بأنّ مثل عبداللّه بن سبأ مثل مجنون بنى عامر وبنى هلال وأمثال هؤلاء الرجال والأبطال كلّها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون، فإنّ الترف والنعيم قد بلغ أقصاه فى أواسط الدولتين: الأموية والعباسية، وكلّما اتّسع العيش وتوفّرت دواعى اللهو، اتسع المجال للوضع وراج سوق الخيال وجعلت القصص والأمثال كى تأنس بها ربات الحجال، وأبناء الترف والنعمة(۲) . هذا هو الّذى ذكره المصلح الكبير كاشف الغطاء، ولعلّ ذلك أورث فكرة التحقيق بين أعلام العصر، فذهبوا إلى أنّ عبداللّه بن سبأ أقرب ما يكون إلى الاُسطورة منه إلى الواقع. وفى المقام كلام للكاتب المصرى الدكتور طه حسين، يدعم كون الرجل اُسطورة تاريخية استبطلها أعداء الشيعة نكاية بالشيعة، ولا بأس فى الوقوف على كلامه حيث قال: ـــــــــــــــــــــــ

۱ . ميزان الاعتدال ۱ / ۴۳۸، تهذيب التهذيب ۴ / ۲۹۵، اللئالى المصنوعة ۱ / ۱۵۷ - ۱۹۹ ـ ۴۲۹ .

۲ . أصل الشيعة واُصولها ۷۳ . (۱۳۵)

وأكبر الظن أنّ عبداللّه بن سبأ هذا ـ إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً ـ إنّما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة، وعظم الخلاف، فهو قد استغلّ الفتنة ولم يثرها. إنّ خصوم الشيعة أيّام الأمويين والعبّاسيين قد بالغوا فى أمر عبداللّه بن سبأ هذا، ليشكّكوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان، وولاته من ناحية، وليشنّعوا على على وشيعته من ناحية اُخرى، فيردّوا بعض اُمور الشيعة إلى

يهودى اسلم كيداً للمسلمين، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة؟ وما أكثر ما شنع الشيعة على خصومهم فى أمر عثمان وفى غير أمر عثمان؟ فلنقف من هذا كلّه موقف التحفّظ والتحرّج والاحتياط، ولنكبر المسلمين فى صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً وكانت اُمّه سوداء، وكان هو يهوديّاً ثمّ أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً، ثمّ اُتيح له من النجح ما كان يبتغى، فحرَّض المسلمين على خليفتهم حيث قتلوه، وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً. هذه كلّها اُمور لاتستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغى أن تقام عليها اُمور التاريخ، وإنما الشيء الواضح الّذى ليس فيه شك هو أنّ ظروف الحياة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الراى، وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسيّة المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنّة النبى وسيرة صاحبيه كانوا يروون اُموراً تطرأ، ينكرونها ولا يعرفونها، ويريدون أن تواجه كما كان عمر يواجهها فى حزم وشدة وضبط للنفس وضبط للرعية، والشباب الناشئون فى قريش وغير قريش من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الاُمور الجديدة بنفوس جديدة، فيها الطمع، وفيها الطموح، وفيها الاثرة، وفيها الأمل البعيد، وفيها الهمّ الّذى لا يعرب حدّاً يقف عنده، وفيها من أجل هذا كلّه التنافس والتزاحم لا على (۱۳۶)

المناصب وحدها بل عليها وعلى كل شيء من حولها. وهذا الأُمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح عليهم، وهذه أموال لا تحصى تجبى لهم من هذه الأقطار فأى غرابة فى أن يتنافسوا فى إدارة هذه الأقطار المفتوحة، والانتفاع بهذه الأموال المجموعة؟ وهذه بلاد اُخرى لم تفتح، وكل شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها، فمالهم لا يستبقون إلى الفتح؟ ومالهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد والغنيمة إن كانوا من طلّاب الدنيا، ومن الأجر والمثوبة إن كانوا من طلّاب الآخرة. ثمّ ما لهم جميعاً لا يختلفون فى سياسة هذا المُلك الضخم وهذا الثراء العريض؟ واى غرابة فى أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش هذه الأبواب التى فتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء؟ واى غرابة فى أن يهم بمنافستهم فى ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الاُخرى من العرب؟ وفى أن تمتلىء قلوبهم موجدة وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة، ويؤثر قريشاً بعظائم الاُمور، ويؤثر بنى اُميّة بأعظم هذه العظائم من الاُمور خطراً وأجلّها شأناً. والشيء الّذى ليس فيه شك هو أنّ عثمان قد ولّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً، وولّى عبداللّه بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى. وجمع الشام كلّها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك فى ادارتها قريش وغيرها من أحياء العرب، وولّى عبداللّه بن أبى سرح مصر، بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، وكل هؤلاء الولاة من ذوى قرابة عثمان، منهم أخوه لاُمّه، ومنهم أخوه فى الرضاعة، ومنهم خاله، ومنهم من يجتمع معه فى نسبه الأدنى إلى اُميّة بن عبد شمس . كل هذه حقائق لا سبيل إلى انكارها، وما نعلم أن ابن سبأ قد أغرى عثمان (۱۳۷)

بتولية من ولّى وعزل من عزل، وقد أنكر الناس فى جميع العصور على الملوك والقياصرة والولاة والاُمراء إيثار ذوى قرابتهم بشؤون الحكم وليس المسلمون الذين كانوا رعية لعثمان بدعاً من الناس، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر الناس ويعرفون فى جميع العصور (۱) . إنّ الجهات الّتى استنتج منها كون ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة ترجع إلى الاُمور التالية: ۱- إنّ كل المؤرّخين الثقات لم يشيروا إلى قصّة عبداللّه بن سبأ، كابن سعد فى طبقاته، والبلاذرى فى فتوحاته. ۲- إنّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر، وهو رجل معلوم الكذب، ومقطوع بأنّه وضّاع . ۳- إنّ الاُمور التى اُسندت إلى عبداللّه بن سبأ، تستلزم معجزات خارقة لفرد عادى كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعهم عبداللّه بن سبأ، وسخّرهم لمآربه، وهم ينفّذون أهدافه بدون اعتراض، فى منتهى البلاهة والسخف . ۴- عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعمّاله عنه، مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبى حذيفة، ومحمّد بن أبى بكر، وغيرهم . ۵- قصة الاحراق، إحراق على إيّاه وتعيين السنة التى عرض فيها ابن سبأ للاحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيحة، ولا يوجد لها فى هذه الكتب أثر. ۶- عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته فى واقعة صفّين وفى حرب النهروان .

۱ . الفتنة الكبرى ۱۳۴ لاحظ الغدير أيضاً ۹ / ۲۲۰ ـ ۲۲۱ .

(۱۳۸)

وقد انتهى الدكتور بهذه الاُمور إلى القول: بأنّه شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة ولا وجود له فى الخارج(۱) . وقد تبعه غير واحد من المستشرقين، وقد نقل آراءهم الدكتور أحمد محمود صبحى فى نظرية الإمامة(۲) . إلى أن وصل الدور إلى المحقّق البارع السيد مرتضى العسكرى ـ دام ظلّه ـ فألّف كتابه «عبداللّه بن سبأ» ودرس الموضوع دراسة عميقة، وهو الكتاب الّذى يحلّل التاريخ على أساس العلم، وقد أدى المؤلّف كما ذكر الشيخ محمّد جواد مغنيه: «إلى الدين والعلم وبخاصّة إلى مبدأ التشيّع خدمة لا يعادلها أى عمل فى هذا العصر، الّذى كثرت فيه التهجّمات والافتراءات على الشيعة والتشيّع، وأقفل الباب فى وجوه السماسرة والدسّاسين الذين يتشبّثون بالطحلب لتمزيق وحدة المسلمين واضعاف قوّتهم»(۳) . ولنفترض أنّ للرجل حقيقة وليس اُسطورة تاريخية لكن لا شك أنّ ما نقل عنه فى ذلك المجال سراب وخداع، يقول الدكتور أحمد محمود صبحى: وليس ما يمنع أن يستغل يهودى الأحداث الّتى جرت فى عهد عثمان، ليحدث فتنة وليزيدها اشتعالا، وليؤلّب الناس على عثمان، بل أن ينادى بأفكار غريبة، ولكن السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكرى العميق، فيحدث هذا الانشقاق العقائدى بين ـــــــــــــــــ

۱ . طه حسين: الفتنة الكبرى: فصل ابن سبأ، وقد لخّص ما ذكرنا من الاُمور من ذلك الفصل الدكتور الشيخ أحمد الوائلى فى كتابه «هوية التشيّع» ۱۴۶ .

۲ . نظرية الإمامة لأحمد محمود صبحى ۳۷ .

۳ . عبداللّه بن سبأ ۱ / ۱۱، والكتاب يقع فى جزأين وصل فيهما إلى النتيجة الّتى تقدّمت، وقد استفدنا من هذا الكتاب فى هذا الفصل . (۱۳۹)

طائفة كبيرة من المسلمين(۱) . إلى هنا تبيّن أنّ تحليل تكوّن الشيعة عن هذا الطريق تحليل خيالى خادع، وسراب لا ماء ويتّضح الحق إنّا إذا راجعنا كتب الشيعة نرى أنّ أئمّتهم وعلمائهم يتبرّأون منه أشدّ التبرّؤ . ۱- قال الكشى، وهو من علماء القرن الرابع: عبداللّه بن سبأ كان يدّعى النبوّة وانّ عليّاً هو اللّه فاستتابه ثلاثة أيّام فلم يرجع، فأحرقه بالنار فى جملة سبعين رجلا(۲) . ۲- قال الشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) فى رجاله فى باب أصحاب أميرالمؤمنين: عبداللّه بن سبأ الّذى رجع إلى الكفر وأظهر الغلو(۳) . ۳- وقال العلاّمة الحلّى (۶۴۸ ـ ۷۲۶): غال ملعون، حرقه أميرالمؤمنين بالنار، كان يزعم أنّ عليّاً إله وأنّه نبى، لعنه اللّه(۴) . ۴- وقال ابن داود (۶۴۷ ـ ۷۰۷): عبداللّه بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو(۵) . ۵- وذكر الشيخ حسن (ت ۱۰۱۱) فى التحرير الطاووسى: غال ملعون حرقه أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ بالنار(۶) . ومن أراد أن يقف على كلمات أئمّة الشيعة فى حق الرجل، فعليه أن يرجع ـــــــــــــــــ

۱ . نظرية الامامة ۳۷ .

۲ . رجال الكشى ۹۸ برقم ۴۸ .

۳ . رجال الطوسى: باب أصحاب على برقم ۷۶ / ۵۱ .

۴ . الخلاصة للعلاّمة: القسم الثانى الباب الثانى: عبداللّه ۲۳۶ .

۵ . رجال ابن داود: القسم الثانى ۲۵۴ برقم ۲۷۸ .

۶ . التحرير الطاووسى ۱۷۳ برقم ۲۳۴ . (۱۴۰)

إلى رجال الكشى فقد روى فى حقّه روايات كلّها ترجع إلى غلوّه فى حق على، وأمّا ما نقله عنه سيف بن عمر فليس منه أثر فى تلك الروايات، فأقصى ما يمكن التصديق به أنّ الرجل ظهر غالياً فقتل أو اُحرق، والقول بذلك لا يضر بشى، وأمّا ما يذكره الطبرى عن الطريق المتقدم فلاـ يليق أن يؤمن ويعتقد به من يملك أدنى إلمام بالتاريخ والسير . وأخيراً فلنفترض أنّ كل ما ساقوه فى القصة صحيح ولكن السؤال الّذى نطرحه هو أنّه لا ملازمة بين التصديق بها وبين أنّ ذلك الحدث هو منشأ مذهب الشيعة فإنّ التشيّع حدث

فى عصر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واعتنقته أُمّة مسلمة ورعة من الصحابة والتابعين، وأمّا ما قام به ابن سبأ على فرض صحة وقوعه فإنّه يعبّر عن موقف فردى وتصرّف شخصى خارج عن إطار المذهب ومن تبعه، فقد أدخل نفسه دار البوار، وأين هؤلاء من الذين لا يخالفون اللّه ورسوله وأُولى الأمر ولا يتخلّفون عن أوامرهم قيد أنملة كالمقداد وسلمان وحجر بن عدى ورشيد الهجرى ومالك الأشتر وصعصعة وأخيه وعمر بن الحمق ممّن يستدر بهم الغمام و تنزل بهم البركات . إلى هنا تمّ تحليل النظرية الثانية فى تكوّن الشيعة فلنرجع إلى تحليل النظرية الثالثة . (۱۴۱) الافتراض الثالث: التشيع فارسى المبدأ أو الصبغة وهناك فرضية ثالثة اخترعها المستشرقون لتكوّن مذهب الشيعة فى المجتمع الاسلامى، وهؤلاء كالباحثين السابقين اعتقدوا أنّ التشيّع ظاهرة حدثت بعد النبى الأكرم، فأخذوا يفتّشون عن علّتها وسبب حدوثها حتّى انتهوا إلى أنّ التشيّع فارسى المبدأ أو الصبغة، والترديد بين الأمرين لأجل أنّ لهم فى المقام رأيين . ۱- انّ التشيع من مخترعات الفرس، اخترعوه لأغراض سياسية ولم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، ولكنّهم لمّا أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصة. ۲- انّ التشيع عربى المبدأ، وإنّ لفيفاً من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس فى الإسلام ولمّا أسلموا اعتنقوه وصبغوه صبغه فارسية لم يكن له ذلك من قبل . وهذان الرأيان هما اللذان عبّرنا عنهما فى العنوان بما عرفت، وإليك التفصيل. أمّا الأُولى: فقد اخترعها المستشرق دوزى وحاصله أنّ للمذهب الشيعى نزعة فارسية لأنّ العرب كانت تدين بالحرية، والفرس تدين بالملك، والوراثة، (۱۴۲)

ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولمّا انتقل النبىّ إلى دار البقاء ولم يترك ولدا، قالوا على أولى بالخلافة من بعده . وحاصله: انّ الإنسجام الفكرى بين الفرس والشيعة أعنى كون الخلافة أمراً وراثياً، دليل على أنّ التشيّع وليد الفرس . يلاحظ عليه: أولا: انّ التشيّع حسب ما عرفت ظهر فى عصر النبى الأكرم وهو الّذى سمّى أتباع على بالشيعة، وكانوا متواجدين فى عصر النبى وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس سوى سلمان، فى الإسلام .

إنّ روّاد التشيّع فى عصر الرسول والوصى كانوا كلّهم عرباً ولم يكن بينهم أى فارسى سوى سلمان المحمدى، وكلّهم يتبنّون فكرة التشيّع . وكان لأبى الحسن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ أيام خلافته ثلاثة حروب، حرب الجمل، وصفين، والنهروان. وكان جيشه كلّه عرباً أقحاحاً بين عدنانية وقحطانية، فقد انضمّ إلى جيشه زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج، وهمدان، وطى، وكندة، وتميم، ومضر، وكان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمار بن ياسر، و هاشم المرقال، مالك الأشتر، صعصعة بن صوحان وأخوه زيد، قيس بن سعد بن عبادة، عبداللّه بن عباس، محمّد بن أبى بكر، حجر بن عدى، عدى بن حاتم، وأضرابهم، وبهذا الجند وبأُولئك الزعماء فتح أميرالمؤمنين البصرة وحارب القاسطين معاوية وجنوده يوم صفين، وبهم قضى على المارقين . فأين الفرس فى ذلك الجيش وأُولئك القواد كى نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيّع. ثمّ لم يعتنق الفرس التشيّع دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب . (۱۴۳) شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ:

إنّ لفيفاً من المستشرقين وغيرهم صرّحوا بأنّ العرب اعتنقت التشيّع قبل الفرس وإليك نصوصهم: ۱- قال الدكتور أحمد أمين: إنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع لقدمه على دخول الفرس فى الإسلام وقال: والّذى أرى كما يدلّنا التاريخ أنّ التشيّع لعلى بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام ولكن بمعنى ساذج، ولكن هذا التشيّع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأُخرى فى الإسلام وحيث انّ أكبر عنصر دخل فى الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر فى التشيّع(۱) وسيوافيك الكلام ما فى ذيل كلامه من أنّ التشيّع أخذ صبغة جديدة بعد فترة من حدوثه . ۲- قال المستشرق: «فلهوزن»: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية خصوصاً أهل الكوفة شيعة ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤساء العرب(۲) . ۳- وقال المستشرق «جولد تسيهر»: «إنّ من الخطأ القول بانّ التشيّع فى منشئه ومراحل نموه يمثّل الأثر التعديلى الّذى أحدثته أفكار الأُمم الإيرانية فى الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة(۳) . ۴- يقول المستشرق «آدم متز»: إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام فقد كانت جزيرة

العرب شيعة كلّها ـــــــــــــــــــــــ

۱ . فجر الإسلام ۱۷۶ .

۲ . الخوارج والشيعة ۱۱۳ .

۳ . العقيدة والشريعة ۲۰۴ . (۱۴۴)

عدا المدن الكبرى، مثل مكة وتهامة وصنعاء وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن أيضاً مثل عمان، وهجر وصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة، ما عدا قم وكان أهل اصفهان يغالون فى معاوية حتّى اعتقد بعض أهلها أنّه نبيّ مرسل(۱) . هذه الكلمات من هؤلاء الذين يفقدون الاخلاص غالباً فى قضائهم، أوضح شاهد على أنّهم لم يجدوا لهذه النظرية أى مصدر صحيح . ۵- يقول الشيخ أبو زهرة: إنّ الفرس تشيّعوا على أيدى العرب وليس التشيع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وماوراءهما من بلدان الإسلام فقد هاجر إليها الكثير من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيّعون فراراً بعقيدتهم من الأمويين أولا، ثم العباسيين ثانياً وأنّ التشيّع كان منتشراً فى هذه البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولة الأموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها(۲) . ۶- قال السيد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة فى أول الأمر إلّا القليل وجلّ علماء السنّة وأجلّاؤهم من الفرس، كالبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم النيسابورى والبيهقى وهكذا غيرهم ممّن أتوا فى الطبقة التالية(۳) . وثانياً: انّ التاريخ يدلّنا إلى أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام يوم دخلوا، بالصبغة السنّية، وهذا هو البلاذرى يحدّثنا فى كتابه ويقول:

كان ابرويز وجّه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصته، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده، وشهدوا القادسية مع رستم، ولمّا قتل وانهزم ـــــــــــــــــــــــ

۱ . آدم متز: الحضارة الإسلامية ۱۰۲ .

۲ . الامام جعفر الصادق ۵۴۵ .

۳ . أعيان الشيعة ۱ / ۳۳ ط الخامسة . (۱۴۵)

المجوس اعتزلوا، وقالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأى لنا أن ندخل معهم فى دينهم، فاعتزلوا فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغيرة ابن شعبة فسألهم عن أمرهم، فأخبروه بخبرهم، وقالوا: ندخل فى دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا، فنزلوا الكوفة مع المسلمين(۱) . لم يكن اسلامهم يوم ذاك، إلّا كاسلام سائر الشعوب، فهل يمكن أن يقال: انّ اسلامهم يوم ذاك كان اسلاماً شيعياً. وثالثاً: إنّ الإسلام كان يمشى بين الفرس بالمعنى الّذى كان يمشى فى سائر الشعوب ولم يكن بلد من بلاد إيران معروفاً بالتشيّع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم و كاشان، فبذروا بذرة التشيّع وكان ذلك فى أواخر القرن الأول مع أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام فى عهد الخليفة الثانى أى من سنة ۱۷ وهذا يعنى أنّه قد انقضى عشرات الأعوام ولم يكن عندهم أثر من التشيّع. هذا هو ياقوت الحموى يحدّثنا فى معجم البلدان ويقول: «قم، مدينة تذكر مع قاشان، وهى مدينة مستحدثة اسلامية لا اثر للأعاجم فيها، وأوّل من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعرى، وكان بدو تمصيرها فى أيام الحجّاج بن يوسف سنة ۸۳ وذلك أنّ عبدالرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجاج، ثم خرج عليه وكان فى عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلمّا انهزم ابن الاشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان فى جملته إخوة يقال لهم عبداللّه، والأحوص، وعبدالرحمان، وإسحاق، ونُعَيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعرى، وقعوا إلى ناحية قم، وكان هناك سبع قرى ـــــــــــــــــــــــ

۱ . البلاذرى: فتوح البلدان ۲۷۹ .

(۱۴۶)

اسم احداهما «كمندان» فنزل هؤلاء الاخوة على هذه القرى حتّى افتتحوها واستولّوا عليها، وانتقلوا إليها واستوطنوها، واجتمع عليهم

بنوعمّهم وصارت السبع قرى، سبع محال بها، وسميت باسم احداها، «كمندان» فأسقطوا بعض حروفها، فسميت بتعريبهم قماً وكان متقدم هؤلاء الاخوة عبد الله بن سعد، وكان له والد قد ربى بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان إمامياً فهو الّذى نقل التشيّع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنّى قط»(۱) . هذا كله راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، وأمّا دليله فهو أوهن من بيت العنكبوت فانّ الفرس وإن كانوا لا ـ يعرفون معنى الإنتخاب والحرية، ولكن كانت العرب أيضاً مثلهم، فانّ العربى الّذى كان يعيش فى البادية عيشة فردية كان يحب الحرية ويمارسها، وأمّا العربى الّذى يعيش عيشة قبلية، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام اُمورهم وشؤونهم، فما معنى الحرية بعد هذا، وإذا مات شيخ القبيلة، يقوم أبناؤه وأولاده مكانه واحداً بعد الآخر . تحليل النظرية الثانية:

إنّ هذه النظرية وإن كانت تتعرف بأنّ التشيّع عربى المولد والمنشأ، ولكنّها تدّعى أنّه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس فى الإسلام وهذا هو الّذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين كـ «فلهاوزن»، يقول الثانى إنّ آراء الشيعة كانت تلائم الايرانيين، أمّا كون هذه الآراء قد انبثقت من الايرانيين فليست تلك الملاءمة دليلا عليه، بل الروايات التاريخية تقول

---

۱ . معجم البلدان ۴ / ۳۹۶، مادة قم، ويقول فى مراصد الاطلاع بأنّ أهل قم وكاشان كلهم شيعة إمامية ولاحظ رجال النجاشى ترجمة الرواة الأشعريين فيه .

بعكس ذلك، إذ تقول انّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أولاً فى الأوساط العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها إلى الموالى، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الأوساط. ولكن لمّا ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلّت عن تربية القومية العربية، وكانت حلقة الإرتباط هى الإسلام ولكنّه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين(۱) . أقول: إنّ مراده أنّ التشيّع كان فى عصر الرسول وبعده بمعنى الحب والولاء لعلىّ لكنّه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر وهو كون الخلافة أمراً وراثياً فى بيت على ـ عليه السلام ـ هذا هو الّذى يصرح به الدكتور أحمد أمين ويقول: إنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان وغيرهم. يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل وراثية الحكم كان سائداً فى جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة وغسان وحمير فى العراق والشام واليمن كان هو الوراثة، والحكم فى الحياة القبلية فى الجزيرة العربية كان وراثياً، والمناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت اُموراً وراثية حتّى أنّ النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يغيّرها بل أنّه أمضاها ومن هنا نرى أنّه قد دفع مفاتيح البيت لبنى شيبة لمّا كانت السدانة منصباً لهم أيام الجاهلية، فتخصيص الفرس بالوراثة وغمض العين عن غيرهم أمر عجيب، فعلى ذلك يجب أن نقول، انّ التشيّع اصطبغ بصبغة فارسية وغسانية وحميرية وأخيراً عربية، فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟!

---

۱ . الخوارج والشيعة ۱۶۹ .

إنّ النبوة والوصاية من الاُمور الوراثية فى الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هى الملاك المعيّن بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوة والامامة فى بيوتات خاصة، فكان يتوارث نبى نبيّاً، ووصى وصيّاً، يقول سبحانه: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ والكِتابَ)(۱). (وإِذِ ابْتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لا ـ يَنالُ عَهْدِى الظّالِمينَ)(۲) . (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبراهيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتَيناهُم مُلْكاً عَظِيماً)(۳) . فلماذا لا يكون سبب تشيّع الفرس مفاد هذه الآيات والروايات الّتى تصرّح بأنّ الوصاية بين الأنبياء كانت أمراً وراثياً؟ وانّ هذه سنّة اللّه فى الاُمم كما هو ظاهر قوله سبحانه (لا ينال عهدى الظالمين)فسمّى الامامة عهد اللّه لا عهد الناس . ثمّ إنّ من زعم أنّ التشيّع من صنع

الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاريخ الفرس وذلك لأنّ التسنّن كان هو السائد عليهم إلى أوائل القرن العاشر حتّى غلب عليهم التشيّع في عصر الصفويين، نعم كانت الرى وقم وكاشان معقل التشيّع ومع ذلك يقول أبو زهرة: إنّ أكثر أهل الفارس إلى الأن من الشيعة وأنّ الشيعة، الأولين كانوا من أهل فارس(۴) . أمّا غلبة التشيّع عليهم فى الآونة الأخيرة فلا ينكره أحد، إنّما الكلام كونهم

۱ . الحديد / ۲۶ .

۲ . البقرة / ۱۲۴ .

۳ . النساء / ۵۴ .

۴ . تاريخ المذاهب الإسلامية ۱ / ۴۱ ط دار الفكر العربى . (۱۴۹)

كذلك فى بداية دخولهم إلى الإسلام، وكأنّ الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران، وها نحن ننقل كلام «أحسن التقاسيم» لتقف على أنّ المذهب السائد فى ذلك القرن، هل كان هو التشيّع أم التسنّن يقول: «اقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبى حنيفة إلّا فى كورة الشاش فانّهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبداللّه السرخسى، واقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلّا أنّ أهل الحديث حنابلة والغالب بدبيل ـ لعلّه يريد أردبيل ـ مذهب أبى حنيفة وبالجبال، أمّا بالرى فمذاهبهم مختلفة، والغلبة فيهم للحنفية، وبالرى حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة والدينور غلبه مذهب سفيان الثورى، واقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف أهل الأهواز شيعة، وفيه من أصحاب أبى حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيون، اقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبى حنيفة، اقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعى، اقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث، وأهل الملتان شيعة يهيعلون فى الأذان ـ أى يقولون: حى على خير العمل ـ ويثنون فى الاقامة ـ أى يقولون: اللّه أكبر مرتين، وأشهد أن لا إله إلّا اللّه مرتين أيضاً وهكذا ـ ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة(۱) . ذكر ابن بطوطة «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمّى جمال الدين بن مطهر ـ يعنى العلامة الحلى (۶۴۸ ـ ۷۲۶) ـ فلمّا أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه التتر زاد فى تعظيم هذا الفقيه فزيّن له مذاهب الروافض وفضله على غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وآذربايجان واصفهان وكرمان

۱ . أحسن التقاسيم لشمس الدين محمّد بن أحمد المقدسى / ۱۱۹ (ألفه عام ۳۷۵) .

(۱۵۰)

وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أوّل بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز واصفهان، فأمّا أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الازج يقولون لاسمعاً ولا طاعة، وجاءوا للجامع وهدّدوا الخطيب بالقتل إن غيّر الخطبة وهكذا فعل أهل شيراز وأهل اصفهان(۱) . وقال القاضى عياض فى مقدمة ـ ترتيب المدارك ـ وهو يحكى انتشار مذهب مالك: وأمّا خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولا ـ بيحيى بن يحيى التميمى، وعبداللّه بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمة على مر الأزمان، وتفشّى بقزوين وماولاها من بلاد الجبل. وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحاق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهبا أبى حنيفة والشافعى(۲) . قال «بروكلمان»: إنّ شاه إسماعيل الصفوى بعد انتصاره على «الوند» توجّه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أنّ ثلثى سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف، من السنّة(۳) . هذه النصوص تعطينا أنّ السنّة كانت هى المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إنّ بلاد فارس كانت هى الموطن الأصلى للتشيّع. هذا هو ابن الأثير يؤكّد على أنْ أهل طوس كانوا سنّة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إنّ محمود بن سبكتكين جدّد عمارة المشهد بطوس الّذى فيه قبر

۱ . رحلة ابن بطوطة ۲۱۹ ـ ۲۲۰ .

۲ . ترتيب المدارک ۱ / ۵۳ .

۳ . تاريخ المذاهب الإسلامية ۱ / ۱۴۰ . (۱۵۱)

على بن موسى الرضا وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم ابنه عن ذلک، وكان سبب فعله ذلک أنّه رأى فى المنام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب وهو يقول: إلى متى هذا؟ فعلم أنّه يريد أمر المشهد يأمر بعمارته(۱) . ويؤيّد ذلک ما رواه البيهقى: انّ المأمون العباسى همَّ بأن يكتب كتاباً فى الطعن على معاوية، فقال له يحيى بن أكثم: يا أميرالمؤمنين! العامة لا تتحمّل هذا ولا سيما أهل خراسان ولا تأمن أن يكون لهم نفرة(۲). فقد بان ممّا ذكر أمران:

۱- انّ التشيع ليس فارسى المبدأ، وانّما هو حجازى المولد، والمنشأ اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرس ـ سوى سلمان المحمدى ـ وانّ الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب وانّهم اعتنقوا الإسلام ـ لا التشيّع ـ مثل اعتناق سائر الاُمم وبقوا عليه قروناً وكان التشيّع بينهم قليلا ـ إلى أن ظهر بينهم، فى عهد بعض ملوک المغول أو عهد الصفوية عام ۹۰۵. ۲- انّ كون الامامة منحصرة فى على وأولاده، ليس صبغة عارضة على التشيّع، بل هو جوهر التشيّع وحقيقته ولولاه، فقد التشيّع روحه وجوهره، فجعل الولاء لآل البيت أو تفضيل على، على سائر الخلفاء أصله وجوهره، وجعل الامامة فى على ونسله أمراً عرضياً فكر خاطئ ليس له دليل . قال المفيد: الشيعة من دان بوجوب الامامة ووجودها فى كل زمان وأوجب ـــــــــــــــــــــ

۱ . ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ۵ / ۱۳۹ .

۲ . البيهقى: المحاسن والمساوئ ۱ / ۱۰۸ . (۱۵۲)

النص الجلى والعصمة والكمال لكلّ امام ثم حصر الامامة فى ولد الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ وساقها إلى الرضا على بن موسى ـ عليهما السلام ـ .(۱) ـــــــــــــــــــــ

۱ . اوائل المقالات / ۷ . (۱۵۳) الافتراض الرابع: الشيعة ويوم الجمل

إنّ الشيعة تكوّنت يوم الجمل لما ذكر ابن النديم: انّ علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلهما حتّى يفيئا إلى أمر اللّه جلّ اسمه وتسمّى من اتّبعه على ذلک الشيعة. وكان يقول: شيعتى وسمّاهم ـ عليه السلام ـ الأصفياء، الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب(۱) . وعلى ذلک جرى المستشرق «فلهوزن» حيث يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى فئتين: حزب على، وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه فى العربية اسم «الشيعة» فكانت شيعة علىّ فى مقابل شيعة معاوية، لكن لمّا تولّى معاوية الملک فى دولة الاسلام كلّها... أصبح استعمال لفظ «شيعة» مقصوراً على أتباع على(۲) . يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره ابن النديم نفس ما ذكره البرقى قبله بقول(۳) فى رجاله وإليک نصّه . ـــــــــــــــــــــ

۱ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۳ طبع القاهرة .

۲ . الخوارج والشيعة ۱۴۶ (ترجمة عبدالرحمان بدوى، طبع القاهرة) .

۳ . توفّى البرقى عام (۲۷۴) أو (۲۸۰) وألّف ابن النديم كتابه عام (۳۷۷) وتوفّى عام (۳۷۸) . (۱۵۴) أصحاب أميرالمؤمنين:

من أصحاب رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأصحاب، ثم الأصفياء، ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس: من الأصفياء من أصحاب أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ : سلمان الفارسى، المقداد، أبوذر، عمار، أبوليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، ـ أبو سعيد الخدرى (عربى أنصارى) ـ أبو برزة، جابر بن عبداللّه، البراء بن عازب (أنصارى)، عرفة الأزدى، وكان رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دعا له فقال: اللّهمّ بارک (له) فى صفقته . وأصحاب أميرالمؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس كانوا ستّة آلاف رجل، وقال على بن الحكم (أصحاب) أميرالمؤمنين الذين قال لهم: تشرّطوا انّما اُشارطكم على الجنّة ولست اُشارطكم على ذهب وفضّة انّ نبيّنا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال لأصحابه فيما مضى: تشرّطوا فانّى لست اُشارطكم، إلاّ على الجنّة(۱) . ترى أنّه عدّ من أصحاب الامام رجالا ماتوا، قبل أيام خلافته كسلمان، وأبوذر والمقداد، وكلّهم كانوا شيعة الامام، فكيف يكون التشيّع وليد يوم الجمل والظاهر وجود التحريف

فى عبارة ابن النديم . وعلى كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص فى وجود التشيّع فى عصر الرسول وبعده وقبل أن تشب نار الحرب فى البصرة، دليل على وهن هذا الرأى ـ على تسليم دلالة كلام ابن النديم - بل كان ذلك اليوم يوم ظهور التشيّع . فانّ الامام وشيعته بعد خروج الحق عن محوره، واستتباب الأمر لأبى بكر، رأوا أنّ مصالح الإسلام والمسلمين تكمن فى السكوت ومماشاة القوم، بينما كان نداء ـــــــــــــــــــــــ

١ . البرقى: الرجال ٣ .

(١۵۵)

التشيّع يعلو بين آونة وأُخرى من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبى ذر الغفارى وغيره، ولكن كانت القاعدة الغالبة هو إدلاء الأمر للمتقمّصين بالخلافة والاشتغال برفع مشاكلهم العلمية، ولكن عندما تمّ الأمر للامام على، ورجع الحق إلى محلّه اهتزّت الشيعة فرحاً، وارتفع كابوس الضغط عنهم، واستنشقوا نسيم الحرية ـ وإن كانت أياماً قصيرة ـ ففى تلك الأحايين ظهرت المعارضة بين المتشيّعين وغيرهم . (١۵۶) (١۵٧) الافتراض الخامس: الشيعة ويوم صفين

إنّ بعض المستشرقين(١) زعم أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش على فى مسألة التحكيم إلى فرقتين فلمّا دخل على الكوفة وفارقته الحرورية وثبت إليه الشيعة، فقالوا: فى أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . إنّ رمى الشيعة بالتكوّن يوم صفين اعتماداً على هذه العبارة باطل وانّما ذهب إليه ذلك المستشرق لأنّه افترض لتكوّن الشيعة، تاريخاً مفصولا عن تاريخ الإسلام فأخذ يتمسّك بهذه العبارة، مع أنّ تعبير الطبرى، أعنى قوله: وثبت إليه الشيعة(٢) دليل على سبق وجودهم على ذلك . نعم كانت للشيعة بعد تولّى الإمام الخلافة الحرية حيث ارتفع الضغط فالتفّ حوله مواليه من الصحابة والتابعين، نعم لم يكن كل من فى جيشه من الشيعة بالمعنى المصطلح، وإنّما كانوا يقتدون به لأجل مبايعته . ـــــــــــــــــــــــ

١ . تاريخ الامامية للدكتور عبداللّه فياض ٣٧ .

٢ . تاريخ الطبرى ۴ / ۴۶ طبع مصر . (١۵٨) (١۵٩) الافتراض السادس: الشيعة والبويهيون

تلقّى آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام ٣٢٠ ـ ۴۴٧، فكانت لهم السلطة فى العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وإصفهان والرى، وقد اُقصوا عن الحكم فى الأخير بهجوم الغزاونة عليه عام ۴٢٠ وقد ذكر المؤرّخون خصوصاً ابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم شيئاً كثيراً من أحوالهم، وخدماتهم، وافساحهم المجال للعلماء من غير فرق بين طائفة وأُخرى. وقد أفرد المستشرق «استانلى لين بول» كتاباً فى حياتهم ترجم باسم طبقات سلاطين الإسلام . يقول ابن الأثير وكان عضد الدولة عاقلا، فاضلا، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأى، محبّاً للفضائل وأهلها، باذلا فى مواضع العطاء... إلى أن قال: وكان محبّاً للعلوم وأهلها، مقرّباً للعلماء، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم فى المسائل. فقصده العلماء من كل بلد وصنّفوا له الكتب ومنها الايضاح فى النحو، والحجّة فى القراءات، والمكلى فى (١۶٠)

الطب، والتاجى فى التاريخ إلى غير ذلك(١). وهذا يدل أنّهم كانوا محبّين للعلم ومروّجين له من غير فرق بين كون العالم من الشيعة أو السنّة. وكان فى عصرهم يغلب التسنّن على أكثر البلاد ومع ذلك لم يحاربوا التسنّن خلافاً لملوك السنّة، فكلّما كانت لهم السلطة والقوّة استأثرت الشيعة، ولو وقعت فى أيّامهم حوادث بين الشيعة والسنّة فى الطرق كان التحرّش فيها من طرف السنّة، ومن الحوادث المؤلمة فى نهاية حكمهم بعد دخول طغرل بك مدينة دار السلام (بغداد) عام ۴۴٧، إحراق مكتبة الشيخ الطوسى وكرسيّه الّذى كان يجلس عليه للتدريس(٢). نعم راج مذهب الشيعة فى عصرهم واستنشقوا نسيم الحرية بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً فى عهد المتوكّل ومن بعده. غير أنّ تكوّن مذهب الشيعة فى أيّامهم شيئاً وكونهم مروّجين ومعاضدين له شىء آخر، والمسكين لم يفرّق بينهما . ـــــــــــــــــــــــ

١ . الكامل فى التاريخ ٩ / ١٩ ـ ٢١ طبع دار صادر .

۲ . لاحظ المنتظم: لابن الجوزى ۱۶ / ۱۰۸ الطبعة الحديثة بيروت . (۱۶۱) الافتراض السابع: الشيعة والمغول

لمّا اُقصى آل بويه عن الحكم فى العراق وإيران، لم تقم للشيعة دولة قويّة ذات حول وطول بعدهم، وعاد الضغط على أتباع أهل البيت إلى أن استولى «هولاكو» على ايران وقضى على الخلافة العباسيّة عام (۶۶۵) فأعطى الحرية للمذاهب ومنها مذهب أهل البيت وعلى ذلك نهج أولاده، ثمّ أسلم من ملوك المغول أربعة ثالثهم محمّد خدابنده، ورابعهم سعيد بن محمد خدابنده. فأمّا الأوّل منهما فقد كان حنفياً ولمّا وفد عليه نظام الدين عبدالملك الشافعى جعله قاضى القضاة فى المملكة وكان يناظر الحنفية فى محضر السلطان فيفحمهم، ولمّا ظهرت له الغلبة حسن للسلطان المذهب الشافعى فعدل إليه، ولمّا كثرت المناظرات بين نظام الدين وعلماء الحنفية، وكان ينسب كل منهم إلى مذهب الآخر ما لا تستحسنه العقول، ظهر عليه الملل والضجر، وقد ورد إليه فى هذا الآونة السيد تاج الاوى مع جماعة من الشيعة وقعت بينه وبين نظام الدين محاضرات بمحضره، ثم بعد آونة حضر عنده العلّامة الحلّى الحسن بن يوسف بمناسبة خاصّة يذكرها التاريخ، فأمر قاضى القضاة بمناظرته، وأعدّ لهم مجلساً حافلا للعلماء وأهل الفضل، فوقعت المناظرة بينهم فى المسائل العقائدية والفقهية، فظهرت غلبة العالم الشيعى، فأظهر السلطان (۱۶۲)

التشيّع من حينه، وصارت تلك المناظرة سبباً لانتشار التشيّع(۱) وقد استنشقت الشيعة فى عصر المغوليين على وجه الاطلاق عطر الحرية ونسيمها، فازدحمت المراكز العلمية بعلمائهم ومفكّريهم، كنصير الدين الطوسى والمحقّق الحلّى. وازدهرت بيوتات الشيعة كبيت آل طاووس وآل سعيد وغيرهما. وقد كان للشيعة كيان ونشاط فى عصرهم أعادوا مجدهم فى عصر البويهيين . ________________

۱ . لاحظ منتخب التواريخ لمعين الدين النطزى المؤلف عام ۸۱۶ ـ ۸۱۷ طبع عام ۱۳۳۶ .

(۱۶۳) الافتراض الثامن: الشيعة والصفوية

والكلام فى هذه الأسرة هو الكلام فى البويهيين والمغوليين . إنّ الصفويين اُسرة الشيخ صفى الدين العارف المشهور فى أردبيل المتوفّى عام (۷۳۵) ولمّا انقرضت دولة المغول، انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة شيعية وغير شيعية إلى أن قام أحد أحفاد صفى الدين، الشاه إسماعيل عام (۹۰۵) واستلم مقاليد الحكم وسيطر على بلاد فارس والطرق، واستمرّ فى الحكم إلى عام (۹۳۰)، ثمّ ورثه اولاده إلى أن اُقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على ايران عام (۱۱۳۵) فكان الصفويون خير الملوك لقلّة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن فى ايران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع لاتكوّنه . هذه هى الآراء الساقطة فى تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكوّنهم، وكلّها كانت اُموراً افتراضية بنوها على أساس خاطىء وهو أنّ الشيعة ظاهرة طارئة على المجتمع الاسلامى بعد عهد النبى، سامحهم اللّه وغفر اللّه لنا ولهم . (۱۶۴) زلّة لاتستقال:

إنّ الدكتور عبداللّه فياض زعم أنّ التشيّع بمعنى مولاة على نضج فى مراحل ثلاث: ۱- التشيّع الروحى، يقول: إنّ التشيع لعلى بمعناه الروحى زرعت بذرته فى عهد النبى وتمّت قبل تولّيه الخلافة، ثم ساق الأدلّة على ذلك وجاء بأحاديث يوم الدار أوبدء الدعوة وأحاديث الغدير وما قال النبى فى حق على من التسليم على على بإمرة المؤمنين. ۲- التشيّع السياسى، ويريد من التشيّع السياسى، كون على أحق بالإمامة لا ـ لأجل النص بل لأجل مناقبه وفضائله، ويقول: إنّ التشيّع السياسى ظهرت بوادره ـ دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية (يريد النص) ـ فى سقيفة بنى ساعدة، حين أسنَدَ حقَ على بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير، والعباس، وغيرهما، وبلغ التشيّع السياسى أقصى مداه حين بويع على بالخلافة بعد مقتل عثمان . ۳- ظهوره بصورة فرقة، فإنّما كان ذلك بعد فاجعة كربلاء سنة (۶۱) ولم يظهر التشيّع قبل ذلك بصورة فرقة دينية تعرف بالشيعة. ثمّ استشهد بكلام المقدسى حيث قال: إنّ أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة. وأصل افتراقهم قتل عثمان، ثمّ تشعّبوا(۱) وأيّد نظريته بما ذكره المستشرق «فلهوزن» قال: تمكّن الشيعة أوّلا فى العراق ولم يكونوا فى الأصل فرقة دينية، بل تعبيراً عن الرأى السياسى فى هذا الاقليم كلّه، فكان جميع سكان العراق خصوصاً أهل الكوفة شيعة على على تفاوت بينهم(۲) . ________________

١ . أحسن التقاسيم ٣٨ طبع ليدن ١٩٠۶ .

٢ . تاريخ الإمامية ٣٨ ـ ۴٧ . (١۶۵) يلاحظ عليه، أوّلا: انّ التفكيك بين المرحلتين الأوليتين وانّ الاُولى منهما كانت فى عصر النبى وظهرت بوادر المرحلة الثانية بعد رحلة النبى قد نقضه نفس الكاتب فى كلامه حيث قال: كان روّاد التشيّع الروحى يلتزمون بآراء على الفقهية إلى جانب الالتزام باسناده سياسياً(١) . وثانياً: إنّ ماذكره من النصوص فى مجال التشيّع الروحى كمايدلّ على أنّ علياً القائد الروحى، يدل بوضوح على أنّه القائد السياسى، وقد نقل الكاتب جل النصوص، فمعنى التفكيك بينهما هو أنّ الصحابة الواعين أخذوا ببعض مضامينها وتركوا بعضها، ولو صحّ اسناد ذلك إلى بعض الصحابة فلا يصحّ اسناده إلى سلمان، وأبى ذر، وعمّار، الذين لا يتركون الحق وإن بلغ الأمر ما بلغ .

وبما أنّ النبى كان هو القائد المحنَّك للمسلمين لم تك هناك حاجة لظهور التشيّع السياسى فى حياته، بل كان المجال واسعاً لظهور التشيّع الروحى ورجوع الناس إلى على فى القضايا والأحكام الفقهية، وهذا لا يعنى عدم كونه قائداً سياسياً وانّ وصايا النبى لم تكن هادفة إلى ذلك الجانب . وثالثاً: إنّ التشيّع السياسى ظهر فى أيّام السقيفة فى ظل الاعتراف بإمامته الروحية، فانّ الطبرى وغيره وإن لم يذكروا مصدر رجوع الزبير والعباس إلى على،ولكن هناك نصوص عن طرق الشيعة وردت فى احتجاج جماعة من الصحابة على أبى بكر مستندين إلى النصوص الدينية.

روى الصدوق عن زيد بن وهب انّه قال: كان الذين أنكروا على أبى بكر فى تقدّمه على على بن أبى طالب اثنا عشر رجلاـ من المهاجرين والأنصار، فمن المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، واُبىّ بن كعب، ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . تاريخ الإمامية ۴۵ .

(١۶۶)

وعمّار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وعبداللّه بن مسعود، وبريدة الأسلمى، ومن الأنصار زيد بن ثابت، وذو الشهادتين، وابن حنيف وأبو أيّوب الأنصارى، وأبو الهيثم بن التيهان. وبعدما صعد أبو بكر على المنبر قال خالد ابن سعيد: يا أبابكر اتّق اللّه... ثم استدلّ على تقدم على بما ذكره النبى فقال: معاشر المهاجرين والأنصار، اُوصيكم بوصية فاحفظوها، وانّى مؤدّ إليكم أمراً فاقبلوه على أنّ علياً أميركم من بعدى وخليفتى فيكم ـ إلى آخر ما ذكره ـ ثمّ قام أبو ذر وقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار... طرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما أوعز إليكم، ثمّ ذكر مناشدة كل منهم مستندين فى حجاجهم على أبى بكر بالأحاديث الّتى سمعوها من النبى الأكرم(١) وهذا يعرب أنّ التشيّع السياسى ـ الّذى كان ظرف ظهوره حسب طبع الحال ـ بعد الرحلة، كان مستفاداً من نصوص النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . رابعاً: ماذا يريد من الفرقة وانّ الشيعة تكوّنت بصورة فرقة بعد مقتل الامام الحسين فهل يريد الفرقة الكلامية الّتى تبتنى على آراء فى العقائد تخالف فيها الفرق الاُخرى، فهذا لم يكن منه أثراً إلى أواسط العقد الثالث من الهجرة، ولم يكن يومذاك أيّة مسألة كلامية مطروحة حتّى تأخذ شيعة على بجانب والآخرون بجانب آخر، بل كان المسلمون متسالمين فى العقائد والأحكام حسب ما بلغ إليهم من الرسول، ولم يكن يومذاك أىّ اختلاف إلاّ مسألة القيادة، فالفرقة بهذا المعنى لم تكن موجودة فى أوساط المسلمين .

وإن أراد من الفرقة الجماعة المتبنّية ولاية على روحيّاً وسياسياً وانّه أحق بالقيادة على جميع الموازين، فكانت موجودة فى يوم السقيفة وبعدها . ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . الخصال ۴۶١ طبع مكتبة الصدوق لاحظ المناشدة إلى آخرها ترى فيها دلائل كافية لاثبات الخلافة للامام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ .

(١۶٧)

نعم إنّ احتكاك المسلمين مع الأجانب واستيراد آرائهم وعقائدهم فى المسائل الكلامية والدينية أوجد فروعاً كلامية، وبما أنّ الشيعة

حسب حديث الثقلين رجعوا إلى أئمّة أهل البيت فصاروا فرقة كلامية متشعّبة الأفنان، ضاربة جذورها فى الكتاب والسنّة والعقل . الآن حصحص الحق وأسفر الصبح لذى عينين فليس التشيّع ظاهرة طارئة على الإسلام، وإنّما هو نفس الإسلام فى إطار ثبوت القيادة لعلى بعد رحلة النبى بتنصيصه. وتبنّاه منذ بعثة النبى الأكرم لفائف من الصحابة والتابعين وامتدّ ذلك حسب الأجيال والقرون وظهر بفضل التمسّك بالثقلين علماء مجاهدون، وشعراء مجاهرون، وعباقرة فى الحديث، والفقه والتفسير والفلسفة والكلام واللغة والأدب، وشاركوا جميع المسلمين فى بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتّفقون مع جميع الفرق فى أكثر الأُصول والفروع وإن اختلفوا معهم فى بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. وسيوافيك تفصيل عقائدهم فى الفصل العاشر باذن اللّه . وبذلك يظهر وهن ما ذهب إليه الدكتور عبدالعزيز الدورى من أنّ التشيّع باعتباره عقيدة روحية ظهر فى عصر النبى وباعتباره حزباً سياسياً قد حدث بعد قتل علىّ(١) . هذه الفروض الوهمية تبتنى على أساس باطل وهو أنّ التشيّع بجميع أو بعض أبعاده أمر طارىء على الإسلام والأُمّة، فراحوا يتبنّون الفروض الذهنيّة . ______________

١ . لاحظ الصلة بين التصوّف والتشيّع ١٨ .

(١٦٨) (١٦٩)

الفصل السابع صيغة الحكومة عند أهل السنّة

الفصل السابع صيغة الحكومة عند أهل السنّة (١٧٠) (١٧١)

قد تعرّفت على صيغة الحكومة عند الشيعة، وحان البحث عن صيغتها لدى أهل السنّة، وأنّهم يختلفون عن الشيعة فى شكل الحكومة بعد رسول اللّه، فى أمرين: الأوّل: فيما يتعلّق بجوهرها وصلبها وأساسها، فانّ الخلافة عند الشيعة إمرة إلهية، واستمرار لوظائف النبوّة كلّها، سوى تلقّى الوحى الإلهى، والامام نفس الرسول فى الصلاحيات والوظائف غير أنّه ليس بنبىّ لأنّ النبوّة اُوصدت وختمت بالرسول... فلا نبىّ ولا رسول بعده، ولكن الوظائف كلّها مستمرّة فلأجل ذلك يجب أن يكون الامام قائماً بوظائفه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المعنوية والمادية والعلمية والاجتماعية، ويسد الفراغات الحاصلة بوفاته، وقد عرفت قسماً منها، وكان الامام على وعترته الطاهرة على هذا الوصف فكانوا خلفاءً إلهيين عيّنهم الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لكن لم تسمح الظروف للقيام بجميع وظائفهم إلّا لعلى بعد حرمانه من حقّه سنين متمادية، فلمّا استتبت له الاُمور قام بنفس وظائف النبىّ، من غير فرق بين الاجتماعية منها والعلمية، وسد الفراغات الهائلة.

ولكن الخلافة عند أهل السنّة رئاسة دينية لتنظيم اُمور الاُمّة من تدبير الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وقسمة الفىء بين (١٧٢)

المسلمين، وقيادتهم فى حجّهم وغزوهم(١) . ولأجل اختصاص وظائف الامام بهذه الاُمور السياسية لا تشترط فيه العصمة، ولا الاحاطة بالشرع اُصوله وفروعه، بل يكفى فيه المقدرة لتدبير الاُمور، وقطع كيد الأعداء، وتسهيل الحياة للاُمّة فعلى ذلك، فلا تتجاوز وظائفه عن الوظائف المخوّلة للحكومات الحاضرة، غير أنّه يجب أن يكون مؤمناً باللّه ورسوله وقائماً بالوظائف الفردية، ولا يعزل عن مقامه بالخروج عن الطاعة واقتراف المعصية حسب ما ذكروه فى محلّه(٢) . وهذا الاختلاف بين الفريقين يرجع إلى تفسير جوهر الامامة وحقيقتها ويتفرّع على ذلك خلاف آخر وهذا هو الّذى نذكره فى الأمر التالى . الثانى: انّ الامام عند الشيعة يعيّن من جانب اللّه سبحانه ويبلّغ بواسطة الرسول، وأمّا الامام عند أهل السنّة، فقد فوّض أمر انتخابه إلى الاُمّة على وجه الاجمال ولم تذكر خصوصياته على وجه التفصيل، والّذى يظهر من مجموع كلامهم، انّ الامامة تنعقد عن طريق الشورى، واختيار أهل الحل والعقد أوّلا، وبتعيين الامام السابق ثانياً، وبالغلبة ثالثاً(٣) .

قال الماوردى: الامامة تنعقد بوجهين: أحدهما: باختيار أهل الحل والعقد . والثانى: بعهد الامام من قبل(٤) . ______________

١ . قد لخّص الماوردی مسؤوليات الامام فی عشرة، لاحظ الأحكام السلطانية ١٥ ـ ١۶ .

٢ . التمهيد للباقلانی (ت ۴٠٣ هـ) ١٨١ .

٣ . الماوردی: الأحكام السلطانية ۶ والتفتازانی: شرح مقاصد الطالبين فی علم اُصول عقائد الدين ٢٧٢ طبع مصر .

۴ . الأحكام السلطانية ۴ . (١٧٣)

وقال العضدی: إنّها تثبت بالنص من الرسول، وفی الامام السابق بالاجماع، وتثبت ببيعة أهل العقد والحل(١) . ثمّ إنّهم اختلفوا فی عدد من تنعقد بهم الامامة علی مذاهب شتّی، فقالت طائفة: لا تنعقد الامامة إلاّ بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضا به عامّاً. وقالت طائفة: اقل ما تنعقد به منهم خمسة، بشـهادة أنّ بيعة أبی بكر انعقدت بخمسة وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة الجرّاح، واسـيد بن حضـير، وبشـر بن سـعد، وسـالم مولی أبی حذيفـة . وقـال آخرون: تنعقـد بثلاثـة، يتولاّهـا أحـدهم برضـا الاـثنين، ليكونوا حـاكماً وشاهـدين، كما يصـحّ عقـد النكاح بولی وشاهـدين . وقالت طائفـة اُخری: تنعقـد بواحـد، لأنّ العباس قال لعلی: امدد يدک اُبايعک، فيقول الناس عم رسول اللّه بايع ابن عمّه فلا يختلف عليک اثنان، ولأنّه حكم وحكم الواحـد نافـذ(٢) . إنّ هـذا الاختلاف الهائل فيما تنعقـد به الامامة، ناجم عن القول بأنّ أمر الخلافة مفوّض إلی الاُمّة مع عدم النص علی أصل التفويض ولا علی خصوصـياته. وهذا من عجيب الأمر، حيث إنّ النبیّ يفوّض ذلک الأمر الحيوی إلی الاُمّـة، ولا يتكلّم بأصل التفويض ولا خصوصـياته، فيترک الاُمّة فی حيرة. وقـد وقف علی ذلک، الكاتب المصـری الخضـری، قال: لم يرد فی الكتاب أمر صـريح بشـكل انتخاب خليفة لرسول اللّه، اللّهمّ تلک الأوامر العامة الّتی تتناول ـــــــــــــــــ

١ . شرح المواقف ٣ / ٢۶٥ .

٢ . الأحكام السلطانية ۴ . (١٧۴)

الخلافة وغيرها، مثل وصف المسلمين بقوله تعالی: (وَأمْرُهُمْ شوری بَيْنَهُمْ)(١) . وكذلک لم يرد فی السنّة بيان نظام لانتخاب الخليفة، إلاّـ بعض نصائـح تبعـد عن الاختلاف والتفرّق، كأنَّ الشـريعة أرادت أن تكل هـذا الأمر للمسـلمين حتّی يحلّوه بأنفسـهم، ولو لم يكن الأمر كذلک لمهّدت قواعده واُوضـحت سـبله، كما اُوضحت سبل الصلاة والصيام(٢) . إنّ ما ذكره الخضـری لا يسـمن ولا يغنی من جوع، لأنّ الحكومـة بعـد النبی الأكرم كانت من عظائم الاُمور فلا يخطر ببال أحـد أن يكتفی الرسول بجميع تفاصـيلها وخصوصـياتها الّتی لم تمارسـها الاُمّـة ولا ذاقتها طوال حياته بآية الشوری وهذا أشـبه بالاكتفاء فی اقامة الصـلاة بالمجملات الواردة فی نص الكتاب. «كيف يخطر ببال أحد أن يهمل الرسول ـ صـلی الله عليه وآله وسـلم ـ القيادة السياسـية للدولة الإسـلامية الّتی أسّسها، وثبّت عناصرها، ومرتكزاتهـا، فلم يضع قاعـدة معيّنـة للخلافـة كمـا زعموا، مع العلم بأنّ القيادة بالنسـبة للدولـة كالرأس من الجسـد، وكالقلب من سائر الأعضاء والجوارح. أيهمل القيادة والرئاسة للدولة، ولا يتكلّم عنها بنفی أو اثبات؟ أيهملها ويتركها نهباً لأصـحاب المطامع، والمطامح، والأهواء، ولشـهوات أصـحاب القوّة والفساد فی الأرض؟ فتعود بذلک بعد موته، الجاهلية، وعبادة الطواغيت، بعد أن عان وأصحابه ما عانوا من متاعب، ومشقّات، وما قدّموه من تضحيات غالية وعزيزة للخلاص من أوبائها وتحرير العباد من فحشائها؟ أيتركها لتكون سبباً لإراقة الدماء وازهاق الأرواح؟ وهو المرسل رحمة لا نقمة للعالمين، ونوراً وهدیً للحائرين والضالّين . ـــــــــــــــــ

١ . الشوری / ٣٨ .

٢ . محاضرات فی تاريخ الاُمم الإسلامية ٢ / ١۶١ . (١٧٥)

حاشاه حاشاه لقد وضع لاُمّته وبوحی من ربّه العليم الخبير كل قواعد واُسـس الحياة الإنسانية بمجالاتها الواسعة، ولم يهمل حتّی آداب الأكل والشرب ولبس النعال وحتّی آداب التبوّل والتبرّز، ووضّح لاُمّته معالم الحياة الرفيعة الراقية وفی مقدّمتها الحياة السياسية، ورأسها المفكر وقلبها النابض، هو القيادة المعروفة فی لغة القرآن والسنّة باسم ـ الامامة و الخلافة - والملک والسلطان - وبذلک نزلت البشری من عالم الغيب والشهادة باكمال الدين، واتمام النعمة، والرضی بالاسلام قال تعالی: (اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و أتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِی

وَرَضِيتُ لَكَمُ الإِسْلامَ دِيناً) ـ المائدة / ۳ ـ (۱) . لو كانت صيغة الحكومة قائمة على أساس الشورى، وكانت هى طريقاً لتعيين الحاكم، كان من الضرورى أن يقوم النبى بتوعية الأُمّة، وايقافها بصورة واسعة على حدود الشورى وتفاصيلها وخطوطها العريضة، حتّى لاتتحيّر الأُمّة ولا ـ تختلف فى أمرها، ولكنّا رغم هذه الأهمية القصوى، لا نجد لهذه التوعية الضرورية أى اثر فى الكتاب والسنّة فى مجال انتخاب الحاكم. أجل إنّ مقتضى كون الدين الاسلامى ديناً خاتماً هو التعرّض لصلب الموضوع مُوكِلا شكله إلى نظر الأُمّة، حتّى يتماشى مع جميع العصور. ولا نعنى من هذا أنّه يجب على الشارع اعطاء كل التفاصيل والخصوصيات الراجعة إلى الشورى، غير أنّ هناك اُموراً ترجع إلى جوهر الشورى وصميمها، فلا يصحّ للشارع أن يترك بيانها، إذاً هناك أسئلة تطرح نفسها فى المقام لا يمكن الوقوف على أجوبتها، إلّا عن طريق الشرع، وهى: ۱- من هم المشاركون فى الشورى، فهل العلماء وحدهم أو السياسيون وحدهم أو الضبّاط والعساكر وحدهم، أو المختلط منهم؟ ________

۱ . الزيدية نظرية وتطبيق تأليف على بن عبدالكريم ۱۰۲ ـ ۱۰۳ طبع عمان ۱۴۰۵ .

(۱۷۶)

۲- من هم الذين يختارون أهل الشورى؟ ۳- لو اختلف أهل الشورى فى شخص أو أمر، ما هو الملاك لتقديم رأى على آخر؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المطروحة الّتى ترتبط بنظام الشورى المجمل، ولا يستطيع أحد أن يجيب عنها إلّا رجماً بالغيب . ثم إنّ القوم ربّما يعبّرون عن صيغة الحكومة باتّفاق أهل الحل والعقد، وهذه الكلمة أشد غموضاً من السابقة إذ لا يعرف الإنسان من هم أهل الحل والعقد، وماذا يُحلّون وماذا يعقِدون؟ أهم أصحاب الفقه والرأى الذين يرجع إليهم الناس فيما ينوبهم من حوادث؟ وهل هناك درجة معيّنة من الفقه والعلم إذا بلغها الإنسان صار من أهل الحل والعقد؟ ما هى تلك الدرجة؟ وبأى ميزان توزن؟ ولأجل هذه الابهامات حول نظام الشورى أوّلا، وأهل الحل والعقد ثانياً، تنبّه بعض دكاترة العصر إلى وهن هذه النظرية . قال الدكتور طه حسين: لو كان للمسلمين هذا النظام المكتوب أى نظام الشورى، لعرف المسلمون فى أيام عثمان ما يأتون من ذلك، وما يدعون، دون أن تكون بينهم فرقة أو اختلاف . وقال الخطيب: إنّ كلمة أهل العقد والحل لأغمض غموضاً من كلمة الأفراد المسؤولين(۱) . كل ذلك يعرب عن أنّ مسألة نظام الشورى انّما اخترعها المتقمّصون للخلافة فى أيام الأمويين . ________

۱ . الخلافة والامامة للخطيب عبدالكريم ۲۷۱ .

(۱۷۷) آيتان حول الشورى:

إنّ القائلين بكون صيغة الحكم بعد رحلة الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الشورى، استدلّوا بأمرين: ۱- الآيتان الواردتان حول الشورى . ۲- انّ خلافة الخلفاء تمّت بالشورى . ونحن نبحث عن كلا الموضوعين بوجه موجز، ونحيل التفصيل إلى الموسوعات الكلامية، وإليك الآية الأُولى وتحليلها: ۱- (فَبِما رَحْمَة مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واستَغْفِرْ لَهُمْ وشاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ)(۱) . إنّ الاستدلال بها سببه الغفلة عن موردها ومضمونها فإنّ الخطاب فيها موجّه إلى الحاكم الّذى فرضه سبحانه حاكماً على الأُمة، فيأمره أن يشاور أفراد الأُمّة فلا صلة للآية بالمدعى. فإنّ أقصى ما تفيده الآية هو أن لا يكون الحاكم الاسلامى الّذى تمّت سلطته، مستبدّاً فى أعماله، وأمّا أنّ الامام، يتعيّن عن طريق الشورى فالآية لا ـ تدل عليه، والّذى يؤكّد ما قلناه انّه يأمر النبىّ بعد المشاورة. بالتوكّل عند العزم. وأنّ له الرأى النهائى والأخير . والحاصل: انّ الآية خطاب للحاكم الاسلامى وأنّ عليه المشورة أوّلا وأخذ التصميم النهائى ثانياً، وأمّا أنّ الحاكم الاسلامى يتعيّن من جانب الشورى، فالآية أجنبية عنه فانّ الخطاب فى الآية للحاكم لا لغيره . وأمّا الآية الثانية: أعنى قوله سبحانه فى صفات المؤمنين: (وأمْرُهُمْ ________

۱ . آل عمران / ۱۵۹ .

(۱۷۸) شُورى بَيْنَهُمْ)(۱) فهى تحثّ المؤمنين إلى المشورة فى جميع الأُمور المرتبطة بهم وأمّا أنّ أمر الخلافة والولاية، من الأُمور

المرتبطة بهم فلا تظهر من الآية. والتمسك بها فی مثل هذا المقام المردّد بين كونه من اُمور المؤمنين أو ممّا يرجع إلی اللّه ونبيّه تمسّک بالعام عند الشبهة المصداقية.

وبعبارة اُخری: انّ الامامة لو كانت أمراً إلهيّاً. متوقّفاً علی ولاية مفاضة من اللّه سبحانه إلی الولی يكون من الأمور المربوطة باللّه ورسوله، وأمّا لو كانت امرة عرفية وولاية شعبية تكون من الاُمور المتعلّقة بالمؤمنين وفی مثله حيث الأمر مردّد لا يمكن التمسّک بالعموم واثبات انّ الولاية من شؤون المؤمنين . أضف إلی ذلک أنّه لو كان أساس الحكم فی الإسلام هو الشوری لوجب علی الرسول الأكرم بيان تفاصيلها وخصوصياتها وخطوطها العريضة. علی ما عرفت تفصيلا . ولأجل عدم وجود أیّ ايضاح من قبل النبیّ حول النظام المذكور، التجأ الكاتب المصری إلی رفض أن يكون ذلک أساساً للحكم وانّما كانت تجربة من المسلمين بعد رحلة الرسول ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ . يقول: «ينظر بعضهم إليه علی انّه (أی تعيين الامام بالشوری) نواة صالحة لأوّل تجربة، وانّ الأيام كفيلة بأن تنميها وتستكمل ما يبدو فيها من نقص فلم تكن الأحوال الّتی تمّت فيها هذه التجربة تسمح بأكثر ممّا حدث، إذ لم يكن من المستطاع ـ حينذاک الوقوف علی رأی الاُمّة كلّها، فرداً فرداً ـ فيمن يخلف النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ وينظر بعض آخر إلی هذا الاسلوب بأنّه اُسلوب بدائی عالج أهم مشكلة فی الحياة وقد كان لهذا الاسلوب أثر فی تعطيل القوی المفكرّة

---

۱ . الشوری / ۳۸ .

(۱۷۹)

للبحث عن اسلوب آخر من أساليب الحكم الّتی جربتها الاُمم»(۱) . ومعنی ذلک أنّ الرسالة العالمية الخاتمة لجميع الرسالات قد أهملت هذا الجانب المصيری فی حياة الاُمّة، وانّه اهتمّ بكل صغير وكبير سوی هذا الأمر الخطير الّذی به يناط بقاء الإسلام واستمراره. علماً انّ الظروف كانت مساعدة لوصول ذلک ولا مانع يعترض الطريق . خلافة الخلفاء ومسألة الشوری:

هذا كلّه حول الدليل الأول وأمّا الدليل الثانی. وهو انّ خلافة الخلفاء تمّت عن هذا الطريق فهو أوهن وأضعف من الأوّل فمن قرأ تاريخ السقيفة وانتخاب الخلفاء الثلاثة يقف علی أنّه لم يكن هناک ای مشورة ولا استشارة وانّما تمّت خلافة الأول فی جوّ إرهابی وفی محفل ساد فيه، السب والشتم والضرب. إلی غير ذلک من الأفعال الشنيعة الّتی لا تليق بمجلس كهذا . كما أنّ خلافة الثانی تمّت بتنصيص من الخليفة الأول وانّه استبدّ بالأمر ولم يدع مجالا للاُمّة . وأمّا خلافة الثالث فهی وإن كانت مصبوغة بصبغة الشوری ولكن الخليفة هو الّذی عيّن اعضاء الشوری واستبدّ بالأمر وعيّن المرشحين للخلافة بل كان ما قام به يؤدی إلی تعيّن الخليفة. ومثل ذلک لا ينطبق عليه شروط الشوری وانّما كان استبداداً فی لباس الحرية . وإن كنت فی شک ممّا تلوناه عليک فلندرس تاريخ انتخاب الخلفاء عن كثب.

---

۱ . الخلافة والامامة: عبدالكريم الخطيب ۲۷۲ . (۱۸۰) ۱- السقيفة وخلافة أبی بكر:

توفّی رسول اللّه وكان أبوبكر خارج المدينة فقام عمر بن الخطاب فقال: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه قد توفّی، وانّ رسول الله ما مات، ولكن ذهب إلی ربّه كما ذهب موسی بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل أنّه قد مات فواللّه ليرجعنّ رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ عمّا رجع موسی وليقطعنّ أيدی رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ مات فما زال عمر يتكلّم حتّی أزبد شدقاه. فقال العباس: إنّ رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ يأسن كما يأسن البشر. وانّ رسول اللّه قد مات فادفنوا صاحبكم أيميت أحدكم إماتة ويُميته إماتتين؟ هو أكرم علی اللّه من ذلک فان كان كما تقولون فليس علی اللّه بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء اللّه . وما زال الجدال مستمرّاً بين عمر والعباس وشاركهم سائر المسلمين إلی أن نزل أبوبكر من السُنح فسمع مقالة عمر فدخل البيت فكشف عن وجه النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ فقبّله وقال: بأبی أنت واُمّی طبت حيّاً وميّتاً والّذی نفسی بيده لا يذيقک اللّه الموتتين أبداً(۱). ثم خرج فقال: علی رِسْلِک يا عمر. فجلس عمر.

فحمـدالله أبوبكر وأثنى عليه ثم قال: ألا من كان يعبـد محمّـداً فإنّ محمّـداً قـد مات، ومن كان يعبـد الله فانّ الله حيّ لا يَمُوت وقال: (إنّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ)وقال: (وما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ أفَإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً و سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرينَ) فتشنّج الناس. فقال عمر: والله ما هو إلاّ أن ________

١ . أين الوهابيون من موقف الخليفة هذا، حيث أخذ يخاطب النبى وهو ميّت، ويقبّله ويتبرّك به، ويقول بأبيه واُمّه له .

(١٨١)

سمعت أبـابكر تلاهـا فـدهشت حتّى وقعت إلى الأـرض، وعرفت أنّ رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ قـد مات(١) . نقـاش مع الخليفة:

هناك تساؤلات تطرح نفسـها ولعلّه كان عنـد الخليفـة أجوبـة لها أو أنّ القارئ، يتفطّن للاجابة عنها وهى: ١- انّ موت النبى الأـكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن فُجائياً بل كان بعد مرض ألمّ به عدّة أيام فكانت القرائن والشواهد تدل على أنّه قد دنى فراقه للاُمّة وقـد صـرّح بـذلك فى غير واحد من أصـحابه، آخرها طلبه للقلم والدواة وكتابة الصـحيفة والوصـية للاُمّة حتّى لا تضلّ الاُمّة من بعده وقـد حال الخليفـة الثانى بين النبى واُمنيته وقال ما قال(٢) . وعندئـذ فكيف أذعن بأنّ النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ما مات وإنّما غاب كغيبـة موسـى وقـد أصـرّ على ذلك حتّى ازبد شدقاه ولم يكن بين الصـحابة من يدافع عن تلك العقيدة. سوى نفسه . فهل كان الخليفـة موقناً بـذلك جـدّاً أو أنّه كان له فى تبنّى هذه الفكرة (لساناً لا قلباً) هدفاً سياسـيّاً يختبىء فيه مصالحه أو مصالح الاُمّة؟ ٢- هل كـانت الغيبـة سـنّة رائجـة بين جميع الأنبياء أو كانت من مختصّات بعض الأنبياء كالكليم ونحوه. ولو صـحّ الثانى كما هو الحق فما هو الوجه فى الحاقه بالنادر؟ ________

١ . السيرة النبوية: ابن هشام ۶۵۵، الطبقات الكبرى ٢ / ٢۶٨ ـ ٢۶٩ .

٢ . البخارى: الصحيح، كتاب العلم ١ / ٢٢ و ح ٢ / ١۴ . (١٨٢)

٣- نرى أنّ عم النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ العباس، واجهه بما واجه به أبوبكر وهو أنّ النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ أكرم من أن يُميته سبحانه موتتين. مع أنّه لم يقتنع بكلامه بل اقتنع بما ذكره أبوبكر . ۴- انّه مصرّاً على الغيبة مادام ابو بكر غائباً عن المدينة، فلمّا نزل من السُّـنح وأدلى بمقاله سـرعان ما تراجع عن موقفه، وأىّ سـرّ كان فى هذا الرجوع السريع عن فكرة كان يستميت فى الدفاع عنها؟ ۵- كيف يقتنع القارئ بأنّ الخليفة لم يكن ذاكراً قوله سبحانه (إنَّك ميّت وإنّهم ميّتون) وقوله سبحانه: (وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل)وغيرهما؟ هـذه الأسـئلة لم نجد لها أجوبة شافية ومن المحتمل جداً أن يكون وراء الكواليس شـيئاً ما. وأن تكون اطروحة الغيبة مناورة سياسـية، الغاية منها منع المسـلمين من اتّخاذ أىّ موقف فى المسائل المصيرية للاُمّة حتّى يجىء أبوبكر من السُنح ويجتمعـا على رأى واحـد. ولأجـل ذلـك تنـازل عن موقفه بعـد مـا جـاء أبوبكر من خارج البلـد. فاتّخـذا موقفاً واحـداً، تجاه المسائل المصيرية . مأساة السقيفة:

كـان على بن أبى طـالب وجمهور المهـاجرين منهمكين فى تجهيز النبى فوقف الخليفتـان على اجتماع الأنصار فى سـقيفة بنى ساعـدة للتـداول فى مسألـة الخلافـة. فقـال عمر لأـبى بكر: انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء من الأنصار ما هم عليه فـدخلا ومعهما بعض المهاجرين كأبى عبيـدة بن الجراح وكان خطيب الأنصار ونقيبهم سـعد بن عبادة يخطب ويحث الأنصار على الأخـذ بمقاليـد الخلافـة بحجّة أنّهم آووا النبى الأكرم عندما أخرجه قومه. وضحّوا فى سبيل دعوته بكل غال ورخيص . (١٨٣)

فلمّـا أتمّ كلامه ابتـدأ أبوبكر بـالبحث والكلاـم فاستند إلى أنّ اللائق بالخلافـة هو قوم النبى وقـبيلته بحجّـة أنّهم أوسـط العرب داراً وأحسنهم احساباً ولـم يكتف بذلك حتّى أخذ بيد عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح ورشحهما للبيعة . ترى أنّ الطائفتين اتّخذوا فى حل مشـكلة الخلافة قواعداً كانت سائدة فى عصر الجاهلية فالأنصارترى نفسها أحق بالخلافة لحمايتها النبى الأكرم وتقديم المأوى له، وأمّـا هؤلاـء الحاضـرون من المهـاجرين فـاحتجّوا بمثـل مـا احتجّت به الأنصـار وهو أنّ قريش أوسط داراً وأحسن نسـباً . ولم يكن

هناك من يـذكّر ويوقفهم على أنّ الإسـلام عصف بهذه الأساليب من الاحتجاجات وحطّم أحكام الجاهلية(۱) فلو كان هناك مشورة اسلامية كان عليهم أن يتفحّصوا عن أعلم القوم بالكتاب والسنّة وأكثرهم دراية بهما. وأسوسـهم وأخشنهم فى ذات الله وأسبقهم إلى الايمـان والإسـلام. كمـا هو الوارد عن الكتـاب والسنّة قـال سـبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الاٰرضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْاْ عَنِ المُنكَرِ ولِلهِ عَاقِبةُ الأُمُورِ)(۲). وقال النبى الأكرم لا تصـلح الإمامة إلاّ لرجل فيه خصال ثلاث: ۱- ورع يحجزه عن معاصى اللّه . ۲- وحلم يملكه به غضبه . ۳- وحسن الولاية على من يلى حتّى يكون كالأب الرحيم(۳) . ــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ: في الوقوف على احتجاج الطائفتين، السيرة النبوية لابن هشام ۲ / ۶۵۹، والطبقات الكبرى لابن سعد ۲ / ۲۶۹ وتاريخ الطبرى ۲ / ۴۴۲ ـ ۴۴۶ .

۲ . الحج / ۴۱ .

۳ . الكافى للكلينى ۱ / ۴۰۷ . (۱۸۴)

وقال الامام على: «أيّها الناس إنّ أحق الناس بهـذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر اللّه فإن شـغب شاغب اسـتعتب فإن أبى قوتل»(۱) . وقـال ـ صـلوات اللّه عليه ـ أيضـاً عنـدما قـال قائـل كلاـم «إنّك على هـذا الأمر يابن أبى طالب لحريص، فقلت: بل أنتم واللّه لأحرص وأبعـد، وأنا أخصّ وأقرب، وانّما طلبت حقاً لى وأنتم تحولون بينى وبينه وتضـربون وجهى(۲) . وقال الامام السـبط الطاهر الحسين بن على ـ عليهما السـلام ـ فما الامام إلاّ الحاكم بالكتاب، الـدائن بـدين الحق، القائم بالقسط، الحابس نفسه على ذات اللّه(۳) . وأين هذه الملاكـات والضوابـط ممّـا جـاء فى احتجاجـات المهـاجرين والأنصـار وكـأنّهم لم يسـمعوا قول اللّه سـبحانه: (أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون)(۴) . ما سـمعت من الكلمات، كانت احتجاجاتهم وشـعاراتهم فى نادى السـقيفة وأمّا ما قاموا به من الأعمال المخزيـة أو ما صـدر منهم من الضـرب والسباب، فحدّث عنه ولا حرج. وبـذلك تقف على أنّه لم تكن هنا أى مشورة، ولا تلاقح فكرى وانّما كان أشـبه بملعب يتسـابق فيه الجميع لأخـذ كرة الخلافـة بـأىّ طريق حص وإن كنت فى شـك منهـا فاسـتمع لمـا نتلوه عليك من المصادر الموثقة . هذا الحباب بن المنذر الصحابى البدرى الأنصارى قد انتضى سيفه على أبى بكر وكان داعياً إلى قيادة الأنصار وقال: «واللّه لا يرد علىَّ أحد ما أقول إلاّ ــــــــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة، قسم الخطب برقم ۱۷۳ .

۲ . نهج البلاغة، قسم الخطب برقم ۱۷۲ .

۳ . روضة الواعظين ۲۰۶ .

۴ . الأنبياء / ۱۰۵ . (۱۸۵)

حطّمت أنفه بالسف، أنا جُـذيلها المحكّك (أصل الشـجرة) وعُـذيقها المرجَّب (النخلة المشـتملة بالتمر) أنا أبو شـبل فى عرينة الأسد، يعزى إلىّ الأسد»(۱) . وهو بكلامه هـذا يتهدّد كل من يحاول اخراج القيادة من الأنصار واقرارها لغيرهم . وها هو آخر (وهو سـعد بن عبادة) يخالف مبايعة أبى بكر وينادى: «أنا أرميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل، وأخضب منكم سنانى ورمحى، وأضربكم بسيفى ما ملكته يـدى وأُقاتلكم مع من معى من أهلى وعشيرتى»(۲) . وهـا هو ثالث يتـذمّر من تلك البيعـة ويشب نار الحرب بقوله: «إنّى لأرى عجاجة لا يطفئها إلاّ الدم»(۳) . وهـذا هو سـعد بن عبادة أمير الخزرج الّذى طلب أن تكون الخلافة فى الأنصار يداس بالأقدام، وينزى عليه وينادى عليه بغضب: «اقتلوا سـعداً قتله اللّه إنّه منافق أو صاحب فتنـة» وقد قام عمر على رأسه ويقول: «لقد هممت أن أطأك حتّى تنـدر عضوك أو تندر عيونك»(۴) . فإذا بقيس بن سـعد يأخـذ بلحية عمر ويقول: «واللّه لو حصـصت منه شـعرة ما رجعت وفى فيك واضـحة! أو لخفضت منه شـعرة ما رجعت وفى فيك جارحـة»(۵) . وهـذا نفس عمر بن الخطـاب يصف تلـك المشـاجرة بقوله: «كثر اللغط ــــــــــــــــــــــ

۱ . شرح ابن أبى الحديد ۲ / ۱۶ .

۲ . الغدير ۷ / ۷۶ .

۳ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۱، تاريخ الطبرى ۳ / ۲۱۰ .

۴ . مسند أحمد ۱ / ۵۶، تاريخ الطبرى ۳ / ۲۱۰، وغيرهما .

۵ . تاريخ الطبرى ۳ / ۲۱۰، السيرة الحلبية ۳ / ۳۸۷ . (۱۸۶)

وارتفعت الأصوات حتّى تخوّفت الاختلاف، فقلت: ابسط يـديك يا أبابكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل اللّه سعد بن عبادة»(۱) . إنّ الشورى الإسلامية حسب ما توحى كلمتها السامية، لا تنعقد إلّا بدارسة الموضوع دراسة موضوعية واقعية، وأن تكون هناك حرّية فى الرأى والنظر، ونزاهة فى الكلام، ويقوم مندوب كل جماعة بإدلاء رأيه بدليل وبرهان، وربّما تتطلّب دراسة مثل ذلك الموضوع الحيوى عقد مجالس متعدّدة حتّى يصل من خلالها المسلمون إلى الأمثل فالأمثل فى موضوع القيادة، وأمّا المجلس الّذى تسل فيه السيوف على المخالف، ويداس المقابل بالأقدام، فهذا أشبه بميدان الحرب والقتال لا المفاهمة والمشاورة، بل أشبه... هذا حال السقيفة وأمّا ما جرى بعد السقيفة فحدّث عنه ولا حرج، فقد خرج الخليفة من السقيفة مع من بايعوه فلم يلاقوا أحداً فى الطريق إلّا وضعوا يده على يد الخليفة بيعة له . ثمّ إنّ علياً وجماعة معه كانوا متخلّفين عن البيعة، ولمّا كان تخلّفه ومن معه من أصحابه اخلالا بالبيعة، بعث أبوبكر عمر بن الخطاب إلى بيت على وفاطمة، ليتهدّدوا اللائذين به، الممتنعين عن مبايعته، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، وأتى عمر إلى بيت فاطمة وهو يقول: واللّه لنحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فقالت فاطمة لمّا سمعت ذلك صائحة منادية: «يا أبت يا رسول اللّه ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبى قحافة»(۲) . ________________

۱ . السيرة النبوية لابن هشام ۲ / ۶۶۰ .

۲ . تاريخ الطبرى ۳ / ۲۱۰، الامامة و السياسة لابن قتيبة ۱ / ۱۳ . (۱۸۷)

ثمّ بعد هنّ وهنات اُخرج الامام من بيته، وقادوه إلى البيعة كما يقاد البعير المخشوش، وسيق سوقاً عنيفاً، وقالوا له: بايع، فيقول: «إن أنا لم أفعل فمه؟» فيقال: واللّه الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك، فقال على: «إذن تقتلون عبداللّه وأخا رسول اللّه»(۱). ولم يكن الضغط منحصراً فى على، بل لمّا سمع الزبير ما جرى فى السقيفة سلّ سيفه وقال: لا أغمده حتّى يبايع على، فيقول عمر: عليكم الكلب، فيؤخذ سيفه من يده، ويضرب به الحجر فيكسر(۲) . هذه صورة اجمالية وضعناها أمام القارئ ليقف على مدى صحّة الشورى الّتى بنيت عليها خلافة الخليفة الأوّل، ثمّ هو عقد الخلافة بنفسه لعمر من دون أى مشاورة للمسلمين(۳) كما فوّض الثانى أمر الخلافة إلى ستّة وقد استبدّ فى تعيينهم من دون مشورة، وليس هذا شيئاً ينكر أو يشك فيه(۴) . وقد بلغت فضاحة الأمر فى السقيفة إلى حدّ يصفه عمر بقوله: كانت بيعة أبى بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى اللّه المسلمين شرّها. أو قال: كانت بيعة أبى بكر فلتة فتمّت، وأنّها قد كانت كذلك إلّا أنّ اللّه قد وقى شرّها، فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فانّه لا بيعة له(۵) . ________________

۱ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۳ .

۲ . تاريخ الطبرى ۳ / ۱۹۹، الامامة والسياسة ۱ / ۱۱ .

۳ . سيأتى مصدره .

۴ . سيأتى مصدره .

۵ . السيرة النبوية ۲ / ۶۵۸، تاريخ الطبرى ۲ / ۴۴۶ . (۱۸۸) الخلفاء وتناسى الشورى:

قد درسنا كيفية انعقاد الامامة لأوّل الخلفاء هلمّ معى ندرس خلافة غيره، فسوف ترى أنّه لم يكن هناك أىّ مشورة ولا أىّ استفتاء شعبى، ولا ـ أىّ ديمقراطية كما يدّعيها بعض الكتّاب المعاصرين . روى المؤرّخون: انّه دعا أبوبكر عثمان بن عفان، فقال: اكتب عهدى، فكتب عثمان وأملى عليه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبوبكر بن أبى قحافة آخر عهده بالدنيا، نازحاً عنها، وأوّل

عهده بالآخرة داخلا فيها، إنّى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب...(۱) . والإنسان عندما يقرأ هذه الصفحة من التاريخ، يقف على قيمة ما ذكره الامام، عندما رفعوا السيف على رأسه ليبايع أبابكر، فقال: «احلب يا عمر حلباً لك شطره، اُشدد له اليوم أمره، ليردّه عليك غداً، ألا ـ واللّه لا ـ أقبل قولك ولا اُبايع»(۲) فواللّه، لقد تحقّق قول الامام حيث ردّ عليه الأمر من بعد، كما عرفت . وهذا عمر بن الخطّاب، فبعدما جرح ودنا أجله قال: سأستخلف النفر الذين توفّى رسول اللّه وهو عنهم راض، فأرسل إليهم فجمعهم وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفّان، وطلحة، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبى وقّاص، وعبدالرحمان ابن عوف، وكان طلحة غائباً . فقال: يا معشر المهاجرين الأوّلين، إنّى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم فتشاوروا ثلاثة أيّام، فإن جاءكم طلحة إلى ذلك وإلاّ فأعزم عليكم أن لا تتفرّقوا من اليوم الثالث حتى ـــــــــــــــــــ

۱ . الامامة والسياسية لابن قتيبة ۱۸، الكامل فى التاريخ ۲ / ۴۲۵ .

۲ . الامامة والسياسة ۲۳، الكامل ۳ / ۳۵ . (۱۸۹)

تستخلفوا أحدكم. ثم قال لصهيب: «صلّ بالناس ثلاثة أيّام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسف...وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما... فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا، فحكّموا عبداللّه بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبداللّه بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس»(۱) . «فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت بالسيف فى خمسين من الأنصار، حاملى سيوفهم ثم تكلّم القوم وتنازعوا فأوّل ما عمل طلحة أنّه أشهدهم على نفسه أنّه قد وهب حقّه من الشورى لعثمان، وذلك لعلمه أنّ الناس لا يعدلون به عليّاً وعثماناً، وانّ الخلافة لا تخلص له وهما موجودان فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب على ـ عليه السلام ـ بهبة أمر لا انتفاع له به ولا تمكّن له منه. ولمّا رأى الزبير أنّ علياً قد ضعف، وانخذل بهبة طلحة حقه لعثمان دخلته حميّة النسب فوهب حقه من الشورى لعلى. لأنّه ابن عمّته، وهى صفية بنت عبدالمطلب وأبو طالب خاله . وقال سعد بن أبى وقاص: أنا قد وهبت حقى من الشورى لابن عمى عبدالرحمان وذلك لأنّهما من بنى زهرة ولعلمه أنّ الأمر لا يتم له . فلما لم يبق إلاّ الثلاثة: على وعثمان وعبدالرحمان ولكل واحد صوتان وبما أنّ عمر بن الخطاب قال فى وصيته لأبى طلحة الأنصارى: بأنّه إذا تساوت الآراء فرجّح الفئة الّتى فيها عبدالرحمان بن عوف. ومن المعلوم أنّ عبدالرحمان ما كان يميل إلى على ويترك نفسه أو صهره عثمان، ولأجل ذلك قام بلعبة اُخرى يريد بها ـــــــــــــــــــ

۱ . تاريخ الطبرى ۳ / ۲۹۴ .

(۱۹۰)

حرمان على. فقال عبدالرحمان لعلى وعثمان: أيّكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار فى الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلّم منهما أحد، فقال عبدالرحمان: اشهدكم انّنى قد أخرجت نفسى من الخلافة على أن أختار أحدكما، فامسكا فبدأ بعلى ـ عليه السلام ـ وقال له: اُبايُعك على كتاب اللّه وسنّة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرة الشيخين: أبى بكر وعمر، فقال: بل على كتاب اللّه وسنّة الرسول واجتهاد رأيى، فعدل عنه إلى عثمان فعرض عليه ذلك، فقال: نعم فعاد إلى على ـ عليه السلام ـ فأعاد قوله، وفعل ذلك عبدالرحمان ثلاثاً، فلمّا راى أنّ علياً غير راجع عمّا قاله وأنّ عثمان يَنْعم له بالاجابة صفّق على يد عثمان، وقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين، فيقال: إنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ قال له: واللّه ما فعلتها إلاّ لأنّك رجوت منه ما رجاه صاحبكما من صاحبه دقَّ اللّه بينكما عطر «منشم» . قيل: ففسد ذلك بين عثمان وعبدالرحمان فلم يكلّم أحدهما صاحبه حتّى مات عبدالرحمان(۱) . شورى سداسية أو لعبة سياسية؟:

إذا ألقيت نظرة على كيفية تشكيل الشورى وأعضائها أدركت أنّها كانت لعبة سياسية وكان الهدف منها تسليم الخلافة إلى عثمان ولكن بصبغة شرعية وقانونية. إذ لم تكن الظروف تسمح بتنصيبه أو الايصاء به صريحاً. فدقَّ الخليفة باب الشورى ـــــــــــــــــــ

۱ . الطبرى: التاريخ ۳، الجزرى: الكامل ۳ وشرح ابن أبى الحديد ۱ / ۱۸۸، و«منشم» اسم امرأة عطّارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا

أرادا القتال تطيّبوا بطيبها وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فكان يقال أشأم من عطر منشم، لاحظ الصحاح للجوهرى .
(۱۹۱)

حتّى يسّد به أفواه المعترضين بالقدر الميسور. وكانت الغاية واضحة لدى المطّلعين على خبايا الاُمور. منهم أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ حيث قال لعمّه العباس: عُدِل بالأمر عنّى يا عم قال: وما عيبك، قال: قرن بى عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر فان رضى رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع عبدالرحمان بن عوف، فسعد لا ـ يخالف ابن عمه (عبدالرحمان بن عوف) وعبدالرحمان صهر عثمان لا يختلفان (۱) . وقال ابن عباس: الرجل يريد أن يكون الأمر فى عثمان(۲) . وقد نال الخليفة بغيته من خلال الاُمور التالية: ۱- إنّ الشخصيات المشاركة فى الشورى فرضت من جانب الخليفة وقد احتكر ذلك الحق لنفسه وسلبه عن الاُمة، ولو كان الانتخاب بيد الاُمة ربّما كان المصير على خلاف ما أراده .فأدخل فى الشورى رجالا يسيرون على الخط الّذى رسمه الخليفة فى نفسه . وبرّر الخليفة حصر أعضاء الشورى فيهم بأنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مات وهو راض عنهم وهو تبرير تافه، فانّ النبى مات وهو راض عن غير هؤلاء أيضاً ولقد أثنى على عدّة من أصحابه كأبى ذر الغفارى وعمّار بن ياسر وجابر بن عبداللّه الأنصارى، وأبى أيوب مضيّفه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغيرهم بيد أنّ هؤلاء لمّا كانوا لا يحققون مطامع الخليفة أعرض عنهم وأدلى بأسماء هؤلاء الذين يتجاوبون مع ما يريد . ۲- انتخب رجالا لعضوية الشورى كانوا مختلفى النزعة والهوى ولكن ـــــــــــــــــــ

۱ . شرح النهج ۱ / ۱۹۱ .

۲ . شرح النهج ۱ / ۱۸۹ . (۱۹۲)

الجامع بين أغلبهم هو الانحراف عن على ـ عليه السلام ـ واضمار العداء له. فعند ذلك أصبح اقصاء علىّ أمراً محتوماً إن لم نقل انّ تعيين عثمان أضحى أمراً مفروضاً وذلك لأنّ طلحة بن عبيداللّه كان معروفاً بعدائه لعلى وانحرافه عنه. فلأجل ذلك وهب حقّه لعثمان تضعيفاً لجانب على . إنّ سعد بن أبى وقاص كان ابن عم عبدالرحمان بن عوف وكلاهما من بنى زهرة فلا ـ يميل إلى على وفى الشورى واحد من عشيرته . وعبدالرحمان بن عوف كان صهر عثمان. لأنّ اُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط كانت زوجته وهى اُخت عثمان من اُمّه . على هذا كانت تشهد القرائن على أنّ الخليفة كان يضمر حرمان على من الخلافة. ولم يكن فى الشورى منافس لعلى سوى عثمان، فطبع الحال كان يوحى بأنّ عثمان هو الّذى سيأخذ بمقاليد الحكم. إذ لم يكن لسائر الأعضاء الأربعة مكانة اجتماعية مثل على وعثمان بل لم يكن لهم إربة فى الخلافة وإنّما أطمعهم فيها الخليفة للتوصّل إلى مأربه . ۳- انّه لما كان من المحتمل أن تتساوى الأـصوات بين على وعثمان جعل الرجحان والتقديم للفئة الّتى فيها عبدالرحمان بن عوف فكأنّه جعل صوته صوتين. وأمّا عبدالرحمان بن عوف (وهو ذلك الرجل الثرى الذى ترك كمية هائلة من الذهب والفضة وقد كُسرت بالفؤوس عند تقسيمها) فهل يترك عثمان ويميل إلى على وانّ الطيور على أشكالها تقع . وبالتالى لم يفسد الخليفة على على فى هذه الواقعة فحسب بل أفسده على على بعد رحيل عثمان حيث إنّ ادخال هؤلاء فى الشورى أطمعهم فى الخلافة وجعلهم يعتقدون فى أنفسهم بانّهم مؤهلّين لها وأنّهم أعدال على وأقرانه. ولأجل ذلك قاموا فى وجه الامام على يدّعون الخلافة لأنفسهم تحت غطاء أخذ الثأر لعثمان . (۱۹۳)

إنّ الامام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ قد أفصح بما يكنّه ضميره حول وصية الشورى، فقال فى بعض خطبه: «فياللّه والشورى، متى اعتراض الريب فىّ مع الأوّل حتّى صرت اُقرن إلى هذه النظائر، لكنّى أسففت إذ أسفّوا. وطرت إذ طاروا. فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن»(۱) . هذا كلام على فى أواخر أيامه .فقد اعترض هو ايضاً فى أيام الشورى وكذلك فعل أصحابه فروى الطبرى أنّ عبدالرحمان قال: أيّها الناس أشيروا علىّ فى هذين الرجلين؟ فقال عمّار بن ياسر: إنّ أردت أن لا يختلف الناس فبايع علياً. فقال المقداد: صدق عمّار، وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا، فقال عبداللّه بن أبى سرح: إن اردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، وقال عبداللّه بن أبى ربيعة المخزومى: صدق، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا، فشتم عمّار بن أبى سرح وقال له: متى كنت تنصح الإسلام؟! فتكلّم بنو هاشم وبنو اُميّة وقام عمّار وقال: أيّها الناس إنّ اللّه أكرمكم بنبيّه وأعزّكم بدينه فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن

أهل بيت نبيّكم. فقال رجل من بنى مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد: يا عبدالرحمان أفرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس فحينئذ عرض عبدالرحمان على على ـ عليه السلام ـ العمل بسيرة الشيخين . فقال: بل أجتهد برأيى فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال: نعم، فقال على ـ عليه السلام ـ ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل واللّه المستعان على ما ________________

۱ . نهج البلاغة، قسم الخطب / الخطبة ۳ .

(۱۹۴)

تصفون واللّه ما ولّيته الأمر إلّا ليردّه إليك واللّه كل يوم فى شأن(۱) . وبهذا تبين أنّ الشورى كانت نظرية بدون تطبيق وكانت اسماً بلا مسمى. إجابة عن سؤال:

إذا لم تكن الشورى مبدأ للحكم فى الإسلام فماذا يعنى الامام على من قوله فى رسالته إلى معاوية حيث يقول: إنّه بايعنى القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، إنّما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك للّه رضاً(۲) . نقول: إنّ ابن أبى الحديد أوّل من احتجّ بهذه الخطبة، على أنّ نظام الحكومة بعد وفاة النبىّ هو نظام الشورى، وتبعه البعض غفلة عن حقيقة المراد، وذلك لأنّ ملاحظة اسلوب الكلام، وما صدَّر به الامام رسالته، أعنى قوله: «انّه بايعنى الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان» تدل بوضوح على أنّ الامام كان فى مقام الاحتجاج بمسلَّم الخصم ـ أعنى معاوية ـ على قاعدة «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، فإنّه خرج عن طاعة الامام مع اعتناقه إمامة من تقدّم، فالامام يحتجّ عليه بأنّه بايعنى الذين بايعوا الثلاثة فما وجه البغى علىّ والطاعة لهم، ولو لم يكن فى مقام الجدل وافحام الخصم، لما كان لذكر خلافة الخلفاء فى صدر الرسالة وجه، مع أنّ للامام كلمات فى تخطئة الشورى الّتى تمّت بها، أو بادّعائها خلافة الخلفاء، ومن تصفّح نهج البلاغة يقف عليها . ________________

۱ . شرح النهج: لابن أبى الحديد ۱ / ۱۹۳ ـ ۱۹۴ .

۲ . الامامة والسياسة ۲۳، ونهج البلاغة قسم الرسائل، برقم ۴۵ . (۱۹۵)

والعجب أنّ أحداً من المهاجرين والأنصار لم يستند فى مأساة السقيفة، إلى نظام الشورى بل استند كل من اللفيفين بأُمور لا تمت إلى هذا الأصل، فادّعى أبوبكر أنّ المهاجرين من أقوام النبىّ وعشيرته، واحتجّ الأنصار بأنّهم هم الذين آووا الرسول، وضحّوا بأنفسهم ونفايسهم لحراسته وحفظه، فانظر ماذاترى قاتل اللّه الأنانية، وحيّا اللّه الحقيقة وحماتها. (۱۹۶) (۱۹۷)

الفصل الثامن نصوص الخلافة والركون إلى الأمر

الفصل الثامن نصوص الخلافة والركون إلى الأمر الواقع (۱۹۸) (۱۹۹)

دلّت نصوص الخلافة الماضية، بوضوح على أنّ الامام علياً كان هو الخليفة الشرعى والقائم بالأمر بعد الرسول وانّه كان من واجب للمسلمين الرجوع إليه فيما يمت إلى حياتهم السياسية والاجتماعية والدينية، غير أنّ رجالا بعد النبىّ تناسوا النصّ بعد تلبية النبىّ نداء ربّه، وانثالوا على أبى بكر، وبعده على عمر وعثمان، إلى أن عاد الحق إلى نصابه، ودار الأمر على مداره. وهناك سؤال يطرحه كل من يؤمن بتواتر النصوص ووضوح دلالتها، لما يشاهد المعارضة بينها وبين الأمر الواقع فى السقيفة وما بعدها، وانثيال كثير من المهاجرين والأنصار إلى غير على، فيقع فى الحيرة والتعجّب، فيقول: لو كانت النصوص النبويّة على هذا المستوى، فلماذا أعرض عنها المسلمون؟ ولماذا لم يطلب الامام حقّه الشرعى؟ ولماذا رضى بالأمر الواقع، ولم ينبس فيه ببنت شفة؟ وهذا هو الّذى نجيب عنه فى المقام، فنقول: إنّ المهم هو بيان السرّ الّذى دفع الامام إلى ترك المطالبة بحقّه بالقدرة والعنف، وأمّا إعراض المهاجرين والأنصار، أو فى الحقيقة ـ إعراض الرؤوس منهم عن النص، وانثيال غيرهم إليهم، فليس هذا أمراً عجبا، فقد أعرضوا عن كثير من النصوص، واجتهدوا تجهاها

كما تقدّم البحث عن موارده ـ. وإليك تشريح ما هو المهم: (۲۰۰)

إنّ الامام لم يسكت طول حياته عن بيان حقّه وارشاد الناس إليه، بل أظهر عدم رضاه بالأمر الواقع وأنّه تعبير آخر عن غصب حقّه، يقف عليه كل من قرأ مأساة السقيفة فى كتب التاريخ، فلا يفوتنّك قراءة طبقات ابن سعد، وتاريخ الطبرى، والسيرة النبوّية لابن هشام، ولا العقد الفريد، ولا الامامة والسياسة لابن قتيبة، فكلّها مفعمة بشكوى الامام وعدم قبوله بالأمر الواقع، غير انّ التكليف حسب القدرة، ـ وبعدها ـ فى ظلّ المصالح العامّة، فلم يكن للامام قدرة على المطالبة بحقّه، وعلى فرض وجودها كانت المصلحة تكمن يومذاك فى ادلاء الأمر إلى متقمّصيها وعدم المطالبة بها بالقهر والقوّة، وإليك ما يدل على ذينك الأمرين من خلال دراسة التاريخ . ۱- هذا ابن قتيبة يسرد تاريخ السقيفة، وما فيه من مآسى، يقول: إنّ علياً كرّم اللّه وجهه أُتى به إلى أبى بكر وهو يقول: «أنا عبداللّه وأخو رسول اللّه» فقيل له: بايع، فقال: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، وأنتم أولى بالبيعة لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبىّ، وتأخذوه من أهل البيت غصبا! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمد فيكم فسلّموا إليكم الإمارة، فإذن أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار. نحن أولى برسول اللّه حيّاً وميتاً، فأنصفوا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع، فقال له على: «احلب حلباً لك شطره، وشُدَّ له اليوم، يردده عليك غداً ـ ثمّ قال: ـ واللّه يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه» فقال أبوبكر: فإن لم تبايع فلا أُكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجرّاح لعلى كرم اللّه وجهه: ياابن عم إنّك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور ولا أرى أبابكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واستطلاعا، فسلِّم لأبى بكر فإنّك إن تعش ويطل لك بقاء، (۲۰۱)

فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال على كرم اللّه وجهه: «اللّه اللّه يا معشر المهاجرين لا تُخرجوا سلطان محمّد فى العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعون أهله عن مقامه فى الناس، وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارىء لكتاب اللّه، الفقيه فى دين اللّه، العالم بسنن رسول اللّه، المتطّلع لأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأُمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، واللّه إنّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحقّ بعدا»(۱) . فأىّ بيان أروع من هذا البيان، وأىّ بلاغ أصرح منه، فقد فنَّد خلافة المتقمّص ببيان فقده مؤهّلاتها وهى الأُمور التالية: «۱- ما كان فينا القارىء لكتاب اللّه، ۲- الفقيه فى دين اللّه، ۳- العالم بسنن رسول اللّه، ۴- المتطلّع لأمر الرعيّة، ۵- الدافع عنهم الأُمور السيّئة، ۶- القاسم بينهم بالسويّة» ومعنى ذلك انّ المتقمّص ومؤيديه فاقدون لهذه الصلاحيات . ۲- لمّا انتهت إلى أميرالمؤمنين انباء السقيفة قال ـ عليه السلام ـ : «ما قالت الأنصار؟» قالوا: قالت منّا أمير ومنكم أمير، فقال: «فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول اللّه وصّى بأن يُحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟» قالوا: وما فى هذا من الحجّة عليهم؟! فقال ـ عليه السلام ـ : «لو كانت الامامة فيهم، لم تكن الوصيّة بهم ـ ثم قال: ـ فماذا قالت قريش؟» قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فقال ـ عليه السلام ـ : «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»(۲). ــــــــــــــ

۱ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۱ ـ ۱۲ .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة ۶۷ . (۲۰۲)

وروى الرضى فى المقام شعراً للإمام: فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غيّب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم * فغيرك أولى بالنبى وأقرب(۱) ۳- الامام لم يكتف بهذه الجمل فى بادئ الأمر، بل استمرّ على بيان الحق باساليب مختلفة منها إحتجاجه بحديث الغدير فى يوم الشورى سنة ۲۳، قال عمر بن واثلة: كنت على الباب يوم الشورى مع على ـ عليه السلام ـ فى البيت، فسمعته يقول: «لأحتجّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا أعجميّكم تغيير ذلك – ثمّ قال: ـ أنشدكم اللّه، أفيكم من وحّد اللّه قبلى؟» قالوا: لا... ـ إلى أن قال: ـ «فأنشدكم باللّه، هل فيكم أحد قال له رسول اللّه: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، ليبلّغ الشاهد الغائب غيرى؟» قالوا: اللّهمّ لا(۲) . ۴- كما ناشد يوم الرحبة سنة ۳۵، روى الأصبغ قال:

نشد على الناس فى الرحبة: «من سمع النبى يوم غدير خم ما قال، إلاّ قام ولا يقوم إلاّ من سمع رسول اللّه» يقول: فقام بضعة عشر رجلا، فيهم أبو أيّوب الأنصارى، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبداللّه بن ثابت الأنصارى... فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول اللّه يقول: «ألا ـ من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وأعن من أعانه»(۳) . ولم تكن المناشدة، منحصرة بهذين الموردين، بل ناشد الامام فى غير واحد من المواقف الاُخرى كما ناشدت زوجته الصدّيقة الطاهرة بحديث الغدير، وبعده ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة (قسم الحكم) برقم ۱۹۰ .

۲ . الصواعق لابن حجر ۷۵، المناقب للخوارزمى ۱۳۵ برقم ۱۵۲ طبع النشر الاسلامى .

۳ . اُسد الغابة ۳ / ۳۰۷ و ۵ / ۲۰۵. (۲۰۳)

الحسنان السبطان، وعبداللّه بن جعفر وعمّار بن ياسر، حتّى ناشد به عدوّه عمرو بن العاص عند احتجاجه على معاوية(۱) . وهذه شواهد باهرة على عدم سكوته ولا رضاه، بالأمر الواقع بل استمرّ على هذا إلى اُخريات حياته، ويتّح هذا بالرجوع إلى خطبته المعروفة الشقشقية الّتى ألقاها فى آخر خلافته . وأمّا عدم القيام بأخذ الحقّ بالقوة، فلأجل أنّ القيام فرع القدرة، ولم يكن يومذاك أىّ منعة وقدرة للإمام، ويكفى فى ذلك كلامه فى خطبته الأخيرة: «فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه»(۲) . ولو افترضنا وجود القدرة، لكن مصالح الإسلام كانت تكمن فى المسالمة وادلاء الأمر إليهم، يشير إليه الامام تارة بالكناية واُخرى بالتصريح، أمّا الأوّل فيقول: «أيّها الناس شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه . فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللّتيّا والّتى واللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى اُمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بُحْتُ به، لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوىّ ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . راجع للوقوف على هذه المناشدات كتاب الغدير ۱ / ۱۵۹ ـ ۲۱۳ .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة ۳ . (۲۰۴)

البعيدة»(۱) . وقد خطب بها الامام لمّا قبض رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة. وذلك بعد أن تمّت البيعة لأبى بكر فى السقيفة، فيشير الامام إلى ما لديه من العلم المكنون، وهو إشارة إلى الوصيّة الّتى خصّ بها ـ عليه السلام ـ وأنّه كان من جملتها الأمر بترك النزاع فى مبدأ الاختلاف عليه (۲) . وقد أوضح ما ذكره مجملا فى هذه الخطبة الّتى ألقاها بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بخطبته الّتى ألقاها بعد رجوع الناس إليه وصرّح بأنّ لمسالمته الخلفاء لأجل أخطار كانت تحدق بالمسلمين بعد موت النبىّ، فقال ـ عليه السلام ـ : «إنّ اللّه سبحانه بعث محمّداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى ـ عليه السلام ـ ، تنازع المسلمون الأمر من بعده، فواللّه ما كان يلقى فى روعى، ولا يخطر ببالى، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنحّوه عنّى من بعده! فما راعنى إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدى حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به علىّ أعظم من فوت ولايتكم الّتى إنّما هى متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت فى تلك الأحداث حتّى زاح الباطل ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة، الخطبة ۵ .

۲ . شرح نهج البلاغة ۱ / ۲۱۵ . (۲۰۵)

وزهق، واطمأن الدين وتنهنه»(۱) . ورواه أبو الحسن على بن محمّد المدائنى عن عبداللّه بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أُريد الطرق فى أوّل إمارة على ـ عليه السلام ـ فمررت بمكّة فاعتمرت، ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول اللّه، إذ نودى: الصلاة جامعة; فاجتمع الناس وخرج على ـ عليه السلام ـ متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمداللّه وصلّى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد، فلمّا قبض اللّه نبيّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قلنا: نحن أهله وورثته، وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع فى حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا ـ إلى أن قال: ـ وأيم اللّه، لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه فولىَ الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً»(۲) . كان الامام ـ عليه السلام ـ يرى أنّ الدعوة إلى نفسه تؤدّى إلى تعرّض الإسلام إلى الأخطار المهلكة . روى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن إسحاق أنّ أبابكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون انّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال بعض بنى هاشم شعراً مدح فيه الامام وعاب المتقمّصين وقال: ما كنت أحِسب أنّ الأمر منصرف * عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن أليس أوّل من صلّى لقبلتكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟ وأقرب الناس عهداً بالنبىّ وَ من * جبريل عون له فى الغسل والكفن ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة، قسم الكتب ۶۲ .

۲ . شرح نهج البلاغة ۱ / ۳۰۷، والكلمتان متقاربتان . (۲۰۶)

ما فيه ما فيهم لا ـ يمترون به * وليس فى القوم ما فيه من الحسن ماذا الّذى ردّهم عنه فنعلمه؟ * ها إنّ ذا غبننا من أعظم الغبن! قال الزبير: فبعث إليه على فنهاه، أمراً لا يعود وقال: لسلامة الدين أحبُّ إلينا من غيره . فهذه الكلم والخطب عن علىٍّ تعرب عن إخلاصه للدين وحبّه لحفظ الوئام والسلام بين المسلمين وانّه لولا خوف محق الدين لما ترك الأمر إلى الغير، ولقام بالسلاح والكراع على أخذ حقّه . «ولو لا مراعاة علىّ للأوضاع والظروف الّتى احاطت بالاسلام فى تلك الفترة من تاريخه، لحدثت تطوّرات فى تاريخ الإسلام لانستطيع أن نقدّر مدى أثرها السيّئ على جهود الرسول والوصى والمخلصين من الصحابة، ولكنّه أدرك ذلك، وأحصى ما سيجرّه تصلّبه فى موقفه من الغنائم على المرتدّين والمنافقين الذين أضمروا الدمار للاسلام»(۱) . كان الامام ينظر إلى أنّ طوائف من العرب على عتبة الارتداد عن الإسلام، وانّ بين المسلمين فى المدينة طابور خامس يتحيّن الفرص للقضاء على الإسلام وإحياء الجاهلية، فلم ير بدّأ من التسليم للأمر الواقع ومماشاة الخلفاء، ورفع مشاكل المسلمين فى المسائل المستجدّة والمستعصية والاجابة على أسئلة الوافدين إلى المدينة، وتعليم القرآن للفيف من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، والادلاء بالرأى الحق عند المشاورة، إلى غير ذلك من الأُمور الّتى استغرقت قرابة خمس وعشرين سنة من حياته، إلى عام ۳۵ الّذى قتل فيه عثمان بمرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار. وقد أحدث فى الإسلام اُموراً أدَّت إلى الفتك به، وكان ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ۲۸ .

(۲۰۷)

الخليفة الثانى متنبّئاً به، فقال له: لئن وليتها (الخلافة) لتحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس فحمل بنى أبيه على رقابهم، يخضمون مال اللّه خضم الابل نبتة الربيع، فأدّى ذلك وغيره إلى قتله فى عقر داره . تسنّم الامام مقاليد الحكم بعد ربع قرن:

كان الامام قرابة ربع قرن جليس بيته، يشتغل ببعض الأُمور لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، إلى أن قُتِل عثمان و انثال الناس على الامام من كل جانب هاتفين: لا يصلح للخلافة إلاّ على. فقال لهم: «دعونى والتمسوا غيرى» . روى الطبرى نقلا عن محمّد بن الحنفية: كنت مع أبى، حين قتل عثمان فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول اللّه، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل، ولابدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «لا تفعلوا فانّى أكون وزيراً خير من أن أكون أميرا» فقالوا: «واللّه ما نحن فاعلين حتّى نبايعك» فقال: «ففى المسجد، فإنّ بيعتى لا تكون خفياً، ولا تكون إلاّ

عن رضا المسلمین»، قال سالم بن أبی الجعد: فقال عبداللّه بن عباس: فلقد کرهت أن یأتی المسجد مخافة أن یشغب علیه، وأبی هو إلّا المسجد. فلمّا دخل، دخل المهاجرون والأنصار، فبایعوه، ثم بایعه الناس(۱) . وفی روایة اُخری: غشی الناس علیّا، فقالوا: نبایعک، فقدتری ما نزل بالاسلام وما ابتلینا به من ذوی القربی، فقال علی: «دعونی والتمسوا غیری، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت علیه العقول» فقالوا: ننشدک اللّه، ألا تری ما نری، ألا تری الإسلام ، ألا تری الفتنة، ألا تخاف اللّه،

۱ . تاریخ الطبری ۳ / ۴۵۰ .

فقال: «قد أجبتکم لما أری، واعلموا إن أجبتکم رکبت بکم ما أعلم، وإن ترکتمونی، فانّما أنا کأحدکم، إلّا أنّی أسمعکم وأطوعکم لمن ولّیتموه أمرکم»(۱) . هذا ما یذکره الطبری، وأمّا الامام فهو یصف کیفیة هجوم الناس علی بیته لمبایعته فیقول: «فتداکّوا علیَّ، تداکَّ الإبل الهیم یوم وِرْدِها، وقد أرسلها راعیها، وخُلعت مثانیها، حتّی ظننت أنّهم قاتلی، أو بعضهم قاتل بعض ولدیَّ»(۲) . وفی خطبة اُخری: «فما راعنی إلّا والناس کعرف الضبع إلیَّ، ینثالون علیّ من کل جانب حتّی لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفای، مجتمعین حولی کربیضة الغنم»(۳) . ولم تشهد ساحة الخلافة احتشاداً جماهیریاً إلی یومنا هذا، مثلما شهدته فی ذلک الزمان، فقد اتّفق المهاجرون والأنصار، والتابعون لهم بإحسان علی المبایعة، ولم یتخلّف إلّا قلیل من الناس لا یتجاوز عدد الأنامل. وقد جاء الطبری بأسمائهم یقول: بایعت الأنصار علیاً إلّا نفراً یسیراً، منهم حسان بن ثابت، وکعب بن مالک، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعید الخدری، ومحمّد بن مسلمة، والنعمان بن بشیر، وزید بن ثابت ورافع بن خُدیج، وفضالة بن عبید، وکعب بن عجرة وکانوا عثمانیة. فقال رجل لعبداللّه بن حسن: کیف أبی هؤلاء بیعة علی وکانوا عثمانیة، فقال: أمّا حسّان، فکان شاعراً لایبالی ما یصنع، وأمّا زید بن

۱ . تاریخ الطبری ۳ / ۴۵۶ .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة ۵۳، تداکوا: ازدحموا، والهیم: العطاش، یوم وردها: یوم شربها، والمثانی: الحبال.

۳ . نهج البلاغة، الخطبة ۳، عُرْف الضبع: ما کثر علی عنقها من الشعر، یضرب به المثل الکثرة، ینثالون: یتتابعون، شقّ عطفای: خدش جانباه من الاصطکاک .

ثابت فولّاه عثمان الدیوان وبیت المال، فلمّا حصر عثمان قال: یا معشر الأنصار، کونوا أنصار اللّه - مرتین ـ فقال أبو أیوب: ما تنصره إلّا إنّه کثر لک من العضدان(۱) فأمّا کعب بن مالک فاستعمله علی صدقة «مُزینة» وترک ما أخذ منهم له (۲) . قام الامام بواجبه، وهمَّ بالاصلاح، وحوله حُسّاد حاقدون، وأعداء یترقّبون الفرص، وعمّال للخلیفة یسألونه البقاء علی مناصبهم، فعند ذلک حاقت به الأزمات والشدائد، وهو یصف ذلک بقوله: «فلمّا نهضت بالأمر نکثت طائفة، ومرقت اُخری، وقسط آخرون، کأنّهم لم یسمعوا کلام اللّه سبحانه یقول: (تِلْکَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوّاً فِی الأرْضِ وَ لا فَسَاداً وَ العَاقِبَةُ لِلمُتَّقِینَ)(۳)بلی! واللّه لقد سمعوها ووعوها، ولکنّهم حَلِیَتْ الدنیا فی أعینهم، وراقهم زِبْرِجها. أما و الّذی فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقیام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه علی العلماء أن لا یقارّوا علی کظّة(۴) ظالم، ولا سغب(۵) مظلوم، لألقیت حبلها علی غاربها، ولسقیت آخرها بکأس أوّلها، ولألفیتم دنیا کم هذه أزهد عندی من عفطة عَنْز»(۶) . فقد أشار الامام بکلامه هذا إلی حروبه الثلاثة مع طوائف ثلاث، فالناکثون هم أصحاب الجمل، الذین لم یجدوا عند الامام إلّا الحقّ، فطلبوا منه من المناصب ما کان فوق شأنهم وأمانتهم فاجتمعوا فی مکّة تحت غطاء المطالبة بدم عثمان مع

۱ . العضاد: کل ما یحیط بالعضد من حلی وغیرها .

۲ . تاریخ الطبری ۳ / ۴۵۲ .

٣ . القصص / ٨٣ .

۴ . الكظّة: البِطْنَة (ما يعترى الآكل عند امتلائه بالطعام) والمراد: استئثار الظالم بالحقوق .

۵ . السغب: شدة الجوع .

۶ . نهج البلاغة، الخطبة ٣ . (٢١٠)

أنّهم هم المحرّضون على قتله، وموَّلهم جماعة من بنى اُميّة ولم يكتفوا بذلك، وإنّما غرّوا بأُمّ المؤمنين عائشة، وأركبوها على الجمل يقطعون بها الفيافى والقفار، حتّى نزلوا البصرة، فقتلوا من شيعة على ومحبّيه ما استطاعوا. فلمّا لاقوا عليّاً بجيوشهم أبوا إلاّ الحرب فدارت الدوائر على الناكثين، فقتل رؤوس الفتنة، واُرسلت اُمّ المومنين إلى المدينة بتكريم واحترام. ولكن لم يقف الأمر على هذا الحد، فقام ابن آكلة الأكباد، الطليق ابن الطليق الّذى خَذَلَ عثمان، ولم ينصره، ثم انتحل دمه وطلب ثأره، فجمع حوله الهمج والرعاع، وتحالف مع عمرو بن العاص الّذى عزله عثمان عن ولاية مصر، فألّب عليه كل راع رآه فى البادية، وساومه معاوية على ولاية مصر، فقابلهم الامام فى أرض صفين، وقد كادت الحرب تنتهى لصالح الحق والمسلمين لولا أنّهم رفعوا المصاحف على الرماح، وانطلت الحيلة على عسكر الامام، وقالوا له: أجب القوم، فحذّرهم الامام بأنّه مكر وخداع، والقوم ليسوا أهل قرآن وسنّة، فطلب منهم المهلة فما أجابوه، قل هدّدوا بإراقة دمه وقتاله إن لم يُوقف الحرب، ولم يسترجع قائده من ساحة القتال حتّى أنّ الأشتر قائد القوات طلب منهم المهلة ولو بقدر فواق ناقة أو عدوة فرس، فما وافقوه، فاضطرّ الامام إلى إيقاف الحرب، وادلاء الأمر إلى الحكمين بشرط أن لا يخرجوا عن حكم الكتاب والسنّة، وكانت نهاية الأمر، عزل مندوب الامام (أبو موسى الأشعرى) خليفة المسلمين، ونصب عمرو ابن العاص معاوية للخلافة، كل ذلك بمكر وخداع واحتيال على أبى موسى، فقام الحكمان ومن حولهما يشتتمان ويتسابّان . ثمّ اُولئك الذين فرضوا قبول التحكيم على على، ندموا على ذلك، وطفقوا يطالبونه بنقض الميثاق قبل حكم الحكمين، فخرجوا عن طاعة على، وعن جيشه، فنزلوا حروراء ولم يرجعوا إلى الطاعة حتّى بعد ما دعاهم الامام لا عادة الحرب على (٢١١)

معاوية، لما ظهر لهم كون قول حكم الحكمين على خلاف الكتاب والسنّة، بل أصبحوا يطالبون عليّاً أن يتوب من كفره، كما هم تابوا من كفرهم، لأجل تحكيمه الرجال فى أمر الدين، ولم يكتفوا بذلك، فصاروا كقطّاع الطريق يقتلون البرىء، ويسفكون الدماء فأوجدوا دهشة ورعباً فى قلوب المسلمين، فلم يجد الامام بدّا من قتالهم، وإن كان قتالهم أمراً عظيماً، لأنّهم كانوا أصحاب الجباه السود، يصومون النهار ويقومون الليل، وفى الوقت نفسه هم المارقون، المعاندون للّه ورسوله، وفى حقّهم يقول الامام: «إنّى فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيرى، بعد أن ماج غيهبها(١)، واشتدّ كلبها(٢)»(٣) . هذه حياة الامام على وجه الاجمال، حياة من ولد فى الكعبة ولم يسجد لصنم ورافق النبىّ منذ صباه فى موطنه ومهجره، ولم يتخلّف عنه فى غزوة من غزواته إلاّ غزوة تبوك، حيث خلّفه فى المدينة لإدارة شؤونها فى غيابه . ومع الأزمات الّتى خلفت عثمان وعمّاله، وسوّدوا وجه التاريخ وقطعوا عرى الوحدة بين الخلافة والناس «استطاع أن يجعل من نظامه السياسى المثل الكامل للنظام السياسى للدولة الّتى أسّسها ورفع كيانها رسول اللّه، وأن يجعل من أعماله وأقواله فى السلم والحرب، التجسيد الكامل للشريعة الإسلامية وأن يجعل من سلوكه وأخلاقه الصورة الكاملة لأخلاق الرسول وسلوكه، وبذلك ربط كل مسيرة عهده بمسيرة العهد النبوى الشريف، وثبّت للاسلام دعائمه، وأعاد إلى النفوس

---

١ . الغيهب: الظلمة، وموجها: شمولها وامتدادها .

٢ . الكلب ـ محركة ـ داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عظه اُصيب به فجنّ ومات إن لم يبادر بالدواء .

٣ . نهج البلاغة، الخطبة ٩٣ . (٢١٢)

المؤمنة أمنها ويقينها بالرسالة الإسلامية الخالدة»(١) . قام الامام بالخلافة، وتقلّدها بعد مقتل عثمان، وقد ترك ولاة يمتصّون دماء الناس، ولم يكن الامام ممّن يساوم ويداهن ويترك الحق جانباً، وأوّل ما قام به، هو أنّه أزال الظلم عن الناس بازالة العمّال والولاة

الظالمين، الـذين اكتنزوا الـذهب والفضّ ة، وملكوا العقارات والمواشـي، فعنـد ذلک قامت قيامـة هؤلاء فهم بين ناكث، وقاسط، وضـمّ إليهم أعداء يترقّبون الفرص للوثوب، والانتقام، لأنّه قتل آباءهم واستأصل شأفتهم فی الحروب والغزوات، كل ذلک صار سبباً لانشغال الامام بالحروب الداخلية. ولو كان الامام آخذاً مقاليد الخلافة بعد الرسول، بل حتّی بعد خلافة الشـيخين لما وجد الانحراف عن الدين وتعاليمه فی الحياة مجالا ولكنّه ـ باللأسف ـ أخذ بها والمجتمع مثقّل بالأزمات والانحرافات . إغارة معاوية علی البلاد الآمنة:

هذا ابن أبی سـفيان، لمّا رأی انّ الأمصار الإسلامية ما عدا الشام فی طاعة الامام، جمع حوله الأشقياء والبغاة، يغيرون علی البلاد الآمنة، وينشـرون الفوضـی والفساد واحداً بعد واحد . ۱- فأرسـل سـفيان بن عوف الغامـدی، وقـال: إنّی موجّهک فی جيش كثيف، ذی أداة وجلادة فالزم لی جانب الفرات، حتّی تمر بهيت(۲) فتقطعهـا، فإن وجـدت بها جنـداً فأغر عليها، وامض، حتّی تغير علی الأنبار فإن لم تجد بها جنداً، فامض حتّی توغل المدائن، فكأنّک غرت علی الكوفة، إنّ هذه الغارة يا سفيان علی أهل العراق ________________

۱ . الزيدية نظرية وتطبيق ۱۹ .

۲ . هيت: بلد علی الفرات فوق الأنبار . (۲۱۳)

ترعب قلوبهم، وتفرح كـل من له فينـا هوی منهم، وتـدعو إلينـا كـل من خـاف الـدوائر، فاقتـل من لقيته ممّن ليس علی مثـل رأيـک، وأخرب كل ما مررت به من القری، واحرب الأموال فإنّ حرب الأموال ـ أی سلبها ـ شبيهة بالقتل، وهو أوجع للقلب»(۱) . ولمّا بلغ عليّاً جنايات الرجل، خطب خطبته المعروفـة وقال: «فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه اللّه لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوی، ودرع اللّه الحصـينة، وجنّته الوثيقـة ـ إلی أن قال: ـ وهذا أخو غامد، وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكری، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقـد بلغنی أنّ الرجل منهم كان يـدخل علی المرأة المسـلمة والاُخری المعاهـدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائـدها ورُعُثها، ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام، ثمّ انصـرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم، ولا اُريق لهم دم، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسـفا، ما كان به ملوما، بل كان به عنـدی جديرا»(۲) . ۲- هـذا بسـر بن أرطاة، بعثه معاويـة إلی اليمن فی جيش كثيف وأمره أن يقتل كل من كان فی طاعـة علی ـ عليه السـلام ـ، فقتل خلقاً كثيراً، وقتل فيمن قتل ابنی عبيـداللّه بن العباس بن عبـدالمطلب، وكانا غلامين صغيرين، فقالت اُمّهما ترثيهما: يا من أحسّ بابنيّ اللـذين هما كالـدرّتين تشـظّی عنهما الصدف(۳) وقـد خطب الامام بعد ما بلغه النبأ بقـوله: «اُنـبئتُ بسـراً قـد اطّلـع اليمـن، وانّی واللّه لأظنّ أنّ هؤلاء القـوم سـيدالون منكـم باجتمـاعهم علی بـاطلهم، وتفرّقكم

---

۱ . شرح نهج البلاغة ۲ / ۸۵ .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة ۲۷ .

۳ . شـرح نهـج البلاغة ۱ / ۳۴۰، تشظّا: تفرّق شـظايا، راجع للوقوف علی بقيـة الأبيـات الكامل للمبرد وقـد ذكره ابن أبی الحديـد فی شرحه ۲ / ۱۳ . (۲۱۴)

عن حقّكم، وبمعصـيتكم إمامكم بالحق، وطاعتهم إمامهم بالباطل، وبأَدائهم الأمانـة إلی صاحبهم، وخيانتكم، وبصـلاحهم فی بلادهم، وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم علی قعب، لخشيت أن يذهب بعلاقته»(۱). ۳- دعا معاوية الضحاک بن قيس الفهری، وقال له: سر حتّی تمر بناحيـة الكوفـة، وترتفع عنها ما اسـتطعت فمن وجدته من الأعراب فی طاعة علی، فأغر عليه، وإن وجدت له مسـلحة أو خيلا، فأغر عليها، وإذا أصبحت فی بلد فامس فی اُخری، ولا تقيمن لخيل بلغک أنّها قد سرحت إليک لتلقاها فتقاتلها، ثم جهّزه بثلاثة آلاف إلی أربعـة آلاف . فاقبل الضـحاک، فنهب الأموال، وقتل من لقی من الأعراب، حتّی مرّ بالثعلبيـة(۲)، فأغار علی الحاج، فأخـذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقی عمرو بن مسـعود الهذلی، وهو ابن أخی عبداللّه بن مسـعود، صاحب رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ فقتله فی طريقه الحاج عند القطقطانة(۳) .وقتل معه ناساً من أصحابه(۴) . ۴- ولم يكتف معاوية بهذه الهجمات العنيفة علی البلاد الآمنة، بل جهّز بسـر بن أرطاة مرّة ثانية، لإراقة الدماء فی حرم الرسول. ويقول ابن أبی الحديد: كان بسـر بن أرطاة قاسـی القلب فظّاً سـفّا كاً للدماء لا رأفة

عنده ولا رحمة، وقد جهّزه معاوية فى ثلاثة آلاف، وقال له: سر حتّى تمرّ بالمدينة، فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أحصيت له مالاً فمن لم يكن دخل فى طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنّك تريد أنفسهم، واخبرهم أنّه لا براءة لهم عندك ________________

۱ . نهج البلاغة، الخطبة ۲۵ .

۲ . الثعلبية: من منازل طريق مكّة إلى الكوفة .

۳ . بالضم ثم السكون: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .

۴ . شرح نهج البلاغة ۲ / ۱۱۶ ـ ۱۱۷ . (۲۱۵)

ولا عذر. ووصل بسر إلى المدينة المنوّرة، فشتم أهلها وتهدّهم وتوعّدهم وأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، ودار عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الرزقى ودار أبى أيّوب الأنصارى صاحب منزل رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۱) . وقال المسعودى: قتل بسر بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرها، وكذلك بالجرف قتل خلقاً كثيراً من رجال همدان، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً. ولمّا بلغ الخبر عليّاً أنفذ جارية بن قدامة فى ألفين، ووهب بن مسعود فى ألفين، وحين علم بسر بخبر حارثة فرّ هاربا(۲) . وكانت هذه العصابات الاجرامية، تأتى إلى العراق فتقتل وتحرق وتدمّر، إلى آخر حياة الامام، الّذى قضى نحبه فى الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة ۴۰. وأصبحت شيعته كغنم غاب عنها راعيها، يفترسهم أعداؤهم عندما استتبّ الأمر لآل أبى سفيان وآل مروان وهذا هو الّذى نطرحه فى الفصل التالى: ________________

۱ . شرح نهج البلاغة ۲ / ۱۰، وما ذكرناه ملخّص ما ذكره مفصّلا.

۲ . مروج الذهب ۳ / ۳۱ طبعة ۱۹۴۸ .

الفصل التاسع الشيعة فى العصرين الأموى

الفصل التاسع الشيعة فى العصرين الأموى والعباسى (۲۱۸) (۲۱۹)

لبّى الامام دعوة ربّه فى ليلة الحادى والعشرين من رمضان على يد أشقى الأوّلين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، وهو يصلّى فى محراب عبادته، فلمّا بلغ عائشة قتل على، فرحت وقالت: فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاباب المسافر ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجلٌ من مراد، فقالت : فان يك نائيا فلقد نعاه نعى ليس فى فيه التراب فقالت زينب بنت أبى سلمة: أتقولين هذا لعلى؟ فقالت: إنّى أنسى، فإذا نسيت فذكّرونى...!!(۱) . ولمّا بلغ خبر قتله إلى معاوية قال: إنّ الأسد الّذى كان يفترش ذراعيه فى الحرب قد قضى نحبه. ثمّ أنشد: قل للأرانب ترعى أينما سرحت وللظبأ بلا خوف ولا وجل(۲) فلمّا مات الامام، خطب الحسن فى مسجد الكوفة، وقال: «ألا انّه قد مضى، فى هذه الليلة، رجل لم يدركه الأوّلون، ولن ير مثله الآخرون. من كان يقاتل ________________

۱ . الكامل لابن الاثير ۳ / ۳۹۴ طبع دار صادر .

۲ . ناسخ التواريخ، القسم المختص بحياة الامام ۶۹۲ . (۲۲۰)

وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله. واللّه لقد توفى فى هذه الليلة الّتى قبض فيها موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم وأُنزل القرآن. الا ـ وانّه ما خلّف صفراء ولا ـ بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»(۱) . ثمّ بويع الحسن فى نهاية خطبته، وأوّل من بايعه قيس بن سعد الأنصارى، ثمّ تتابع الناس على بيعته وكان أميرالمؤمنين بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت. فبينما هو يتجهّز للمسير قُتل ـ عليه السلام ـ . وبايع هؤلاء ولده الحسن، فلمّا بلغهم مسير معاوية فى أهل الشام إليه، تجهّز هو والجيش الذين كانوا قد بايعوا عليّاً. وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية(۲) . وهل وفى هؤلاء للحسن ـ عليه السلام ـ وكانوا صادقين فى بيعتهم؟ كلاّ بل خانوه كما خانوا أباه فلم ير الامام بدّاً عن التصالح، لأجل تخاذل أهل العراق أولا وكون الشيوخ الذين

بايعوا علياً والتفّوا حوله كانوا من عبدة الغنائم والمناصب، ولم يكن لهؤلاء نصيب فى خلافة الحسن إلاّ ما كان لهم عند أبيه من قبل ثانياً. وانّ عدداً غير قليل ممّن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يراسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً، وانّ لفيفاً من جيشه كانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعاً، إلى غير ذلك من الأسباب الّتى دفعت الامام إلى قبول الصلح مع معاوية، تحت شروط خاصة تضمن لشيعة علىّ الأمن والأمان ولكنّه بعد ما وافق معاوية على الصلح ووقّع عليه، قام وخطب: إنّى واللّه ما قاتلتكم لتصّلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وانّكم لتفعلون ذلك ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطانى اللّه ذلك وأنتم له كارهون ألا وأنّى قد كنت منيت الحسن أشياء، وجميعها تحت قدمى لا أفى بشىء ______________

۱ . تاريخ اليعقوبى ۲ / ۲۱۳ .

۲ . الكامل ۳ / ۴۰۴ طبع دار صادر . (۲۲۱)

منها له(۱) . فعند ذلك فسح المجال لمعاوية فى قتل الشيعة واستئصالهم، تحت كل حجر ومدر. وجاءت المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأموية، فلم يكن للشيعة فى تلك الأيام نصيب سوى القتل والنفى والحرمان. وهذا هو الّذى نستعرضه فى هذا الفصل على وجه الاجمال، حتّى يقف القارئ على أنّ بقاء التشيّع فى هذه العصور المظلمة، كان معجزة من معاجز اللّه سبحانه كما يقف على أنّ الصمود والكفاح والرد على الظلمة وأعوانهم، كان شعار الشيعة منذ عصر الامام إلى يومنا هذا. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية : ۱- رسالة الامام الحسين إلى معاوية:

«أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّى اُمور لم تكن تظنّنى بها رغبة بى عنها، وأنّ الحسنات لا يهدى لها ولا يسدّد إليها إلاّـ اللّه تعالى، وأمّا ما ذكرت أنّه رمى إليك عنّى، فإنّما رقّاه الملاّقون المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردن حرباً ولاـ خلافاً وانّى لأخشى اللّه فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلّين حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم. ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكّدة جرأة على اللّه واستخفافاً بعهده. أولست بقاتل عمرو بن الحمق الّذى اخلقت وأبلت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من سقف الجبل .

____

۱ . الارشاد للشيخ المفيد ۱۹۱ .

(۲۲۲)

أو لست المدعى زياداً فى الإسلام فزعمت أنّه ابن أبى سفيان، وقد قضى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان اللّه يا معاوية! لكأنّك لست من هذه الاُمّة، وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمى الّذى كتب إليك فى حقه زياد أنّه على دين على كرم اللّه وجهه، ودين على هو دين ابن عمّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الّذى أجلسك مجلسك الّذى أنت فيه، ولو لاـ ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها اللّه عنكم بنا منّةً عليكم، وقلت فيما قلت: لا تردن هذه الاُمّة فى فتنة وانّى لا أعلم لها فتنة أعظم من امارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولاُمّة محمّد. وانّى واللّه ما أعرف فضلا من جهادك، فإن أفعل فإنّه قربة إلى ربّى، وإن لم أفعله فأستغفر اللّه لدينى. وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى فكدنى أكدك، تكدنى يا معاوية ما بدا لك، فلعمرى لقديماً يكاد الصالحون وانّى لأرجو أنّ لا تضر إلاّ نفسك ولا تمحق إلاّ عملك فكدنى ما بدالك، واتّق اللّه يا معاوية! واعلم انّ للّه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، واعلم أنّ اللّه ليس بناس لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشرب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلاّ قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام»(۱) . هذه رسالة أبى الشهداء، الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ ، وتكفيك بياناً ______________

١ . الامامة والسياسة ١ / ١٦۴، جمهرة الرسائل ٢ / ٦٧ ورواه الكشى فى رجاله ۴٨ ـ ٥١، والمجلسى فى البحار ۴۴ / ٢١٢ ـ ٢١۴ .

(٢٢٣)

وبلاغاً لما جنت به يدا معاوية وعماله على شيعة أبيه، من فتك وقتل ذريع، للأبرياء وصحابة النبى الأكرم ونردفها بكلام حفيده الامام محمّد الباقر ـ عليه السلام ـ ، قال لبعض أصحابه: إنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر فى صعود كئود، حتّى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر فى جنبه، ونهب عسكره، وعولجت خلاخيل اُمّهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل. ثمّ بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته فى أعناقهم وقتلوه . ثمّ لم نزل ـ أهل البيت ـ نُستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء فى كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان عُظم ذلك وكُبره زمن معاوية بعد موت الحسن ـ عليه السلام ـ ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدى والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد و يزداد إلى زمان عبيداللّه بن زياد قاتل الحسين ـ عليه السلام ـ ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة على، وحتّى صار الرجل الّذى يذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل (٢٢۴)

بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع(١) . ولعلّ فى رسالة الامام أبى الشهداء، وما قاله حفيده الامام الباقر ـ عليه السلام ـ غنى وكفاية لمن اراد أن يعرف الأمر عن كثب ويقف على مظالم الامويين فى حق شيعة الامام، غير أنّه ايضاحاً لحقيقة نؤكّد ذلك بكلام غيرهما لتتم الحجّة على الجميع . كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة على بن أبى طالب، فلمّا قدم زياد الكوفة والياً عليها، طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن على مستجيراً به، فوثب زياد عى أخيه وولده وامرأته، فحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: «من الحسن بن على إلى زياد، أمّا بعد: فإنّك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإذا أتاك كتابى هذا، فابن له داره، واردد عليه عياله وماله، وشفّعنى فيه فقد أجرته» فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعد: فقد أتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة، كتبت إلىّ فى فاسق آويتَه إقامة منك على سوء الرأى ورضاً منك بذلك، وأيم اللّه لا ـ تسبقنى به، ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك، فإنّ أحبَّ لحم إلىَّ أن آكل منه، اللحم الّذى أنت منه، فسلّمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفّعتك فيه، وإن قتلته لم ________

١ . شرح نهج البلاغة ١١ / ۴٣ ـ ۴۴ .

(٢٢٥)

أقتله إلاّ لحبّه أباك الفاسق، والسلام(١) . «كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصر يحرّضهم على لعن علىّ أو البراءة منه، فملأ منهم المسجد والرحبة، فمن أبى ذلك عرضه على السيف»(٢)، وفى المنتظم لابن الجوزى: إنّ زياداً لمّا حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدى ثمانين منهم، وهمّ أن يخرب دورهم ويحرق نخلهم، فجمعهم حتّى ملأ ـ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من على، وعلم أنّهم سيمتنعون، فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم(٣) . بيان معاوية إلى عماله:

روى أبو الحسن على بن محمّد بن أبى سيف المداينى فى كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام

الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل ابى تراب وأهل بيته، فقام الخطباء، فى كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون عليّاً ويبرأون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة على ـ عليه السلام ـ فاستعمل عليها زياد بن سميّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام على ـ عليه السلام ـ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق: ______________

١ . شرح ابن أبى الحديد ١٦ / ١٩۴ .

٢ . مروج الذهب ٣ / ٢۶ .

٣ . المنتظم ۵ / ٢۶٣ طبع بيروت . (٢٢۶)

ألاـ يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لى بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك، حتّى أكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء القطائع، ويفيضه فى العرب منهم والموالى، فكثر ذلك فى كل مصر، وتنافسوا فى المنازل والدنيا، فليس يجيىء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية، فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفعه. فلبثوا بذلك حينا . ثمّ كتب إلى عماله: أن الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كل مصر وفى كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلاّ وتأتونى بمناقض له فى الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إلىّ وأقرّ لعينى، وأدحض لحجّة أبى تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله . فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، واُلقى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه . ثمّ كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة انّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة اُخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدموا داره . (٢٢٧)

فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتّى انّ الرجل من شيعة على ـ عليه السلام ـ ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس فى ذلك بليّة القرّاء والمراؤون، والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك فيتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الاخبار والأحاديث إلى أيدى الديانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تديّنوا بها . وذكر ابن أبى الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن على ـ عليه السلام ـ فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه، أو طريد فى الأرض . ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين ـ عليه السلام ـ، وولّى عبدالملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض على وموالاة أعدائه، وموالاة من يدّعى من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا فى الرواية فى فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من على ـ عليه السلام ـ وعيبه، والطعن فيه، والشنان له حتّى أنّ انساناً وقف للحجّاج ـ ويقال أنّه جدّ الأصمعى عبدالملك بن قريب ـ فصاح به: أيّها الأمير أنّ أهلى عقّونى فسمّونى عليّاً، وانّى فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج . فتضاحك له الحجّاج، وقال: للطف ما توسّلت به، قد ولّيتك موضع كذا. وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ فى

تاریخه ما یناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أکثر الأحادیث الموضوعة فی (۲۲۸)
فضائل الصحابة افتعلت فی أیّام بنی اُمیّة تقرّباً إلیهم بما یظنّون أنّهم یرغمون به اُنوف بنی هاشم(۱) . فمن أراد أن یقف علی الضغط الشدید الّذی تعرض له الشیعة فی عصر الامویّین فلیقرأ حیاة الصحابة والتابعین الذین قُتلوا بسیف عمّال معاویة وآل مروان، وهؤلاء الأبطال: ۱- حجر بن عدی الّذی قبض علیه زیاد بعد هلاک المغیرة سنة (۵۱) وبعثه مع أصحابه إلی الشام بشهادة مزوّرة، وانّه یجتمع علیه شیعة علی ویظهرون لعن معاویة والبراءة منه . یقول المسعودی: «فی سنة ثلاث وخمسین قتل معاویة حجر بن عدی الکندی ـ وهو أول من قتل صبراً فی الإسلام ـ وحمله زیاد من الکوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الکوفة وأربعة من غیرها فلمّا صار علی أمیال من الکوفة یراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ـ ولا عقب له من غیرها ـ : ترفَّع أیّها القمر المنیر * لعلّک ان تری حجراً یسیر یسیر إلی معاویة بن حرب * لیقتله کذا زعم الأمیر ویصلبه علی بابی دمشق * وتأکل من محاسنه النسور فقتله مع أصحابه فی مرج العذراء(۲) . ۲- عمرو بن الحمق ذلک الصحابی العظیم الّذی وصفه الامام الحسین سیّد ________________

۱ . شرح نهج البلاغة ۱۱ / ۴۴ ـ ۴۶ .

۲ . مروج الذهب ۳ / ۳ ـ ۴، سیر أعلام النبلاء ۳ / ۴۶۲ ـ ۴۶۶ برقم ۹۵ . (۲۲۹)

الشهداء بأنّه: أبلت وجهه العبادة. قتله بعد ما أعطاه الأمان(۱) . ۳- مالک الأشتر ملک العرب، أحد الأشراف والأبطال کان شهماً مطاعاً وکان قائد القوات العلویة قتله بالسم فی مسیره إلی مصر بید أحد عمّاله(۲) . ۴- رشید الهجری کان من تلامیذ الامام وخواصّه عرض علیه زیاد البراءة واللعن فأبی، فقطع یدیه ورجلیه ولسانه، وصلبه خنقاً فی عنقه(۳) . ۵- جویریة بن مهر العبدی أخذه زیاد وقطع یدیه ورجلیه وصلبه علی جذع نخلة(۴) . ۶- قنبر مولی أمیرالمؤمنین إذ قال الحجّاج لبعض جلاوزته: اُحبّ أن اُصیب رجلا من أصحاب أبی تراب، فقالوا: ما نعلم أحداً کان أطول صحبة له من مولاه قنبر، فبعث فی طلبه، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال له: إبرأ من دین علی، فقال له: هل تدلّنی علی دین أفضل من دینه؟ قال: إنّی قاتلک فاختر أیّ قتلة أحبّ إلیک، قال: أخبرنی أمیرالمؤمنین: انّ میتتی تکون ذبحاً بغیر حقّ. فأمر به فذبح کما تذبح الشاة(۵) . ۷- کمیل وهو من خیار الشیعة وخاصّة أمیرالمؤمنین طلبه الحجّاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم فلمّا رأی کمیل ذلک قال: أنا شیخ کبیر وقد نفد عمری ولا ینبغی أن أکون سبباً فی حرمان قومی، فاستسلم للحجّاج، فلمّا رآه قال له: کنت اُحبُّ أن أجد علیک سبیلا، فقال له کمیل: لا تبرق ولا ترعد، فواللّه ما بقی من عمری

____

۱ . سیر أعلام النبلاء ۴ / ۳۴ ـ ۳۵ برقم ۶ .

۲ . شذرات الذهب ۱ / ۹۱ .

۳ . شرح نهج البلاغة ۲ / ۲۹۴ ـ ۲۹۵ .

۴ . شرح نهج البلاغة ۲ / ۲۹۰ ـ ۲۹۱ .

۵ . رجال الکشی ۶۸ ـ ۶۹ برقم ۲۱، الشیعة والحاکمون ۹۵ . (۲۳۰)

إلاّ مثل الغبار، فاقض فإنّ الموعد اللّه عزّوجلّ، وبعد القتل الحساب. وقد أخبرنی أمیرالمؤمنین انّک قاتلی، فقال الحجّاج: الحجّة علیک إذن، فقال: ذلک إن کان القضاء لک، قال: بلی، اضربوا عنقه(۱) . ۸- سعید بن جبیر التابعی المعروف بالعفّة والزهد والعبادة وکان یصلّی خلف الامام زین العابدین فلمّا رآه الحجّاج قال له: أنت شقی بن کسیر، فقال: اُمّی أعرف بإسمی منک، ثم بعد رد وبدل أمر الحجّاج بقتله، فقال سعید: وجّهت وجهی للّذی فطر السموات والأرض حنیفاً مسلماً وما أنا من المشرکین. فقال الحجاج: شدّوه إلی غیر القبلة، فقال: أینما تولّوا فثمّ وجه اللّه، فقال: کبوه علی وجهه، قال: منها خلقناکم وفیها نعیدکم ومنها نخرجکم تارة اُخری، ثم ضربت عنقه(۲) . وسیوافیک ما جری علی زید بن علی من الصلب أیّام خلافة هشام بن عبدالملک عام (۱۲۲) عند الکلام عن فرق الزیدیة فتربّص حتّی حین . هذه صورة مصغّرة من جنایات البیت الأموی وقد جئنا بها کنموذج یوقفک علی کثیر وذکرناه لتقف علی

انّ بقاء التشيّع مع هذه المجازر أشبه بالمعجزة . الشيعة فى خلافة العباسيّين :

دار الزمان على بنى اُميّة، وقامت ثورات عنيفة ضدّهم، أثناء خلافتهم إلى أن قضت على آخر ملوكهم (مروان الحمار) (فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُللّهِ رَبِّ العالَمِينَ)(٣) وولى الأمر العباسيون، وكان الأمر فى القتل ________________

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٧ / ١۴٩، الشيعة والحاكمون ٩۶ .

٢ . سير أعلام النبلاء ۴ / ٣٢١ - ٣٢٨، الجرح والتعديل ۴ / ٩ برقم ٢٩ .

٣ . الأنعام / ۴۵ . (٢٣١)

والتشريد والسفك والحبس فى عهدهم نفس ما كان فى عهد الامويين بل أسوأ بكثير. قال الشاعر: واللّه ما فعلت اُميّة فيهم * معشار ما فعلت بنو العباس ١- وأوّل من تولّى منهم أبو العباس السفّاح بويع سنة (١٣٢) ومات سنة (١٣۶)، قضى وقته فى تتبع الامويّين والقضاء عليهم، وهو وإن لم يتعرّض للعلوّيين، لكنّه تنكّر لهم وشيعتهم ويوعز إلى الشعراء أن يتعرّضوا لأولاد على ويمحوا عنهم حقّ الخلافة. هذا محمّد أحمد براق يقول فى كتابه «أبو العباس السفاح»: «إنّ أصل الدعوة كان لآل على، لأنّ أهل خراسان كان هواهم فى آل على لا ـ آل العباس، لذلك كان السفّاح، ومن جاء بعده مفتّحة عيونهم لأهل خراسان حتّى لا يتفشّى فيهم التشيّع لآل على: ... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدّمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرضون بأبناء على و ينفون عنهم حقّ الخلافة، لأنّهم ينتسبون إلى النبىّ عن طريق ابنته فاطمة، أمّا بنو العباس فإنّهم أبناء عمومة»(١) . ٢- ثمّ جاء بعده أبو جعفر المنصور، وقد شيّد مجد الاُسرة العباسيّة، وكانت خلافته مزيجاً من الخير والشرّ وصار فى اُخريات أيّامه شرّاً كلّه، ويكفى للإلمام بجرائمه وقسوته ما كتبه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد قال: إنّ المنصور كان يجلس ويجلس إلى جانبه واعظاً، ثمّ تأتى الجلاوزة فى أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتّى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظنى! فإذا ذكّره الواعظ باللّه، أطرق المنصور كالمنكسر، ثمّ يعود الجلاوزة إلى ضرب الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانياً، قال لواعظه: ________________

١ . أبو العباس السفاح ۴٨، كما فى الشيعة والحاكمون ١٣٩ .

(٢٣٢)

عظنى!!(١) . فماذا يريد المنصور من قوله للواعظ، وهل يريد الاستهزاء بالدين الّذى نهى عن قتل النفس وسفك الدماء أو يريد شيئاً آخر واللّه العالم. وأمّا ما جرى منه على العلويّين، فنذكر ما يلى حتّى يكون كنموذج لأعماله: يقول المسعودى: جمع المنصور أبناء الحسن، وأمر بجعل القيود والسلاسل فى أرجلهم وأعناقهم، وحملهم فى محامل مشكوفة وبغير وطاء تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين، ثمّ أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار واُشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون على فراغ كل واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية فى مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة، وتورّمت أجسادهم ولا ـ يزال الورم يصعد من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعا(٢) . وقال ابن الأثير: دعا المنصور محمّد بن عبداللّه العثمانى، وكان أخاً لأبناء الحسن من اُمّهم، فأمر بشقّ ثيابه، حتّى بانت عورته، ثم ضرب مائة وخمسون سوطاً، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك اكفف عن وجهى، فقال المنصور للجلاّد: الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً، وأصاب إحدى عينيه فسالت على وجهه، ثم قتله ـ ثم ذكر ـ وأحضر المنصور محمّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحسن الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر، لاُقتلنّك قتلة لم أقتلها أحداً، ثمّ أمر به، فبنى عليه اسطوانة، وهو حى، فمات فيها(٣) .

____

١ . العقد الفريد ١ / ۴١ .

٢ . مروج الذهب ٣ / ٣١٠ طبع ١٩۴٨ .

٣ . الكامل ۴ / ٣٧۵ . (٢٣٣)

۳- ثمّ ولی بعده المهدی ولد المنصور، وبقی فی الحکم من سنة (۱۵۸) إلی سنة (۱۶۹) وکفی فی ظلمه للعلویّین، انّه أخذ علی بن العباس بن الحسن بن علی بن أبی طالب، فسجنه فدسّ إلیه السّم فتفسّخ لحمه وتباینت أعضاؤه . ۴- ولمّا توفّی المهدی بویع ولده الهادی، وکانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وکفی فی ظلمه - بالرغم من قصر أیّامه ـ ما یذکره أبو الفرج الأصفهانی: انّ اُمّ الحسین صاحب فخ هی زینب بنت عبداللّه بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب، قتل المنصور اباها واخوتها وعمومتها وزوجها علی بن الحسن، ثم قتل الهادی حفید المنصور، ابنها الحسین، وکانت تلبس المسوح علی جسدها، لا تجعل بینها وبینه شیئاً حتّی لحقت باللّه عزّوجلّ(۱) . ۵- ثم تولّی بعده الرشید سنة (۱۷۰) ومات (۱۹۳) ونذکر من جرائمه شیئاً واحداً، ما نقله صاحب مقاتل الطالبیین عن إبراهیم بن رباح، قال: إنّ الرشید حین ظفر بیحیی بن عبداللّه بن الحسن، بنی علیه اسطوانة وهو حی، وکان هذا العمل الاجرامی موروثاً من جدّه المنصور (۲) الکاظم فنذکره فی الفصل الحادی عشر عند ذکر أئمّة الشیعة . ۶- ثمّ جاء بعده ابنه الأمین، فکان علی الحکم أربع سنین وأشهرا، یقول أبو الفرج: کانت سیرة الأمین فی أمر آل أبی طالب خلاف من تقدّم لتشاغله بما کان فیه من اللهو ثمّ الحرب بینه وبین المأمون، حتّی قتل فلم یحدث علی أحد منهم فی أیّامه حدث . ۷- وتولّی الحکم بعده المأمون، فقد کان من أقوی الحکّام العباسیّین بعد ــــــــــــــــ

۱ . مقاتل الطالبیین ۲۸۵ طبع النجف .

۲ . مقاتل الطالبیین ۳۲۰ طبع النجف، وروی فی مقتله أمراً آخر . (۲۳۴)

أبیه الرشید. فلمّا رأی المأمون إقبال الناس علی العلویّین وعلی رأسهم الإمام الرضا، ألقی علیه القبض بحیلة الدعوة إلی بلاطه، ثم دسّ السم للإمام الرضا، وسیوافیک تفصیله . ۸- مات المأمون سنة (۲۱۸) وجاء إلی الحکم ابنه المعتصم فسجن محمّد ابن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن أبی طالب فتغلّب علیه وسجنه ثمّ فرّمن السجن . ۹- ولی الحکم بعده الواثق وقد سجن الإمام الجواد بن الإمام الرضا ـ علیه السلام ـ، ودسّ له السم بید زوجته الأثیمة اُمّ الفضل بنت المأمون . ۱۰- وولی الحکم بعد الواثق، المتوکّل وإلیک نموذجاً من حقده علی آل البیت وهو ما ذکره أبو الفرج قال: کان المتوکّل شدید الوطأة علی آل أبی طالب غلیظاً فی جماعتهم، شدید الغیظ والحقد علیهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتّفق له أنّ عبید اللّه بن یحیی بن خاقان وزیره یسیء الرأی فیهم، فحسن له القبیح فی معاملتهم، فبلغ فیهم ما لم یبلغه أحد من خلفاء بنی العباس قبله، وکان من ذلک أن کرب(۱) قبر الحسین وعفّی آثاره، ووضع علی سائر الطرق، مسالح له لا یجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به وقتله أو أنهکه عقوبة . وقال: بعث برجل من أصحابه (یقال له «الدیزج» وکان یهودیاً فأسلم) إلی قبر الحسین وأمره بکرب قبره ومحوه وإخراب ما حوله، فمضی ذلک، فخرّب ما حوله وهدم البناء وکرب ما حوله نحو مأتی جریب، فلمّا بلغ إلی قبره لم یتقدّم إلیه أحد فأحضر قوماً من الیهود فکربوه، وأجری الماء حوله، ووکل به مسالح، بین کل مسلحتین میل، لا یزوره زائر إلاّ أخذوه ووجّهوا به إلیه . وقال: حدثنی محمّد بن الحسین الأشنانی: بعد عهدی بالزیارة فی تلک ــــــــــــــــ

۱ . الکرب: إثارة الأرض للزرع .

(۲۳۵)

الأیّام خوفاً، ثمّ عملت علی المخاطرة بنفسی فیها، وساعدنی رجل من العطّارین علی ذلک، فخرجنا زائرین، نکمن النهار ونسیر اللیل حتّی أتینا نواحی الغاضریّة، وخرجنا نصف اللیل فصرنا بین مسلحتین، وقد ناموا، حتّی أتینا القبر فخفی علینا فجعلنا نشمّه (نتسمه) ونتحرّی جهته حتّی أتیناه، وقد قلع الصندوق الّذی کان حوالیه واُحرق واُجری الماء علیه، فانخسف موضع اللبن وصار کالخندق، فزرناه وأکببنا علیه... فودّعناه وجعلنا حول القبر علامات فی عدّة مواضع، فلمّا قتل المتوکّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبیین والشیعة حتّی صرنا القبر فأخرجنا تلک العلامات وأعدناه إلی ما کان علیه . وقال: واستعمل علی المدینة ومکّة عمر بن الفرج فمنع آل أبی طالب من التعرّض لمسألة الناس ومنع الناس من البرّ بهم، وکان لا یبلغه أنّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشیء، وإنّ قلّ إلاّ أنهکه عقوبة،

وأثقله غرماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر إلى أن قتل المتوكّل فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم بمال فرّقه بينهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه فى جميع أحواله ومضادّة مذهبه(۱) . وولى بعده المنتصر ابنه وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه ـ كما عرفت ـ فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا . وأوّل ما أحدثه أنّه لمّا ولى الخلافة عزل صالح بن على عن المدينة، وبعث على بن الحسين مكانه فقال له ـ عند الموادعة ـ : يا على: إنّى أُوجّهك إلى لحمى ودمى فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم ـ يعنى آل أبى طالب ـ فقلت: أرجو أن أمتثل رأى أميرالمؤمنين ـ أيّده اللّه ـ فيهم، إن شاء اللّه. قال: إذاً تسعد ________________

۱ . مقاتل الطالبيين ۳۹۵ ـ ۳۹۶ .

(۲۳۶)

بذلك عندى (۱) . وقام بعده المستعين بالأمر، فنقص كلّما غزله المنتصر من البرّ والإحسان، ومن جرائمه انّه قتل يحيى بن عمر بن الحسين، قال أبو الفرج: وكان ـ رضى الله عنه ـ رجلا فارساً شجاعاً شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله، ولمّا اُدخل رأسه إلى بغداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له، ودخل أبو هاشم على محمّد بن عبداللّه بن طاهر، فقال: أيّها الأمير، قد جئتك مهنّيا بما لو كان رسول اللّه حيّاً يعزّى به . واُدخل الاُسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد ولم يكن روى قبل ذلك من الاُسارى لحقه ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه . قال أبو الفرج: وما بلغنى أنّ أحداً ممّن قتل فى الدولة العباسيّة من آل أبى طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر ممّا قيل فيه . هذا قليل من كثير من المجازر الدامية، الّتى قام بها بنو العباس وأتو بجرائهم لم يسبقهم أحد من الامويين ولا من جاء بعدهم إليها وهم كما قال الشاعر: تاللّه إن كانت بنو اُميّة قد أتت * قتل ابن بنت نبيّها مظلوما فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها * هذا لعمرك قبره مهدوما أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا * فى قتله فتتّبعوه رميما ومن أراد أن يقف على سجلّ جرائم الدولتين (الاموية والعباسية) وملف مظالمهم فعليه قراءة القصائد الثلاث الّتى نظمها رجال مؤمنون مخلصون، عرضوا أنفسهم للمخاوف والأخطار طلباً لرضى الحقّ:

---

۱ . مقاتل الطالبيين ۶۳۶ .

(۲۳۷)

۱- تائية دعبل الخزاعى الشهيد عام ۲۴۶ هـ، فإنّها وثيقة تأريخية خالدة تعرب عن سياسة الدولتين تجاه أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، وقد أنشدها الشاعر للإمام الرضا، فبكى وبكت معه النسوة. أخرج الحموى عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعى قال: أنشدت قصيدة لمولاى على الرضا ـ رضى الله عنه ـ: مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات قال دعبل: ثمّ قرأت باقى القصيدة، فلمّا انتهيت إلى قولى: خروج إمام لا محالة واقع * يقوم على اسم اللّه والبركات بكى الرضا بكاءً شديداً. ومن هذه القصيدة قوله: هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه * ما حكمه بالزور والشبهات تراث بلا قربى وملك بلا هدى * وحكم بلا شورى بغير هدات وفيه أيضاً قوله: لآل الرسول بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات ديار على والحسين وجعفر * وحمزة والسجّاد ذى الثفنات ديار عفاها جور كل منابذ * ولم تعف للايّام والسنوات ودار لعبداللّه والفضل صنوه * سليل رسول اللّه ذى الدعوات منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات منازل وحى اللّه معدن علمه * سبيل رشاد واضح الطرقات منازل وحى اللّه ينزل حولها * على أحمد الروحات والغدوات إلى أن قال: ديار رسول اللّه أصبحن بلقعا * ودار زياد أصبحت عمرات (۲۳۸)
وآل رسول اللّه غُلّتْ رقابهم * وآل زياد غُلّظِ القصرات وآل رسول اللّه تُدْمى نحورهم * وآل زياد زيّنوا الحجلات وفيها أيضاً: أفاطم لو خلت الحسين مجدّلا * وقد مات عطشاناً بشطّ فرات إذاً للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين فى الوجنات أفاطم قومى يا ابنة الخير واندبى * نجوم سماوات بأرض فلات(۱) ۲- ميميّة الأمير أبى فراس الحمدانى (۳۲۰ ـ ۳۵۷ هـ)، هذه القصيدة تعرف بالشافية

وهى من القصائد الخالدة، وعليها مسحة البلاغة، ورونق الجزالة، وجودة السرد، وقوّة الحجّة، وفخامة المعنى، أنشدها ناظمها لمّأ وقف على قصيدة ابن سكره العباسى الّتى مستهلّها: بنى على دعوا مقالتكم * لا ينقض الدر وضع من وضعه فقال الأمير فى جوابه ميميّته المعروفة وهى: الحق مهتضم والدين مخترم * وفيء آل رسول اللّه مقتسم إلى أن قال: يا للرجال أما للّه منتصر * من الطغاة؟ أما للّه منتقم؟ بنو على رعايا فى ديارهم * والأمر تملكه النسوان والخدم!(۲) ۳- جيميّة ابن الرومى الّتى رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد، وهى: ــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ للوقوف على هذه القصيدة: المناقب لابن شهر آشوب ۲ / ۳۹۴، وروضة الواعظين للفتال النيسابورى ۱۹۴، وكشف الغمة للاربلى ۳ / ۱۱۲ ـ ۱۱۷، وقد ذكرها أكثر المؤرخين .

۲ . نقلها فى الغدير برمتها وأخرج مصادرها، لاحظ ۳ / ۳۹۹ ـ ۴۰۲ . (۲۳۹)

أمامك فانظر أىّ نهجيك تنهج * طريقان شتّى مستقيم وأعوج ألا أىّ هذا الناس طال ضريركم * بآل رسول اللّه فاخشوا أو ارتجوا أكلّ أوان للنبى محمّد * قتيل زكىّ بالدماء مضرّج(۱) «واللّه لا يعرف التاريخ اُسرة كأُسرة أبى طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة، وطيب النجار، ضلّ عنها حقّها، وجاهدت فى سبيل اللّه حقَّ الجهاد من الاعصار، ثم لم تظفر من جهادها المرير إلاّ بالحسرات ولم تعقب من جهادها إلاّ العبرات، على ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم فى ساحة الوغى، راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم، وصافحوا الموت فى بسالة فائقة وتلقّوه فى صبر جميل يثير فى النفس الاعجاب والاكبار ويشيع فيها ألوان التقدير والاعظام . وقد أسرف خصوم هذه الأُسرة الطاهرة فى محاربتها وأذاقوها ضروب النكال، وصبّوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلاّ ولا ذمّة ولم يرعوا لها حقّاً ولا حرمة وأفرغوا بأسهم الشديد على النساء والأطفال، والرجال جميعاً فى عنف لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتّى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال، فى فظاعة النكال، وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والمودّة فى قلوب الناس وأشاعت الأسف الممض فى ضمائرهم، وملأت عليهم أقطار نفوسهم شجنا، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثاً يروى وخبراً يتناقل، وقصصاً يقص، يجد فيه الناس إرضاء عواطفهم وإرواء مشاعرهم فتطلبوه وحرصوا عليه»(۲) . كانت الشيعة حليف الضغط والكبت، لم ير الامويّون والعباسيّون ولا الملوك ــــــــــــــــــ

۱ . مقاتل الطالبيين ۶۳۹ ـ ۶۴۶ .

۲ . مقدمة مقاتل الطالبيين، بقلم السيد أحمد صفر: الصفحة ى ـ ك، طبع دار المعرفة . (۲۴۰)

الغزانوة ولاـ السلاجقة ولاـ من أتى بعدهم أى حرمة لنفوسهم واعراضهم وعلومهم ومكتباتهم، وكانت اليهود والنصارى أحراراً فى الرقعة الإسلامية وكانت الشيعة تعيش فى التقيّة ولا يتوجّه أى ذنب على الشيعة فى أن يتقى أخاه المسلم، ويظهر له خلاف ما يعتقده. إنّما التقصير على من حملهم على التقيّة، وأباح دمهم وعرضهم وأموالهم فلم ير بدّا، لصيانة نفسه ونفيسه من التقيّة . هذا هو طغرل بيك أوّل ملك من السلاجقة ورد بغداد سنة ۴۴۷ وشنّ على الشيعة حملة شعواء وأمر بإحراق مكتبة الشيعة الّتى أنشأها أبو نصر سابور بن اردشير، وزير بهاء الدولة البويهى وكانت من دور العلم المهمّة فى بغداد بناها هذا الوزير الجليل فى محلّة بين السورين فى الكرخ سنة ۳۸۱ على مثال بيت الحكمة الّذى بناه هارون الرشيد، وكانت مهمّة للغاية وقد جمع فيه هذا الوزير ما تفرّق من كتب فارس والعراق واستكتب تآليف اهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد على، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين(۱) . قال ياقوت الحموى: وبها كانت خزانة الكتب الّتى أوقفها الوزير أبونصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن فى الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة واُصولهم المحرّرة(۲) . وكان من جملتها مصاحف بخطّ ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير(۳) . وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب، أخذ العلماء يهدون إليه ــــــــــــــــــ

۱ . خطط الشام ۳ / ۱۸۵ .

۲ . معجم البلدان ۲ / ۳۴۲ .

۳ . الكامل فى التاريخ ۱۰ / ۳ . (۲۴۱)

مؤلّفاتهم، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، وقد احترقت هذه المكتبة العظيمة فيما احترق من محال كرخ عند مجيىء طغرل بيك وتوسّعت الفتنة حتّى اتّجهت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الّذى كان يجلس عليه للكلام . وقال ابن الجوزى فى حوادث سنة ۴۴۸: وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره ثمّ قال فى حوادث سنة ۴۴۹: وفى صفر هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلّم الشيعة فى الكرخ، واُخذ ما وجد من دفاتره وكرسى يجلس إليه للكلام، واُخرج إلى الكرخ واُضيف إليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إن قصدوا زيارة الكوفة، فاُحرق الجميع(۱) . وأنت إذا سبرت غضون التأريخ المؤلّف فى عصور الامويّين والعباسيّين ومن بعدهم ـ مع أنّه قد لعبت به الهوى ودسّ فيها أشياء وأشياء ـ تقف على أنّ بقاء الشيعة إلى العصر الحاضر من المعاجز والكرامات وخوارق العادات، وكيف وانّ تاريخهم هو الذبح، والقتل، والقمع، والاستئصال، والسحق، والإبادة، قد تضافرت قوى الكفر والفسق على إهلاكهم وقطع جذورهم ومع ذلك فقد كانت لهم دول ودويلات، ومعاهد وكلّيّات، وبلدان وحضارات، وأعلام ومفاخر وعباقرة وفلاسفة، وفقهاء ومحدّثون ووزراء وسياسيّون، ويشكلون اليوم خمس المسلمين أو ربعهم، إنّ ذلك من فضله سبحانه لتعلّق مشيئته على إبقاء الحقّ ________________

۱ . المنتظم ۸ / ۱۷۳ ـ ۱۷۹، نقلنا ما يتعلّق بمكتبة أبى نصر سابور والشيخ الطوسى عن مقدّمة شيخنا الطهرانى على التبيان وذكرنا المصادر الّتى أومأ هو إليها فى الهامش، لاحظ الصفحة هـ ـ و ومن المقدمة .

(۲۴۲)

و إزهاق الباطل فى ظل قيام الشيعة طيلة القرون بواجبها وهو الصمود أمام الظلم، والتضحية والتفدية للمبدأ والمذهب وقد قال سبحانه: (إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشرونَ صابِرونَ يَغْلِبُوا مائَتَين وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ يَغْلِبُوا ألْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفروا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)(۱) . ولا يفوتنّك انّ ثوراتهم المتعاقبة أدّت إلى تشريدهم وقتلهم والفتك بهم، ولو أنّهم ساوموا السلطة الأموية والعباسية، لكانوا فى أعلى المناصب والمدارج، لكن ثوراتهم لم تكن عنصريّة أو قوميّة أو طلباً للرئاسة، بل كانت لإزهاق الباطل ورفع الظلم عن المجتمع، والدعوة إلى اعلاء كلمة اللّه وغير ذلك ممّا هو من وظائف العلماء العارفين . ________________

۱ . الأنفال / ۶۵ .

الفصل العاشر فى عقائد الشيعة الإمامية

الفصل العاشر فى عقائد الشيعة الإمامية

(۲۴۵) (۲۴۴)

إنّ المناهج الكلامية الّتى فرّقت المسلمين إلى مذاهب حدثت فى أواخر القرن الأوّل الهجرى، واستمرّت فى القرون التالية، نجمت عنها فرق اسلامية كالمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والحشوية، والأشعرية، والكرامية بفرقهم المتشعّبة، فأكثر الفرق الإسلامية أو جميعها نتاج البحث والمذاكرة بالاضافة إلى الإحتكاك الفكرى بين المسلمين والاُمم الاُخرى الّتى حملت إليهم مسائل وموضوعات جديدة، فلا تجد لأكثرها أو جميعها تأريخاً متّصلا بزمن النبىّ الأكرم، ويقف على صدق ما ذكرنا من سبر أجزاء كتابنا هذا . مثلا الخوارج ـ مضافاً إلى أنّها كانت فرقة سياسيّة نجمت عام ۳۷ من الهجرة أثناء حرب صفين ـ تبدّلت إلى فرقة دينيّة فى أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثانى . والمرجئة ظهرت على الأوساط الإسلاميّة عند اختلاف الناس فى الخليفتين عثمان وعلى، ثمّ تطوّرت إلى معنى آخر وكانت حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان و تأخير العمل . والجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّى سنة ۱۲۸، والمعتزلة تستمد من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى المتوفّى عام ۱۳۰، وهكذا القدريّة (۲۴۶)

والكراميّة والظاهريّة والأشعريّة كلّها فرق نتجت عن البحث الكلامى وصقلها الجدل عبر القرون، فلا تجد لهذه الفرق سنداً متّصلا بالنبىّ الأكرم . وأمّا عقائد الشيعة الإماميّة، فليست حصيلة الاحتكاك بالثقافات الأجنبيّة ولا ما أنتجته البحوث الكلاميّة طوال القرون، وإنّما هى عقائد مأخوذة من الذكر الحكيم أوّلا، والسنّة النبويّة ثانياً، وخطب الامام على وكلمات العترة الطاهرة المأخوذة من النبىّ الأكرم ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياة أئمّتهم الطاهرين . وهذا لا يعنى أنّ الشيعة تتعبّد بالنصوص فى اُوصلها من دون تحليل وتفكير، بل يعنى أنّ اُصول العقائد الواردة فى المصادر المذكورة، أخذها علماؤهم منها، وحرّروها بأوضح الوجوه، ودعموها بالبرهنة، نعم لا ـ يعتمدون فى مجال العقيدة على آحاد الروايات بل يشترط فيها أن تكون متواترة، أو محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم واليقين، إذ ليس المطلوب فى باب الاعتقاد مجرّد العمل، بل المطلوب هو الاذعان والإيمان ولا يحصل بآحاد الروايات . وهنا نكتة جديرة بالتنبية، وهى أنّ قوام التشيّع عبارة عن الاعتقاد بأنّ الإمام عليّاً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبىّ الأـكرم، وأنّه وعترته الطاهرة هم المرجع الوحيد بعد الذكر الحكيم. هذا هو العنصر المقوّم للتشيّع وأمّا سائر الاُصول فإنّها عقائد اسلامية لا تتّصل بالتشيّع دون غيرهم . وها نحن نذكر قصاصات من عقائد الشيعة الامامية، الواردة فى أحاديث أئمّتهم تارة، وكلمات علمائهم الأقدمين ثانياً، حتّى يقف القارئ على جذور تلك العقائد وأنّها مأخوذة عن أئمّتهم الطاهرين، وفى مقدّمتهم خطب الامام على ـ عليه السلام ـ . (۲۴۷) ۱- ما كتبه الامام الرضا ـ عليه السلام ـ للمأمون فى محض الإسلام:

روى الصدوق بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سأل المأمون على بن موسى الرضا أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب ـ عليه السلام ـ له: «إنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً قيّوماً، سميعاً، بصيراً، قديراً، قديماً، قائماً، باقياً، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنيّاً لا يحتاج، عدلا لا يجور، وانّه خالق كلّ شىء، ليس كمثله شىء، لا شبه له ولا ضدّ له ولا ندّ له ولا كفو له، وانّه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة. وانّ محمّداً عبده و رسوله وأمينه وصفيّه وصفوته من خلقه، وسيّد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبىّ بعده ولا تبديل لملّته ولا تغيير لشريعته، وانّ جميع ما جاء به محمّد بن عبداللّه هو الحقّ المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل اللّه، وأنبيائه، وحججه، والتصديق بكتابه، الصادق العزيز الّذى (لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكيم حَميد)(۱) وانّه المهيمن على الكتب كلّها، وانّه حقّ من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه واخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتى بمثله . وانّ الدليل بعده والحجّة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيّه ووليّه، والّذى كان منه بمنزلة هارون من موسى: على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ أميرالمؤمنين، وإمام

---

۱ . فصّلت / ۴۲ .

(۲۴۸)

المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأفضل الوصيّين ووارث علم النبيّين والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، ثمّ على بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد بن على باقر علم النبيّين، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق وارث علم الوصيّين، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ على بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن على، ثمّ على بن محمّد، ثمّ الحسن بن على، ثمّ الحجّة القائم المنتظر ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ . أشهد لهم بالوصيّة والإمامة، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة للّه تعالى على خلقه فى كلّ عصر وأوان، وانّهم العروة الوثقى، وأئمّة الهدى، والحجّة على أهل الدنيا، إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، وانّ كل من خالفهم ضال، مضل، باطل، تارك للحقّ والهدى، وانّهم المعبّرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالبيان، ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وانّ من دينهم الورع، والفقه، والصدق والصلاة والاستقامة والاجتهاد، واداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود وصيام النهار وقيام الليل واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء وكرم الصحبة(۱) . ثمّ ذكر الامام فروعاً شتّى من مختلف

أبواب الفقه وأشار إلى بعض الفوارق بين مذهب أهل البيت وغيرهم لا ـ يهمّنا فى المقام ذكرها ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى المصدر . * * ۲- عرض السيّد عبدالعظيم الحسنى عقائده على الإمام الهادى:

روى الصدوق عن عبدالعظيم الحسنى(۲) قال: دخلت على سيدى على بن محمّد بن على بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ فلمّا بَصُرَبى، قال لى: «مرحباً بك يا أباالقاسم أنت وليّنا حقّا» قال: فقلت له: ياابن رسول اللّه إنّى أُريد أن أعرض عليك دينى، فإن كان مرضيّاً ثبتّ عليه حتّى ألقى اللّه عزّوجلّ. فقال: «هاتها أبا القاسم» . فقلت: إنّى أقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شىء، خارج من الحدّين: حدّ الابطال، وحدّ التشبيه، وانّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا ـ جوهر، بل هو مجسّم الأجسام ومصوّر الصور، وخالق الاعراض والجواهر، وربِّ كل شىء ومالكه وجاعله ومحدثه، وانّ محمّداً عبده ــــــــــــــ

۱ . عيون أخبار الرضا ۲ / ۱۲۱ ـ ۱۲۲ .

۲ . عبدالعظيم بن عبداللّه بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ من أصحاب الإمام الهادى، قال النجاشى: له كتاب خطب أميرالمؤمنين ورد الرى هارباً من السلطان وسكن سربا فى دار رجل من الشيعة فى سكة الموالى، فكان يعبداللّه فى ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله، فكان يخرج مستتراً، فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ويقول هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ فلم يزل يأوى إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمّد ـ عليهم السلام ـ حتّى عرفه اكثرهم رجال النجاشى ۲ / ۶۵ ـ ۶۶، ومات عبدالعظيم بالرى وقبره مزار. يزوره الناس. وذكره الشيخ الطوسى فى رجاله فى أصحاب الإمام الهادى والعسكرى تحت رقم ۱ و ۲۰. وذكره أيضاً عمدة الطالب ۹۴ . (۲۴۹)

ورسوله خاتم النبيّين، فلا نبىّ بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الامام والخليفة وولىّ الأمر بعده أميرالمؤمنين على بن أبى طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ على بن الحسين، ثمّ محمّد بن على، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ على بن موسى، ثمّ محمّد بن على، ثمّ أنت يا مولاى . فقال ـ عليه السلام ـ : «ومن بعدى الحسن ابنى، فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاى؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل (۲۵۰)

ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ ـ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا. قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم ولىّ اللّه، وعدوّهم عدوّ اللّه، وطاعتهم طاعة اللّه، ومعصيتهم معصية اللّه، وأقول: إنّ المعاد حقّ، والمساءلة فى القبر حقّ، وانّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ، وانّ الساعة آتية لا ـ ريب فيها وانّ اللّه يبعث من فى القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقال على بن محمّد ـ عليه السلام ـ : يا أبا القاسم: «هذا واللّه دين اللّه الّذى ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبّتك اللّه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة»(۱) . وقد اكتفينا بهذين النصّين من الإمامين الطاهرين، أحدهما قولى، والآخر امضائى، وقد أخذوا عقائدهم عن آبائهم الطاهرين . * * ۳- رسالة الصدوق «۳۰۶ ـ ۳۸۱» فى عقائد الإمامية:

إنّ لمشايخنا الإمامية قصاصات فى بيان عقائد الشيعة ومعارفهم، ونختار فى المقام رسائل موجزة، من المتقدّمين : صنّف الشيخ الصدوق (۳۰۶ ـ ۳۸۱) رسالة موجزة فى عقائد الإمامية، قال: اعلم انّ اعتقادنا فى التوحيد، أنّ اللّه تعالى واحد، أحد، ليس كمثله شىء، قديم لم يزل ولا ـ يزال، سميعاً بصيراً، عليماً حكيماً، حيّاً قيّوماً، عزيزاً قدّوساً، عالماً قادراً، غنيّاً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا ـ عرض ـ إلى أن قال: ـ وأنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين، حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه،

۱ . التوحيد: باب التوحيد والتشبيه ۸۱ رقم الحديث ۳۷ .

وأنّه تعالى شیء لا كالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولا ند ولا ضد، ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير، خالق كل شیء لا إله إلّا هو، له الخلق والأمر تبارك اللّه ربّ العالمين . ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف فی التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت فی التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو باطل، وإن وجد فی كتب علمائنا فهو مدلس... ثمّ إنّه قدّس اللّه سرّه ذكر الصفات الخبرية فی الكتاب العزيز وفسّرها، وبيّن حدّاً خاصّاً لصفات الذات وصفات الأفعال، وما هو معتقد الإماميّة فی أفعال العباد، وانّه بين الجبر والتفويض، كما ذكر عقائدهم فی القضاء والقدر، والفطرة والاستطاعة إلى غير ذلك من المباحث الهامّة، الّتی تشكّل العمود الفقری للمعارف الإلهية. حتّى انّه قال: اعتقادنا أنّ القرآن الّذی أنزله اللّه تعالى على نبيّه محمّد هو ما بين الدفّتين، وهو ما فی أيدی الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس ۱۱۴ سورة، وعندنا أنّ الضحى والانشراح سورة واحدة، كما أنّ الإيلاف والفيل سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب... إلى آخر الرسالة(۱) . ثمّ إنّ الشيخ المفيد (۳۳۶ـ ۴۱۳) قد شرح تلك الرسالة بكتاب أسماه شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد ناقش فيها اُستاذه الصدوق فی بعض المواضع التی ـــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ رسالة الصدوق فی الاعتقادات، وقد طبعت غير مرّة، وعليها شروح وتعاليق العلماء منهم العلاّمة المجلسی .

(۲۵۲)

استند فيها الصدوق على روايات غير جامعة للشرائط فی باب العقائد(۱) . ۴ـ ما أملاه هو أيضاً على جماعة فی المجلس الثالث والتسعون، وجاء فيه: واجتمع فی هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبی جعفر محمّد بن علی بن الحسين بن موسى بن بابويه أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملی عليهم وصف دين الإماميّة على الإيجاز والاختصار، فقال: دين الإماميّة هو الإقرار بتوحيد اللّه تعالى ذكره ونفی التشبيه عنه، وتنزيهه عمّا لا يليق، والإقرار بأنبياء اللّه ورسله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأنّ محمّداً هو سيّد الأنبياء والمرسلين، وانّه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقرّبين، وأنّه خاتم النبيّين فلا نبیّ بعده... إلى آخر ما ذكر(۲) . * * * ۵- جمل العلم والعمل للسيّد الشريف المرتضى «۳۵۵ ـ ۴۳۶»:

ألّف السيّد الشريف المرتضى رسالة موجزة فی العقائد أسماها جمل العلم والعمل. وفيه عقائد الشيعة على وجه الإيجاز نذكر خصوص ما يرجع إلى التوحيد فعلى القارئ الكريم مطالعة نفس الرسالة ونقتطف ما يلی: بيان ما يجب اعتقاده فی أبواب التوحيد: الأجسام محدَثة لأنّها لم تسبق الحوادث، فلها حكمها فی الحدوث، ولابدّلها من محدث، لحاجة كل محدَث فی حدوثه إلى محدِث كالصناعة والكتابة. ولابدّ من كونه (تعالى) قادراً لتعذّر الفعل على من لم يكن قادراً وتيسّره على ـــــــــــــــــــــــ

۱ . طبع الكتاب مع كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد فی تبريز عام ۱۳۷۱ .

۲ . الأمالی للشيخ الصدوق ـ أملاه يوم الجمعة الثانی عشر من شعبان سنة ۳۶۸ ـ لاحظ ۵۰۹ طبع بيروت . (۲۵۳)

من كان كذلك . ولابدّ من كون محدثها عالماً لأنّ الإحكام ظاهر فی كثير من العالم، والمحكم لا يقع إلّا من عالم . ولابدّ من كونه موجوداً، لأنّ له تعلّقاً من حيث كان قادراً عالماً، وهذا الضرب من التعلّق لا يصحّ إلّا مع الوجود . ويجب كونه قديماً، لانتهاء الحوادث إليه . ويجب كونه حيّاً، وإلّا لم يصحّ كونه قادراً، عالماً، فضلا عن وجوبه. ويجب أن يكون مدرِكاً إذا وجدت المدرَكات، لاقتضاء كونه حيّاً. ذلك، وواجب كونه سميعاً بصيراً، لأنّه ممّن يجب أن يدرك المدركات إذا وجدت، وهذه فائدة قولنا سميع بصير . ومن صفاته ـ وإن كانتا عن علّة ـ كونه تعالى مريداً وكارهاً لأنّه تعالى، قد أمر وأخبر ونهى، ولا يكون الأمر والخبر، أمراً ولا خبراً إلّا بالإرادة. والنهی لا يكون نهياً إلّا بالكراهة . ولا يجوز أن يستحق هاتين الصفتين لنفسه، لوجوب كونه مريداً، كارهاً للشیء الواحد، على الوجه الواحد . ولا لعلّة قديمة، لما سنبطل به الصفات القديمة . ولا لعلّة محدثة فی غير حی لافتقار الإرادة إلى تنبيه. ولا لعلّة موجودة فی حی، لوجوب رجوع حكمها إلى ذلك الحی. فلم يبق إلاّ أن توجد لا فی محل . ولا يجوز أن يكون له فی نفسه صفة

زائدة على ما ذكرناه لأنّه لا حكم لها معقول . وإثبات ما لا حكم له معقول من الصفات، يفضى إلى الجهالات . ويجب أن يكون قادراً فيما لم يزل، لأنّه لو تجدّد له ذلك لم يكن إلّا لقدرة (٢٥۴)

محدثة، ولا يمكن اسناد احداثها إلّا إليه، فيؤدّى إلى تعلّق كونه قادراً بكونه محدثاً، وكونه محدثاً بكونه قادراً. وثبوت كونه قادراً فيما لم يزل، يقتضى أن يكون فيما لم يزل حيّاً موجوداً. ويجب أن يكون عالماً فيما لم يزل لأنّ تجدّد كونه عالماً، يقتضى أن يكون بحدوث علم، والعلم لا يقع إلّا ممّن هو عالم . ووجوب هذه الصفات، لم تدل على أنّها نفسيّة، وادّعاء وجوبها لمعان قديمة، تبطل صفات النفس. ولأنّ الاشتراك فى القدم، يوجب التماثل والمشاركة فى سائر الصفات. ولا يجوز خروجه تعالى عن هذه الصفات لإسنادها إلى النفس . ويجب كونه تعالى غنيّاً غير محتاج، لأنّ الحاجة تقتضى أن يكون ممّن ينتفع ويستضر وتؤدّى إلى كونه جسماً . لا يجوز كونه تعالى (متّصفاً)(١) بصفة الجواهر والأجسام والاعراض لقدمه وحدوث هذه أجمع، ولأنّه فاعل الأجسام. والجسم يتعذّر عليه فعل الجسم. ولا يجوز عليه تعالى الرؤية لأنّه كان يجب مع ارتفاع الموانع وصحّة أبصارنا أن تراه . ولمثل ذلك يعلم أنّه لا يدرك بسائر الحواس . ويجب أن يكون تعالى واحداً لا ثانى له فى القدم، لأنّ إثبات ثان يؤدّى إلى إثبات ذاتين لاحكم لهما يزيد على حكم الذات الواحدة ويؤدّى أيضاً إلى تعذّر الفعل على القادر من غير جهة منع معقول. وإذا بطل قديم ثان بطل قول الثنوية

---

١ . أضفناها من عندنا لاقتضاء السياق .

(٢٥٥)

والنصارى والمجوس... إلى آخرها(١) . ۶- البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان للكراجكى «ت ۴۴۹»:

كتب الإمام أبو الفتح الشيخ محمّد بن على الكراجكى الطرابلسى رسالة موجزة فى عقائد الإمامية وأسماها «البيان عن جمل اعتقاد أهل الايمان» . قال: سألت يا أخى أسعدك اللّه بألطافه، وأيّدك باحسانه واسعافه، أن اثبت لك جملا من اعتقادات الشيعة المؤمنين، وفصولا فى المذهب يكون عليها بناء المسترشدين لتذاكر نفسك بها، وتجعلها عدّة لطالبها، وأنا أختصر لك القول وأُجمله، وأُقرّب الذكر وأُسهّله وأورده على سنن الفتيا فى المقالة، من غير حجّة ولا دلالة، وما توفيقى إلّا باللّه . فى توحيده سبحانه:

إعلم أنّ الواجب على المكلّف: أن يعتقد حدوث العالم بأسره، وانّه لم يكن شيئاً قبل وجوده، ويعتقد أنّ اللّه تعالى هو محدِث جميعه، من أجسامه، واعراضه، إلّا أفعال العباد الواقعة منهم، فانّهم محدثوها دونه سبحانه . ويعتقد أنّ اللّه قديم وحده، لا قديم سواه، وأنّه موجود لم يزل، وباق لا يزال، وانّه شىء لا كالأشياء. لا شبيه الموجودات، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وانّ له صفات يستحقّها لنفسه لا لمعان غيره، وهى كونه حيّاً، عالماً،

---

١ . جمل العلم والعمل قسم العقائد، الطبعة الثانية تحقيق رشيد الصفار، طبعة النجف طالع الرسالة بأجمعها، نعم رأيه فى اعجاز القرآن من القول بالصرف رأى شخصى له ولا يمثّل رأى جمهور الامامية وفيها وراء النصوص، آراء كلامية .

(٢٥۶)

قديماً، باقياً، لا يجوز خروجه عن هذه الصفات إلى ضدّها، يعلم الكائنات قبل كونها، ولا يخفى عليه شىء منها . فى عدله سبحانه:

وانّ له صفات أفعال، لا يصحّ اضافتها إليه فى الحقيقة، إلّا بعد فعله، وهى ما وصف به نفسه من أنّه خالق، ورازق، ومعط، وراحم، ومالك، ومتكلّم، ونحو ذلك. وانّ له صفات مجازات وهى ما وصف به نفسه، من أنّه يريد، ويكره، ويرضى، ويغضب. فارادته لفعل هى الفعل المراد بعينه، وارادته لفعل غيره هى الأمر بذلك الفعل، وليس تسميتها بالارادة حقيقة، وانّما هو على مجاز اللغة، وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه، وانّه لا يفتقر إلى مكان، ولا يدرك بشىء من الحواس . وانّه منزّه من القبائح، لا يظلم الناس وإن كان قادراً على الظلم، لأنّه عالم بقبحه، غنى عن فعله، قوله صدق، ووعده حق، لا يكلّف خلقه على ما لا يستطاع، ولا يحرمهم صلاحاً لهم فيه الانتفاع، ولا يأمر بما لا يريد، ولا ينهى عمّا يريد. وانّه خلق الخلق لمصلحتهم، وكلّفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح فى

التکلیف عللهم، وفعل أصلح الأشیاء بهم. وأنّه أقدرهم قبل التکلیف، وأوجد لهم العقل والتمییز . وانّ القدرة تصلح أن یفعل بها وضده بدلا منه. وانّ الحق الّذی یجب معرفته، یدرک بشیئین، وهما العقل والسمع، وانّ التکلیف العقلی لا ـ ینفک عن التکلیف السمعی. وانّ اللّه تعالی قد أوجد (للناس) فی کل زمان مسمعاً (لهم) من أنبیائه، وحججه بینه وبین الخلق، ینبّههم علی طریق الاستدلال فی العقلیات ویفقّههم علی ما لا یعلمونه إلّا به من السمعیات. وانّ جمیع حجج اللّه تعالی محیطون (۲۵۷)

علماً بجمیع ما یفتقر إلیهم فیه العباد. وانّهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختیار. وانّ اللّه فضّلهم علی خلقه، وجعلهم خلفاءه القائمین بحقّه. وانّه أظهر علی أیدیهم المعجزات، تصدیقاً لهم فیما ادّعوه من الأنباء والاخبار. وانّهم ـ مع ذلک ـ بأجمعهم عباد مخلوقون، بشر مکلّفون، یأکلون ویشربون، ویتناسلون، ویحیون بإحیائه، ویموتون بإماتته، تجوز علیهم الآلام المعترضات فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا یقدرون علی خلق، ولا رزق، ولا یعلمون الغیب إلّا ما أعلمهم إله الخلق. وانّ أقوالهم صدق، وجمیع ما أتوا به حق . فی النبوة العامّة والخاصّة:

وانّ أفضل الأنبیاء اُولوا العزم، وهم خمسة: نوح، وابراهیم، وموسی، وعیسی، ومحمّد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ، وانّ محمّداً بن عبداللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ أفضل الأنبیاء أجمعین، وخیر الأوّلین والآخرین. وانّه خاتم النبیین وانّ آباءه من آدم ـ علیه السلام ـ إلی عبداللّه بن عبدالمطلب ـ رضوان اللّه علیهم ـ کانوا جمیعاً مؤمنین، وموحّدین للّه تعالی عارفین، وکذلک أبوطالب ـ رضوان اللّه علیه ـ . ویعتقد أنّ اللّه سبحانه شرّف نبیّنا ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بباهر الآیات، وقاهر المعجزات، فسبّح فی کفّه الحصاء، ونبع من بین أصابعه الماء، وغیر ذلک ممّا قد تضمّنته الأنباء، وأجمع علی صحّته العلماء، وأتی بالقرآن المبین، الّذی بهر به السامعین، وعجز من الاتیان بمثله سائر الملحدین . وانّ القرآن کلام ربّ العالمین، وأنّه محدث لیس بقدیم. ویجب أن یعتقد أنّ جمیع ما فیه من الآیات الّذی یتضمّن ظاهرها تشبیه اللّه تعالی بخلقه، وأنّه یجبرهم علی طاعته أو معصیته، أو یضل بعضهم عن طریق هدایته، فإنّ ذلک کلّه لا یجوز حمله علی ظاهرها، وانّ له تأویلا، یلائم ما تشهد به العقول ممّا قدّمنا ذکره فی (۲۵۸)

صفات اللّه تعالی، وصفات أنبیائه . فإن عرف المکلّف تأویل هذه الآیات فحسن، وإلّا أجزأ أن یعتقد فی الجملة أنّها متشابهات، وأنّ لها تأویلا ـ ملائماً، یشهد بما تشهد به العقول والآیات المحکمات، وفی القرآن المحکم والمتشابه، والحقیقة والمجاز، والناسخ والمنسوخ والخاص والعام . ویجب علیه أن یقر بملائکة اللّه أجمعین، وأنّ منهم جبرئیل ومیکائیل، وأنّهما من الملائکة الکرام، کالأنبیاء بین الأنام، وأنّ جبرئیل هو الروح الأمین، الّذی نزل بالقرآن علی قلب محمّد خاتم النبیین، وهو الّذی کان یأتیه بالوحی من ربّ العالمین . ویجب الاقرار بأنّ شریعة الإسلام التی أتی بها محمّد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ناسخة لما خالفها من شرائع الأنبیاء المتقدّمین . وأنّه یجب التمسّک بها والعمل بما تضمّنته من فرائضها، وأنّ ذلک دین اللّه الثابت الباقی إلی أن یرث اللّه الأرض ومن علیها، لا ـ حلال إلّا ـ ما أحلّت، ولا حرام إلّا ما حرّمت، ولا فرض إلّا ما فرضت، ولا عبادة إلّا ما أوجبت. وانّ من انصرف عن الاسم، وتمسّک بغیره، کافر ضال، مخلّد فی النار، ولو بذل من الاجتهاد فی العبادة غایة المستطاع . وانّ من أظهر الاقرار بالشهادتین کان مسلماً، ومن صدّق بقلبه، ولم یشک فی فرض أتی به محمّد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ کان مؤمناً. ومن الشرائط الواجبة للإیمان، العمل بالفرائض اللازمة، فکل مؤمن مسلم، ولیس کل مسلم مؤمن . وقوله تعالی: (۲۵۹) (إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّهِ الإِسْلام)(۱) .

إنّما أراد به الإسلام الصحیح التام، الّذی یکون المسلم فیه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات طائعاً . فی الإمامة والخلافة:

ویجب أن یعتقد أنّ حجج اللّه تعالی بعد رسوله الذین هم خلفاؤه، وحفظة شرعه، وأئمّة اُمّته، اثنا عشر أهل بیته، أوّلهم أخوه وابن عمّه، وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصیّه علی اُمّته: علی بن ابی طالب أمیرالمؤمنین، ثمّ الحسن بن علی الزکی، ثمّ الحسین بن علی الشهید، ثم علی بن الحسین زین العابدین، ثمّ محمّد بن علی باقر العلوم، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسی بن جعفر الکاظم، ثمّ علی بن موسی الرضا، ثمّ محمّد بن علی التقی، ثمّ علی بن محمّد المنتجب، ثمّ الحسن بن علی الهادی، ثمّ الخلف الصالح بن الحسن المهدی ـ صلوات اللّه علیهم أجمعین ـ . لا إمامة بعد رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ إلّا لهم ـ علیهم السلام

ـ ولا يجوز الاقتداء فى الدين إلّا بهم، ولا أخذ معالم الدين إلّا عنهم . وأنّهم فى كمال العلم والعصمة من الآثار نظير الأنبياء ـ عليهم السلام ـ . وأنّهم أفضل الخلق بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . وأنّ إمامتهم منصوص عليها من قبل اللّه على اليقين والبيان . وأنّه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات، والاُمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلّا ما قارن وجهاً يعلمه من اللطف ـــــــــــــــ

١ . آل عمران / ١٩ .

(٢٦٠)

والصلاح. وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكل ما علمه اللّه تعالى . والآيات الّتى تظهر على أيديهم هى فعل اللّه دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها . وأنّهم بشر محدثون، وعباد مصنوعون، لا يخلقون، ولا يرزقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتنالهم الآلام والاعلال، ويستضامون، يخافون فيتقون، وأنّ منهم من قتل، ومنهم من قبض. وأنّ إمام هذا الزمان هو المهدى ابن الحسن الهادى، وأنّه الحجّة على العالمين، وخاتم الأئمّة الطاهرين، لا إمامة لأحد بعد إمامته، ولا دولة بعد دولته، وأنّه غائب عن رعيته، غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال، وللمعلوم عند اللّه تعالى فى ذلك الصلاح . ويجوز أن يعرّف نفسه فى زمن الغيبة لبعض الناس، وأنّ اللّه عزّوجلّ سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهّد الدين به، (و) يطهّر الأرض على يديه، ويهلك أهل الضلال، ويقيم عمود الإسلام ويصير الدين كلّه للّه . وأنّ اللّه عزّوجلّ يظهر على يديه عند ظهوره، الأعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيى له بعض الأموات، فإذا (أ) قام فى الناس المدّة المعلومة عند اللّه سبحانه قبضه إليه، ثم لا يمتد بعده الزمان، ولا تتّصل الأيام حتّى تكون شرائط الساعة، واماتة من بقى من الناس، ثم يكون المعاد بعد ذلك . ويعتقد أنّ أفضل الأئمّة ـ عليهم السلام ـ أميرالمؤمنين على بن أبى طالب، وأنّه لا يجوز أن يسمّى بأميرالمؤمنين أحد سواه . وأنّ بقيّة الأئمّة ـ صلوات اللّه عليهم ـ يقال لهم: الأئمة، والخلفاء، (٢٦١)

والأوصياء، والحجج، وإن كانوا فى الحقيقة اُمراء المؤمنين، فإنّهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه، لأنّه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنّما منعوا من لفظه، حشمة لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ . وأنّ أفضل الأئمّة بعد أميرالمؤمنين، ولده الحسن، ثمّ الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين، إمام الزمان المهدى ـ صلوات اللّه عليه ـ ثمّ بقية الأئمّة بعده على ما جاء به الأثر وثبت فى النظر . وأنّ المهدى ـ عليه السلام ـ هو الّذى قال فيه رسول اللّه: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللّه تعالى ذلك اليوم، حتّى يظهر فيه رجل من ولدى يواطئ اسمه اسمى، يملأها عدلا، وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»(١) . فاسمه يواطئ اسم رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكنيته تواطئ كنيته، غير أنّ النهى قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز فى القول أنّه المهدى، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجة اللّه على الخلق . ويجب أن يعتقد أنّ اللّه فرض معرفة الأئمّة ـ عليهم السلام ـ بأجمعهم، وطاعتهم، وموالاتهم والاقتداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالميهم... وأنّه لا يتم الايمان إلّا بموالاة أولياء اللّه، ومعاداة أعدائه، وأنّ أعداء الأئمّة ـ عليهم السلام ـ ـــــــــــــــ

١ . روى هذا الحديث وأمثاله ابن خلدون فى المقدّمة فى الفصل الثانى والخمسين عن الترمذى، وأبى داود باختلاف بعض ألفاظه، وروى حوالى اثنين وثلاثين حديثاً، وقال فى ص ٣١١ من المقدّمة:

«إنّ جماعة من الأئمّة خرّجوا أحاديث المهدى، منهم: الترمذى، وأبوداود، والبزار، وابن ماجة، والحاكم، والطبرانى، وأبو يعلى الموصلى، واسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل على، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وابن مسعود، وأبى هريرة، وأنس، وأبى سعيد الخدرى، واُمّ حبيبة، واُمّ سلمة، وثوبان، وقرّة بن اياس، وعلى الهلالى» . (٢٦٢)

كفّار ملحدون فى النار، وإن أظهروا الإسلام، فمن عرف اللّه ورسوله والأئمّة الاثنى عشر وتولّاهم وتبرّأ من أعدائهم فهو مؤمن، ومن أنكرهم أو تولّى أعداءهم فهو ضال هالك لا ينفعه عمل ولا اجتهاد، ولا تقبل له طاعة ولا تصحّ له حسنات...(١) . فى التوبة والحشر

والنشر:

ويعتقد أنّ اللّه يزيد وينقص إذا شاء فى الأرزاق والآجال . وأنّه لم يرزق العبد إلاّ ما كان حلالا طيّباً. ويعتقد أنّ باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهى الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إلى مثلها . وأنّ التوبة ماحية لما قبلها من المعصية الّتى تاب العبد منها . وتجوز التوبة من زلّة، إذا كان التائب منها مقيماً على زلّة غيرها لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلّة . وأنّ اللّه يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلك لوجوب قبولها فى العقل قبل الوعد، وانّما علم بالسمع دون غيره . ويجب أن يعتقد أنّ اللّه سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد . وأنّ المحاسبة حق والقصاص، وكذلك الجنّة والنار والعقاب . وأنّ مرتكبى المعاصى من العارفين باللّه ورسوله، والأئمّة الطاهرين، المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوّفين التوبة منها، عصاة فسّاق، وأنّ ذلك ــــــــــــــــــ

۱ . مكان النقاط كلمات غير واضحة .

(۲۶۳)

لا يسلبهم اسم الايمان كما لم يسلبهم اسم الاسلام(۱) . وأنّهم يستحقّون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم باللّه تعالى، ورسوله، والأئمّة من بعده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته، وإن عاقبهم فبعدله وحكمته، قال اللّه سبحانه: (وَ آخَرُون مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ إمّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ)(۲) .

وأنّ عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها اللّه تعالى، لا تكون مؤبّدة، ولها آخِر، يكون بعده دخولهم الجنّة وليسوا من جملة من توجه إليهم الوعيد بالتخليد. والعفو من اللّه تعالى يرجى للعصاة المؤمنين . وقد غلطت المعتزلة فسمّت من يرجو العفو مرجئاً، وانّما يجب أن يسمّى راجياً، ولا طريق إلى القطع على العفو، وانّما هو الرجاء فقط . ويعتقد أنّ لرسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والأئمّة من بعده ـ عليهم السلام ـ شفاعة مقبولة يوم القيامة، ترجى للمؤمنين من مرتكبى الآثام . ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنّه مشفوع فيه على كل حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال، وانّما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء . ويعتقد أنّ المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم ــــــــــــــــــ

۱ . صرّح بهذا المفيد اُستاذ المؤلّف فى كتابه أوائل المقالات ص ۴۸ ونسبه إلى اتّفاق الإمامية، أمّا الخوارج فتسمّى مرتكب الكبيرة مشركاً وكافراً، والحسن البصرى اُستاذ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سمّاهم منافقين، وأمّا واصل بن عطاء فوضعهم فى منزلة بين منزلتين، وقال إنّهم فسّاق ليسوا بمؤمنين، ولا كفّار، ولا منافقين.

۲ . التوبة / ۱۰۶ . (۲۶۴)

القيامة إلى الجنّة بغير حساب. وأنّ جميع الكفار والمشركين، ومن لم تصحّ له الاُصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب، وانّما يحاسب من خلط عملا صالحاً وآخر سيّئاً، وهم العارفون العصاة . وأنّ أنبياء اللّه تعالى وحججه ـ عليهم السلام ـ هم فى القيامة المسؤولون للحساب باذن اللّه تعالى، وأنّ حجّة أهل كل زمان يتولّى أمر رعيته الذين كانوا فى وقته. وأنّ سيّدنا رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والأئمّة الاثنا عشر من بعده ـ عليهم السلام ـ هم أصحاب الأعراف وهم الذين لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ويدخل النار من أنكرهم وأنكروه . وأنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده . وأنّ المهدى ـ عليه السلام ـ هو المواقف لأهل زمانه، والمسائل للذين فى وقته . وأنّ الموازين (الّتى) توضع فى القيامة، هى اقامة العدل فى الحساب، والانصاف فى الحكم والمجازاة، وليست فى الحقيقة موازين بكفات وخيوط كما يظن العوام . وأنّ الصراط المستقيم فى الدنيا دين محمّد وآل محمّد ـ عليه وعليهم السلام ـ وهو فى الآخرة طريق الجنان . وأنّ الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضّل عليهم فى القيامة، بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان . وأنّ نعيم أهل الجنّة متصل أبداً بغير نفاد، وأنّ عذاب المشركين والكفّار (۲۶۵)

متّصل فى النار بغير نفاد . ويجب أن يؤخذ معالم الدين فى الغيبة من أدلّة العقل، وكتاب اللّه عزّوجلّ، والأخبار المتواترة عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعن الأئمّة ـ عليهم السلام ـ (۱) وما أجمعت عليه الطائفة الإماميه، واجماعها حجّة . فأمّا عند ظهور الإمام ـ عليه السلام ـ فإنّه المفزع عند المشكلات، وهو المنبّه على العقليات، والمعرّف بالسمعيات، كما كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ولا يجوز استخراج الأحكام فى السمعيات بقياس ولا اجتهاد(۲) . فأمّا العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كلّه ألاّ ـ يقنع بالتقليد فى الاعتقاد وأن يسلك طر يق التأمل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه فى دينه أقل من نظره لنفسه فى دنياه، فإنّه فى اُمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكّر ويتأمّل، ويعتبر بذهنه، ويستدل بعقله، فيجب أن يكون فى أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر فى أمر الدين أعظم من الغرر فى أمر الدنيا . ________________

۱ . ما ذكره هو رأى جماعة من علماء الإمامية، كالشريف المرتضى، وابن زهرة، وابن البراج، والطبرسى، وابن إدريس وغيرهم، فقد ذهب هؤلاء إلى عدم اعتبار الخبر الواحد إذا لم يكن مقطوع الصدور عن المعصوم وخصّوا اعتباره بما إذا كان قطعى الصدور، سواء أكان محتفّاً بقرينة عقلية أو نقلية اُخرى، فالمهم لدى هؤلاء فى اعتبار الخبر أن يفضى إلى العلم، ولو كان ذلك لاجماع أو شاهد عقلى، بل صرّح المفيد فى أوائل المقالات بأنّه لا يجب العمل بخبر الواحد .

أمّا المشهور بين الإمامية بل المجمع عليه بين المتأخّرين منهم فاعتبار الخبر الواحد لقيام الدليل على حجّيته، ولكل من الفريقين أدلّة على دعواه مذكورة فى كتب الاُصول .

۲ . المراد بالاجتهاد هنا ليس هو استنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية، وانّما المراد به الاعتماد على الرأى والاستحسان والقياس، من دون الرجوع إلى القواعد والاُصول الّتى ثبتت حجّيتها شرعاً . (۲۶۶)

فيجب أن لا يعتقد فى العقليات إلاّ ما صحّ عنده حقّه، ولا يسلم فى السمعيات إلاّ لمن ثبت له صدقه . نسأل اللّه حسن التوفيق برحمته، وألاّ يحرمنا ثواب المجتهدين فى طاعته. قد اثبتُّ لك يا أخى ـ أيّدك اللّه ـ ما سألت، اقتصرت وما أطلت . والّذى ذكرت أصل لما تركت، والحمدللّه وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسلّم(۱) . * * * ۷- العقائد الجعفرية تأليف الشيخ الطوسى «۳۸۵ ـ ۴۶۰»:

الشيخ الطوسى، هو شيخ الطائفة على الاطلاق تلميذ المفيد والمرتضى وقد ورد بغداد عام ۴۰۸ وحضر فى أندية دروس اُستاذه المفيد، فلمّا لبّى الاُستاذ دعوة ربّه حضر لدى المرتضى إلى أن اشتغل بالتدريس والافتاء فى عصره وبعده، وله رسائل وكتب كلامية مفعمة بالتحقيق، نأتى فى المقام بموجز ما دوّنه فى عقائد الشيعة فى خمسين مسألة . بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدللّه ربّ العالمين . والصلواة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله المعصومين الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وجعل كل واحد منهم على الخلق بعد الرسول أميراً . قال الإمام شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد الطوسى: ________________

۱ . أدرج المصنف الرسالة فى كتابه القيم: كنز الفوائد لاحظ ۲۴۰ – ۲۵۲ .

(۲۶۷)

«المسألة ۱» معرفة اللّه واجبة على كل مكلّف، بدليل أنّه منعم، فيجب معرفته . «المسألة ۲» اللّه تعالى موجود، بدليل أنّه صنع العالم، وأعطاه الوجود، وكل من كان كذلك فهو موجود. «المسألة ۳» اللّه تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى أنّه لا ـ يفتقر فى وجوده إلى غيره، ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنّه لوكان ممكناً لا فتقر إلى صانع، كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود. «المسألة ۴» اللّه تعالى قديم أزلى، بمعنى أنّ وجوده لم يسبقه العدم. باق أبدى، بمعنى أنّ وجوده لن يلحقه العدم . «المسألة ۵» اللّه تعالى قادر مختار، بمعنى أنّه إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن يترك ترك، بدليل أنّه صنع العالم فى وقت دون آخر. «المسألة ۶» اللّه تعالى قادر على كل مقدور، وعالم بكل معلوم، بدليل أنّ نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدّسة المنزّهة على السوية، فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجّح، وهو محال. «المسألة ۷» اللّه تعالى عالم، بمعنى أنّ الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنّه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة .

«المسألة ۸» اللّه تعالى يدرك لا بجارحة، بل معنى أنّه يعلم ما يدرك بالحواس، لأنّه منزّه عن الجسم ولوازمه، بدليل قول تعالى: (لا تُدْرِكُهُ (۲۶۸) الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبيرُ)(۱) فمعنى قوله تعالى: (إنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصير)(۲) انّه عالم بالمسموعات لا بأُذن، وبالمبصرات لابعين.

«المسألة ۹» اللّه تعالى حى، بمعنى أنّه يصحّ منه أن يقدر ويعلم. بدليل أنّه ثبتت له القدرة والعلم وكل من ثبتت له ذلك فهو حى بالضرورة . «المسألة ۱۰» اللّه تعالى متكلّم لا بجارحة، بل معنى أنّه أوجد الكلام فى جرم من الأجرام، أو جسم من الأجسام، لإيصال عظمته إلى الخلق، بدليل قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللّهُ موسى تَكْليماً)(۳)ولأنّه قادر، فالكلام ممكن . «المسألة ۱۱» اللّه تعالى صادق، بمعنى انّه لا يقول إلاّ الحق الواقع، بدليل أنّ كل كذب قبيح، واللّه تعالى منزّه عن القبيح . «المسألة ۱۲» اللّه تعالى مريد، بمعنى أنّه رجّح الفعل إذا علم المصلحة (يعنى أنّه غير مضطر وأنّ ارادته غير واقعة تحت ارادة اُخرى، بل هى الارادة العليا الّتى إن رأى صلاحاً فعل، وإن رأى فساداً لم يفعل، باختيار منه تعالى) بدليل أنّه ترك ايجاد بعض الموجودات فى وقت دون وقت، مع علمه وقدرته ـ على كل حال ـ بالسوية. ولأنّه نهى وهو يدل على الكراهة . «المسألة ۱۳» انّه تعالى واحد، بمعنى انّه لا شريك له فى الالوهية، بدليل قوله (قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَد)(۴) ولأنّه لو كان له شريك لوقع التمانع، ففسد النظام، كما قال: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللّهُ لَفَسَدَتا)(۵) .

---

۱ . الأنعام / ۱۰۳ .

۲ . الإسراء / ۱، غافر / ۵۶ .

۳ . النساء / ۱۶۴ .

۴ . الإخلاص / ۱ .

۵ . الأنبياء / ۲۲ . (۲۶۹)

«المسألة ۱۴» اللّه تعالى غير مركّب من شىء، بدليل أنّه لو كان مركّباً لكان مفتقراً إلى الأجزاء، والمفتقر ممكن . «المسألة ۱۵» اللّه تعالى ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر، بدليل أنّه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع، وهو محال. «المسألة ۱۶» اللّه تعالى ليس بمرئى بحاسة البصر فى الدنيا والآخرة، بدليل انّه تعالى مجرّد، ولأنّ كل مرئى لابد أن يكون له الجسم والجهة، واللّه تعالى منزّه عنهما ولأنّه تعالى قال: (لَنْ تَرَانِى)(۱)وقال: (لا تُدْرِكُهُ الأَبصارُ)(۲) . «المسألة ۱۷» اللّه تعالى ليس محلاّ للحوادث، وإلاّ لكان حادثاً، وحدوثه محال. «المسألة ۱۸» اللّه تعالى لا يتّصف بالحلول، بدليل أنّه يلزم قيام الواجب بالممكن وذلك محال . «المسألة ۱۹» اللّه تعالى لا يتّحد بغيره، لأنّ الاتّحاد صيرورة الشىء واحداً من غير زياده ونقصان، وذلك محال، واللّه لا يتّصف بالمحال . «المسألة ۲۰» اللّه تعالى منفى عنه المعانى والصفات الزائدة، بمعنى أنّه ليس عالماً بالعلم، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كلّه، وقدرة كلّها)، بدليل أنّه لوكان كذلك لزم كونه محلاّ للحوادث لو كانت حادثة، وتعدّد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب إلى صفاته المغايرة له، فيصير ممكناً وهو ممتنع . «المسألة ۲۱» اللّه تعالى غنى، بمعنى أنّه غير محتاج إلى ما عداه،

---

۱ . الأعراف / ۱۴۳ .

۲ . الأنعام / ۱۰۳ . (۲۷۰)

والدليل عليه أنّه واجب الوجود لذاته، فلا يكون مفتقراً . «المسألة ۲۲» اللّه تعالى ليس فى جهة، ولا مكان، بدليل أنّ كل ما فى الجهة والمكان مفتقر إليهما،وأيضاً قد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فلا يكون فى المكان والجهة . «المسألة ۲۳» اللّه تعالى ليس له ولد، ولا صاحبة، بدليل أنّه قد ثبت عدم افتقاره إلى غيره، ولأنّ كل ما سواه تعالى ممكن، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات، ولقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ)(۱) و (مَثَلَ عِيسى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَاب)(۲) . «المسألة ۲۴» اللّه تعالى عدل

حکیم، بمعنی أنّه لا یفعل قبیحاً ولا یخل بالواجب بـدلیل أنّ فعل القبیح قبیح، والاخلال بالواجب نقص علیه، فاللّه تعالی منزّه عن کل قبیـح واخلال بالواجب . «المسألة ۲۵» الرضـا بالقضـاء والقـدر واجب، وکـل ما کان أو یکون فهو بالقضاء والقـدر ولا یلزم بهما الجبر والظلم، لأنّ القـدر والقضـاء هاهنـا بمعنی العلم والبیان، والمعنی أنّه تعالی یعلم کل ما هو (کائن أو یکون)(۳) . «المسألة ۲۶» کل ما فعله اللّه تعالی فهو أصلح، وإلاّ لزم العبث، ولیس تعالی بعابث، لقوله: (أَفَحسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاکُمْ عَبَثًا)(۴) . «المسألة ۲۷» اللّطف علی اللّه واجب، لأنّه خلق الخلق، وجعل فیهم الشهوة، فلو لم یفعل اللطف لزم الاغراء، وذلک قبیح، (واللّه لا یفعل القبیح) ـــــــــــــــ

۱ . الشوری / ۱۱ .

۲ . آل عمران/ ۵۹ .

۳ . الاضافة منّا لإکمال العبارة .

۴ . المؤمنون / ۱۱۵ . (۲۷۱)

فاللطف هو نصب الأدلّة، واکمال العقل، وارسال الرسل فی زمانهم، وبعد انقطاعهم ابقاء الإمام، لئلاّ ینقطع خیط غرضه . «المسألة ۲۸» نبیّنا «محمّـد بن عبـداللّه بن عبـدالمطلب بن هاشم بن عبـد مناف» رسول اللّه ـ صـلی الله علیه وآله وسـلم ـ حقاً صدقاً. بدلیل أنّه ادّعی النبوّة، وأظهر المعجزات علی یـده، فثبت أنّه رسول حقّاً، وأکبر المعجزات «القرآن الحمید» والفرقان المجید الفارق بین الحق والباطل، بـاق إلی یوم القیامـة، حجّـة علی کافّـة النسـمة . ووجه کونه معجزاً: فرط فصـاحته وبلاـغته، بحیث مـا تمکّن أحـد من أهـل الفصاحة والبلاغـة حیث تحـدّوا به، أن یأتوا ولو بسورة صـغیرة، أو آیة تامّة مثله. «المسألة ۲۹» کان نبیّنا نبیاً علی نفسه قبل البعثـة، وبعـده رسولا إلی کافّـة النسـمة لأـنّه قـال «کنت نبیّاً وآدم بین المـاء والطین» وإلاّـ لزم تفضـیل المفضـول، وهـو قبیـح . «المسألـة ۳۰» جمیع الأنبیـاء کانوامعصومین، مطهّرین عن العیوب والذنوب کلّها، وعن السهو والنسیان فی الأفعال والأقوال، من أوّل الأعمار إلی اللحد، بدلیل أنّهم لو فعلوا المعصـیة أو یطرأ علیهم السـهو لسـقط محلّهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد علی أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائـدة النبوّة، فمـا ورد فی الکتـاب (القرآن) فیهم فهو واجب التأویل . «المسألـة ۳۱» یجب أن یکون الأنبیـاء أعلم وأفضل أهل زمانهم، لأنّ تفضـیل المفضول قبیح . «المسألة ۳۲» نبیّنا خاتم النبیین والمرسـلین، بمعنی أنّه لانبی بعده إلی یوم القیامة، یقول تعالی: (ما کَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِن رِجَالِکُمْ وَلَکِن رَسُول اللّهِ (۲۷۲) وخَاتَمَ النَّبِیِّینَ)(۱) .

«المسألة ۳۳» نبیّنا أشـرف الأنبیاء والمرسـلین، لأنّه ثبتت نبوّته، وأخبر بأفضلیته فهو أفضل، لمّا قال لفاطمة ـ علیها السلام ـ : «أبوک خیر الأنبیاء، وبعلک خیر الأوصـیاء، وأنت سیدة نساء العالمین، وولدک الحسن والحسین ـ علیهما السلام ـ سیّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خیر منهما»(۲) . «المسألـة ۳۴» معراج الرسول بالجسم العنصـری علانیـة، غیر منام، حق، والأخبار علیه بالتواتر ناطقـة، صـریحة، فمنکره خارج عن الإسـلام وأنّه مر بالأفلاک من أبوابها من دون حاجـة إلی الخرق والالتیام، وهذه الشـبهة الواهیة مدفوعة مسـطورة بمحالها . «المسألة ۳۵» دین نبیّنا ناسـخ للأدیان السابقـة، لأنّ المصالـح تتبدل حسب الزمان والأشـخاص کما تتبدّل المعاجلات لمریض بحسـب تبـدل المزاج والمرض . «المسألة ۳۶» الإمام بعـد نبیّنا علی بن أبی طالب ـ علیه السـلام ـ بدلیل قوله ـ صـلی الله علیه وآله وسـلم ـ : «یا علی أنت أخی ووارث علمی وأنت الخلیفة من بعدی، وأنت قاضی دینی، وأنت منّی بمنزلة هارون من موسی إلاّ أنّه لانبی بعدی»(۳). وقوله: «سـلّموا علی علی بـإمرة المؤمنین، واسـمعوا له وأطیعوا له، وتَعَلّموا منه ولا تُعَلّموه»(۴)، وقوله: «من کنت مولاه فهـذا علی مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من ـــــــــــــــ

۱ . الأحزاب / ۴۰ .

۲ . راجع ینابیع المودّة ۴۳۴ ـ ۴۳۶ .

۳ . راجع صحیح مسلم ۷ / ۱۲۰ ـ ۱۲۱، باب فضائل علی ـ علیه السـلام ـ ، وصحیح البخاری ۵ / ۱۹ باب مناقب علی ـ علیه السلام ـ و ۶/ ۳ باب غزوة تبوک، ومسند أحمد ۱ / ۱۷۴ ـ ۱۷۷ و ۳ / ۳۲، و ۶ / ۳۶۹ .

۴ . راجع البحار ۳۷ / ۲۹۰ ـ ۳۴۰ . (۲۷۳)

عاداه»(۱) . «المسألة ۳۷» الأئمّة بعد علی ـ علیهم السلام ـ أحد عشر من ذرّيته، الأوّل منهم ولده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علی بن الحسين، ثمّ محمّد بن علی، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسی بن جعفر، ثمّ علی بن موسی، ثمّ محمّد بن علی، ثمّ علی بن محمّد، ثمّ الحسن بن علی، ثمّ الخلف الحجّة القائم المهدی الهادی بن الحسن صاحب الزمان فكلّهم أئمّة الناس واحد بعد واحد، حقّاً، بدليل أنّ كل إمام منهم نصّ علی من بعده نصّاً متواتراً بالخلافة، وقوله: «الحسين إمام، ابن إمام، أخو الامام، ابو الأئمّة التسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً» . «المسألة ۳۸» يجب أن يكون الأئمّة معصومين مطهّرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة، عمداً وسهواً، ومن السهو فی الأفعال والأقوال، بدليل أنّهم لو فعلوا المعصية لسقط محلهم من القلوب، وارتفع الوثوق، وكيف يهدون بالضالّين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمّة الاثنی عشر اجماعاً، فثبت إمامتهم . «المسألة ۳۹» يجب أن يكون الأئمّة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول، أو الترجيح بلا مرجح، ولا يحصل الانقياد به، وذلك قبيح عقلا ونقلا وفضل أئمّتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس . «المسألة ۴۰» يجب أن نعتقد أنّ آباء نبيّنا وأئمّتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالأخبار عند أهل البيت علی إسلام أبی طالب مقطوعة ـــــــــــــــــــ

۱ . راجع مسند أحمد ۱ / ۸۴ ـ ۱۵۲ و ۴ / ۲۸۱ و ۳۷۰ و ۳۷۲ و ۵ / ۳۶۶ ـ ۴۱۹، سنن الترمذی ۵ / ۶۳۳ .

(۲۷۴)

وسيرته أدلّة عليه، ومثله مؤمن آل فرعون . «المسألة ۴۱» الإمام المهدی المنتظر محمّد بن الحسن قد تولّد فی زمان أبيه، وهو غائب حی باق إلی بقاء الدنيا، لأنّ كل زمان لابد فيه من إمام معصوم، لما انعقد عليه اجماع الاُمّة علی أنّه لا يخلو زمان من حجّة ظاهرة مشهورة، أو خافية مستورة، ولأنّ اللطف فی كل زمان واجب، والإمام لطف، فوجوده واجب . «المسألة ۴۲» لا استبعاد فی طول عمره، لأنّ غيره من الاُمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعداً، كشعيب ونوح ولقمان وخضر وعيسی ـ عليهم السلام ـ وابليس والدجّال، ولأنّ الأمر ممكن، واللّه قادر علی جميع الممكنات . «المسألة ۴۳» غيبة المهدی لا تكون من قبل نفسه، لأنّه معصوم، فلا يخل بواجب، ولا من قبل اللّه تعالی، لأنّه عدل حكيم فلا يفعل القبيح، لأنّ الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد عن الافادات قبيحان. فغيبته لكثرة العدو والكافر، ولقلّة الناصر . «المسألة ۴۴» لابد من ظهور المهدی، بدليل قول النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ : «لو لم يبق من الدنيا إلّا ساعة واحدة لطوّل اللّه تلك الساعة حتّی يخرج رجل من ذرّيتی، اسمه اسمی وكنيته كنيتی يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(۱). ويجب علی كل مخلوق متابعته . «المسألة ۴۵» فی غيبة الامام فائدة، كما تنير الشمس تحت السحاب، والمشكاة من وراء الحجاب . ـــــــــــــــــــ

۱ . راجع سنن أبی داود ۴ / ۱۰۶ ـ ۱۰۷، كنز العمال ۱۴ / ۲۶۴ ـ ۲۶۷ .

(۲۷۵)

«المسألة ۴۶» يرجع نبيّنا وأئمّتنا المعصومون فی زمان المهدی مع جماعة من الاُمم السابقة واللاحقة، لاظهار دولتهم وحقهم، وبه قطعت المتواترات من الروايات والآيات لقوله تعالی: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ اُمَّة فَوْجاً)(۱) فالاعتقاد به واجب . «المسألة ۴۷» إنّ اللّه يعيد الأجسام الفانية كما هی فی الدنيا، ليوصل كل حق إلی المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيّما القرآن المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالاعتقاد بالمعاد الجسمانی واجب . «المسألة ۴۸» كل ما أخبر به النبی أو الإمام فاعتقاده واجب، كاخبارهم عن نبوّة الأنبياء السابقين، والكتب المنزلة، ووجود الملائكة، وأحوال القبر وعذابه، وثوابه وسؤال منكر ونكير، والاحياء فيه، وأحوال القيامة وأهوالها، والنشور، والحساب والميزان، والصراط، وانطاق الجوارح، ووجود الجنّة والنار والحوض الّذی يسقی منه أميرالمؤمنين العطاشی يوم القيامة، وشفاعة النبی والأئمّة لأهل الكبائر من محبيه إلی غير ذلك، بدليل أنّه أخبر بذلك المعصومون . «المسألة ۴۹» التوبة ـ وهی الندم علی القبيح فی الماضی، والترك فی الحال، والعزم علی عدم المعاودة إليه فی الاستقبال ـ واجبة،

لدلالـة السـمع على وجوبها، ولأنّ دفع الضـرر واجب عقلا . «المسألة ۵۰» الأـمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، واجبان، بشـرط تجويز التأثير والأمن من الضرر(۲). * * * ______________

۱ . النمل / ۸۳. أصل الرجعة اجماعىّ والكيفية الواردة فى المتن ليست كذلك .

۲ . طبعت الرسالة مع جواهر الفقه للقاضـى ابن البراج وفى ضـمن الرسائل العشـر للشـيخ الطوسى ـ قدس سره ـ . (۲۷۶) ماهو الهدف من نقل هذه الرسائل:

۱- إنّ هذه الرسائل لدليل واضح على أنّ جلّ عقائد الشـيعة، مأخوذة من الكتاب والسنّة وكلمات أئمّتهم، وأنّ الشيعة كانت فى أواخر القرن الثانى ذات عقائد منتظمة ومسـتوعبة لجميع ما يرتبط بالمعارف الإلهية فترى أنّ ما كتبه الإمام الرضا، وما عرضه السيد عبدالعظيم الحسـنى على الإمام الهادى، هو السائـد فى هذه الرسائل . ۲- يوجـد فى ثنايا هـذه الرسائل آراء خاصّة لمؤلّفيها، ربّما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهـم من علماء الشـيعة، فليس كل ما جاء فيها عقيدة لجميع علماء الشـيعة ومؤلّفيهم ولكن المجموع من حيث المجموع تمثّل عقائد الشيعة فى مجال صفاته سبحانه وأفعاله، وما يرجع إلى النبوّة والإمامة، والحياة الأخروية، خصوصاً فيما يرجع إلى الاعتقـاد بمقامـات الأئمـّة وصـفاتهم. فمن يريـد أن يتعرّف على عقائـد الشـيعة فليرجع إليها بـدل الرجوع إلى الكتب المؤلّفـة من قبل أعدائهم وخصـمائهم . ۳- إنّ الإمعـان فى الاُـصول الّتى جـاءت فى هـذه الكتب والرسائل يعرب عن موافقـة الشـيعة فى أكثر المسائل العقائدية لعامّة المسـلمين. وربّما يختلفون عنهم فى اُصول تختص بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول. وبما أنّ الأشاعرة والمعتزلة كانتا تمثّلان جمهور المسـلمين فى العصور المتقدّمة. نذكر فى المقام الفوارق الجوهرية بين الشـيعة والمعتزلة أوّلا، وبين الشـيعة و الأشاعرة ثانياً، ثمّ نكمل البحث عن الفوارق الموجودة بينهم وبين سائر الفرق الإسلامية . الفوارق بين الشيعة والمعتزلة:

إنّ هناك فوارق بين الطائفتين ربّما أشبعنا الكلام فيها فى الجزء الرابع من هذه (۲۷۷)

الموسوعـة، وذكرنا بأنّ من يتّهم الشـيعة بأنّهم أخـذوا عقائـدهم من المعتزلة فهو خاطىء، فنشـير فى المقام إلى هذه الفوارق على وجه الاجمـال، وإن كـانت بين الطـائفتين اُصـول مشتركـة ربّمـا تقف عليهـا عنـد بيـان الفوارق بين الشـيعة والأشـاعرة. ۱- الشـفاعة: أجمع المسـلمون كافّة على ثبوت أصل الشفاعة وأنّها تقبل من الرسول الأكرم واختلفوا فى تعيين المشفَّع، فقالت الإمامية والأشاعرة: إنّ النبى يشـفع لأهـل الكبائر باسـقاط العقاب عنهم أو باخراجهم من النار، وقالت المعتزلـة، لا يشـفع إلّا للمطيعين، المسـتحقّين للثواب وتكون نتيجة الشـفاعة ترفيع الدرجة. ۲- مرتكب الكبيرة: عنـد الاماميـة والأشـاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلـة: بل منزلـة بين المنزلتين . ۳- الجنّة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة انّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة على أنّهما غير موجودتين . ۴- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: اتّفق المسـلمون على وجوبهما، فقالت الإماميـة والأشاعرة: يجبان سـمعاً، ولولا النص لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلـة الـذين قالوا بوجوبهما عقلا . ۵- الأحبـاط: اتّفقت الإماميـة والأشاعرة على بطلان الاحباط، وقالوا: لكل عمل حسابه الخاص، ولا ترتبط الطاعات بالمعاصـى ولا المعاصـى بالطاعات، والاحباط يختص بذنوب خاصة كالشـرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلـة حيث قالوا: إنّ المعصـية المتأخّرة تسـقط الثواب المتقـدم، فمن عبَدَ اللّه طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم يعبد اللّه أبداً . ۶- الشـرع والعقـل: غـالت المعتزلـة فى تمسّـكهم بالعقـل وغـال أهـل الظاهر فى جمودهم على ظاهر النص وخالفهما الإماميـة والأشاعرة، فأعطوا للعقل سهماً فيما (۲۷۸)

له مجال القضاء نعم أعطت الإمامية للعقل مجالا أوسع ممّا أعطته الأشاعرة. وسـيوافيك تفصيله عند ذكر اختلاف الإمامية مع الأشاعرة . ۷- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبـة بفضل من اللّه ولا يجب عقلا اسـقاطها للعقاب. وقالت المعتزلـة: إنّ التوبة مسـقطة للعقاب على وجه الوجوب . ۸- اتفقت الإماميـة على أنّ الأنبياء افضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك . ۹- اتفقت الإماميـة على أنّ الإنسان غير مسيّر ولا مفوّض إليه، بل هو فى ذلك المجال بين أمرين، بين الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزلـة على التفويض . ۱۰- اتفقت الاماميـة والأشـاعرة أنّه لابـد فى أوّل التكليف وابتـدائه من رسول، وخالفت المعتزلـة وزعموا أنّ العقول تعمل

بمجردها عن السمع(۱) . هـذه هى الاُصول الّتى خالفت الإمامية فيها المعتزلة ووافقت الأشاعرة، وهناك اُصول اُخرى تجد فيها موافقة الإمامية للمعتزلة ومخالفتها للأشاعرة، وإليك بعضها: الفوارق بين الإمامية والأشاعرة:

هناك اُصول خالفت الإماميـة فيها، الأشاعرة، مخالفـة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمّتهم، ونذكر المهم منها: ۱- اتّحاد الصفات الذاتية مع الذات: إنّ للّه سبحانه صفاتاً ذاتية كالعلم ــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ للوقوف على هـذه الاُصول الّتى خالفت الاماميـة والأشاعرة فيها المعتزلـة الجزء الرابع من هـذه الموسوعـة ص ۱۸۰ تجد فيه الفوارق الاُخر لم نذكرها اختصاراً .

(۲۷۹)

والقـدرة فهى عنـد الأشـاعرة صـفات قديمـة مغايرة للـذات زائـدة عليها، وهى عنـد الإماميـة والمعتزلـة متّحـدة مع الـذات. وقـد ذكرنا مضاعفـات القـول بالزيـادة فى الجزء الثـانى من هـذه الموسوعـة . ۲- الصـفات الخبريـة الواردة فى الكتاب والسنّة، كالوجه والأيـدى والاسـتواء وأمثالهـا، فالشـيعة الإماميـة يؤوّلونهـا تأويلاـ مقبولاـ لاتأويلاـ مرفوضاً، أى تأخـذ بالمفهوم التصـديقى للجملـة، لا بالمفهوم التصوّرى للمفردات، فيقولون إنّ معنى (بَل يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاء)(۱) معناه: أنّه برىء من البخل، بل هو باذل وسخى، وقادر على البـذل. وأمّـا الاشـاعرة فهم يفسّـرونها بـالمفهوم التصوّرى ويقولون إنّ للّه سـبحانه يـدين غير أنّهم يتهرّبون عن التجسـيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف، وقـد أوضـحنا مضاعفات هذا القول عند البحث عن عقائدهم فى الجزء الثانى . ۳- أفعال العباد عند الامامية صادرة من نفس العباد، صـدوراً حقيقياً بلا مجاز أو توسّع، فالإنسان هو الضارب، هو الآكل، هو القاتل، هو المصـلّى، هو القارئ وهكـذا، وقد قلنا: إنّ استعمال كلمة «الخلق» فى أفعال الإنسان، استعمال غير صحيح فلا يقال: خلقت الأكل والضرب والصوم والصلاوة، وإنّما يقال: فعلتها فالصـحيح أن يقال: إنّ الإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مكتسبة من اللّه، وانّ قدرته المكتسبة هى المؤثّرة باذن من اللّه سبحانه . وأمّـا الأشـاعرة فـذهبوا إلى أنّ أفعـال العبـاد مخلوقـة للّه سـبحانه، فليس للإنسان فيها صـنع ولا دور، وليس لقـدرته أى تأثير فى تحقّق الفعل، وأقصى ما عندهم أنّ إرادة الإنسان للعقل تقارن ايجاد اللّه سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود . ــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . المائدة / ۶۴ .

(۲۸۰)

ولمّـا رأى الشـيخ الأشـعرى وأتبـاعه أنّ ذلـك عبـارة عن نفس القول بالجبر، واقصاء الإنسان عن أفعاله، وبالتالى براءته من مسؤوليتها، ابتـدعوا نظرية الكسب المعقدة فقالوا: إنّ اللّه هو الخالق والإنسان هو الكاسب، وقد ذكرنا أنّ نظرية الكسب من الألغاز الّتى لم يفهمها مخترعوها . ۴- إنّ الاسـتطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقـدّم عليه اُخرى. فلو اُريـد من القـدرة العلّـة التامّة فهى مقارنـة، ولو اُريـد العلّة الناقصة فهى متقدّمة خلافاً للأشاعرة، فقد قالوا بالتقارن مطلقاً . ۵- رؤية اللّه بالأبصار فى الآخرة، فهى مستحيلة عنـد الإماميـة والمعتزلـة، ممكنة عند الاشاعرة. ۶- كلامـه سـبحانه عنـد الاماميـة هو فعله، فهو حادث لا قـديم، وهـذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بـذاته، فهو قـديم كقدم الذات . ۷- التحسـين والتقبيـح العقليان، ذهبت الامامية إلى أنّ العقل يـدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أى فاعل صـدر، سواء أكان الفاعل قـديماً أو حادثاً، واجباً أو ممكناً، يتّصف بأحـدهما فيرى مقابلـة الإحسـان بالإحسـان أمراً حسـناً، ومقابلته بالاساءة أمراً قبيحاً، ويتلقّاه حكماً مطلقاً سائـداً على مرّ الحقب والأزمان، لا يغيّره شـىء، وهـذا خلافاً للأشاعرة، فقـد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيـح وبـذلك خالفوا الاماميـة والمعتزلـة فى الفروع المترتّبة عليه(۱) . هـذه هى الاُصول التى تخالف الامامية فيها الأشاعرة وربّما توافقهم المعتزلة فى جميعها أو أكثرها. كل ذلك يثبت أنّ للشيعة الامامية منهجاً كلامياً خاصّاً نابعاً من ــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ للوقوف على هذه الاُصول المترتّبة على القول بالتحسين والتقبيح العقليين الجزء الثانى من هذه الموسوعة ۲۸۹ ـ ۲۹۲ .

(۲۸۱)

الكتاب والسنّة، وكلمات العترة الطاهرة والعقل فيما له مجال القضاء وليست الشيعة متطفّلة فى منهجها الكلامى على أيّة من الطائفتين. وأنت إذا وقفت على الكتب الكلامية المؤلّفة فى العصور المتقدّمة من عصر الفضل بن شاذان (ت ۲۶۰) إلى عصر شيخنا الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) ومن بعده بقليل، تجد منهجاً كلامياً مبرهناً متزّناً واضحاً لا تعقيد فيه ولا غموض، وعلى تلك الأُصول وذلك المنهج درج علماؤهم المتأخّرون فى الأجيال التالية، فألّف الشيخ الحلبى (۳۷۴ ـ ۴۴۷) «تقريب المعارف» والشيخ سديد الدين الحمصى (ت ۶۰۰) كتابه «المنقذ من التقليد» وتوالى بعدهم التأليف على يد الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسى (۵۹۷ ـ ۶۷۲) ومعاصره ابن ميثم البحرانى (ت ۵۸۹) وتلميذه العلّامة الحلّى (۶۴۸ ـ ۷۲۶) وهكذا... كل ذلك يكشف عن أنّ الأئمّة طرحوا أُصول العقائد، وغذّوا أصحابهم وتلاميذهم بمعارف سامية، أُعتبر الحجر الأساس للمنهج الكلامى الشيعى، وتكامل المنهج من خلال الجدل الكلامى والنقاش العلمى فى الظروف المتأخّرة فوصل إلى الذروة والقمّة فالناظر فى الكتب الكلامية للسيّد الشريف المرتضى كـ «الشافى»(۱) و«الذخيرة»(۲) يجد منبعاً غنيّاً بالبحوث الكلامية كما أنّ الناظر فى كتب العلّامة الحلّى المختلفة كـ «كشف المراد»(۳) و«نهاية المرام»(۴) وغيرهما يقف على أفكار سامية أنضجها البحث والنقاش عبر القرون، فبلغت غايتها القصوى . وقد توالى التأليف فى عقائد الشيعة وأُصولهم من العصور الأُولى إلى يومنا هذا، ولا يحصيها إلّا محصى قطرات المطر وذرّات الرمال . ــــــــــــــــــ

۱ . المطبوع فى بيروت فى أربعة أجزاء .

۲ . المطبوع فى ايران فى جزأين .

۳ . الكتاب الدراسى فى الجامعات الشيعية .

۴ . مخطوط نحتفظ منها بنسخة وهى فى يد التحقيق . (۲۸۲)

هذا وانّ الشيعة وإن خالفوا فى هذه الأُصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف أُخرى، ولكن هناك أُصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، وهو ظاهر لمن قرأ ما أثبتناه من الرسائل والكتيبات . أفما آن للمسلمين أن يتّحدوا فى ظلال هذه الأُصول المؤلّفة لقلوبهم، ويتظلّلوا بظلالها، ويتمسّكوا بالعروة الوثقى، ويكون شعارهم: انّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، وأن لا يصغوا إلى النعرات المفرّقة، المفترية على الشيعة وأئمّتهم، وليكن شعارنا فى التأليف: التحقيق والتأكّد من عقائد الآخرين، ثمّ التدوين . الفوارق بين الشيعة وسائر الفرق:

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين، فهلّم معى إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف الّتى صيّرتهم إلى فرقتين متمايزتين، وأكثرها يرجع إلى مسألة القيادة والخلافة بعد الرسول الأكرم، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال: (۲۸۳) المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللّه سبحانه

اتّفقت الأُمّة الإسلامية على وجوب نصب الامام، سوى العجاردة من الخوارج، ومعهم حاتم الأصمّ أحد شيوخ المعتزلة (۲۳۷)(۱) فذهب المسلمون إلى وجوب نصب الإمام، إمّا على اللّه سبحانه كما عليه الشيعة، وإمّا على الأُمّة كما عليه غيرهم، فوجوب نصب الامام لا خلاف فيه بين المسلمين، وإنّما الكلام فى تعيين من يجب عليه ذلك . وليس المراد من وجوبه على اللّه سبحانه، هو إصدار الحكم من العباد على اللّه سبحانه، حتّى يقال (إنِ الحُكْمُ إلاّ لِلّهِ)(۲) بل المراد كما ذكرنا غير مرّة، أنّ العقل ــــــــــــــــــ

۱ . ادّعت العجاردة بأنّ الواجب على الأُمّة التعاون والتعاضد لإحياء الحق وإماتة الباطل، ومع قيام الأُمّة بهذا الواجب لا يبقى للإمام فائدة تستدعى تسلّطه على العباد، أمّا إذا اختلفت الأُمّة ولم تتعاون على نشر العدل واحقاق الحق فيجب عليها تعيين من يقوم بهذه المهمات، وعلى ذلك فالإمامة لا ـ تجب بالشرع ولا ـ بالعقل، وإنّما تجب للمصلحة أحياناً، وقد تعرّفت على عقيدة الخوارج فى الموضوع فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

۲ . يوسف / ۴۰ . (۲۸۴)

حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث، يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب أو عدمه، وإلّا

فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على اللّه سبحانه . ثمّ إنّ اختلافهم فى كون النصب فرضاً على اللّه أو على الاُمّة، ينجم عن اختلافهم فى حقيقة الخلافة والامامة عن رسول اللّه. فمن ينظر إلى الامام كرئيس دولة ليس له وظيفة إلاّ تأمين الطرق والسبل، وتوفير الأرزاق، واجراء الحدود، والجهاد فى سبيل اللّه، إلى غيرذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول باشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الاُمّة، إذ لا يشترط فيه من المواصفات إلاّ الكفاءة والمقدرة على تدبير الاُمور وهذا ما يمكن أن تقوم به الاُمّة الإسلامية، وأمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة (لا لنفس الرسالة فانّ الرسالة والنبوّة مختومتان بالتحاق النبى الأكرم بالرفيق الأعلى) فمن المعلوم إنّ تقلّد هذا المقام يتوقّف على توفّر صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلاّ إذا حظى بعناية إلهية خاصة فيخلف النبى فى علمه بالاُصول والفروع، وفى سد جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنّه لا تتعرّف عليه الاُمّة إلاّ عن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلاّ بتربية غيبيّة. فقد ظهر من ذلك انّ كون القيادة الإسلامية بعد النبى بيداللّه أو بيد الاُمّة، أو انّ التعيين هل هو واجب عليه سبحانه أو عليهم، ينجم عن الاختلاف فى ماهية الخلافة . فمن جعلها سياسة زمنية وقتية يشغلها فرد من الاُمّة بأحد الطرق، قال فى حقه: «لا ينخلع الامام بفسقه وظلمه بغصب الاُموال وضرب الابشار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب (۲۸۵)

وعظه وتخويفه، وترك طاعته فى شىء ممّا يدعوا إليه من معاصى اللّه»(۱) . فمن قال: بأنّ الإمام بعد الرسول أشبه برئيس الدولة والوزراء، تنتخبه الاُمّة الإسلامية قال فى حقه: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة اُمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة اللّه فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة. والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شىء ولا ينقضهما»(۲). وقد درج على هذه الفكرة متكلّمو السنّة ومحدّثوهم، حتّى قال التفتازانى: «ولا ينعزل الامام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة اللّه تعالى، والجور (الظلم على عباد اللّه) لأنّه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمّة والاُمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، ونقل عن كتب الشافعية: انّ القاضى ينعزل بالفسق بخلاف الامام، والفرق انّ فى انعزاله ووجوب نصب غيره اثارة الفتنة، لما له من الشوكة، بخلاف القاضى»(۳). ومن فسّر الامامة بأنّها عبارة عن إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوّة كلّها سوى تحمّل الوحى الإلهى، فلا مناص له عن القول: بوجوب نصبه على اللّه سبحانه . ــــــــــــــــــ

۱ . التمهيد للقاضى أبى بكر الباقلانى (ت ۴۰۳): ۱۸۱ .

۲ . العقيدة الطحاوية ۳۷۹ ـ ۳۸۷ .

۳ . شرح العقائد النسفية: وهى لأبى حفص عمرو بن محمّد النسفى (ت ۵۷۳) والشرح لسعد الدين التفتازانى (ت ۷۹۱): ۱۸۵ ـ ۱۸۶، ولاحظ فى هذا المجال مقالات الاسلاميين للأشعرى: ۳۲۳، واُصول الدين لمحمّد بن عبدالكريم البزدوى إمام الماتريدية: ۱۹۰ . (۲۸۶)

وقد استدلّت الامامية على وجوب نصب الامام على اللّه سبحانه: بأنّ وجود الامام الّذى اختاره اللّه سبحانه، مقرّب من الطاعات، ومبعد عن المعاصى وقد أوضحوه فى كتبهم الكلامية. والمراد من اللطف المقرب هنا ما عرفت من أنّ رحلة النبى الأكرم تترك فراغات هائلة بين الاُمّة فى مجالى العقيدة والشريعة، كما تترك جدالا ونزاعاً عنيفاً بين الاُمّة فى تعيين الامام. فالواجب على اللّه سبحانه من باب اللطف هو سدّ هذه الفراغات بنصب من هو صنو النبى الأكرم فى علمه بالعقيدة والشريعة، وفى العدالة والعصمة، والتدبير والحنكة، وحسم مادة النزاع المشتعل برحلة الرسول، ولمّ شعث الاُمّة، وجمعهم على خط واحد . والعجب انّ المعتزلة ممّن تقول: بوجوب اللطف والأصلح على اللّه سبحانه، ولكنّهم لم يلتزموا بها فى المقام، مع العلم بأنّ المورد من جزئياته، والّذى منعهم عن الالتزام بالقاعدة فى المقام بأنّهم لو قالوا بها فى هذه المسألة لزمهم أن يقولوا بعدم صحة خلافة الخلفاء المتقدمين على علىّ، لأنّ قاعدة اللطف تقتضى أن يكون الخليفة منصوصاً عليه من اللّه سبحانه . ثمّ إنّك تعرّفت على أنّ الرسول الأكرم بوحى من اللّه سبحانه،

قام بتطبيق القاعدة، ونصب إماماً للأُمّة، ليقود أمرهم ويسد جميع الفراغات الحاصلة بلحوقه بالرفيق الأعلى، وبذلك حسم مادة النزاع، وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنّه ـ وللأسف ـ تناست الأُمّة وصية الرسول وأمره، فانقسموا إلى طوائف وأحزاب، وقامت بينهم المعارك والحروب الّتى أُريقت فيها الدماء واستبيحت الأعراض، وتبدّلت المفاهيم، واختلفت القيم، ومازال ولم تزل معاناة الأمّة من هذا الانشقاق، وأصبح التقريب فضلا عن الوحدة أمراً متعسّراً على المفكرين، نسأل اللّه سبحانه أن يسد تلك الفجوة العميقة بايقاظ شعور علماء الأُمّة ومصلحيهم فى المستقبل . (۲۸۷) المسألة الثانية: عصمة الإمام

تفرّدت الامامية من بين الفرق الإسلامية بوجوب عصمة الامام من الذنب والخطأ، مع اتّفاق غيرم على عدمه . قال الشيخ المفيد: إنّ الأئمّة معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلّا ما قدم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلّا ما قدم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، ولا يدخل فى مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصى، ولا كون المعصوم مضطراً إلى فعل الطاعات، فإنّ ذلك يستدعى بطلان الثواب والعقاب، هذه هى عقيدة الامامية فى الامامة، وقد استدلّوا عليه بوجوه من العقل والسمع. أمّا العقل فقالوا: إنّ الامام منفذ لما جاء به الرسول، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرسول كلّها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب، لا يحصل الغرض من إمامته . (۲۸۸) حقيقة العصمة:

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع فى المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرَّماً مع قدرته على الترك والفعل، وإلّا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، وإن شئت قلت: إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم فى الشريعة وأحكامها مرتبةً لا يخطأ معها أبداً. وليست العصمة شيئاً ابتدعتها الشيعة، وإنّما دلَّهم عليهما فى حق العترة الطاهرة، كتاب اللّه وسنّة رسوله. قال سبحانه: (إنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)(۱) وليس المراد من الرجس إلّا الرجس المعنوى وأظهره هو الفسق. وقال الرسول: «على مع الحق والحق مع علىٍّ يدور معه كيفما دار»(۲) ومن دار معه الحق كيفما دار، محال أن يعصى أو أن يخطأ، وقول الرسول فى حق العترة: «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا»(۳) فاذا كانت العترة عدل القرآن تصبح معصومة كالكتاب، لا يخالف أحدهما الآخر، وليس القول بعصمة العترة بأعظم من القول بكون الصحابة كلّهم عدول . وليس للقول بالعصمة فى حق العترة منشأ سوى الكتاب والسنّة، وسيوافيك بعض دلائلهم . نعم شذَّ من قال انّ عقيدة العصمة تسرّبت إلى الشيعة من الفرس الذين نشأوا ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . الأحزاب / ۳۳ .

۲ . حديث مستفيض، رواه الخطيب فى تاريخه ۱۴ / ۳۲۱ والهيثمى فى مجمعه ۷ / ۲۳۶ وغيرهما.

۳ . حديث متواتر أخرجه مسلم فى صحيحه، والدارمى فى فضائل القرآن وأحمد فى مسنده ۲ / ۱۱۴ وغيرهم . (۲۸۹)

على تقديس الحاكم، لهذا أطلق عليها العرب النزعة الكسروية، ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك فى حدود اطلاعى، ولعلّ غالبية الشيعة كانت ترمى من وراء هذه الفكرة إلى تنزيه على من الخطأ حتّى يتّضح للملأ عدوان بنى أمية فى اغتصاب الخلافة. هذا وفى اليهودية كثير من المذاهب الّتى تسرَّبت إلى الشيعة(۱) . هب انّ عصمة الامام تسرّبت إلى الشيعة من الطريق الّذى أشار إليه الكاتب فمن أين تسرّبت عصمة النبى الّتى يقول بها أهل السنّة جميعاً فى التبليغ وبيان الشريعة، فهل هذه الفكرة تسرّبت إلى أهل السنّة من اليهود . لا واللّه إنّها عقيدة اسلامية واقتبسها القوم من الكتاب والسنّة من دون أخذ من اليهود والفرس، فما ذكره الكاتب تخرُّص على الغيب، بل فرية واضحة . إنّ الاختلاف فى لزوم توصيف الامام وعدمه، ينشأ من الاختلاف فى تفسير الامامة بعد الرسول وماهيتها وحقيقتها فمن تلقّى الامامة ـ بعد الرسول ـ بأنّها مقام عرفى لتأمين السبل، وتعمير البلاد واجراء الحدود، فشأنه شأن سائر الحكّام العرفيين. وأمّا من رأى الامامة بأنّها استمرار لتحقيق وظيفة الرسالة وأنّ الامام ليس بنبىّ ولا يوحى إليه، لكنّه مكلّف بملء الفراغات الحاصلة برحلة النبى، فلا محيص له عن الالتزام بها، لأنّ الغاية المنشودة لا تحصل بلا تسديد إلهى كما سيوافيك، نعم إنّ أهل السنّة يتحرَّجون من توصيف الامام بالعصمة ويتخيّلون أنّ ذلك يلازم النبوّة وما هذا إلاّ ـ أنّهم لا ـ يفرّقون بين الإمامتين ولكل معطياته

والتفصيل موكول إلى محلّه . ــــــــــــــــــــ

١ . الدكتور نبيه حجاب: مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ٤٩٢، كما فى هوية التشيع ١٦٦ .

(٢٩٠) الدليل على لزوم عصمة الامام بعد النبىّ:

استدل على لزوم العصمة فى الامام بوجوه نأتى بها. الأوّل: انّ الامامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوة والرسالة، وكان الامام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبى الأكرم، فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأنّ تجويز المعصية يتنافى مع الغاية الّتى لأجلها نصبه اللّه سبحانه إماماً للاُمّة، فانّ الغاية هى هداية الأمّة إلى الطريق المهيع، ولا يحصل ذلك إلاّ بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحة كلامه، فاذا جاز على الامام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الّذى استدلّ به المتكلمون على عصمة الأنبياء، والامام وإن لم يكن رسولا ولا نبيّاً ولكنّه قائم بوظائفهما .

نعم لو كنت وظيفة الامام مقتصرة بتأمين السبل وغزو العدو و الانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلا عادلا قائماً بالوظائف الدينية، وأمّا إذا كانت وظيفته أوسع من ذلك كما هو الحال فى مورد النبىّ، فكون الامام عادلا قائماً بالوظائف الدينية، غير كاف فى تحقيق الهدف المنشود من نصب الامام . فقد كان النبى الأكرم يفسّر القرآن الكريم ويشرح مقاصده وأهدافه ويبيّن أسراره . كما كان يجيب على الأسئلة فى مجال الموضوعات المستحدثة وكان يردّ على الشبهات والتشكيكات الّتى كان يلقيها أعداء الإسلام . وكان يصون الدين من محاولات التحريف والتغيير . وكان يربّى المسلمين ويهذّبهم ويدفعهم نحو التكامل . فالفراغات الحاصلة برحلة النبى الأكرم لا تسدّ إلاّ بوجود انسان مثالى تقوم (٢٩١)

بتلك الواجبات وهو فرع كونه معصوماً عن الخطأ والعصيان(١) . الثانى: قوله سبحانه: (أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ)(٢) .

والاستدلال مبنى على دعامتين: ١- إنّ اللّه سبحانه أمر بطاعة اُولى الأمر على وجه الاطلاق، إى فى جميع الأزمنة والأمكنة، وفى جميع الحالات والخصوصيات، ولم يقيّد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشىء كما هو مقتضى الآية . ٢- إنّ من البديهى أنّه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان (ولا يَرْضى لِعِبادِهِ الكُفْر)(٣) من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخّل أمر آمر أو نهى ناه، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهى من اُولى الأمر . فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين (وجوب اطاعة اُولى الأمر على وجه الاطلاق، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتّصف أولى الأمر الذين وجبت اطاعتهم على وجه الاطلاق، بخصوصية ذاتية وعناية إلهية ربّانية، تصدّهم عن الأمر بالمعصية والنهى عن الطاعة. وليس هذا إلاّ عبارة اُخرى عن كونهم معصومين، وإلاّ فلو كانوا غير واقعين تحت تلك العناية، لما صحّ الأمر باطاعتهم على وجه الاطلاق ولما صحَّ الأمر بالطاعة بلا قيد وشرط. فتستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة، اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة . وممّن صرّح بدلالة الآية على العصمة الامام والرازى فى تفسيره، ويطيب لى ــــــــــــــــــــ

١ . هذا اجمال ما أوضحناه فى بحوثنا الكلامية فلاحظ الإلهيات ٢ / ٥٢٨ ـ ٥٣٩ .

٢ . النساء / ٥٩ .

٣ . الزمر / ٧ . (٢٩٢)

أن أذكر نصّه حتّى يمعن فيه أبناء جلدته وأتباع طريقته قال: إنّ اللّه تعالى أمر بطاعة اُولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير اقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللّه بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ اللّه تعالى أمر بطاعة اُولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كل من أمر

اللّه بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولى الأمر المذكور فى هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً(۱) . ولمّا وقف الرازى على تمامية دلالة الآية على عصمة أُولى الأمر، وهى لا توافق مذهبه فى الامامة حاول أن يؤول الآية بما يوافقه مع أنّ الواجب على أمثاله، أن يتعرّف على «أُولى الأمر» الّذى استظهر من الآية كونهم معصومين، ولكنّه زلّت قدمه، ولم يستغل هذه الفكرة، ولم يستثمرها، فأخذ يتهرّب من نتائج الفكرة بالقول بأنّا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليه، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه، فاذا كان الأمر كذلك فالمراد ليس بعضاً من أبعاض الأُمّة، بل المراد هو أهل الحل والعقد من الأُمّة . يلاحظ عليه: بأنّه إذا دلّت الآية على عصمة أُولى الأمر فيجب علينا التعرّف عليهم، وادّعاء العجز، هروب من الحقيقة فهل العجز يختص بزمانه أو كان يشمل زمان نزول الآية، لا أظن أن يقول الرازى بالثانى فعليه أن يتعرّف على المعصوم فى زمان النبىّ وعصر نزول الآية، فبالتعرّف عليهم، يعرف معصوم زمانه، حلقة بعد ـــــــــــــــــــ

۱ . مفاتيح الغيب ۱۰ / ۱۴۴ .

(۲۹۳)

أخرى، ولا يعقل أن يأمر الوحى الإلهى باطاعة المعصوم ثم لا يقوم بتعريفه حين النزول، فلو آمن الرازى بدلالة الآية على عصمة أُولى الأمر، لكان عليه أن يؤمن بقيام الوحى الإلهى على تعريفهم بلسان النبى الأكرم . إذ لا معنى أن يأمر اللّه سبحانه باطاعة المعصوم، ولا يقوم بتعريفه . ثمّ إنّ تفسير «أُولى الأمر» بأهل الحل والعقد، تفسير للغامض ـ حسب نظر الرازى ـ بالأغمض إذ هو ليس بأوضح من الأول، فهل المراد منهم: العساكر والضباط، أو العلماء والمحدّثون، أو الحكام والسياسيون أو الكل. وهل اتّفق اجماعهم على شىء، ولم يخالفهم لفيف من المسلمين . إذا كانت العصمة ثابتة للأُمّة عند الرازى كما علمت، فهناك من يرى العصمة لجماعة من الأمّة كالقراء والفقهاء والمحدّثين، هذا هو ابن تيمية يقول فى ردّه على الشيعة عند قولهم : انّ وجود الامام المعصوم لابدّ منه بعد موت النبى يكون حافظاً للشريعة ومبيّناً أحكامها خصوصاً أحكام الموضوعات المتجدّدة، يقول: إنّ أهل السنّة لا يسلمون أن يكون الامام حافظاً للشرع بعد انقطاع الوحى، وذلك لأنّ ذلك حاصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كان ذلك خيراً من نقل الواحد، فالقرّاء معصومون فى حفظ القرآن وتبليغه، والمحدّثون معصومون فى حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون فى الكلام والاستدلال(۱) . يلاحظ عليه: كيف يدّعى العصمة لهذه الطوائف مع أنّهم غارقين فى الاختلاف فى القراءة والتفسير، و الحديث والأثر، والحكم والفتوى، والعقيدة والنظر، ولو أغمضنا عن ذلك فما الدليل على عصمة تلكم الطوائف خصوصاً على قول القائل بأنّ القول بالعصمة تسرّب من اليهود إلى الأوساط الإسلامية . ـــــــــــــــــــ

۱ . ابن تيمية: منهاج السنّة كما فى نظرية الامامية ۱۲۰ .

(۲۹۴) الثالث: قوله سبحانه: (وإِذِ ابْتَلى إبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِمات فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمينَ)(۱) .

والاستدلال بالآية على عصمة الامام، يتوقّف على تحديد مفهوم الامامة الواردة فى الآية والمقصود منها غير النبوّة وغير الرسالة، فأمّا الأوّل فهو عبارة عن منصب تحمّل الوحى، والثانى عبارة عن منصب ابلاغه إلى الناس. والإمامة المعطاة للخليل فى أُخريات عمره غير هذه وتلك، لأنّه كان نبياً ورسولا وقائماً بوظائفهما طيلة سنين حتّى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة فى المقام هو منصب القيادة، وتنفيذ الشريعة فى المجتمع بقوة وقدرة. ويعرب عن كون المراد من الامامة فى المقام هو المعنى الثالث، قوله سبحانه:(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَينا آلَ إبْراهيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ و آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظيماً)(۲) . فالإمامة الّتى أنعم بها اللّه سبحانه على الخليل وبعض ذرّيته، هى الملك العظيم الوارد فى هذه الآية. وعلينا الفحص عن المراد بالملك العظيم، إذ عند ذلك يتّضح أنّ مقام الامامة، وراء النبوّة والرسالة، وانّما هو قيادة حكيمة، وحكومة إلهية، يبلغ المجتمع بها إلى السعادة. واللّه سبحانه يوضح حقيقة هذا الملك فى الآيات التالية: ۱- يقول سبحانه ـ حاكياً قول يوسف ـ عليه السلام ـ : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ

تَأويلِ الأحاديثِ)(٣) ومن المعلوم أنّ الملك الّذى منّ به ــــــــــــــــــــــ

١ . البقرة / ١٢۴ .

٢ . النساء / ۵۴ .

٣ . يوسف / ١٠١ . (٢٩۵)

سبحانه على عبده يوسف، ليس النبوّة، بل الحاكمية حيث صار أميناً مكيناً فى الأرض. فقوله: (وعلمتنى من تأويل الأحاديث) اشارة إلى نبوّته، والملك اشارة إلى سلطته وقدرته . ٢- ويقول سبحانه فى داود ـ عليه السلام ـ : (وَ آتاهُ اللّهُ المُلْكَ وَ الحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشآءُ)(١)ويقول سبحانه: (وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ)(٢) . ٣- ويحكى اللّه تعالى عن سليمان أنّه قال: (وَهَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبَغِى لأحَد مِنْ بَعْدِى إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ)(٣) . فملاحظة هذه الآيات يفسر لنا حقيقة الامامة، وذلك بفضل الاُمور التالية: أ ـ إنّ إبراهيم طلب المامة لذريته، وقد أجاب سبحانه دعوته فى بعضهم. ب ـ إنّ مجموعة من ذرّيته، كيوسف وداود وسليمان، نالوا ـ وراء النبوّة والرسالة ـ منصب الحكومة والقيادة . ج ـ إنّه سبحانه أعطى آل ابراهيم الكتاب، والحكمة، والملك العظيم . فمن ضم هذه الاُمور بعضها إلى بعض، يخرج بهذه النتيجة: انّ ملاك الإمامة فى ذرّية إبراهيم، هو قيادتهم وحكمهم فى المجتمع، وهذه هى حقيقة الامامة، غير أنّها ربّما تجتمع مع المقامين الاُخريين، كما فى الخليل، ويوسف، وداود، وسليمان، وغيرهم، وربّما تنفصل عنهما كما فى قوله سبحانه: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قالُوا أنّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحَقُّ ــــــــــــــــــــــ

١ . البقرة / ٢۵١ .

٢ . ص / ٢٠ .

٣ . ص / ٣۵ . (٢٩۶) بِالمُلكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قَالَ إنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُم وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى العِلْمِ وَ اللّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشآءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ)(١) .

والامامة الّتى يتبنّاها المسلمون بعد رحلة النبى الأكرم، تتّحد واقعيتها مع هذه الامامة . ما هو المراد من الظالم:

قد تعرّفت على المقصود من جعل الخليل اماماً إماماً للناس، وانّ المراد هو القيادة الإلهية، وسوق الناس إلى السعادة بقوّة وقدرة ومنعة. بقى الكلام فى تفسير الظالم الّذى ليس له من الإمامة سهم، فنقول: لمّا خلع سبحانه ثوب الامامة على خليله، ونصبه للناس، ودعا إبراهيم أن يجعل من ذرّيته إماماً، اُجيب بأنّ الامامة منصب إلهى، لا يناله الظالمون، لأنّ الإمام هو المطاع بين الناس، المتصرّف فى الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوىّ، والظالم المتجاوز عن الحد لا يصلح لهذا المنصب . إنّ الظالم الناكث لعهد اللّه، والناقض لقوانينه وحدوده، على شفا جرف هار، لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة، لأنّه على مقربة من الخيانة والتعدى، وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين، فكيف يصحّ فى منطق العقل أن يكون إماماً مطاعاً، نافذ القول، مشروع التصرّف. وعلى ذلك، فكل من ارتكب ظلماً وتجاوز حداً فى يوم من أيام عمره، أو عبد صنماً، أو لاذ إلى وثن، وبالجملة ارتكب ما هو حرام فضلا عمّا هو شرك وكفر، ينادى من فوق العرش فى حقه: (لا ينال عهدى الظالمين) من غير فرق بين صلاح حالهم بعد تلك الفترة، أو البقاء على ما كانوا عليه . ــــــــــــــــــــــ

١ . البقرة / ٢۴٧ .

(٢٩٧)

نعم اعترض «الجصاص» على هذا الاستدلال وقال: «إنّ الآية إنّما تشمل من كام مقيماً على الظلم وأمّا التائب منه فلا يتعلّق به الحكم، لأنّ الحكم إذا كان معلّقاً على صفة، وزالت تلك الصفة، زال الحكم. ألاترى أنّ قوله: (وَ لا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا)(١) إنّا ينهى عن الركون إليهم ما أقاموا على الظلم، فقوله تعالى: (وَ لا يَنال عَهدِى الظّالِمينَ) لم ينف به العهد عمّن تاب عن ظلمه، لأنّه فى هذه الحاله لا يسمّى ظالماً، كما لا يسمّى من تاب من الكفر كافراً»(٢) . يلاحظ عليه: أنّ قوله «الحكم يدور مدار وجود الموضوع» ليس ضابطاً

كلياً، بل الأحكام على قسمين، قسم كذلك، وآخر يكفى فيه اتّصاف الموضوع بالوصف والعنوان آناً ما، ولحظة خاصة، وإن انتفى بعد الاتّصاف، فقوله: «الخمر حرام»، أو: «فى سائمة الغنم زكاة» من قبيل القسم الأوّل، وأمّا قوله: «الزانى يحد»، و «السارق يقطع» فالمراد منه انّ الإنسان المتلبّس بالزنا أو السرقة يكون محكوماً بهما وإن زال العنوان، وتاب السارق والزانى، ومثله: «المستطيع يجب عليه الحج» فالحكم ثابت، وإن زالت عنه الاستطاعة عن تقصير لا عن قصور .

وعلى ذلك فالمدعى أنّ «الظالمين» فى الآية المباركة كالسارق والسارقة والزانى والزانية والمستطيع واُمّهات نسائكم فى الآيات الراجعة إليهم . نعم المهم فى المقام، اثبات أنّ الموضوع فى الآية من قبيل الثانى، وأنّ التلبّس بالظلم ولو آناً ما، يسلب عن الإنسان صلاحية الامامة، وإن تاب من ذنبه، فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة: ۱- من كان طيلة عمره ظالماً . ________________

۱ . هود / ۱۱۳ .

۲ . تفسير آيات الأحكام ۱ / ۷۲ . (۲۹۸)

۲- من كان طاهراً ونقياً فى جميع فترات عمره. ۳- من كان ظالماً فى بداية عمره، وتائباً فى آخره . ۴- من كان طاهراً فى بداية عمره، وظالماً فى آخره . عند ذلك يجب أن نقف عن أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، الّذى سأل الإمامة لبعض ذريته أىّ قسم منها أراد؟ حاشا إبراهيم أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل، والرابع من ذريته، لوضوح انّ الغارق فى الظلم من بداية عمره إلى آخره، أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة، لا ـ يصلح لأن يؤتمن عليها . بقى القسمان الآخران، الثانى والثالث، وقد نص سبحانه على أنّه لا ينال عهده الظالم، والظالم فى هذه العبارة لا ينطبق إلّا على القسم الثالث، أعنى من كان ظالماً فى بداية عمره، وكان تائباً حين التصدى . فإذا خرج هذا القسم، بقى القسم الثانى، وهو من كان نقى الصحيفة طيلة عمره، ولم ير منه لا ـ قبل التصدّى ولا بعده أى انحراف عن جادة الحق، ومجاوزة للصراط السوى. وهو يساوى المعصوم . العصمة فى القول والراى:

إنّ الأئمة معصومون عن العصيان والمخالفة أوّلا ـ وعن الخطأ والزلة فى القول ثانياً وما ذلك إلّا لأنّ كلّ إمام من الأوّل إلى الثانى عشر، قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكل ما فى هذين الأصلين بحيث لا يشذ عن علمهم معنى آية من آى الذكر الحكيم تنزيلا وتأويلا ـ ولا ـ شىء من سنّة رسول اللّه قولا وفعلا وتقريراً و كفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنّة فضلا وعلماً. ومن هنا كانوا قدوة الناس جميعاً بعد جدّهم الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . (۲۹۹)

وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب و السنّة وفهموها عن رسول اللّه تماماً(۱) كما أخذها ووعاها رسول اللّه عن جبرائيل، وكما وعاها جبرائيل عن اللّه، ولا فرق أبداً فى شىء إلّا بالواسطة، وقال الشاعر الإمامى فى هذا المعنى: إذا شئت أن تبغى لنفسك مذهبا * ينجيك يوم البعث من لهب النار فدع عنك قول الشافعى ومالك * وأحمد والمروى عن كعب أحبار و وال اُناساً نقلهم وحديثهم * روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى أخذ علىّ عن النبىّ، وأخذ الحسنان عن أبيهما، وأخذ على بن الحسين عن أبيه، وهكذا كل إمام يأخذ العلم عن إمام، ولم ترو أصحاب السير والتواريخ أنّ أحداً من الأئمّة الإثنا عشر أخذ عن صحابى أو تابعى، فقد أخذ الناس العلم عنهم، ولم يأخذوه عن أحد، وقال الامام الباقر ـ عليه السلام ـ : لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا ولكن نحدّثهم بأحاديث نكنزها عن رسول اللّه كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم .(۲) ________________

۱ . أو الهاماً غيبياً لأنّهم محدّثون، كما أنّ مريم كانت محدّثة، وفى صحيح البخارى: عن أبى هريرة قال: قال النبى(صلى الله عليه وآله وسلم): لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان كان من اُمتى منهم أحد فعمر. صحيح البخارى ۲ / ۱۹۴ باب مناقب عمر بن الخطاب .

۲ . محمّد جواد مغنية: الشيعة والتشيّع ۴۴ . (۳۰۰) (۳۰۱) المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

إنّ الاعتقاد بالامام المهدى المنتظر عقيدة مشتركة بين جميع المسلمين، إلّا من أصمّه اللّه، فكل من كان له إلمام بالحديث يقف على تواتر البشارة عن النبى وآله واصحابه، بظهور المهدى فى آخر الزمان لا زالة الجهل والظلم، ونشر اعلام العلم والعدل، واعلاء كلمة

الحق واظهار الدين كلّه، ولو كره المشركون، وهو باذن اللّه ينجى العالم من ذُلّ العبودية لغير اللّه، ويبطل القوانين الكافرة الّتى سنّتها الأهواء، ويقطع أوامر التعصبات القومية والعنصرية، ويميت أسباب العداء والبغضاء الّتى صارت سبباً لاختلاف الاُمّة واضطراب الكلمة، واشتعال نيران الفتن والمنازعات، ويحقق اللّه بظهوره وعده الّذى وعد به المؤمنين بقوله: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخلِفَنَّهُمْ فِى الأرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ (٣٠٢) وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَاُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)(١) .

وقال سبحانه (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادىَ الصَّالِحُونَ) (٢) هذا ما اتّفق عليه المسلمون فى الصدر الأوّل والأزمنة اللاحقة، وقد تضافر مضمون قول الرسول الأكرم: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد، لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من ولدى، فيملأها عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا» . ولو وجد هناك خلاف بين أكثر السنّة والشيعة، فالاختلاف فى ولادته، فانّ الأكثرية من أهل السنّة يقولون بأنّه سيولد فى آخر الزمان، والشيعة بفضل هذه الروايات، تذهب إلى أنّه ولد فى «سرّ من رأى» عام ٢٥٥، وغاب بأمر اللّه سبحانه سنة وفاة والده، عام ٢٦٠، وهو يحيى حياة طبيعية كسائر الناس، غير أنّ الناس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره اللّه سبحانه ليحقق عدله . وهذا المقدار من الاختلاف لا يجعل العقيدة بالمهدى عقيدة خلافية، ومن أراد أن يقف على عقيدة السنّة والشيعة فى مسألة المهدى فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية لمحقّقى السنّة ومحدّيثهم: ١- «صفة المهدى» للحافظ أبى نعيم الاصفهانى . ٢- «البيان فى أخبار صاحب الزمان» للكنجى الشافعى . ٣- «البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان» لمّلا على المتقى . ٤- «العرف الوردى فى أخبار المهدى» للحافظ السيوطى . ______________

١ . النور / ٥٥ .

٢ . الأنبياء / ١٠٥ . (٣٠٣)

٥- «القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر» لابن حجر . ۶- «عقد الدرر فى أخبار الامام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقى . ومن أراد التفصيل فليرجع إلى «منتخب الأثر فى الامام الثانى عشر» للعلاّمة الصافى ـ دام ظلّه - . ولم ير أحد الضعف فى أخبار الامام المهدى، إلاّ ابن خلدون فى مقدّمته، وقد فنّد مقالته محمّد صديق برسالة أسماها «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» وقد كتب أخيراً الدكتور عبدالباقى كتاباً قيّماً فى الموضوع أسماه «بين يدى الساعة» فيقول فى تضافر الأخبار الواردة فى حق المهدى: «إنّ المشكلة ليست فى حديث أو حديثين أو راوأو راويين، انّها مجموعة من الأحاديث والأخبار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح . فلماذا نرد كل هذه الكمّية؟ أكلّها فاسدة؟ لو صحّ هذا الحكم لانهار الدين ـ والعياذ باللّه ـ نتيجة تطرق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنّة رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ثمّ إنّى لا أجد خلافاً حول ظهور المهدى، أو حول حاجة العالم إليه، وإنّما الخلاف حول من هو، حسنى أو حسينى؟ سيكون فى آخر الزمان، أو موجود الآن ،خفى وسيظهر؟ ظهر أو سيظهر؟ ولا عبرة بالمدّعين الكاذبين، فليس لهم اعتبار . ثمّ إنّى لا أجد مناقشة موضوعية فى متن الأحاديث، والّذى أجده، إنّما هو مناقشة وخلاف حول السند، واتّصاله وعدم اتّصاله ، ودرجة رواته، ومن خرّجوه، ومن قالوا فيه . وإذا نظرنا إلى ظهور المهدى، نظرة مجرّدة، فإنّنا لا نجد حرجاً من قبولها (٣٠۴)

وتصديقها، أو على الأقل عدم رفضها. فإذا ما تؤيّد ذلك بالأدلّة الكثيرة، والأحاديث المتعددة، ورواتها مسلمون مؤتمنون، والكتب الّتى نقلتها إلينا كتب قيمة، والترمذى من رجال التخريج والحكم، بالاضافة إلى أنّ أحاديث المهدى لها، ما يصحّ أن يكون سنداً لها فى البخارى ومسلم، كحديث جابر فى مسلم الّذى فيه: «فيقول أميرهم (أى لعيسى): تعال صلّ بنا»(١)، وحديث أبى هريرة فى البخارى، وفيه: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم»(٢)، فلا مانع من أن يكون هذا الأمير، وهذا الامام هو المهدى . يضاف إلى هذا انّ كثيراً من السلف رضى اللّه عنهم، لما يعارضوا هذا القول، بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لا ثبات هذه العقيدة عند المسلمين»(٣). ______________

١ . صحيح مسلم ١ (باب نزول عيسى) ٥٩ .

٢ . صحيح البخارى ١۴ / ٣٣۴ .

٣ . بين يدى الساعة للدكتور عبدالباقى ١٢٣ ـ ١٢۵ .

(٣٠۵) المسألة الرابعة: القول بالبداء

إنّ من العقائد الثابتة عند الشيعة الامامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم انّ النسخ والبداء صنوان، غير أنّ الأوّل فى التشريع والثانى فى التكوين، وقد اشتهرت بالقول به، كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء وصار القول بهذه الاُمور الثلاثة من خصائصهم وقد أنكرت عليهم السنّة أشد الانكار خصوصاً فى مسألة البداء ولكنّهم لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تجويز البداء على اللّه لتوقّفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق، وأقول عن جد: لو اُتيحت الفرصة لعلماء الفريقين للبحث عن النقاط الخلافية بعيداً عن التعصب والأنحياز لتجلّى الحق بأجلى مظاهره، ولا عترفوا بصحة مقالة الشيعة، غير أنّ تلك اُمنية لا تتحقق إلاّ فى فترات خاصة، وقد سألنى أحد علماء أهل السنّة عن حقيقة البداء، فأجبته باجمال ما اُفصّله فى هذا المقام، فتعجّب عن اتقان معناه، غير أنّه زعم أنّ ما (٣٠۶)

ذكرته نظرية شخصية لا صلة لها بنظرية الامامية فى البداء فطلب منّى كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه أوائل المقالات، وشرح عقائد الصدوق لشيخ الاُمّة محمّد بن النعمان المفيد (٣٣۶ ـ ۴١٣) فقرأهما بدقة، وجاء بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الّذى يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنّة ولا يخالفون الشيعة فى هذا المبدأ أبداً . ولتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدمات: الأولى: اتفقت الشيعة على أنّه سبحانه عالم بالحوادث كلّها غابرها وحاضرها، ومستقبلها لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، بل الأشياء دقيقها وجليلها، حاضرة لديه ويدل عليه الكتاب والسنّة المروية عن طريق أئمّة أهل البيت ـ مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقرّرة فى محلها ـ أمّا الكتاب:

فقوله سبحانه: (اِنَّ اللّهَ لا يَخْفى عَلَيهِ شَىءٌ فِى الاَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ)(١) . وقوله تعالى (وَ مَا يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْ شَىء فِى الاَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ)(٢) . وقوله سبحانه: (إنْ تُبْدُوا شيْئاً أوْ تُخْفُوهُ فَاِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىء عَلِيماً)(٣) كيف وهو محيط بالعالم صغيره وكبيره، ماديّه و مجرّده، والأشياء كلها قائمة به قياماً قيّومياً كقيام المعنى الحرفى بالاسمى والرابطى بالطرفين ويكفى فى ذلك قوله سبحانه:(مَا اَصابَ مِنْ مُصيبَة فِى الاَرْضِ وَ لا فِى اَنْفُسِكُمْ اِلاّ فِى كِتاب مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأَهَا اِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّه يَسيرٌ)(۴) . ـــــــــــــــــــ

١ . آل عمران / ۵ .

٢ . إبراهيم / ٣٨ .

٣ . الأحزاب / ۵۴ .

۴ . الحديد / ٢٢ . (٣٠٧)

وقوله سبحانه: (وَ مَا مِنْ دَابَّة فِى الاَرْضِ اِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتاب مُبين)(١) . وأمّا الأخبار فنكتفى بالقليل منها: قال الامام موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ : «لم يزل اللّه عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»(٢) . وقال الامام على ـ عليه السلام ـ : «كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة»(٣) . وقال ـ عليه السلام ـ : «لا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافى الريح فى الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذّرّ فى الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفىّ طرف الأحداق»(۴) . إلى غير ذلك من الروايات(۵) الّتى تدل على احاطة علمه بكل شيء قبل خلقه وحينه وبعده، وانّه لا يخفى عليه شيء ابداً . وقال الصادق ـ عليه السلام ـ فى تفسير قوله: (يمحوا اللّهُ ما يشاءُ ويثبتُ وعندَهُ اُمّ الكتاب): «فكل أمر يريده اللّه، فهو فى علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلاّ وقد كان فى علمه، إنّ اللّه لا يبدو له من جهل. وقال: من زعم أنّ اللّه عزّوجلّ يبدو له من ـــــــــــــــــــ

۱ . هود / ۶ .

۲ . الكافى ج ۱، باب صفات الذات، الحديث ۴ .

۳ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۰۵ .

۴ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۷۳، طبعة عبده .

۵ . لاحظ فى العثور على الروايات حول علمه سبحانه، البحار ۴ / ۱۲۱ والكافى ۱ / ۱۱۱ . (۳۰۸)

شيء لم يعلمه أمس، فابرأ وامنه»(۱) إلى غير ذلك من الروايات الّتى تدل على إحاطة علمه بكل شيء قبل خلقه وحينه وبعده وانّه لا يخفى عليه شيء أبداً . وأمّا العقل فقد دلّ على تنزّهه من وصمة الحدوث والتغيير، وانّه تقدّست أسماؤه، أعلى من أن يقع معرضاً للحوادث والتغييرات، ولأجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل، لاستلزامه كون ذاته محلاّ للتغير والتدبل، والمستلزم للتركيب والحدوث، إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه . فالآيات وكذلك الأحاديث المروية عن أئمّة الشيعة ـ عليهم السلام ـ تشهد على علمه الّذى لا يشوبه جهل، وعلى سعته لكل شيء قبل الخلق وبعده، وأنّه يستحيل عليه الظهور بعد الخفاء، والعلم بعد الجهل . وعليه فمن نسب إلى الشيعة الإمامية ما يستشم منه خلاف ما دلّت عليه الآيات والأحاديث فقد افترى كذباً ينشأ من الجهل بعقائد الشيعة، أو التزلّف إلى حكّام الوقت الحاقدين لهم أو التعصّب المقيت . وبذلك يعلم بطلان ما قاله الرازى فى تفسيره عند البحث عن آية المحو والاثبات حيث يقول: قالت الرافضة: البداء جائز على اللّه تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله (يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت): ثم قال: إنّ هذا باطل لأنّ علم اللّه من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك، كان دخول التغيّر والتبدّل فيه باطلا(۲) . وما حكاه الرازى عن «الرافضة» كاشف عن جهله بعقيدة الشيعة وإنّما سمعه

---

۱ . البحار ۴ / ۱۱۱ باب البداء، الحديث ۳۰، والبرهان ۲ / ۳۰۰ حديث ۲۱ .

۲ . تفسير الرازى ۴ / ۲۱۶ تفسير سورة الرعد . (۳۰۹)

عن بعض الكذّابين الأفّاكين الذين يفتعلون الكذب لغايات فاسدة، وقد قبله من دون امعان ودقّة، مع أنّ موطنه ومسقط رأسه (بلدة رى) كانت مزدحم الشيعة ومركزهم وكان الشيخ محمود بن على بن الحسن سديد الدين الحمصى الرازى، علاّمة زمانه فى الاُصولين معاصراً ومواطناً للرازى وهو مؤلّف كتاب «المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد»(۱) ولو كان الفخر الرازى رجلا منصفاً لرجع إليه فى تبيين عقائد الشيعة، ولما تهاجم عليهم بسباب مقذع، وربّما ينقل عنه بعض الكلمات فى تفسيره . وليس الرازى فريداً فى التقوّل فى هذا المجال بل سبقه البلخى (ت ۳۱۹) فى هذه النسبة(۲)، ونقله الشيخ الأشعرى (۲۶۰ ـ ۳۲۴) فى مقالات الاسلاميين(۳) ونقله أبو الحسن النوبختى فى فرق الشيعة عن بعض فرق الزيدية(۴) . * * * الثانية: كما دلّت الآيات والأحاديث(۵) على أنّه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والايجاد، والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر، بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم من الصدقة والاحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين، والاستغفار والتوبة وشكر النعمة واداء حقّها إلى غير ذلك من الاُمور الّتى تغيّر المصير وتبدّل القضاء وتفرّج الهموم والغموم وتزيد فى الأرزاق، والأمطار، والأعمار

---

۱ . الطهرانى آغا بزرگ: الثقات العيون فى سادس القرون ۲۹۵ وطبع الكتاب أخيراً .

۲ . الطوسى: التبيان ۱ / ۱۳ .

۳ . مقالات الاسلاميين ۱۰۷ .

۴ . فرق الشيعة ۷۶ نقله عن سليمان بن جرير الّذى كفّره أهل السنّة أيضاً لتكفيره عثمان فهل يصحّ الاعتماد على قول مثله .

۵ . البحار ۴ / ۱۰۴ الحديث ۱۷ وغيره . (۳۱۰)

والآجال كما أنّ لمحرّم الأعمال وسيّئها من قبيل البخل والتقصير، وسوء الخلق، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والطيش، وعدم

الانابة، وكفران النعمة وماشابهها تأثيراً فى تغيير مصيرهم بعكس ذلك من اكثار الهموم، والقلق، ونقصان الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، وما شاكلها . فليس للانسان مصير واحد، ومقدر فارد، يصيبه على وجه القطع والبت، ويناله، شاء أو لم يشأ، بل المصير أو المقدر يتغيّر ويتبدّل بالأعمال الصالحة والطالحة وشكر النعمة وكفرانها، وبالايمان والتقوى، والكفر والفسوق. وهذا ممّا لا يمكن (لمن له أدنى علاقة بالكتاب والسنّة) انكاره إلّا من كان مؤمناً بالقلب، ومنكراً باللسان . ونحن نأتى فى المقام بقليل من كثير ممّا يدل على ذلك من الآيات والروايات. منها: قوله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً * وَ يُمْدِدْكُمْ بِاَمْوال وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّات وَ يَجْعَلْ لَكُم اَنْهاراً)(۱) . ترى أنّه ـ عليه السلام ـ، يجعل الاستغفار، علّة مؤثرة، فى نزول المطر، وكثرة الأموال والبنين، وجريان الأنهار إلى غير ذلك. وأمّا بيان كيفية تأثير عمل العبد فى الكائنات الطبيعية، فيطلب عن محلّه . وقوله سبحانه: (اِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْم حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأنْفُسِهِمْ)(۲) . وقوله تعالى: (ذلِكَ بِاَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أنْعَمَها عَلى قَوْم حَتّى ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . نوح / ۱۰ ـ ۱۲ .

۲ . الرعد / ۱۱ . (۳۱۱) يُغَيِّرُوا مَا بِأنْفُسِهِم) .(۱)

وقوله سبحانه: (وَ لَوْ أَنَّ أهْلَ القُرى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكات مِنَ السَّماءِ والأرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .(۲) وقوله سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ).(۳) وقوله تعالى: (وَ إذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ).(۴) وقوله سبحانه: (وَنُوحاً إذْ نَادى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ).(۵) وقال تعالى: (وَ أَيُّوبَ إذْ نَادَى رَبَّهُ أَنّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَ اَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مَن ضُرٍّ).(۶) وقال سبحانه: (وَ مَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).(۶) وقال تعالى: (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ اِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ * وَأنبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرةً مِن يَقْطِين).(۷) وقال تعالى: (فَاستَجَبْنا لَهُ وَ نَجّيناهُ مِنَ الغَمِّ وَكذلِكَ نُنْجِى المُؤْمِنِينَ).(۸) وقال سبحانه: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الأنفال ۵۳ .

۲ . الأعراف ۹۶ .

۳ . الطلاق ۲ ـ ۳ .

۴ . إبراهيم ۷ .

۵ و ۶ ـ الأنبياء ۷۶ و ۸۳ ـ ۸۴ .

۶ . الأنفال ۳۳ .

۷ . الصافات ۱۴۳ ـ ۱۴۶ .

۸ . الأنبياء ۸۸ . (۳۱۲) آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْىِ فِى الحَيوةِ الدُّنْيا وَ متَّعْناهُمْ إلى حِين)(۱) .

وهذه الآيات بالاضافة إلى كثير من الأحاديث الّتى سيوافيك بيان نزر منها تعرب على أنّ الأعمال الصالحة مؤثّرة فى مصير الإنسان وانّه يقدر بعمله الصالح على تغيير القدر، وتبديل القضاء وليس هناك مقدر محتوم فيما يرجع إلى أفعاله الاختيارية حتّى يكون العبد فى مقابله مكتوف الأيدى والأرجل . وأمّا الأحاديث الّتى تدل على هذا المطلب فكثيرة جدّاً، مبعثرة فى كتب الحديث تحت عناوين مختلفة من قبيل الصدقة، والاستغفار، والدعاء، وصلة الرحم، وما أشبه ذلك، وسنذكر فيما يلى نموذجاً من الأحاديث لكل من الاُمور الآنفة . الف ـ الصدقة وأثرها فى دفع البلاء:

روى الصدوق فى الخصال عن أنس: قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أكثر من صدقة السر، فإنّها تطفىء غضب الرب جلّ جلاله» . وروى فى عيون الأخبار عن الرضا عن آبائه، قال: قال رسول اللّه: «باكروا بالصدقة فمن باكر بها لم يتخطاها البلاء» .

وروى الشيخ الطوسى فى أماليه عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: قال أميرالمؤمنين: «أفضل ما توسّل به المتوسّلون الإيمان باللّه... وصدقة السر، فإنّها تـذهب الخطيئة وتطفىء غضب الرب، وصنائع المعروف فإنّها تدفع ميتة السوء وتقى مصارع الهوان» . وروى الصدوق فى ثواب الأعمال عن الصادق ـ عليه السلام ـ : قال: «الصدقة ـــــــــــــــــــــــ

۱ . يـونس / ۹۸، وقـد استشـهد الامام أمير المؤمنين ببعض هـذه الآيات عند الاستسـقاء، فقال: «إنّ اللّه يَبتلى عبادَهُ عند الأعمال السيّئة بنقص الثمرات...» نهج البلاغة، الخطبة ۱۴۳ .

(۳۱۳)

باليد تدفع ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء» . إلى غير ذلك من الروايات الّتى جمعها العلاّمة المجلسى فى كتاب الزكاة والصدقة(۱) . ب ـ أثر الاستغفار فى الرزق:

روى الصـدوق فى الخصـال عن أميرالمـؤمنين قـال: «الاسـتغفار يزيـد فى الرزق». وروى أيضـاً فيهـا عن أميرالمؤمنين ـ عليه السـلام ـ : «أكثروا الاستغفار، تجلبوا الرزق»(۲) . ج ـ الدعاء وآثاره :

روى الحميرى فى قرب الاسـناد عن الصادق ـ عليه السـلام ـ : «انّ الـدعاء يرد القضاء وانّ المؤمن ليـذنب فيحرم بـذنبه الرزق» . وروى أيضاً عنه ـ عليه السـلام ـ : قال رسول اللّه: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدعاء» . وروى الصدوق عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ : «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء»(۳) . ـــــــــــــــــــــــ

۱ . بحارالأنوار: الجزء ۹۳ الباب ۲۱، الأحاديث ۴ ـ ۷ ـ ۹ ـ ۲۶ (وروى هناك أحاديث اُخرى) .

۲ . المصدر نفسه كتاب الذكر والدعاء باب الاستغفار وفضله وأنواعه، الحديث ۴ ـ ۱۷ (وروى أحاديث حول الاستغفار من الفريقين) .

۳ . البحار الجزء ۹۳ كتاب الذكر والدعاء، أبواب الدعاء. الباب ۱۶ ـ الحديث ۲ ـ ۳ ـ ۵ (وروى أحاديث من الفريقين) . (۳۱۴)

وقد عقد الكلينى فى الكافى باباً أسـماه «انّ الدعاء يرد البلاء والقضاء» ومن جملة أحاديث هذا الباب عن حماد بن عثمان قال: سـمعته يقول: «انّ الـدعاء يردّ القضاء ينقضه كما ينقض السـلك وقـد اُبرم إبراماً»(۱). وروى عـن أبى الحسن موسـى ـ عليه السـلام ـ : «عليكم بالـدعاء فـإنّ الـدعاء للّه والطلب إلى اللّه يرد البلاء وقـد قـدر وقضـى ولم يبق إلاّ امضاؤه فإذا دعى اللّه عزّوجلّ وسئل، صـرف البلاء صرفةً»(۲) . وأخرج الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ، قال: لا ينفع الحذر عن القدر ولكن اللّه يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر . قال: وأخرج ابن أبى شـيبة فى المصـنّف وابن أبى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسـعود ـ رضى الله عنه ـ قال: ما دعا عبد بهذه الدعوات إلاّ وسع اللّه له فى معيشـته: «يـا ذا المنّ ولا ـ يمنّ عليه، يـا ذا الجلال والاكرام يا ذا الطول، لا إله إلاّ أنت ظهر اللاجين وجار المسـتجيرين، ومأمن الخائفين إن كنت كتبتنى عندك فى اُمّ الكتاب شقياً فامح عنّى اسم الشقاء واثبتنى عندك سعيداً، وإن كنت كتبتنى عندك فى اُمّ الكتاب محروماً مقتراً على رزقى، فامح حرمانى ويسّر رزقى واثبتنى عندك سعيداً موفقاً للخير فإنّك تقول فى كتابك الّذى أنزلت: (يمحـوا اللّـه مـا يشـاء ويثبـت وعنـده اُم الكتـاب)(۳) . وروى أيضـاً فى الـدر المنثـور فى تفسـير قـوله تعـالى: (يسـأله مـن فى

---

۱ . الكافى ج ۲ باب انّ الدعاء يرد القضاء ص ۴۶۹ الحديث ۱ .

۲ . المصدر نفسه ص ۴۷۰ الحديث ۸ .

۳ . السيوطى، الدر المنثور ۴ / ۶۶ . (۳۱۵) السموات) ما يقرب من هذا، فلاحظ(۱) . د ـ أثر صلة الرحم:

روى الكلينى عن أبى الحسن الرضـا قـال: «يكون الرجـل يصـل رحمه فيكون قـد بقى من عمره ثلاث سـنين فيصـيّرها اللّه ثلاثين سـنة ويفعـل اللّه ما يشاء»(۲) . روى أيضـاً عن أبى جعفر قـال: «صـلة الأرحـام تزكى الأعمال وتنمى الأموال وتـدفع البلوى وتيسّـر الحساب وتنسىء فى الآجال»(۳) . وروى أهل السـنة نظير هذه الروايات فنكتفى بما رواه السـيوطى فى الدر المنثور عن على ـ رضـى الله عنه ـ : انّه سأل رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ عن هذه الآية (يَمْحُوا اللّه)؟ فقال له: «لأقرّن عينيك بتفسـيرها ولأقرّن عين اُمّتى بعدى

بتفسيرها: الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، وتقى مصارع السوء» . وكما أنّ للأعمال الصالحة أثراً فى المصير وحسن العاقبة، وشمول الرحمة وزيادة العمر وسعة الرزق، كذلك الأعمال الطالحة والسيئات فى الأفعال فإنّ لها تأثيراً ضد اثر الأعمال الحسنة . ويدل على ذلك من الآيات قوله سبحانه: (و ضَرَبَ اللّهُ مَثَلا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِن كُلِّ مَكان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَها اللّهُ لِباسَ الجُوعِ وَ الخَوْفِ بِمَا كانُوا ———————

۱ . الدر المنثور ۶ / ۱۴۳ .

۲ . الكافى ج ۲، باب صلة الرحم، الحديث ۳ .

۳ . المصدر نفسه، الحديث ۴ ولاحظ البحار ج ۴ باب البداء، الحديث ۶۶ . (۳۱۶) يَصْنَعُونَ)(۱) .

وقال سبحانه: (ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلَى قَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(۲) . وقال سبحانه: (وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنينَ وَنَقْص مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ)(۳) . وأمّا الروايات فى ذلك فحدّث عنها ولا حرج فنكتفى بما عن أميرالمؤمنين أنّه قال فى خطبة: «أعوذ باللّه من الذنوب الّتى تعجّل الفناء» فقام إليه عبداللّه بن الكواء اليشكر ى، فقال: يا أميرالمؤمنين أو تكون ذنوب تعجّل الفناء؟ فقال: «نعم، ويلك قطيعة الرحم». وقال أيضاً: «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار»(۴) . وقد وردت فى الآثار الوضعية للأعمال، روايات يطول الكلام بنقلها. فلاحظ ما ورد فى الزنا من أنّ فيها ست خصال ثلاث منها فى الدنيا وثلاث منها فى الآخرة أمّا الّتى فى الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجّل الفناء ويقطع الرزق(۵) . أيضاً ما ورد فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مثل ما روى عن أبى الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ انّه قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو لتستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»(۶) وعن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : ———————

۱ . النحل / ۱۱۲ .

۲ . الأنفال / ۵۳ .

۳ . الأعراف / ۱۳۰ .

۴ . الكافى ج ۲ كتاب الايمان والكفر، باب قطيعة الرحم، الحديث ۷ ـ ۸ .

۵ . سفينة البحار ۱ / ۵۶۰ مادة (زنا) .

۶ . الوسائل ج ۱۱ كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الباب ۱ الحديث ۴ . (۳۱۷)

«إنّهم لمّا تمادوا فى المعاصى ولم ينههم الربّانيون والأحبار نزلت بهم العقوبات»(۱) وورد: «لا ـ تزال اُمّتى بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر فى الأرض ولا فى السماء»(۲) إلى غير ذلك من درر الكلمات الّتى نقلت عن معدنها . * * *

فقد تحصل ممّا ذكرنا: أوّلا:إنّ علمه سبحانه يعم كل الأشياء ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وثانياً: إنّه سبحانه كل يوم هو فى شأن . وثالثاً: إنّ لأفعال العباد، تأثيراً فى حسن العاقبة وسوئها، ونزول الرحمة والبركة، أو العقاب والنقمة .

إذا وقفت على هذه المقدّمات الثلاث فاعلم أنّه يقع الكلام فى البداء فى مقامين: ۱- البداء فى مقام الثبوت: أى تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة . ۲- البداء فى مقام الاثبات: أى الاخبار عن تحقق الشىء علماً بالمقتضى مع خفاء المانع . ———————

۱ . الوسائل ج ۱۱ كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الباب ۱ الحديث ۷ .

۲ . المصدر نفسه، الحديث ۱۸ . (۳۱۸) (۳۱۹) البداء فى مقام الثبوت والاثبات

حقيقة البداء هو انّه سبحانه (على خلاف ما اعتقده اليهود والنصارى فى حقّه من فراغه عن أمر الخلق والتدبير، والاحياء والاماتة، والتوسيع والتقدير فى الرزق، والتعمير والتنقيص إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى الكون والإنسان) هو القائم دائماً بالأمر، والتدبير، وهو القيوم على كل شىء، وكل يوم فى شأن وليست يداه مغلولتان، بل يداه مبسوطتان (فى كل شىء) يمحو ويثبت حسب مشيئته الحكيمة

وارادته النافذة فهو المتجلّى فى كل زمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا كالخالقية والرازقية والاحياء والامامة إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى . ومن شعب هذا الأمر، هو أنّه سبحانه: يزيد فى الرزق والعمر وينقص منهما، وينزل الرحمة والبركة، كما ينزل البلاء والنقمة، حسب مشيئته الحكيمة، النافذة، ولا تصدر عنه الاُمور جزافاً واعتباطاً بل حسب ما تقتضيها حال العباد من حسن الأفعال وقبحها وصالح الأعمال وطالحها. فربّما يكون الإنسان مكتوباً فى الأشقياء ثم يُمحى فيكتب من السعداء أو على العكس بسبب ما يقوم به من أعمال . (۳۲۰)

وبالجملة: فالبداء فى عالم الثبوت يضاد مزعمة اليهود والنصارى المشار إليها فى قوله سبحانه: (وَ قَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُم مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً)(۱)، وقد رد سبحانه تلك العقيدة اليهودية الباطلة فى هذه الآية كما هو واضح . ولأجل أنّ يديه سبحانه مبسوطتان، يزيد فى الخلق ما يشاء، وفى العمر، وينقص منه، حسب مشيئته الحكيمة قال سبحانه: (الحَمْدُ لِلّهِ فَاطِرِ السَّماواتِ والأَرْض... يَزِيدُ فِى الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَىء قَدِيرٌ)(۲) وقال سبحانه: (وَ مَا تُحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إلاّ بِعِلْمِهِ وَ مَا يُعَمِّرُ مِن مُعَمِّر وَ لا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاّ فِى كِتاب إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ)(۳) . وبناء على ذلك فالبداء بهذا المعنى، ممّا يشترك فيه كل المسلمين، على مذاهبهم المختلفة من دون اختصاص بالشيعة، فليس أحد من المسلمين ينكر أنّه سبحانه كل يوم هو فى شأن، وانّه جلّ وعلا. يبدئ ويعيد، ويحيى ويميت، كما أنّه سبحانه يزيد فى الرزق والعمر وينقص إلى غير ذلك حسب المشيئة الحكيمة والمصالح الكامنة فى أفعاله . وكما أنّه سبحانه: يداه مبسوطتان، كذلك العبد مختار، فى أفعاله لا مسيّر، وحرفى تصرفاته(۴) لا ـ مجبور، له أن يغيّر مصيره ومقدّره بحسن فعله، وجودة عمله ،

---

۱ . المائدة / ۶۴ .

۲ . فاطر / ۱ .

۳ . فاطر / ۱۱ .

۴ . لا ـ يخفى أنّ المقصود من أفعال الإنسان الّتى نثبت اختياره فيها هى الأفعال الّتى تتعلق بها التكاليف لا الأفعال القهرية الّتى تصدر من جهازه الهضمى مثلا . (۳۲۱)

ويخرج اسمه من الأشقياء، ويدخله فى السعداء، كما أنّ له أن يخرج اسمه من السعداء ويدخله فى الأشقياء بسوء عمله . فاللّه سبحانه كما يمحو ويثبت فى التكوين، فيحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد، ويغيّره حسب ما يغيّر العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه: (إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْم حتّى يُغَيِّروا مَا بِأَنفُسِهِمْ)(۱)، كل ذلك لأجل أنّ يديه مبسوطتان وأنّ العبد حرّ مختار، قادر على تغيير القضاء، وتبديل القدر، بحسن فعله أو سوئه، كما دلّت عليه الآيات والروايات . وليس فى ذلك أى محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنّة بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه، هو أيضا من قدره وقضائه وسننه الّتى لا تبديل لها ولا تغيير، فاللّه سبحانه إذا قدّر لعبده شيئاً وقضى له بأمر، فلم يقدره ولم يقضه به على وجه القطع والبت، بحيث لا يتغيّر ولا يتبدّل، بل قضى به على وجه خاص وهو أنّ القضاء والقدر يجرى عليه، ما لم يغيّر العبد حاله، فإذا غيّر حاله بحسن فعله أو سوئه، يتغيّر القضاء ويتبدّل القدر ويخلف قضاء وقدر آخر مكانهما الأوّل، وكل هذه أيضاً قضاء وقدر منه، كما لا يخفى . وهذا (البداء فى الثبوت) أولى بالتسمية بالمحو والاثبات، والتغيير والتبديل فى الكون وفى مصير الإنسان غير أنّ المحو والاثبات فى الكون بيد اللّه سبحانه، يتصرّف فيه حسب مشيئته، ولا دخل لارادة الإنسان ولصلاح فعله ولا فساده فيه، وأمّا التغيير فى مصير الإنسان فيتوقّف تعلّق المشيئة عليه، على كيفية حال العبد وكيفية عمله من حسن أو قبح .

---

۱ . الرعد / ۱۱ .

(۳۲۲) البداء فى الذكر الحكيم:

هـذا الأصـل ـ الّـذى يعـدّ من المعارف العليا تجاه ما عرف من اليهود، من سـيادة القـدر على كل شـىء حتّى إرادته سـبحانه ـ يسـتفاد بوضوح من قوله سبحانه (يَمحوا اللّه ما يشاءُ ويُثبت وعِندِه أُمُّ الكِتاب)(۱) وهذه الآية هى الأصل فى البداء فى مقام الثبوت ويكفى فى إيضـاح دلالتهـا، نقل كلمات المحققين من المفسـرين، حتّى يقف القارئ على أنّ القول بالبـداء بالمعنى الصـحيح، مما أصـفقت عليه الأُمّة. ۱- روى الطـبرى (۳۱۰ هـ) فى تفسـير الآيـة عـن لفيـف من الصـحابة والتـابعين أنّهم كـانوا يـدعون اللّه سـبحانه بتغيير المصـير واخراجهم من الشـقاء ـ إن كتب عليهم ـ إلى السـعادة مثلا، كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول وهو يطوف بالكعبة: اللّهمّ إن كنت كتبتنى فى أهـل السـعادة فأثبتنى فيها، وإن كنت كتبتنى على الـذنب [الشـقاوة] فامحنى وأثبتنى فى أهل السـعادة فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أُمّ الكتاب . وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسـعود، وابن عباسن وشـقيق وأبى وائل(۲) . وروى عن ابن زيد أنّه قال فى قوله سـبحانه: (يمحوا اللّه ما يشاء) بما يُنزِّلُ على الأنبياء، ويُثبت ما يشاء مما ينزل على الأنبياء قال: وعنـده أُمّ الكتاب لا يُغيّر ولا يُبدِّل (۳) . ۲- قال الزمخشرى (۵۲۸ هـ): (يمحوا اللّه ما يشاء): ينسـخ ما يسـتصوب نسـخه ويثبت بـدله ما يرى المصلحة فى إثباته أو ينزله غير منسوخ(۳) . ________________

۱ . الرعد / ۳۹ .

۲ . الطبرى: التفسير (جامع البيان) الجزء ۱۳ / ۱۱۲ ـ ۱۱۴ .

۳ . الزمخشرى: الكشاف: ۲ / ۱۶۹ . (۳۲۳)

۳- ذكر الطبرسـى (۵۴۸ ـ ۴۷۱ هـ) لتفسير الآيـة وجوهاً متقاربـة وقال: «الربع أنّه عامٌّ فى كل شـىء فيمحو من الرزق ويزيـد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما. (روى ذلك) عن عمربن الخطاب، وابن مسعود وأبى وائل وقتادة: وأُمّ الكتاب أصل الكتاب الّذى أُثبتت فيه الحادثات والكائنات . وروى أبو قلابَة عن ابن مسـعود أنّه كان يقول: «اللّهمّ إن كنت كتبتنى فى الأشـقياء فامحنى من الأشقياء...»(۱) . ۴- قال الرازى (۶۰۸ هـ) إنّ فى هذه الآية قولين: القول الأوّل: إنّها عامة فى كل شـىء كما يقتضـيه ظاهر اللفظ قالوا: إنّ اللّه يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول فى الأجل والسـعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضـرعون إلى اللّه تعالى فى أن يجعلهم سـعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلـم ـ . والقول الثـانى: إنّ هـذه الآيـة خاصـة فى بعض الأشـقياء دون البعض . ثم قـال: فـإن قـال قائل: ألسـتم تزعمون أنّ المقادير سابقـة قـد جفَّ بها القلم وليس الأمر بأنف فكيف يسـتقيم مع هذا المعنى، المحو والإثبات؟ قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضـاً ممـا جف به القلم فلأنّه لا ـ يمحو إلاّ ما سـبق فى علمه وقضائه محوه(۲) . ۵- قـال القرطبى (۶۷۱ هـ) ـ بعـد نقـل القولين وإنّ المحو والإثبات هل يعمّان جميع الأشـياء أو يختصّان ببعضـها ـ: مثل هـذا لا يدرك بالرأى والإجتهاد، وإنّما يؤخذ توقيفاً فإن صحّ فالقول به يجب أن يوقف عنـده، وإلاّ ـ فتكون الآيـة عامـة فى جميع الأشـياء وهو الأـظهر ـ ثم نقل دعاء عمر بن الخطاب فى حال الطواف ودعاء عبداللّه ________________

۱ . الطبرى مجمع البيان ۶ / ۳۹۸ .

۲ . الرازى: ۱۰ / ۶۴ ـ ۶۵ . (۳۲۴)

ابن مسـعود ثم قال: روى فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: سمعت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «مَن سرَّه أن يبسط له فى رزقِه ويُنسَأ له فى أثره (أجله) فليصل رحمه» .(۱) ۶- قال ابن كثير (۷۷۴ هـ) بعـد نقل قسم من الروايات: ومعنى هـذه الروايات أنّ الأقدار ينسخ اللّه ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلـم ـ : «إنّ الرجـل ليُحْرَمُ الرزق بالـذنب يصـيبه ولا يرد القَـدَرُ إلاّ بالـدعاء، ولا يزيـد فى العمر إلاّ البر» ثم نقل عن ابن عباس: الكتاب كتابان، فكتاب يمحو اللّه منه ما يشاء ويثبت عنـده ما يشاء، وعنده أُمّ الكتاب(۲) . ۷- روى السيوطى (۹۱۱ هـ) عن ابن عباس فى تفسير الآية: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة اللّه، ثم يعود لمعصية اللّه فيموت على ضلالة فهو الّذى يمحو، والّذى يثبت الرجل يعمل

بمعصيـة اللّه تعالى وقد سـبق له خير حتّى يموت وهو فى طاعة اللّه سـبحانه وتعالى. ثم نقل ما نقلناه من الدعاء عن لفيف من الصحابة والتابعين(۳) . ۸- ذكر الآلوسى (۱۲۷۰ هـ) عنـد تفسـير الآيـة قسـماً من الآثار الواردة حولها وقال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ ـ كرم اللّه وجهه ـ أنّه سـأل رسـول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ عن قوله تعـالى: (يمحوا اللّه مـا يشـاء...) الآيـة فقـال: له عليه الصـلاة والسـلام. لاقرّنّ عينك بتفسـيرها ولا قرّنّ عين أُمّتى بعـدى بتفسـيرها: الصدقـة على وجهها، وبر الوالدين واصـطناع المعروف، محوِّل الشـقاء سـعادة ويزيـد فى العمر ويقى مصـارع السوء، ثم قال: دفع الإشـكال عن اسـتلزام ذلك، بتغيّر علم اللّه سـبحانه ومن شاء فليرجع(۴) . ۹- قال صديق حسن خان (۱۳۰۷ هـ) فى تفسير الآية: وظاهر النظم ــــــــــــــ

۱ . القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ۵ / ۳۲۹ .

۲ . ابن كثير: التفسير ۲ / ۵۲۰ .

۳ . السيوطى: الدر المنثور ۴ / ۶۶۰ لاحظ ما نقله فى المقام من المأثورات كلها تحكى .

۴ . الآلوسى: روح المعانى ۱۳ / ۱۱۱ . (۳۲۵)

القرآنى العموم فى كل شـىء ممّا فى الكتاب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شرٍّ ويبدل هذا بهذا، ويجعل هـذا مكان هـذا . لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون. وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وابن مسـعود و ابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن جريح وغيرهم...(۱) . ۱۰- قال القاسمى (۱۳۳۲ هـ): تمسّـك جماعـة بظاهر قوله تعالى: (يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت) فقالوا: إنّها عامَّة فى كل شىء كما ـ يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ـ يمحو اللّه من الرزق ويزيد فيه وكذا القول فى الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر(۲) . ۱۱- قال المراغى فى تفسـير الآيـة: وقـد أثر عن أئمـة السـلف أقوال لا تناقض بل هى داخلة فيما سـلف ثم نقل الأقوال بإجمال(۳) . وهـذه الجمل والكلم الدرية المضـيئة عن الصـحابة والتابعين لهـم باحسان، والمفسـرين تعرب عن الرأى العام بين المسـلمين فى مجال إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة ومنها الدعاء والسؤال وأنّه ليس كل تقدير حتمياً لا يغيّر ولا يبدّل وأنّ للّه سـبحانه لوحين: لوح المحو والإثبـات ولوح «أُمّ الكتـاب» والّـذى لا يتطرق التغيير إليه هو الثانى دون الأول، وإنّ القول بسـيادة القـدر، على اختيار الإنسان فى مجال الطاعة والمعصـية، قول بالجبر الباطل بالعقل والضـرورة، ومحكمات الكتاب. ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل وإنزال الكتب (ذلكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفروا فويلٌ لِلَّذِينَ كَفروا مِنَ النّار)(۴) . ــــــــــــــ

۱ . صديق حسن خان: فتح البيان ۵ / ۱۷۱ .

۲ . القاسمى: محاسن ۹ / ۳۷۲ .

۳ . المراغى: التفسير ۵ / ۱۵۵ ـ ۱۵۶ .

۴ . سورة «ص» الآية ۲۷ . (۳۲۶) الأثر التربوى للاعتقاد بالبداء:

الاعتقاد بالمحو والاثبات، وانّ العبد قادر على تغيير مصـيره بأفعاله وأعماله، يبعث الرجاء فى قلب من يريد أن يتطهّر، وينمى نواة الخير الكامنـة فى نفسه، فتشـريع البـداء، مثل تشـريع قبول التوبـة، والشـفاعة، وتكفير الصـغائر بالاجتناب عن الكبائر. كلّها لأجل بعث الرجاء وايقـاد نوره فى قلوب العصاة والعتاة، حتّى لا ييأسوا من روح اللّه ولا يتولّوا بتصوّر أنّهم من الأشـقياء وأهل النار تقـديراً، فلا فائـدة فى السـعى والعمـل، فلو علم الإنسـان أنّه سـبحانه لم يجفّ قلمه فى لوح المحو والاثبـات، وله أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، يسـعد من يشاء، ويشـقى من يشاء «وليست مشـيئته جزافيـة غير تابعـة لضابطـة عقلية» وتاب، وعمل بالفرائض وتمسّك بالعروة الوثقى، يخرج من سلك الأشـقياء، ويدخل فى صـنف السـعداء، وبالعكس وهكذا كل ما قدر فى حقّه من الموت والمرض والفقر، والشقاء يمكن تغييره بالدعاء، والصدقة وصلة الرحم، وإكرام الوالدين، وغير ذلك، فالكل لأجل بث الأمل فى قلب الإنسان، وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصـريح آياته وأخبار الهـداة . وبهـذا يظهر أنّ البداء من المعارف العليا الّتى اتفقت عليه كلمة المسـلمين وإن غفل عن معنـاه الجمهور (ولو عرفوه لأذعنوا به) . وأمّـا اليهود ـ خـذلهم اللّه ـ فقالوا باسـتحالة تعلّق المشـيئة بغير ما جرى عليه القلم، ولأجل

ذلك قالوا: يد اللّه مغلولة عن القبض والبسط، والأخذ والاعطاء، وبعبارة اُخرى عندهم انّ للانسان مصيراً واحداً لا يمكن تغيره ولا تبديله وانّه ينال ما قدّر له من الخير والشر . ولو صح ذلك لبطل الدعاء والتضرّع ولبطل القول بأنّ للأعمال الصالحة وغير الصالحة ممّا عددناها تأثيراً فى تغيير مصير الإنسان . (۳۲۷)

وعلى ضوء هذا البيان نتمكن من فهم ما جاء فى فضيلة البداء وأهميته فى الروايات مثل ما روى زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق ـ عليهما السلام ـ): «ما عبداللّه عزّوجلّ بشىء مثل البداء»(۱) . وما عن هشام بن سالم عن أبى عبداللّه ـ عليه السلام ـ : «ما عظّم اللّه عزّوجلّ بمثل البداء»(۲) . إذ لولا الاقرار بالبداء بهذا المعنى ما عرف اللّه حق المعرفة، ويتجلّى سبحانه فى نظر العبد (بناء على عقيدة بطلان البداء) أنّه مكتوف الأيدى، لا يقدر على تغيير ما قدره، ولا محو ما أثبته . ومن الروايات فى هذا المعنى ما روى عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «لو يعلم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه»(۳) . وذلك لأنّ الاعتقاد بالبداء مثل الاعتقاد بتأثير التوبة والشفاعة يوجب رجوع العبد عن التمادى فى الغى والضلالة، والانابة إلى الصلاح والهداية . البداء فى مقام الاثبات:

إذا عرفت ما ذكرنا فاعلم أنّ المراد من البداء فى مقام الاثبات هو، وقوع التغير فى بعض مظاهر علمه سبحانه فإنّ لعلمه سبحانه مظاهر، منها: ما لا يقبل التغيير ومنها ما يقبل ذلك . أمّا الأوّل: فهو المعبّر عنه بـ«اللوح المحفوظ» تارة و بـ«اُمّ الكتاب» اُخرى قال سبحانه: (بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ * فِى لَوْح مَحْفُوظ)(۴) وقوله تعالى: ـــــــــــــــــ

۱ . البحار ۴ / ۱۰۷ باب البداء، الحديث ۱۹ ـ ۲۰ .

۲ . التوحيد للصدوق باب البداء، الحديث ۲ .

۳ . الكافى ۱ / ۱۱۵، والتوحيد للصدوق، باب البداء، الحديث ۷ .

۴ . البروج ۲۱ ـ ۲۲ . (۳۲۸) (وَ إِنَّهُ فِى اُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ)(۱) وقال سبحانه: (مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَة فِى الاَرْضِ وَ لا فِى أَنفُسِكُمْ إلّا فِى كِتاب مِن قَبْلِ أن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ)(۲) فاللوح المحفوظ واُمّ الكتاب وذلك الكتاب الّذى كتب فيه ما يصيب الإنسان من مصائب ممّا لا يتطرق إليها المحو والاثبات قدر شعرة، ولأجل ذلك لو أمكن الإنسان أن يتّصل به، لوقف على الحوادث على ما هى عليه بلا خطأ ولا تخلّف . وأمّا الثانى: فهو لوح المحو والاثبات الّذى أشار إليه سبحانه، بقوله (يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ) (۳) فالأحكام الثابتة فيه، أحكام معلّقة على وجود شرطها أو عدم مانعها، فالتغيّر فيها لأجل اعواز شرطها أو تحقّق مانعها وربّما يكتب فيه الموت نظراً إلى مقتضياته، ولكنّه ربّما يمحى ويكتب فيه الصّحة لفقدان شرط التقدير الأول أو طرؤ مانع من تأثير المقتضى .

فالتقدير الأوّل يفرض لأجل قياس الحادث إلى مقتضيه، كما أنّ التقدير الثانى يتصوّر بالنسبة إلى جميع أجزاء علّته، فإنّ الشىء إذا قيس إلى مقتضيه (الّذى يحتاج الصدور منه إلى وجود شرائط وعدم موانع) يمكن تقدير وجوده، ولكنّه بالنظر إلى مجموع أجزاء علّته الّتى منها الشرائط وعدم الموانع، يقدر عدمه لفرض عدم وجود شرائطه، وتحقّق موانعه . إذا علمت ذلك، فاعلم أنّه ربّما يتصل النبى أو الولى بلوح المحو والاثبات، فيقف على المقتضى من دون أن يقف على شرطه أو مانعه، فيخبر عن وقوع شىء ـــــــــــــــــ

۱ . الزخرف / ۴ .

۲ . الحديد / ۲۲ .

۳ . الرعد / ۳۹ . (۳۲۹)

ولكنّه ربّما لا يتحقّق لأجل عدم تحقّق شرطه أو عدم تحقّق وجود مانعه وذلك هو البداء فى عالم الاثبات وإن شئت قلت: إنّ موارد وقوع البداء حسب الاثبات من ثمرات البداء فى عالم الثبوت، ولم يرد فى الأخبار من هذاالقسم من البداء إلّا موارد لا تتجاوز عن عدد الأصابع، نشير إليه بعد الفراغ عمّا ورد فى الذكر الحكيم . تلميحات إلى البداء فى الذكر الحكيم:

١- قال سبحانه: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلام حَلِيم * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى المَنَامِ أَنَّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ أفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إنْ شَاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)(١) . أخبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ بأنّه رأى في المنام أنّهُ يذبحه ورؤيا الأنبياء (كما ورد في الحديث) من أقسام الوحى(٢)، فكانت رؤياه صادقة حاكية عن حقيقة ثابتة، وهى أمر اللّه إبراهيم بذبح ولده، وقد تحقّق ذلك الأمر، أى أمر اللّه سبحانه به . ولكن قوله: (إِنِّى أرى فِى المَنامِ أَنّى اَذْبحك) يكشف عن أمرين: الف: الأمر بذبح الولد وهو أمر تشريعى كما عرفت وقد تحقّق . ب: الحكاية عن تحقّق ذلك في الواقع الخارجي وانّ إبراهيم سيمتثل ذلك، والحال أنّه لم يتحقق لفقدان شرطه، وهو عدم النسخ ويحكى عن كلا الأمرين قوله: (و فَدَيناهُ بِذَبح عظيم) . وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه بأنه كيف أخبر خليل الرحمن بشيء من ــــــــــــــــــــــ

١ . الصافات / ١٠١ ـ ١٠٢ .

٢ . السيوطى: الدر المنثور ٥ / ٢٨٠ . (٣٣٠)

الملاحم والمغيبات، ثمّ لم يتحقّق، وما هذا إلّا لأجل أنّه وقف على المقتضى، فأخبر بالمقتضى، ولكنّه لم يقف على ما هو العلّة التامة، وليس لعلمه هذا مصدر سوى اتصاله بلوح المحو والاثبات . ٢- أخبر يونس قومه بأنّهم إن لم يؤمنوا فسوف يصيبهم العذاب إلى ثلاثة أيام(١) ولكن العذاب لم يصبهم، فما هذا إلّا لأنّ النبى، وقف على المقتضى ولم يقف على المانع وهو أنّ القوم سيتوبون عند رؤية العذاب توبة نصوحاً رافعة للعذاب، وإليه يشير قوله سبحانه:(فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْىِ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلَى حِينِ)(٢) . ٣- أخبر موسى قومه بأنّه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، كما روى عن ابن عباس حيث قال: إنّ موسى قال لقومه: إنّ ربّى وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه واخلف هارون فيكم، فلمّا فصل موسى إلى ربّه زاده اللّه عشراً، فكانت فتنتهم فى العشر الّتى زاده اللّه(٣) . وإليه يشير قوله سبحانه: (وَ وَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْر فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قَالَ مُوسى لأَخِيهِ هَارونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى و أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ)(٤) . فلا شك أنّ موسى اطّلع على الخبر الأوّل ولم يطّلع على نسخه وانّ التوقيت سيزيد ولا مصدر لعلمه إلّا الاتصال بلوح المحو والاثبات . ــــــــــــــــــــــ

١ . الطبرسى: مجمع البيان ٣ / ١٣٥ .

٢ . يونس / ٩٨ .

٣ . الطبرسى: مجمع البيان ٢ / ١١٥ .

۴ . الأعراف / ١۴٢ . (٣٣١)

هذه جملة الأخبار الّتى تحدث بها الذكر الحكيم ولكنّها لم تحقق، فلا محيص لتفسيرها إلّا القول بوقوفهم على المقتضى دون العلّة التامة، فعندما يظهر عدم التحقّق يطلق عليه البداء، والمراد أنّه بدا من اللّه لنبيّه وللناس ما خفى عليهم، على غرر قوله سبحانه: (وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)(١) فالبداء إذا نسب إلى اللّه سبحانه فهو بداء منه، وإذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم، وبعبارة اُخرى، البداء من اللّه هو اظهار ما خفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفى لهم، وهذا هو الحق القراح الّذى لا يرتاب فيه أحد . وأمّا ما ورد فى الروايات، فهو بين خمسة أو أزيد بقليل: ١- إنّ المسيح ـ عليه السلام ـ مرّ بقوم مجلبين، فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: يا روح اللّه فلانة بنت فلانة تهدى إلى فلان فى ليلته هذه. فقال: يجلبون اليوم ويبكون غداً، فقال قائل منهم: ولم يا رسول اللّه؟ قال: لأنّ صاحبتهم ميّتة فى ليلتها هذه... فلمّا أصبحوا وجدوها على حالها، ليس بها شىء، فقالوا: يا روح اللّه إنَّ الّتى أخبرتنا أمس انّها ميّتة لم تمت. فدخل المسيح دارها فقال: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلّا وكنت أصنعه فيما مضى، انّه كان يعترينا سائل فى كل ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها. فقال المسيح: تنحّ عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة، عاضّ على ذنبه، فقال ـ عليه السلام ـ : بما صنعت، صرف عنك هذا(٢) . ٢- روى الكلينى عن الامام الصادق ـ عليه السلام ـ : إنّه مرّ يهودى بالنبى فقال: السام عليك. فقال النبىّ عليك. فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت فقال: ــــــــــــــــــــــ

۱ . الزمر / ۴۷ .

۲ . المجلسى: بحارالأنوار ۴ / ۹۴ . (۳۳۲)

الموت عليك. فقال النبىّ: وكذلك رددت. ثمّ قال النبىّ: إنّ هذا اليهودى يعضّه أسود فى قفاه فيقتله، قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول اللّه: ضعه، فوضع الحطب فإذا أسود فى جوف الحطب عاضّ على عود، فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملا إلاّ حطبى هذا حملته فجئت ومعى كعكتان، فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال رسول اللّه: بها دفع اللّه عنه، قال: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الانسان(۱) . ولا يمكن لأحد تفسير مضامين الآيات الماضية وهذين الحديثين إلاّ ـ عن طريق البداء بالمعنى الّذى تعرّفت عليه، وهو اتّصال النبى بلوح المحو والاثبات والوقوف على المقتضى والاخبار بمقتضاه دون الوقوف على العلّة التامة . ۳- عرض اللّه عزّوجلّ على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، فمرّ بآدم اسم داود النبى ـ عليه السلام ـ فإذا عمره فى العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا رب ما أقل عمر داود وما أكثر عمرى يا رب إنّى أنا زدت داود من عمرى ثلاثين سنة أتثبت ذلك له؟ قال اللّه: نعم يا آدم، فقال آدم: فانّى قد زدته من عمرى ثلاثين سنة، فأثبت اللّه عزّوجلّ لداود فى عمره ثلاثين سنة(۲) . ترى أنّه سبحانه أثبت شيئاً، ثمّ محاه بدعاء نبيه، وهذا هو المراد من قوله سبحانه: (يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده اُمّ الكتاب) فلو أخبر نبى اللّه عن عمر داود بأربعين سنة لم يكن كاذباً فى إخباره، لأنّه وقف على الاثبات الأوّل ولم يقف على محوه . ______________

۱ . المجلسى: بحارالانوار ۴ / ۱۲۱ .

۲ . المجلسى: بحارالأنوار ۴ / ۹۵ ـ ۱۰۲ . (۳۳۳)

۴- أخبر اللّه نبياً بأنّ يخبر ملكاً بأنّه تعالى متوفّيه إلى كذا وكذا، فأخبره بذلك ولمّا دعا الملك وقال: ربّ أجلّنى حتّى يشب طفلى وأقضى أمرى، فأوحى اللّه عزّوجلّ إلى ذلك النبى أن ائت فلاناً الملك واخبره انّى قد زدت فى عمره خمس عشرة سنة(۱) . ۵- روى عمرو بن الحمق، قال: دخلت على أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ حين ضرب على قرنه، فقال لى: يا عمرو إنّى مفارقكم، ثمّ قال: سنة السبعين فيها بلاء ـ قالها ثلاثاً ـ فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبنى واُغمى عليه، فبكت اُمّ كلثوم فأفاق... فقلت: بأبى أنت واُمّى قلت: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاء و (يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده اُمّ الكتاب)(۲) . هذه جملة ما ورد فى البداء فى مقام الاثبات وإن شئت قلت فى ثمرات البداء فى الثبوت ولا تجد فى الأحاديث الشيعية بداء غير ما ذكرنا، ولو عثر المتتبع على مورد، فهو نظير ما سبق من الموارد، والتحليل فى الجميع واحد . إذا وقفت على ذلك تعرفت قيمة ما ذكره الرازى فى ختام محصّله، وقال: إنّ أئمّة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم، لا يظهر معهما أحد عليهم . الأوّل: القول بالبداء، فاذا قال: إنّه سيكون لهم قوّة وشوكة، ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروا، قالوا: بدا لله فيه(۳) . ______________

۱ . المجلسى: بحارالأنوار ۴ / ۱۲۱ (وفى رواية اُخرى أنّ ذلك النبى هو حزقيل، البحار ۴ / ۱۱۲ وذكر مثله فى قضية شعيا ص ۱۱۳ .

۲ . المجلسى: بحارالأنوار ۴ / ۱۱۹، برقم ۶۰ .

۳ . الرازى: نقد المحصل ۴۲۱، نقله عن سليمان بن جرير الزيدى، والأمثر الثانى هو التقية كما ستعرف . (۳۳۴)

إنّ الّذى نقله أئمة الشيعة هو ما تعرّفت عليه من الروايات فليس فيها ما يدعم ذلك، فقد نقلوا قصة رسول اللّه مع اليهودى وقصة المسيح مع العروس، كما نقلوا قصة عمر داود وعمر الملك، فهل ورد فيها ما أشار إليه الرازى؟ وأمّا ما رواه عمرو بن الحمق فإنّما هو خبر واحد فإنّ الامام ذيّل كلامه بالآية قائلا: بأنّ هذا ليس خبراً قطعياً وأنّه فى مظان المحو والاثبات. أفيصح لأجل مثله رمى أئمّة الشيعة «بأنّهم وضعوا قاعدتين وأنّهم كلّما يقولون سيكون لهم قوّة ثم لا يكون، قالوا بدا لله تعالى فيه»؟ . وقد سبق الرازى فى هذا الزعم، أبو القاسم البلخى المعتزلى على ما حكاه شيخنا الطوسى فى تبيانه(۱) ثمّ إنّ اكمال البحث يتوقّف على ذكر اُمور : الأمر الأوّل: إنّ البداء بالمعنى المذكور يجب أن يكون على وجه لا يستلزم تكذيب الأنبياء ووحيهم بان تدل قرائن على صحة الإخبار الأوّل كما

صحّ الخبر الثانى، كما هو واضح لمن قرأ قصة يونس وإبراهيم الخليل فإنّ القوم قد شاهدوا طلائع العذاب فأذعنوا بصحة خبر يونس كما أنّ التفدية بذبح عظيم دلّت على صحة اخبار الخيل، وهكذا وجود الأفعى تحت الثياب أو فى جوف حطب اليهودى يدلّان على صحة اخبار النبى الأعظم . كل ذلك يشهد على أنّ الخبر الأوّل كان صحيحاً ومقدّراً، غير أنّ الإنسان يمكن له أن يغيّر مصيره بعلمه الصالح أو الطالح كما فى غير تلك المقامات . ــــــــــــــــ

۱. الطوسى: التبيان ۱ / ۱۳ ـ ۱۴، طبع النجف، وقد عرفت بعض المتشدقين بهذه الكلمة الكاذبة .

(۳۳۵)

وبالجملة يجب أن يكون وقوع البداء مقروناً بما يدل على صحة اخبار النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا يكون البداء على وجه يعد دليلا على كذبه، ففى هذه الموارد دلّت القرائن على أنّ المخبر كان صادقاً فى خبره . الأمر الثانى:

إنّ البداء لا يتحقّق فيما يتعلّق بنظام النبوّة والولاية والخاتمية والملاحم الغيبية الّتى تعدّ شعاراً للشريعة فإذا أخبر المسيح بمجيئ نبى اسمه أحمد أو أخبر النبى بكونه خاتماً للرسل أو أنّ الخلافة بعده لوصيّه أو أنّه يخرج من ولده من يملأ الأرض قسطاً وعدلا ونظير ذلك، فلا يتحقّق فيه البداء قطعاً، لأنّ احتمال البداء فيه ناقض للحكمة، وموجب لضلال العباد، ولو كان احتمال هذا الباب مفتوحاً فى تلك المسائل الاُصولية، لما وجب لأحد أن يقتفى النبى المبشر به، ولا يوالى الوصى المنصوص ولا يتلقى دين الإسلام خاتماً ولا ظهور المهدى أمراً مقضيّاً بحجة أنّه يمكن أن يقع فيها البداء، ففتح هذا الباب فى المعارف والعقائد والاُصول والسنن الإسلامية مخالف للحكمة وموجب لضلالة الناس. وهذا ما يستحيل على اللّه سبحانه وانّما مصبّ البداء هو القضايا الجزئية أو الشخصيّة، كما هو الحال فى الأخبار الماضية . الأمر الثالث:

إنّ اطلاق البداء فى هذه الموارد، إنّما هو بالمعنى الّذى عرفت، وانّ حقيقته بداء من اللّه للناس واظهار منه ولو قيل بدا لله، فإنّما هو من باب المشاكلة والمجاز، والقرآن مليء به، فقد نسب الذكر الحكيم إليه سبحانه المكر وقال: (وَمَكَرُوا (۳۳۶) وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ) (۱) وليست المناقشة فى التعبير من دأب المحقّقين، فلو كان أهل السنّة لا يروقهم التعبير عن هذا الأصل بلفظ البداء للّه. فليغيّروا التعبير ويعبّروا عن هذه الحقيقة الناصعة بتعبير يرضيهم .

ولكن الشيعة تبعت النبى الأكرم فى هذا المصطلح وهو أوّل من استعمل تلك اللفظة فى حقّه سبحانه، روى البخارى فى كتاب النبوّة «قصة بدء الخليفة» وفيها هذه اللفظة التى يستوحش منها أهل السنّة، روى أبو هريرة: انّه سمع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: إنّ ثلاثة فى بنى إسرائيل ابرص وأقرع واعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أىّ شيء أحبّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذّرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فاُعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أىّ المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر ـ هو شك فى ذلك انّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر ـ فاُعطى ناقة عشراء، فقال: يبارك اللّه لك فيها . وأتى الأقرع فقال: أىّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنّى هذا قذرنى الناس. قال: فمسحه، فذهب، اُعطى شعراً حسناً، قال: فأيّى المال أحبّ إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال: يبارك لك فيها . وأتى الأعمى فقال: أىّ شيء أحبّ إليك؟ قال: يرد اللّه إلىّ بصرى، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ اللّه إليه بصره. قال: فأىّ المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والداً فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم . ــــــــــــــــ

۱ . آل عمران / ۵۴، وهنا آيات اُخرى يستدل بها على المشاكلة فى التعبير عن الحقائق العلوية .

(۳۳۷)

ثمّ إنّه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطّعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلاّ باللّه ثمّ بك. أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً اتبلّغ عليه فى سفرى فقال له: إنّ الحقوق كثيرة. فقال له: كأنّى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس. فقيراً فأعطاك اللّه؟ فأجابه: لقد ورثت لكابر عن كابر؟ فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك اللّه إلى ما كنت. وأتى

الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهـذا فرد عليه مثلما رد عليه هـذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك اللّه إلى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطّعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلاّ باللّه، ثمّ بك. أسألك بالـذى رد عليك بصرك، شاة أتبلّغ بها فى سفرى فقال: قد كنت أعمى فرد اللّه بصرى وفقيراً فقد أغنانى فخذ ما شئت، فواللّه لا أجحدك اليوم بشيء أخذته للّه، فقال: امسك مالك فإنّما ابتليتم فقد رضى اللّه عنك وسخط على صاحبيك(۱) . * * *

هـذه حقيقـة البـداء، وهـذا هـو مفهـومه فى الثبوت والاثبـات، قـد دعمه الـذكر الحكيم والسنَّة النبويـة فمـاذا بعـد الحقِّ إلاّـ الضـلال .

---

۱ . البخاري: الصحيح ۴ / ۱۷۲، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل .

(۳۳۹) المسألة الخامسة : التقيّة

التقيـة من المفـاهيم القرآنيـة الّتى وردت فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وفى تلـك الآيات إشارات واضـحة إلى الموارد الّتى يلجأ فيها المؤمن إلى اسـتخدام هذا المسـلك الشرعى خلال حياته أثناء الظروف العصيبة، ليصون بها نفسه وعرضه وماله، أو نفس من يمتُّ إليه بصلة وعرضَه ومـالَه، كمـا اسـتعملها مؤمن آل فرعون لصـيانة الكليم عن القتل والتنكيل(۱) ولاذبها عمّار عندما أُخذ وأُسِر وهُدِّد بالقتل(۲) إلى غير ذلك من الموارد الواردة فى الكتاب والسنّة، فمن المحتّم علينا أن نتعرف عليها، مفهوماً وغايةً ودليلا وحدّاً، حتّى نتجنَّب الافـراط والتفريـط فى مقـام القضـاء والتطبيق. إنّ التقيـة، إسم لـ «إتّقى يتّقى» (۳) والتاء بـدل من الواو وأصـله من الوقاية،

---

۱ . القصص / ۲۰ .

۲ . النحل / ۱۰۶ .

۳ . قال ابن الأثير فى النهاية ۵ / ۲۱۷: وأصل اتقى: أوتقى فقلبت الواو ياء لكسرة قبلها ثمّ أُبدلت تاء وأُدغمت. ومنه حديث على ـ عليه السـلام ـ : كنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ، أى جعلناه وقايـة من العـدوّ. ولاحظ السان العرب مادة «وقى» . (۳۴۰)

ومن ذلك اطلاق التقوى على اطاعـة اللّه، لأنّ المطيع يتخـذها وقاية من النار والعذاب. والمراد هو التحفظ عن ضـرر الغير بموافقته فى قول أو فعل مخالف للحقّ . مفهومها:

إذا كانت التقيـة هى اتخاذ الوقايـة من الشـرِّ، فمفهومها فى الكتاب والسنّة هو: إظهار الكفر وإبطال الإيمان، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحق. وإذا كـان هـذا مفهومهـا، فهى تُقابـل النفـاق، تَقابُـل الإيمـان والكفر، فـإنّ النفاق ضـدها وخلافها، فهو عبارة عن إظهار الإيمان وابطـان الكفر، والتظـاهر بـالحقّ واخفـاء الباطـل، ومع وجود هـذا التباين بينهما فلا يصـحّ عـدها من فروع النفاق . نعم: من فسـر النفاق بمطلق مخالفة الظاهر للباطن، وبه صوَّر التقية ـ الواردة فى الكتاب والسنّة ـ من فروعه، فقد فسره بمفهوم أوسع ممّا هو عليه فى القرآن، فإنّه يُعرِّف المنافقين بالمتظاهرين بالإيمان والمبطنين للكفر بقوله تعالى: (إِذَا جَاءَكَ المَنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْـهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ يَشْـهَدُ إِنَّ المَنـافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)(۱) فـإذا كان هـذا حـدُّ المنافق فكيف يعمُ من يسـتعمل التقيـة تجاه الكفار والعصاة فيخفى إيمانه ويظهر الموافقـة لغايـة صـيانة النفس والنفيس، والعرض والمال من التعرض؟! ويظهر صـدق ذلك إذا وقفنا على ورودها فى التشـريع الإسـلامى، ولو كـانت من قسم النفـاق، لكـان ذلـك أمراً بالقبـح ويسـتحيل على الحكيم أن يـأمر به: (قُـلْ إِنَّ اللّهَ لاـ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(۲) . ---

۱ . المنافقون / ۱ .

۲ . الأعراف / ۲۸ . (۳۴۱) غايتها:

الغايـة من التقيـة: هى صـيانة النفس والعرض والمال، وذلك فى ظروف قاهرة لا يسـتطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحق صـريحاً

خوفاً من أن يترتّب على ذلك مضار وتهلكة من قوى ظالمة غاشمة كلجوء الحكومات الظالمة إلى الارهاب، والتشريد والنفى، والقتل والتنكيل، ومصادرة الأموال، وسلب الحقوق الحقة، فلا يكون لصاحب العقيدة الّذى يرى نفسه محقاً محيص عن إبطانها، والتظاهر بما يوافق هوى الحاكم وتوجهاته حتّى يسلم من الاضطهاد والتنكيل والقتل، إلى أن يُحدِث اللّه أمراً . إنّ التقية سلاح الضعيف فى مقابل القوى الغاشم، سلاح من يبتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشىء إلّا لأنّه لا يتفق معه فى بعض المبادئ والأفكار . إنّما يمارس التقية من يعيش فى بيئة صودرت فيها الحرية فى القول والعمل، والرأى والعقيدة فلا ينجو المخالف إلّا بالصمت والسكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطة وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلة لابد منها من أجل اغاثة الملهوف المضطهد والمستضعف الّذى لاـ حول له ولا قوة، فيتظاهر بالعمل إلى جانب الحكومة الظالمة وصولا إلى ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الّذى حكاه سبحانه فى الذكر الحكيم . إنّ أكثر من يَعيبُ التقية على مستعملها، يتصور أو يصوِّر أن الغاية منها هو تشكيل جماعات سرية هدفها الهدم والتخريب، كما هو المعروف من الباطنيين والأحزاب الإلحادية السرية، وهو تصور خاطئ ذهب إليه أُولئك جهلا أو عمداً دون أن يركّزوا فى رأيهم هذا على دليل ما أو حجة مقنعة، فاين ما ذكرناه من هذا الّذى يذكره، ولو لم تُلجئ الظروف القاهرة والأحكام المتعسفة هذا الجموع المستضعفة من (۳۴۲)

المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقية، ولما تحمّلوا عبء اخفاء معتقداتهم ولدعوا الناس إليها علناً ودون تردّد، إلّا أنّ السيف والنطع سالح لا تترد كل الحكومات الفاسدة من التلويح بها أمام من يخالفها فى معتقداتها وعقائدها . أين العمل الدفاعى من الأعمال البدائية الّتى يرتكبها أصحاب الجماعات السرية للإطاحة بالسلطة امتطاء ناصية الحكم، فأعمالهم كلها تخطيطات مدبرة لغايات ساقطة . وهؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرر الوسائل» فكل قبيح عقلى أو ممنوع شرعى يستباح عندهم لغاية الوصول إلى المقاصد المشؤومة . إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء وبين من يتخذ التقية غطاءً، وسلاحاً دفاعياً ليسلم من شر الغير، حتّى لا يُقْتَل ولا يُستأصل، ولا تُنهب داره وماله، إلى أن يُحدث اللّه أمراً، من قبيل عطف المبائن على مثله . إنّ المسلمين القاطنين فى الاتحاد السوفيتى السابق قد لاقوا من المصائب والمحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها ولا أن تتصورها، فإنّ الشيوعيّين وطيلة تسلطهم على المناطق الإسلامية قلبوا لهم ظهر المِجَنّ، فصادروا أموالهم وأراضيهم، ومساكنهم، ومساجدهم، ومدارسهم،وأحرقوا مكتباتهم، وقتلوا كثيراً منهم قتلا ذريعاً ووحشياً، فلم ينج منهم إلّا من اتقاهم بشىء من التظاهر بالمرونة، واخفاء المراسم الدينية، والعمل على اقامة الصلاة فى البيوت إلى أن نجّاهم اللّه سبحانه بانحلال تلك القوة الكافرة، فبرز المسلمون إلى الساحة من جديد، فملكوا أرضهم وديارهم، وأخذوا يستعيدون مجدهم وكرامتهم شيئاً، وما هذا إلاّـ ثمرة من ثمار التقية المشروعة الّتى أباحها اللّه تعالى لعباده بفضله وكرمه سبحانه على المستضعفين. فإذا كان هذا معنى التقية ومفهومها، وكانت هذه غايتها وهدفها، فهو أمر (۳۴۳)

فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كل شىء عقلُه ولبُّه، وتدعوه إليه فطرته، ولأجل ذلك يستعملها كل من ابتُلى بالملوك والساسة الذين لاـ يحترمون شيئاً سوى رأيهم وفكرتهم ومطامعهم وسلطتهم ولا يترددون عن التنكيل بكل من يعارضهم فى ذلك، من غير فرق بين المسلم ـ شيعياً كان أم سنّياً ـ وغيره، ومن هنا تظهر جدوى التقية وعمق فائدتها. ولأجل دعم هذا الأصل الحيوىّ ندرس دليله من القرآن والسنّة . دليلها فى القرآن والسنّة:

شرّعت التقية بنص القرآن الكريم حيث وردت جملة من الآيات الكريمة(۱) سنحاول استعراضها فى الصفحات التالية: الآية الأُولى: قال سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهِ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرَاً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(۲) . ترى أنّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، وصرّح بذلك لفيف من المفسرين القدامى والجدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجنبّاً عن الإطالة والاسهاب، ولمن يبتغى المزيد فعليه بمراجعة كتب التفسير المختلفة: ۱- قال الطبرسى: قد نزلت الآية فى جماعة أُكرهوا على الكفر، وهم عمّار وأبوه ياسر وأُمّه سمية، وقُتلَ الأبوان لأنّهما لم يظهرا الفكر ولم ينالا من النبىّ، وأعطاهم ________

۱ . غافر / ۲۸ و ۴۵، والقصص / ۲۰ وستوافيك نصوص الآيات فى ثنايا البحث .

۲ . النحل / ۱۰۶) . (۳۴۴)

عمّار ما أرادوا منه، فأطلقوه، ثمّ أخبر عمّار بذلك رسول اللّه، وانتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمّار، فقال الرسول: كلّا إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وفى ذلك نزلت الآيـة السابقة، وكان عمّار يبكى، فجعل رسول اللّه يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت(۱) . ۲- وقال الزمخشرى روى أنّ أُناساً من أهل مكة فُتِنُوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أُكره وأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمّار بن يسار وأبواه: ياسر وسمية، وصهيب وبلال وخباب . أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً...(۲) . ۳- وقال الحافظ ابن ماجة: «والايتاء: معناه الاعطاء أن وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيـة، والتقيـة فى مثل هذه الحال جائزة لقوله تعالى: (إلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)(۳). ۴- وقال القرطبى قال الحسن: التقيـة جائزة للانسان إلى يوم القيامـة ـ ثمّ قال: ـ أجمع أهل العلم على أنّ من أُكره على الكفر حتّى خشى على نفسه القتل إنّه لا ـ اثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا ـ تبين منه زوجته ولا ـ يحكم عليه بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعى(۴) . ۵- قال الخازن: «التقيـة لا تكون إلّا مع خوف القتل مع سلامة النيّة، قال اللّه ________________

۱ . الطبرسى: مجمع البيان ۳ / ۳۸۸ .

۲ . الزمخشرى: الكشاف عن حقائق التنزيل ۲ / ۴۳۰ .

۳ . ابن ماجة: السنن ۱ / ۵۳، شرح حديث رقم ۱۵۰ .

۴ . القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ۴ / ۵۷ . (۳۴۵)

تعالى: (إلّا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ثمّ هـذه التقيـة رخصة»(۱) . ۶- قال الخطيب الشربينى: «(إلّا من أُكره) أى على التلفّظ به (وقلبه مطمئنّ بالإيمـان) فلا ـ شىء عليه لأنّ محل الإيمان هو القلب»(۲) . ۷- وقال إسماعيل حقى: «(إلّا ـ من أُكره) أُجبر على ذلك اللفظ بأمر يخاف على نفسه أو عضو من أعضائه... لأنّ الكفر اعتقاد، والاكراه على القول دون الاعتقاد، والمعنى: «ولكن المكره على الكفر باللسان،، (وقلبه مطمئنّ بالإيمان) لا تتغير عقيـدته، وفيه دليل على أنّ الإيمان المنجى المعتبر عند اللّه، هو التصديق بالقلب»(۳) .

الآية الثانية:

قال سبحانه: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤمِنُونَ الْكَافِرِنَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤمِنينَ وَمَن يَفْعَل ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِى شَىءٍ اِلّا أن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإلى اللّهِ الْمَصيرُ)(۴) . وكلمات المفسرين حول الآية تغنينا عن أى توضيح: ۱- قال الطبرى: (إلّا أن تتّقوا منهم تقاة) : قال أبو العالية: التقية باللسان، وليس بالعمل، حُدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى: (إلّا أن تتّقوا منهم تقاة) قال: التقيـة باللسان من حُمِلَ على أمر يتكلّم به وهو للّه معصيـة فتكلم مخافة نفسه (وقلبه مطمئنّ ________________

۱ . تفسير الخازن: ۱ / ۲۷۷ .

۲ . الخطيب الشربينى: السراج المنير .

۳ . إسماعيل حقى: تفسير روح البيان ۵ / ۸۴ .

۴ . آل عمران / ۲۸ . (۳۴۶) بالإيمان) فلا اثم عليه، إنّما التقيـة باللسان(۱) .

۲- وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى: (إلّا ـ أن تتّقوا منهم تقاة) : رخّص لهم فى موالا ـ تهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشرة ظاهرة، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع(۲) . ۳- قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: (إلّا أن تتّقوا منهم تقاة) : المسألـة الرابعـة: اعلم: إنّ للتقيـة أحكاماً كثيرة ونحن نـذكر بعضـها: أ: إنّ التقيـة إنّما تكون إذا كان الرجل فى قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه، وحاله، فيداريهم باللسان وذلك بأن لا يظهر العـداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبة

والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافة وأن يعرض فى كل ما يقول، فإنّ للتقيّة تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلوب . ب: التقية جائزة لصون النفس، وهل هى جائزة: لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من قتل دون ماله فهو شهيد»(۳) . ۴- وقال النسفى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) إلاّـ تخافوا جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، أى الاّ يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وإبطان المعاداة(۴) . ۵- وقال الآلوسى: وفى الآية دليل على مشروعية التقية وعرَّفوها بمحافظة ـــــــــــــــــ

۱ . الطبرى: جامع البيان ۳ / ۱۵۳ .

۲ . الزمخشرى: الكشاف ۱ / ۴۲۲ .

۳ . مفاتيح الغيب ۸ / ۱۳ .

۴ . النسفى: التفسير بهامش تفسير الخازن ۱ / ۲۷۷ . (۳۴۷)

النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء. والعدو قسمان: الأوّل: من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين، كالكافر والمسلم . الثانى: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية، كالمال والمتاع والملك والامارة(۱) . ۶- وقال جمال الدين القاسمى: ومن هذه الآية: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) استنبط الأئمّة مشروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الاجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه (ايثار الحق على الخلق)(۲) . ۷- وفسر المراغى قوله تعالى: (إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة) بقوله: أى ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم فى كل حال إلاّ فى حال الخوف من شىء تتّقونه منهم، فلكم حينئذ أن تتّقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشىء، إذ القاعدة الشرعية «إنّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» . وإذا جازت موالاتهم لاتقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأولى إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن تواليها فى شىء يضر المسلمين، ولا تختص هذه الموالاة بحال الضعف، بل هى جائزة فى كل وقت . وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحق، لأجل التوقّى من ضرر يعود من الأعداء إلى النفس، أو العرض، أو المال. فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقاية لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان، ـــــــــــــــــ

۱ . الآلوسى: روح المعانى ۳ / ۱۲۱ .

۲ . جمال الدين القاسمى: محاسن التأويل ۴ / ۸۲ . (۳۴۸)

لا يكون كافراً يُعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئن بالإيمان وفيه نزلت الآية: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان)(۱) .

هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالا إلاّ أن يحكم بشرعية التقية بالمعنى الّذى عرفته بل قد لا يجد أحد مفسراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها يتردد فى الحكم بجوازها، كما أنّك أخى القارئ لا تجد انساناً واعياً لا يستعملها فى ظروف عصيبة، ما لم تترتّب عليها مفسدة عظيمة، كما سيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها . وإنّما المعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنّما يفسرها بالتقية الرائجة بين أصحاب التنظيمات السرية والمذاهب الهدامة كالنصيرية والدروز، والباطنية كلّهم، إلاّ أنّ المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقية الهدامة لكل فضيلة رابية . الآية الثالثة: قوله سبحانه: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ ءَال فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاـ أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَ إِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقَاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)(۲) .

وكانت عاقبة أمره أن: (فَوَقَاهُ اللّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)(۳) . وما كان ذلك إلاّ لأنّه بتقيّته استطاع أن ينجى نبىّ اللّه من الموت: (قَالَ ـــــــــــــــــ

۱ . تفسير المراغى ۳ / ۱۳۶ .

۲ . غافر / ۲۸ .

۳ . غافر / ۴۵ . (۳۴۹) يَا مُوسَى إنَّ الملأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)(۱) .

وهذه الآيات تدل على جواز التقية لانقاذ المؤمن من شرّ عدوه الكافر . اتّقاء المسلم من المسلم فى ظروف خاصة:

إنّ مورد الآيات وإن كان هو اتقاء المسلم من الكافر، ولكن المورد ليس بمخصص لحكم الآية فقط، إذ ليس الغرض من تشريع التقية عند الابتلاء بالكفار إلاّ ـ صيانة النفس والنفيس من الشر، فإذا ابتُلى المسلم بأخيه المسلم الّذى يخالفه فى بعض الفروع ولا يتردد الطرف القوى عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكل به أو ينهب أمواله أو يقتله، ففى تلك الظروف الحرجة يحكم العقل السليم بصيانة النفس والنفيس عن طريق كتمان العقيدة واستعمال التقية، ولو كان هناك وزر إنّما يتوجه على من يُتقى منه لا ـ على المتقى، فلو سادت الحرية جميع الفرق الإسلامية، وتحملت كل فرقة آراء الفرقة الأُخرى بصدر رحب، وفهمت بأنّ ذلك هو قدر اجتهادها، لم يضطر أحد من المسلمين إلى استخدام التقية، ولساد الوئام مكان النزاع . وقد فهم ذلك لفيف من العلماء وصرّحوا به، وإليك نصوص بعضهم: ۱- يقول الإمام الرازى فى تفسير قوله سبحانه: (إلّا أن تتّقوا منهم تقاة) ظاهر الآية على أنّ التقية إنّما تحل مع الكفار الغالبين، إلّا أنّ مذهب الشافعى ـ رضى الله عنه ـ : إنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلّت التقية محاماة عن النفس، وقال: التقية جائزة لصون النفس، وهل هى جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من قتل دون ما له فهو شهيد»(۲) ــــــــــــــــــ

۱ . القصص ـ ۲۰ .

۲ . الرازى: مفاتيح الغيب ۸: ۱۳ فى تفسير الآية . (۳۵۰)

۲- ينقل جمال الدين القاسمى عن الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحق على الخلق» ما هذا نصه: «وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران: أحدهما: خوف العارفين ـ مع قلتهم ـ من علماء السوء وسلاطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقية عند ذلك بنص القرآن، واجماع أهل الإسلام، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، ولا برح المحق عدوّاً لأكثر الخلق، وقد صحّ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنّه قال فى ذلك العصر الأوّل: حفظت من رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعاءين، أمّا أحدهما فبثثته فى الناس وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم(۱) . ۳- وقال المراغى فى تفسير قوله سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَان) : ويدخل فى التقية مداراة الكفرة والظلمة الفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسم، فى وجوههم وبذل المال لهم، لكف أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهى عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانى قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ما وَقَى المؤمن به عرضَه فهو صدقة»(۲) . إنّ الشيعة تتقى الكفار فى ظروف خاصة لنفس الغاية الّتى لأجلها يتقيهم السنّى، غير أنّ الشيعى ولأسباب لا تخفى، يلجأ إلى اتقاء أخيه المسلم لالقصور فى الشيعى، بل فى أخيه الّذى دفعه إلى ذلك لأنّه يدرك أنّ الفتك والقتل مصيره إذا صرّح بمعتقده الّذى هو موافق لأُصول الشرع الإسلامى وعقائده، نعم كان الشيعى وإلى وقت قريب يتحاشى أن يقول: إنّ اللّه ليس له جهة، أو أنّه تعالى لا يُرى يوم القيامة، وإنّ المرجعية العلمية والسياسية لأهل البيت بعد رحلة النبى الأكرم، أو أنّ حكم المتعة غير منسوخ. إنّ الشيعى إذا صرّح بهذه الحقائق ـ الّتى استنبطت من ــــــــــــــــــ

۱ . جمال الدين القاسمى: محاسن التأويل: ۴ / ۸۲ .

۲ . مصطفى المراغى: التفسير ۳ / ۱۳۶ . (۳۵۱)

الكتاب والسنّة ـ سوف يُعرّض نفسه ونفيسه للمهالك والمخاطر. وقد مر عليك كلام الرازى وجمال الدين القاسمى والمراغى الصريح فى جواز هذا النوع من التقية، فتخصيص التقية بالتقية من الكافر فحسب جمود على ظاهر الآية وسد لباب الفهم، ورفض للملاك الّذى شُرعت لأجليه التقية، واعدام لحكم العقل القاضى بحفظ الأهم إذا عارض المهم . والتاريخ بين أيدينا يحدثنا بوضوح عن لجوء جملة معروفة من كبار المسلمين إلى التقية فى ظروف عصيبة أوشكت أن تؤدى بحياتهم وبما يملكون، وخير مثال على ذلك ما

أورده الطبری فی تاریخه (۷ / ۱۹۵ ـ ۲۰۶) عن محاولة المأمون دفع وجوه القضاة والمحدّثین فی زمانه إلی الإقرار بخلق القرآن قسراً حتّی وإن استلزم ذلک قتل الجمیع دون رحمة، ولما أبصر أُولئک المحدثین حد السیف مشهراً عمدوا إلی مصانعة المأمون فی دعواه وأسروا معتقدهم فی صدورهم ،ولمّا عُوتبوا علی ما ذهبوا إلیه من موافقة المأمون برروا عملهم بعمل عمّار بن یاسر حین أُکره علی الشرک وقلبه مطمئن بالإیمان، والقصّة شهیرة وصریحة فی جواز اللجوء إلی التقیة التی دأب البعض علی التشنیع فیها علی الشیعة وکأنّهم هم الذین ابتدعوها من بنات أفکارهم دون أن تکون لها قواعد وأُصول إسلامیة ثابتة ومعلومة . الظروف العصبیة الّتی مرت بها الشیعة:

الّذی دفع بالشیعة إلی التقیة بین اخوانهم وأبناء دینهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة فلو لم یکن هناک فی غابر القرون ـ من عصر الأمویین ثمّ العباسیین والعثمانیین ـ أی ضغط علی الشیعة، ولم تکن بلادهم وعقر دارهم مخضّبة بدمائهم والتاریخ خیر شاهد علی ذلک، کان من المعقول أن تنسی الشیعة کلمة التقیة وأن تحذفها من دیوان حیاتها، ولکن باللأسف إنّ کثیراً من اخوانهم کانوا أداة (۳۵۲)

طیّعة بید الأمویین والعباسیین الذین کانوا یرون فی مذهب الشیعة خطراً علی مناصبهم، فکانوا یؤلّبون العامة من أهل السنّة علی الشیعة یقتلونهم ویضطهدونهم وینکلون بهم، ولذا ونتیجة لتلک الظروف الصعبة لم یکن للشیعة، بل لکل من یملک شیئاً من العقل وسیلة إلاّ اللجوء إلی التقیة أو رفع الید عن المبادئ المقدسة الّتی هی أغلی عنده من نفسه وماله . والشواهد علی ذلک أکثر من أن تُحصی أو أن تعد، إلاّ أنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلک ما کتبه معاویة بن أبی سفیان باستباحة دماء الشیعة أینما کانوا کیفما کانوا، وإلیک نص ما ذکرته المصادر عن هذه الواقعة لتدرک محنة الشیعة: بیان معاویة إلی عماله:

روی أبو الحسن علی بن محمّد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب «الأحداث» قال: کتب معاویة نسخة واحدة إلی عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روی شیئاً من فضل أبی تراب وأهل بیته، فقامت الخطباء فی کل کورة، وعلی کل منبر، یلعنون علیاً ویبرأون منه ویقعون فیه وفی أهل بیته، وکان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة، لکثرة من بها من شیعة علی ـ علیه السلام ـ فاستعمل علیها زیاد بن سمیة، وضم إلیه البصرة، فکان یتبع الشیعة وهو بهم عارف، لأنّه کان منهم أیام علی ـ علیه السلام ـ ، فقتلهم تحت کل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأیدی والأرجل، وسمل العیون، وصلبهم علی جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم، وکتب معاویة إلی عماله فی جمیع الآفاق: ألاّ یجیزوا لأحد من شیعة علی وأهل بیته شهادة . ثمّ کتب إلی عامه نسخة واحدة إلی جمیع البلدان: انظروا من قامت علیه البیّنة (۳۵۳)

أنّه یحبّ علیاً وأهل بیته، فامحوه من الدیوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلک بنسخة أُخری: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنکّلوا به، واهدموا داره. فلم یکن البلاء أشد ولا أکثر منه بالعراق، ولا سیّما بالکوفة حتّی أنّ الرجل من شیعة علی ـ علیه السلام ـ لیأتیه من یثق به، فیدخل بیته، فیُلقی إلیه سره، ویخاف من خادمه ومملوکه، ویحدّثه حتّی یأخذ علیه الأیمان الغلیظة، لیکتمن علیه . وأضاف ابن أبی الحدید: فلم یزل الأمر کذلک حتّی مات الحسن بن علی ـ علیهما السلام ـ فازداد البلاء والفتنة، فلم یبق أحد من هذا القبیل إلاّ وهو خائف علی دمه، أو طرید فی الأرض . ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسین ـ علیه السلام ـ ، وولی عبدالملک بن مروان، فاشتد علی الشیعة، وولی علیهم الحجاج بن یوسف، فتقرَّب إلیه أهل النسک والصلاح والدین ببغض علی وموالاة أعدائه، وموالاة من یدعی من الناس أنّهم أیضاً أعداؤه، فأکثروا فی الروایة فی فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأکثروا من البغض من علی ـ علیه السلام ـ وعیبه، والعطن فیه، والشنآن له، حتّی إنّ إنساناً وقف للحجاج ـ ویقال إنّه جد الأصعمی عبدالملک بن قریب ـ فصاح به: أیّها الأمیر، إنّ أهلی عقّونی فسمونی علیاً، وإنّی فقیر وبائس، وأنا إلی صلة الأمیر محتاج، فتضاحک له الحجاج، وقال: للطف ما توسلتَ به، قد ولیتک موضع کذا(۱). ونتیجة لذلک شهدت أوساط الشیعة مجازر بشعة علی ید السلطات الغاشمة، فقتل الآلاف منهم، وأمّا من بقی منهم علی قید الحیاة فقد تعرض إلی شتی صنوف التنکیل والارهاب والتخویف، والحق یقال إنّ من الأُمور العجیبة أن یبقی لهذه الطائفة

باقية رغم كل ذلك الظلم الكبير والقتل الذريع، بل العجب العجاب أن ـــــــــــــــــــ

۱ . شرح نهج البلاغة ۱۱ / ۴۴ ـ ۴۶ .

(۳۵۴)

تجد هذه الطائفة قد ازدادت قوة وعدة، وأقامت دولا وشيدت حضارات وبرز منها الكثير من العلماء والمفكرين . فلو كان الأخ السنّى يرى التقية أمراً محرّماً فليعمل على رفع الضغط عن أخيه الشيعى، وأن لا يضيق عليه فى الحرية الّتى سمح بها الإسلام لأبنائه، وليعذوه فى عقيدته وعمله كما هو عذر أُناساً كثيراً خالفوا الكتاب والسنّة وأراقوا الدماء ونهبوا الدور فكيف بطائفة تدين بدينه وتتفق معه فى كثير من معتقداته، وإذا كان معاوية وأبناء بيته والعباسيون كلّهم عنده مجتهدين فى بطشهم وإراقة دماء مخالفيهم فماذا يمنعه عن إعذار الشيعة باعتبارهم مجتهدين. وإذا كانوا يقولون ـ وذاك هو العجيب ـ أنّ الخروج على الإمام على ـ عليه السلام ـ غير مضر بعدالة الخارجين والثائرين عليه، وفى مقدمتهم طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة، وإنّ إثارة الفتن فى صفّين ـ الّتى انتهت إلى قتل كثير من الصحابة والتابعين وإراقة دماء الآلاف من العراقيين والشاميين ـ لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين وهم بعد ذلك مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهد وأخطأ فلم لا يتعامل مع الشيعة ضمن هذا الفهم ويذهب إلى أنّهم معذورين ومثابين!! نعم كانت التقية بين الشيعة تزداد تارة وتتضائل أُخرى، حسب قوّة الضغط وضآلته، فشتان بين عصر المأمون الّذى يجيز مادحى أهل البيت، ويكرم العلويين، وبين عصر المتوكل الّذى يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة . فهذا ابن السكيت أحد أعلام الأدب فى زمن المتوكل، وقد اختاره معلماً لوالديه فسأله يوماً: أيّهما أحبُّ إليك ابناى هذان أم الحسن والحسين؟ قال ابن السكيت: واللّه إنّ قنبر خادم على ـ عليه السلام ـ خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات. وذلك فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع (۳۵۵)

وأربعين ومائتين، وقيل ثلاث وأربعين، وكان عمره ثمانية وخمسين سنة. ولما مات سيَّر المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال: هذه دية والدك!!(۱) . وهذا ابن الرومى الشاعر العبقرى يقول فى قصيدته الّتى يرثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على: اكلّ أوان للنبىّ محمّد * قتيل زكىّ بالدماء مضرّجُ بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم * لبلواكم عمّا قليل مفرّجُ أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم * تضىء مصابيح السماء فتسرّجُ(۲) فإذا كان هذا هو حال أبناء الرسول، فما هو حال شيعتهم ومقتفى آثارهم؟! قال العلاّمة الشهرستانى: إنّ التقية شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية. إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أية أُمّة أُخرى، فكانت مسلوبة الحرية فى عهد الدولة الأموية كلّه، وفى عهد العباسيين على طوله، وفى أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أى قوم، ولما كانت الشيعة، تختلف عن الطوائف المخالفة لها فى قسم مهم من الاعتقادات فى أُصول الدين وفى كثير من الأحكام الفقهيّة، والمخالفة تستجلب بالطبع رقابة وتصدقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة فى أكثر الأحيان إلى كتمان ماتختص به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك،

---

۱ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ۳ / ۳۳. الذهبى: سير أعلام النبلاء ۱۲ / ۱۶ .

۲ . ديوان ابن الرومى ۲ / ۲۴۳ . (۳۵۶)

تبتغى بهذا الكتمان صيانة النفس والنفيس، والمحافظة على الوداد والاخوة مع سائر اخوانهم المسلمين، لئلا تنشق عصا الطاعة، ولكى لا ـ يحس الكفار بوجود اختلاف ما فى المجتمع الإسلامى فيوسع الخلاف بين الأُمّة المحمدية . لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقية وتحافظ على وفاقها فى الظواهر مع الطوائف الأُخرى، متبعة فى ذلك سيرة الأئمة من آل محمد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية دينى ودين آبائى»، إذ أنّ دين اللّه يمشى على سنّة التقية لمسلوبى الحرية، دلّت على ذلك آيات من القرآن العظيم (۱) . روى عن صادق آل البيت ـ عليهم السلام ـ فى الأثر الصحيح: «التقية دينى ودين آبائى» و: «من لا تقية له لا

دين له» وكذلك هى. لقد كانت التقية شعاراً لآل البيت ـ عليهم السلام ـ دفعاً للضرر عنهم، وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّا لشعثهم، وما زالت سمة تُعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأُمم. وكل انسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقى مواضع الخطر. وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول . من المعلوم أنّ الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن، وصنوف الضيق على حرياتهم فى جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة، أو أُمّة أُخرى، فاضطروا فى أكثر عهودهم إلى استعمال التقية فى تعاملهم مع المخالفين لهم، وترك مظاهرتهم، وستر عقائدهم، وأعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر فى الدنيا . ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم . وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها، بحسب اختلاف مواقع خوف ــــــــــــــــــــ

۱ . غافر / ۲۸، النحل / ۱۰۶ .

(۳۵۷)

الضرر، مذكورة فى أبوابها فى كتب العلماء الفقهيّة(۱) . حدّها:

قد تعرّفت على مفهوم التقية وغايتها، ودليلها، بقى الكلام فى تبيين حدودها، فنقول: عرفت الشيعة بالتقية وأنّهم يتقون فى أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض السطحيين والمغالطين، فقالوا: بما أنّ التقية من مبادئ التشيّع فلا يصحّ الاعتماد على كلّ ما يقولون ويكتبون وينشرون، إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعايات والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرره الكاتب الباكستانى «إحسان إلهى ظهير» فى كتبه السقيمة الّتى يتحامل بها على الشيعة . ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقية إنّما هو فى حدود القضايا الشخصية الجزئية عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ فى إظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مذهب أهل البيت ـ يحتمل أن يدفع بالمؤمن إلى الضرر يصبح هذا المورد من مواردها، ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأُمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصور فيها التقية، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخلة فى هذا النوع الأخير، إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، حيث ليس هناك لزوم للكتابة أصلا فى هذه الحال فله أن يسكت ولا ـ يكتب شيئاً . فما يدعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناشىء عن عدم معرفتهم بحقيقة التقية عند الشيعة. والحاصل: أنّ الشيعة إنّما كانت تتقى فى عصر لم تكن لهم

۱ . مجلة المرشد ۳ / ۲۵۲، ۲۵۳، ولاحظ: تعليقة أوائل المقالات ص ۹۶ .

(۳۵۸)

دولة تحميهم، ولا قدرة ولا منعة تدفع عنهم الأخطار. وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرر للتقية إلّا فى موارد خاصة . إنّ الشيعة وكما ذكرنا لم تلجأ إلى التقية إلّا بعد أن اضطرّت إلى ذلك، وهو حق لا أعتقد أن يخالفها فيه أحد ينظر إلى الأُمور بلبّه لا بعواطفه، إلّا أنّ من الثوابت الصحيحة بقاء هذه التقية ـ إلّا فى حدود ضيقة ـ تنحصر فى مستوى الفتاوى ولم تترجم إلّا قليلا على المستوى العملى، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كل باحث أن يرجع إلى مواقف رجال الشيعة مع معاوية وغيره من الحكام الأمويين، والحكام العباسيين، أمثال حجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجرى، وكميل بن زياد، ومئات من غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوارتهم المتتالية . التقية المحرّمة:

إنّ التقية تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية، وتسلّط الأعداء على شؤون المسلمين وحرماتهم ومعابدهم، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقية فى بعض الأحيان وقدّموا أنفسهم وأرواحهم أضاحى من أجل الدين، فللتقية مواضع معينة، كما أنّ للقسم المحرم منها مواضع خاصة أيضاً . إنّ التقية فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتّى يزول الخطر، فهى أفضل السبل للخلاص

من البطش، ولكن ذلک لا ـ یعنی أنّ الشیعی جبان خائر العزیمة، خائف متردد الخطوات یملأ حنایاه الذل، كلّا إنّ للتقیة حدوداً لا تتعداها، فكما هی واجبة فی حین، هی حرام فی حین آخر، فالتقیة أمام الحاكم الجائر كیزید بن معاویة (۳۵۹)

مثلا ـ محرّمة، إذ فیها الذل والهوان ونسیان المثل والرجوع إلی الوراء، فلیست التقیة فی جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحددها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمین . إنّ للإمام الخمینی ـ قدس سره ـ كلاماً فی المقام ننقله بنصه حتّی یقف القارئ علی أنّ للتقیة أحكاماً خاصة وربّما تحرم لمصالح عالیة. قال ـ قدس سره ـ : تحرم التقیة فی بعض المحرمات والواجبات الّتی تمثل فی نظر الشارع والمتشرعة مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والمشاهد المشرفة، والرد علی الإسلام والقرآن والتفسیر بما یفسر المذهب ویطابق الالحاد وغیرها من عظائم المحرمات، ولا تعمها أدلة التقیة ولا الاضطرار ولا الاكراه . وتدل علی ذلک معتبرة مسعدة بن صدقة وفیها: «فكل شیء یعمل المؤمن بینهم لمكان التقیة مما لا یؤدی إلی الفساد فی الدین فإنّه جائز»(۱) . ومن هذا الباب ما إذا كان المتقی ممن له شأن وأهمیة فی نظر الخلق، بحیث یكون ارتكابه لبعض المحرمات تقیة أو تركه لبعض الواجبات كذلک مما یعد موهناً للمذهب وهاتكاً لحرمته، كما لو أُكره علی شرب المسكر والزنا مثلا، فإنّ جواز التقیة فی مثله، تمسّكاً بحكومة دلیل الرفع(۲) وأدلّة التقیة مشكل بل ممنوع، وأولی من ذلک كلّه فی عدم جواز التقیة وفیه ما لو كان أصل من أُصول الإسلام أو المذهب أو ضروری من ضروریات الدین فی معرض الزوال والهدم والتغییر، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغییر أحكام الارث والطلاق والصلاة والحج وغیرها من أُصول الأحكام فضلا عن أُصول الدین أو المذهب، فإنّ التقیة فی مثلها غیر جائزة، ضرورة أنّ تشریعها

---

۱ . الوسائل كتاب الأمر بالمعروف الباب ۲۵ الحدیث رقم ۶ .

۲ . قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ : «رفع عن أُمّتی ما اضطروا إلیه وما استكرهوا علیه» . (۳۶۰)

لبقاء المذهب وحفظ الأُصول وجمع شتات المسلمین لإقامة الدین وأُصوله، فإذا بلغ الأمر إلی هدمها فلا تجوز التقیة، وهو مع وضوحه یظهر من الموثقة المتقدمة(۱) . وهكذا فقد بیّنا للجمیع الأبعاد الحقیقة والواقعیة للتقیة، وخرجنا بالنتائج التالیة: ۱- إنّ التقیة أصل قرآنی مدعم بالسنّة النبویة، وقد استعملها فی عصر الرسالة من ابتلی بها من الصحابة لصیانة نفسه فلم یعارضه الرسول بل أیده بالنص القرآنی كما فی قضیة عمّار بن یاسر، حیث أمره ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بالعودة إذا عادوا . ۲- إنّ التقیة بمعنی تشكیل جماعات سریة لغایة التخریب والهدم، مرفوضة عند المسلمین عامة والشیعة خاصة، وهو لا یمت للتقیة المتبناة من قبل الشیعة بصلة . ۳- إنّ المفسرین فی كتبهم التفسیریة عندما تعرضوا لتفسیر الآیات الواردة فی التقیة اتفقوا علی ما ذهبت إلیه الشیعة من إباحتها للتقیة . ۴- إنّ التقیة لا تختص بالاتقاء من الكافر، بل تعم الاتقاء من المسلم المخالف، الّذی یرید السوء والبطش بأخیه . ۵- إنّ التقیة تنقسم حسب انقسام الأحكام إلی أقسام خمسة، فبینما هی واجبة فی موضع فهی محرمة فی موضع آخر . ۶- إنّ مجال التقیة لا یتجاوز القضایا الشخصیة، وهی فیما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط، فلا موضوع للتقیة لغایة الصیانة . ________________

۱ . الإمام الخمینی: الرسائل: ۱۷۱ ـ ۱۷۸ . (۳۶۱) وفی الختام نقول:

نفترض أنّ التقیة جریمة یرتكبها المتقی لصیانة دمه وعرضه وماله ولكنّها فی الحقیقة ترجع إلی السبب الّذی یفرض التقیّة علی الشیعی المسلم ویدفعه إلی أن یتظاهر بشیء من القول والفعل الّذی لا یعتقد به، فعلی من یعیب التقیة للمسلم المضطهد، أن یسمح له الحریة فی مجال الحیاة ویتركه بحاله، وأقصی ما یصحّ فی منطق العقل، أن یسأله عن دلیل عقیدته ومصدر عمله، فإن كان علی حجّة بیّنة یتبعه، وإن كان علی خلافها یعذره فی اجتهاده وجهاده العلمی والفكری . نحن ندعو المسلمین للتأمل فی الدواعی الّتی دفعت بالشیعة إلی التقیة، وأن یعملوا قدر الإمكان علی فسح المجال لاخوانهم فی الدین فإنّ لكل فقیه مسلم، رأیه ونظره، وجهده وطاقته . إنّ الشیعة یقتفون أثر الأئمة أهل البیت فی العقیدة والشریعة، ویرون رأیهم، لأنّهم هم الذین أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً، وأحد الثقلین اللذین أمر الرسول ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بالتمسک بهما فی مجال العقیدة والشریعة، وهذه عقائدهم لا تخفی علی أحد،

وهى حجّة على الجميع . نسأل اللّه سبحانه: أن يصون دماء المسلمين وأعراضهم عن تعرض أى متعرض، ويوحّد صفوفهم، ويؤلّف بين قلوبهم، ويجمع شملهم، ويجعلهم صفّاً واحداً فى وجه الأعداء إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير . (۳۶۲) (۳۶۳) المسألة السادسة: الرجعة

إنّ فكرة الرجعة التى تحدّثت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المرويّة عن أهل بيت الرسالة ممّا يشنّع بها على الشيعة، فكأنّ من قال بها، رأى رأياً يوجب الخروج عن الدين، غير أنّ هؤلاء نسوا أو تناسوا انّ أوّل من أبدى نظرية الرجعة هو الخليفة عمر بن الخطاب فقد أعلن عندما شاعت رحلة النبىّ الأكرم بأنّه ما مات وليعودنّ فيقطعنّ ايدى وأرجل أقوام... عن أبى هريرة قال: لمّا توفّى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قام عمر بن الخطاب، فقال: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون انّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ توفّى، وانّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واللّه ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل قدمات، واللّه ليرجعنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما رجع موسى، فليقطعنّ أيدى رجال و أرجلهم زعموا انّ (۳۶۴)

رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مات(۱) . ولا يخفى أنّ كلام الخليفة لو كان كلاماً حقيقياً لابد أن يحمل على أنّ النبى ما مات موتاً لا رجوع فيه وإنّما يرجع فيقوم بما أخبر عنه الخليفة، ولو أراد من نفى موته أنّه ما زال حياً فهو خلاف رأى جميع الصحابة الذين اتفقوا على موته، ولم يكن موت النبى أمراً يدركه جميع الناس ولا يدركه الخليفة . إنّ الرجعة بمعنى عود جماعة قليلة إلى الحياة الدنيوية قبل يوم القيامة ثمّ موتهم وحشرهم مجدّداً يوم القيامة ليس شيئاً يضاد اُصول الإسلام، وليس فيه انكار لأىّ حكم ضرورى، وليس القول برجعتهم إلى الدنيا ينفى بعثهم يوم القيامة، وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلى الحياة الدنيوية، نظير: ۱- إحياء جماعة من بنى إسرائيل(۲) . ۲- إحياء قتيل بنى إسرائيل(۳) . ۳- موت اُلوف من الناس وبعثهم من جديد(۴) . ۴- بعث عزير بعد مائة عام من موته(۵) . ۵- إحياء الموتى على يد عيسى ـ عليه السلام ـ (۶) . فلو كان الاعتقاد برجوع بعض الناس إلى الدنيا قبل القيامة أمراً محالاً، فما معنى هذه الآيات الصريحة فى رجوع جماعة إليها؟ ______________

۱ . السيرة النبوية لابن هشام ۴ / ۳۰۵ .

۲ . البقرة / ۵۵ ـ ۵۶ .

۳ . البقرة / ۷۲ ـ ۷۳ .

۴ . البقرة / ۲۴۳ .

۵ . البقرة / ۲۵۹ .

۶ . آل عمران / ۴۹ . (۳۶۵)

ولو كان الرجوع إلى الدنيا على وجه الاطلاق تناسخاً فكيف تفسّر هذه الآيات؟ إنّ الاعتقاد بالذكر الحكيم يجرّنا إلى القول بأنّه ليس كل رجوع إلى الدنيا تناسخاً وانّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الانسان إلى الدنيا عن طريق النطفة والمرور بمراحل التكوّن البشرى من جديد ليصير انساناً مرّة اُخرى وأين هذا من الرجعة وعود الروح إلى البدن الكامل من جميع الجهات من دون أن يكون فيها رجوع من القوّة إلى الفعلية، أو دخول روح فى بدن آخر، إنساناً كان أو حيواناً؟! اتّفقت الشيعة على بطلان التناسخ وامتناعه وقد كتبوا فيه مقالات ورسائل يقف عليها من كان له إلمام بكتبهم وعقائدهم، وقد ذكروا أنّ للتناسخ أنواعاً وأقساماً، غير انّ الرجوع إلى الدنيا من خلال دخول الروح إلى البدن الّذى فارقه عند الموت لا يعد تناسخا، وانّما هو إحياء للموتى،الّذى كان معجزة من معاجز المسيح. كل ذلك يدل على أنّه ليس أمام القول بالرجعة عراقيل وموانع وانّما هو أمر ممكن لو دلّ عليه الدليل القطعى نأخذ به وإلاّ فنذره فى سنبله، والحال انّ بعض الآيات والروايات تدل على أنّه سيتحقّق الرجوع إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة لبعض الناس على وجه الاجمال، وأمّا من هم؟. وفى أى وقت يرجعون؟. ولأىّ غرض يعودون إلى الدنيا؟ فليس هنا مقام بيانها، انّما نكتفى ببيان بعض الآيات

الدالّة على وقوعه قبل البعث، وإليك الآيات . قال سبحانه: (و إذا وَقَعَ القَولُ عَلَيهِمْ أخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنونَ * وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ (۳۶۶) يُوزَعُونَ)(۱) .

لا ـ يشك من أمعن النظر فى سياق الآيات وما ذكره المفسّرون حولها، فى أنّ الآية الاُولى تتعلّق بالحوادث الّتى تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية مكمّلة لها، وتدل على حشر فوج من كل جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنّ الحشر فى يوم القيامة يتعلّق بالجميع لا بالبعض، يقول سبحانه (وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ و تَرى الأرضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أحدا)(۲) . أفبعد هذا التصريح يمكن تفسير الآية السابقة بيوم البعث والقيامة؟ وهذه الآية تعرب عن الرجعة الّتى تعتقد بها الشيعة فى حقّ جماعة خاصّة وأمّا خصوصياتها فلم يحدّث عنها القرآن الكريم وجاء التفصيل فى السنّة . وقد سأل المأمون العباسى الامام الرضا ـ عليه السلام ـ عن الرجعة، فأجابه بقوله: إنّها حقّ قد كانت فى الاُمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يكون فى هذه الاُمّة كل ما كان فى الاُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة(۳) . وأمّا من هم الراجعون؟ وما هو الهدف من إحيائهم؟ فيرجع فيه إلى الكتب المؤلّفة فى هذا الموضوع، واجمال الجواب عن الأوّل أن الراجعين لفيف من المؤمنين ولفيف من الظالمين . وقال المفيد ناقلا عن أئمّة أهل البيت: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم، من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وأمّا ما سوى هذين فلا رجوع ________

۱ . النمل / ۸۲ ـ ۸۳ .

۲ . الكهف / ۴۷ .

۳ . بحارالأنوار ۵۳ / ۵۹ الحديث ۴۵ . (۳۶۷)

لهم إلى يوم المآب(۱) . وقال أيضاً فى المسائل السروية: والرجعة عندنا تختص بمن محض الإيمان، ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين(۲) . وإجمال الجواب عن الثانى ما ذكره السيّد المرتضى، قال: إنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور المهدى ـ عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ـ قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم . ذكر نكات:

۱- إنّ الرجعة وإن كانت من مسلّمات عقائد الشيعة، ولكنّ التشيّع ليس منوطاً بالاعتقاد بها فمن أنكرها فقد أنكر عقيدة مسلّمة، بين أكثر الشيعة، ولكن لم ينكر ركناً من أركان التشيّع، ولأجل ذلك نرى انّ جماعة من الشيعة أوّلوا الأخبار الواردة فى الرجعة إلى رجوع الدولة إلى شيعتهم وأخذهم بمجارى الاُمور دون رجوع أعيان الأشخاص، والباعث لهم على هذا التأويل هوعجزهم عن تصحيح القول بها نظراً واستدلالا، ولكن المحقّقين من الامامية، أخذوا بظواهرها وبيّنوا عدم لزوم استحالة عقلية على القول بها لعموم قدرة اللّه على كل مقدور، أجابوا عن الشبه الواردة عليها، وإلى هذا الاختلاف يشير الشيخ المفيد بقوله: واتّفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم فى معنى الرجعة اختلاف . ________

۱ . الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد ۴۰ .

۲ . الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد ۴۰ . (۳۶۸)

ويشير إلى الاختلاف، تلميذه الجليل الشريف المرتضى فى المسائل الّتى وردت عليه من الرىّ ومنها حقيقة الرجعة، فأجاب بأنّ الّذى تذهب إليه الشيعة الإمامية بأنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور المهدى قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه، وأنّ من الشيعة، تأوّلوا الرجعة على أنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهى إلى شيعتهم، من دون رجوع الأشخاص واحياء الأموات(۱) . ۲- كيف يجتمع اعادة الظالمين مع قوله سبحانه: (و حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ)(۲) فإنّ هذه الآية تنفى رجوعهم بتاتاً، وحشر لفيف من الظالمين، يخالفها . والاجابة عن السؤال واضحة، فإنّ الآية مختصّة بالظالمين الذين اُهلكوا فى هذه الدنيا ورأوا جزاء عملهم فيها، فالآية تحكم بأنّهم لا يرجعون، وأمّا الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذة فيرجع لفيف منهم ليروا جزاء عملهم فيها

ثمّ يردّون إلى أشدّ العذاب فى الآخرة، فالآية تنفى رجوع لفيف من الظالمين الذين ماتوا حتف الأنف . ۳- إنّ الظاهر من قوله تعالى: (حَتّى إذا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّى أعْمَلَ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إنّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلها ومِن ورائِهِمْ بَرْزَخٌ اِلى يَوم يُبْعَثُونَ)(۳) هو نفى الرجوع إلى الدنيا بعد مجيئ الموت لأى أحد . والاجابة عنها واضحة. انّ الآية كسائر السنن الإلهية الواردة فى حقّ الإنسان، فهى تفيد أنّ الموت بطبعه ليس بعده رجوع وهذا لا ينافى رجوع البعض ـــــــــــــــــــــــ

۱ . بحارالانوار ۵۳ / ۱۳۸ .

۲ . الأنبياء / ۹۵ .

۳ . المؤمنون / ۱۰۰ ـ ۱۰۱ . (۳۶۹)

استثناءً ولمصالح عليا، كما مرّت الآيات الواردة فى هذا المضمار . أضف إلى ذلك أنّ عود بعض الظالمين إلى الدنيا ـ على القول بالرجعة ـ إنّما هو لأجل عقابهم والانتقام منهم، وأين هذا من طلب هؤلاء الكفار الرجوع لأجل تصحيح عملهم والقيام بما تركوه من الصالحات، وردّ هذا الفرع من الرجوع لا يكون دليلا على نفى النوع الأوّل منه .

(۳۷۱) المسألة السابعة: زواج المتعة

وممّا يشنّع به على الشيعة: قولهم بجواز نكاح المتعة، ويعدّون القول بتشريعه أو بعدم نسخه مخالفاً للكتاب والسنّة. والمسألة فرعية فقهية لا ـ يناسب البحث عنها فى كتب تاريخ العقائد، غير أنّه لما كانت من شعائر فقه الشيعة، آثرنا أن نبحث عنها فى اطار الكتاب والسنّة على وجه الاجمال حتّى يقف القارئ على أنّ القول باصل تشريعها وعدم نسخها، ممّا يثبته الكتاب والسنّة. وانّ القول بعدم تشريعها بتاتاً أو ادّعاء نسخها يضادّهما. وسيوافيك انّ لفيفاً من الصحابة والتابعين كانوا يفتون بجوازها وعدم نسخها وانّما منع عنها عمر بن الخطاب لحافز نفسى أو اجتهاد شخصى لا دليل عليه وليس حجّة على الآخرين . وقد أبدى بنظيره فى متعة الحج فى زمن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۱) . ـــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ الفصل الرابع من هذا الجزء، المورد الثالث من الموارد الّتى اجتهدوا فيها مقابل النص .

(۳۷۲)

وأمّا زواج المتعة: وهو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان أو عدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعية، بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى بالرضا والاتّفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق. ويجب عليها مع الدخول بها إذا لم تكن يائسة أن تعتد عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض وإلاّ فبخمسة وأربعين يوما(۱) . وولد المتعة ذكراً كان أو أُنثى يلحق بالأب ولا ـ يُدعى إلاّ به، وله من الارث ما أوصانا اللّه سبحانه به فى كتابه العزيز. كما يرث من الاُم وتشمله جميع العمومات الواردة فى الآباء والأبناء والاُمّهات وكذا المعمومات الواردة فى الاخوة والأخوات والأعمام والعمّات . وبالجملة: المتمتّع بها زوجة حقيقة وولدها ولد حقيقة ولا فرق بين الزواجين: الدائم والمنقطع إلاّ انّه لا توارث هنا ما بين الزوجين ولا قسم ولا نفقه لها. كما انّ له العزل عنها وهذه الفوارق الجزئية فوارق فى الاحكام لا فى الماهية والماهية واحدة غير انّ أحدهما مؤقت والآخر دائم. وانّ الأوّل ينتهى بانتهاء الوقت والآخر ينتهى بالطلاق أو الفسخ . وقد أجمع أهل القبلة على انّه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسلام ولا ـ يشك أحد فى أصل مشروعيّته وانّما وقع الكلام فى نسخه أو بقاء مشروعيته . والأصل فى مشروعيته قوله سبحانه: (وحلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ وأنْ تَجْمَعُوا بينَ الاُختَينِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ إنَّ اللّه كانَ غَفُوراً رَحيماً * والْمحصَناتُ مِنَ النِّساءِ إلاّ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ كِتابَ اللّهِ عَلَيكُمْ وَ اُحِلَّ لَكُمْ ـــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ الكتب الفقهية للشيعة الامامية فى ذلك المجال .

(۳۷۳) ماوَراءَ ذلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأموالِكُمْ مُحصِنِينَ غَيرَ مُسافِحينَ فَما اسْتَمتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فريضةً ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَةِ إنَّ اللّهَ كانَ عَليماً حَكيماً)(۱) .

والآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه: ١- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

إنّ هذه السورة ـ سورة النساء ـ تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح فى أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (و إنْ خِفْتُمْ ألاّ تُقْسِطُوا فِي اليَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثَلاثَ و رُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعدِلُوا فَواحِدَةً...)(٢) . وأمّا أحكام المهر فقد جاءت فى الآية التالية: (وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىء مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنيئاً مَريئا)(٣) . وأمّا نكاح الاماء فقد جاء فى قوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أنْ يَنْكِحَ الُمحْصَناتِ المُؤمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُم مِنْ فَتَياتِكُمُ المُؤْمِناتِ واللّهُ أعْلَمُ بِإيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ مُحْصَنات غَيْرَ مُسافِحات ولا مُتَّخِذاتِ أخْدان...)(۴) . ______________

١ . النساء / ٢٣ ـ ٢۴ .

٢ . النساء / ٣ .

٣ . النساء / ۴ .

۴ . النساء / ٢۵ . (٣٧۴)

فقوله سبحانه: (فمن ما ملكت أيمانكم) إشارة إلى نكاح السيّد لأمته، الّذى جاء فى قوله سبحانه أيضاً: (إلاّ عَلى أزْواجِهِمْ أوْ ما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ...)(١) . وقوله سبحانه: (فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أهْلِهِنَّ) إشارة إلى الزواج من أمة الغير. فالى هنا تم بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلاّ نكاح المتعة وهو الّذى جاء فى الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: (فما استمتعتم) على الزواج الدائم وحمل قوله: (فآتوهنّ اُجورهنّ) على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، وحمله على وجوب الصداق كله بالدخول، خلاف المتبادر على أنّه يجب الكل بالعقد والطلاق قبله منصّف. فالناظر فى السورة يرى انّ آياتها تكفّلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاص ولا يتحقّق ذلك إلاّ بحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً . ٢- تعليق دفع الاُجرة على الاستمتاع:

إنّ تعليق دفع الاُجرة على الاستمتاع فى قوله سبحانه: (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ اُجورهنَّ) يناسب نكاح المتعة الّذى هو زواج مؤقّت لا النكاح الدائم، فإنّ المهر هنا يجب بمجرّد العقد ولا يتنجّز وجوب دفع الكل إلاّ بالمس . ٣- تصريح جماعة من الصحابة على شأن نزولها:

ذكرت اُمّة كبيرة من أهل الحديث نزولها فيها وينتهى نقل هؤلاء إلى أمثال ابن عباس وأبى بن كعب وعبداللّه بن مسعود وجابر بن عبداللّه الأنصارى ______________

١ . المؤمنون / ۶ .

(٣٧۵)

وحبيب بن أبى ثابت وسعيد بن جبير إلى غير ذلك من رجال الحديث الذين لا يمكن اتهامهم بالوضع والجعل . وقد ذكر نزولها من المفسّرين والمحدّثين: امام الحنابلة فى مسنده(١) وأبو جعفر الطبرى فى تفسيره(٢) وأبوبكر الجصّاص الحنفى فى أحكام القرآن(٣) وأبوبكر البيهقى فى السنن الكبرى(۴) ومحمود بن عمر الزمخشرى فى الكشاف(۵) وأبوبكر بن سعدون القرطبى فى تفسير جامع أحكام القرآن(۶) وفخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب(٧)، إلى غير ذلك من المحدّثين والمفسّرين الذين جاءوا بعد ذلك إلى عصرنا هذا ولا نطيل الكلام بذكرهم . وليس لأحد أن يتّهم هؤلاء الأعلام بذكر ما لا يثقون به. فبملاحظة هذه القرائن لا يكاد يشكّ فى ورودها فى نكاح المتعة . ونزيد بياناً بقوله سبحانه: (واُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُم أنْ تَبْتَغُوا بَأمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غيرَ مُسافِحين) . إنّ قوله سبحانه: (أن تبتغوا) مفعول له لفعل مقدّر، أى بيّن لكم ما يحلّ ممّا يحرم لأجل أن تبتغوا بأموالكم، وأمّا مفعول قوله: (تبتغوا) فيعلم من القرينة وهو النساء أى تطلبوا النساء، أى بيّن الحلال والحرام لغاية ابتغائكم النساء ______________

١ . مسند أحمد ۴ / ۴٣۶ .

۲ . تفسير الطبرى ۵ / ۹ .

۳ . أحكام القرآن ۲ / ۱۷۸ .

۴ . السنن الكبرى ۷ / ۲۰۵ .

۵ . الكشاف ۱ / ۳۶۰ .

۶ . جامع أحكام القرآن ۵ / ۱۳ .

۷ . مفاتيح الغيب ۳ / ۲۶۷ . (۳۷۶)

من طريق الحلال لا ـ الحرام. وقوله سبحانه: (محصنين) وهو من الاحصان بمعنى العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام، وقوله سبحانه: (غير مسافحين) هو جمع مسافح بمعنى الزانى مأخوذ من السفح بمعنى صبّ السائل، والمراد هنا هو الزانى بشهادة قوله سبحانه فى الآية المتأخّرة فى نكاح الإماء (وآتوهنّ اُجورهنّ بالمعروف محصنات غير مسافحات) أى عفائف غير زانيات . ومعنى الآية: انّ اللّه تبارك وتعالى شرّع لكم نكاح ماوراء المحرّمات لأجل أن تبتغوا بأموالكم ما يحصنكم ويصون عفّتكم ويصدّكم عن الزنا. وهذا المناط موجود فى جميع الأقسام: النكاح الدائم، والمؤقت والزواج بأمة الغير، المذكورة فى هذه السورة من أوّلها إلى الآية ۲۵ . هذا هو الّذى يفهمه كلّ إنسان من ظواهر الآيات غير انّ من لا يروقه الأخذ بظاهر الآية (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ اُجورهنّ) لرواسب نفسية أو بيئية حاول أن يطبّق معنى الآية على العقد الدائم وذكر فى المورد شبهات نشير إليها . الشبهة الأولى: إنّ الهدف فى تشريع النكاح هو تكوين الاُسرة وإيجاد النسل وهو يختصّ بالنكاح الدائم دون المنقطع الّذى لا يترتّب عليه إلاّ إرضاء القوّة الشهوية وصبّ الماء وسفحه .

يجاب عنها بأنّه خلط بين الموضوع والفائدة المترتّبة عليه. وما ذكر انّما هو من قبيل الحكمة، وليس الحكم دائراً مدارها، ضرورة أنّ النكاح صحيح وإن لم يكن هناك ذلك الغرض. كزواج العقيم واليائسة والصغيرة. بل أغلب المتزوّجين فى سن الشباب بالزواج الدائم لا يقصدون إلاّ قضاء الوطر واستيفاء الشهوة من طريقها المشروع، ولا يخطر ببالهم طلب النسل أصلا وإن حصل لهم قهراً، ولا يقدح ذلك فى صحّة زواجهم . (۳۷۷)

ومن العجب حصر فائدة المتعة فى قضاء الوطر مع أنّها كالدائم قد يقصد منها النسل والخدمة وتدبير المنزل وتربية الأولاد والارضاع والحضانة . ونسأل المانعين الذين يتلقّون نكاح المتعة، مخالفاً للحكمة الّتى من أجلها شرّع النكاح، نسألهم عن الزوجين الذين يتزوّجان نكاح دوام، ولكن ينويان الفراق بالطلاق بعد شهرين فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظن أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك، وإلاّ فقد أفتى بغير دليل ولا برهان فيتعيّن الأوّل. فأى فرق يكون حينئذ بين المتعة وهذا النكاح الدائم سوى انّ المدّة مذكورة فى الأول دون الثانى؟ يقول صاحب المنار: إنّ تشديد علماء السلف والخلف فى منع المتعة يقتضى منع النكاح بنيّة الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون انّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه فى صيغة العقد، ولكن كتمانه إيّاه يعدّ خداعاً وغشّاً وهو أجدر بالبطلان من العقد الّذى يشترط فيه التوقيت(۱) . أقول: نحن نفترض انّ الزوجين رضيا بالتوقيت لبّاً، حتّى لا يكون هناك خداع وغشّ، فهو صحيح بلا ـ اشكال . الشبهة الثانية: إنّ تسويغ النكاح المؤقت ينافى ما تقرّر فى القرآن كقوله عزّوجلّ فى صفة المؤمنين: (والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُون * إلاّ عَلى أزْواجِهِمْ أوْ ما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومين * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَاُولئِكَ هُمُ العادُون)(۲).

والمراد من الآية أن من ابتغى وراء ذلك، هم المتجاوزون ما أحلّه اللّه لهم إلى ما حرّمه عليهم، والمرأة المتمتّع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذى ـــــــــــــــ

۱ . المنار ۵ / ۱۷ .

۲ . المؤمنون / ۵ ـ ۷ . (۳۷۸)

عليها بالمعروف . يلاحظ عليه: انّها دعوى بلا دليل، فانّها زوجـة ولها أحكام وعـدم وجود النفقـة وعدم وجود القسم، لا يخرجانها عن الزوجيّـة فإنّ الناشـزة زوجـة ليست لها النفقة وحقّ القسم. ومثلها الصـغيرة. والعجب أن يسـتدل بعدم وجود الأحكام على نفى الماهية، فإنّ الزوجيّـة رابطة بين الزوجين يترتّب عليها أحكام وربّما تختص بعض الأحكام ببعض الأقسام . الشـبهة الثالثة: إنّ المتمتّع فى النكاح المؤقت لاـ يقصـد الاحصان دون المسافحـة، بل يكون قصـده مسافحـة، فإن كان هناك نوع ما من احصان نفسه ومنعها من التنقّل فى دِمَنِ الزنا، فإنّه لا يكون فيه شيء ما من احصان المرأة الّتى تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل:

كرة حُـذِفْت بصوالجة * فتلقّفها رجل رجل(۱) يلاحـظ عليه: انّه من أين وقف على انّ الاحصـان فى النكـاح المؤقّت، يختص بالرجل دون المرأة، فإنّا إذا افترضـنا كون العقـد شـرعياً، فكل واحـد من الطرفين يُحْصن نفسه من هـذا الطريق، وإلاّ فلا محيص عن التنقل فى دمن الزنا. والّذى يصون الفتاة عن البغى أحد الاُمور الثلاثة:

۱- النكاح الدائم . ۲- النكاح المؤقّت بالشـروط الماضية . ۳- كبت الشـهوة الجنسـية . فالأوّل ربّما يكون غير ميسور خصوصاً للطالب والطالبة الذين يعيشان بمنح ورواتب مختصرة يجريها عليهما الوالدان أو الحكومة، وكبت الشهوة الجنسية أمر ــــــــــــــــــــــ

۱ . المنار ۵ / ۱۳ .

(۳۷۹)

شـاق لا يتحمّله إلاّ الأمثل فالأمثل من الشـباب والمثلى من النساء، وهم قليلون، فلم يبق إلاّ الطريق الثانى، فيحصـنان نفسـهما عن التنقل فى بيوت الـدعارة . إنّ الـدين الإسـلامى هو الدين الخاتم، ونبيّه خاتم الأنبياء، وكتابه خاتم الكتب، وشـريعته خاتمة الشـرائع فلابد أن يضع لكل مشكلة اجتماعية، حلولا شرعية، يصون بها كرامة المؤمن والمؤمنة، وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه : ماذا يفعل هؤلاء الطلبة والطالبـات الـذين لاـ يسـتطيعون القيـام بالنكـاح الـدائم، وتمنع كرامتهم ودينهم عن التنقل فى بيوت الـدعارة والفساد، والحياة المادية بجمالها تؤجّج نار الشـهوة فى نفوسـهم، فمن المسـتحيل عادة أن يصون نفسه أحد إلاّ من عصمه اللّه، فلم يبق طريق إلاّ ما ذكره الإمام على بن أبى طالب، حيث قال: «لولا نهى عمر عن المتعـة لما زنى إلاّ شـقى أو شـقية» . وأمّا تشبيه المتعـة بما جاء فى الشـعر فهو يعرب عن جهل الرجل بحقيقـة نكاح المتعة وحدودها، فإنّ ما جاء فيه هى المتعة الدورية الّتى ينسـبها الرجل(۱) وغيره إلى الشيعة، وهم براء من هـذا الإفك إذ يجب على المتمتّع بها بعـد انتهاء المدّة، الاعتداد على ما ذكرنا، فكيف يمكن أن تؤجر نفسـها كل طائفة من الزمن لرجل؟! سـبحان اللّه ما أجرأهم على الكذب على الشـيعة والفرية عليهم، وما مضـمون الشـعر إلاّ جسارة على الوحى والتشـريع الإلهى، وقد اتّفقت كلمة المحدّثين والمفسّرين على التشريع، وانّه لو كان هناك نهى أو نسخ فانّما هو بعد التشريع والعمل . الشبهة الرابعة: إنّ الآية منسوخة بالسنّة، واختلفوا فى زمن نسخه إلى أقوال شتّى:

۱- اُبيحت ثم نهى عنها عام خيبر . ــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ كتابه: السنّة والشيعة ۶۵ ـ ۶۶ .

(۳۸۰)

۲- مـا اُحلّت إلاّ فى عمرة القضاء . ۳- كانت مباحـة ونهى عنها فى عام الفتح . ۴- اُبيحت عام أوطاس ثم نهى عنها(۱) . وهذه الأقوال تنفى الثقـة بوقوع النسخ، على انّ نسخ القرآن بأخبار الاحاد ممنوع جدّاً، وقد صحّ عن عمران بن الحصـين انّه قال: «انّ اللّه أنزل المتعة ومـا نسـخها بآيـة اُخرى وأمرنـا رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ بالمتعـة ومـا نهانـا عنهـا، ثم قال رجل برأيه»، يريـد به عمر بن الخطاب . إنّ الخليفة الثانى لم يدّع النسخ وانّما أسـند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من اللّه عزّوجلّ أو من رسوله، لأسند التحريم إليهما، وقـد استفاض قول عمر وهو على المنبر: متعتان كانتا على عهـد رسول اللّه وأنا أنهى عنهما واُعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء، بل نقل متكلّم الأشاعرة فى شرحه على شرح التجريد انّه قال: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهنّ، واُحرّمهنّ، واُعاقب عليهنّ: متعـة النساء ومتعـة الحج وحيّ على خير العمل(۲) . وقـد تقـدم فى الفصل الرابع بعض الكلام فى ذلك أن

ابن عباس قال لبعض المناظرين الـذين كـانوا يحتجون بنهى أبى بكر وعمر: يوشـك أن تنزل عليكم حجارة من السـماء. أقول: قال رسول اللّه، وتقولون: قال أبوبكر وعمر، حتّى أنّ ابن عمر لمّا سئل عنها، أفتى بالاباحـة، فعارضوه بقول أبيه، فقال لهم: أمر رسول اللّه أحقّ أن ــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ للوقوف على مصادر هـذه الأقوال: مسائل فقهيـة ۶۳ ـ ۶۴، الغدير ۶ / ۲۲۵، أصل الشـيعة واُصولها ۱۷۱، والأقوال فى النسخ أكثر مما جاء فى المتن .

۲ . مفاتيح الغيب ۱۰ / ۵۲ ـ ۵۳، شرح التجريد للقوشجى ۴۸۴ طبع ايران . (۳۸۱)

يتّبع أم أمر عمر؟ كـلّ ذلـك يعرب عن أنه لم يكن هنـاك نسـخ ولا نهى نبوى وإنّما كان تحريماً من جانب الخليفـة. لبعض المصالح المزعومة الّتى عبّر عنها فى غير واحد من كلماته فى المقام وفى متعة الحجّ، وقال:... ورؤوسنا تقطر ماءً(۱) . المنكرون للتحريم:

إنّ هناك لفيفاً من الصحابة والتابعين أنكروا التحريم بحماس: ۱- على أميرالمؤمنين، فى ما أخرجه الطبرى بالاسناد إليه انّه قال: لولا أنّ عمر نهى عن المتعـة مازنى إلاّ شـقىّ(۲) . ۲- عبـداللّه بن عمر، أخرج الامام أحمـد من حـديث عبداللّه بن عمر، قال: قد سئل عن متعـة النسـاء واللّه ما كنّا على عهـد رسول اللّه زانين ولا مسافحين، ثم قال: واللّه لقـد سـمعت رسول اللّه يقول: ليكوننّ قبل يوم القيامة المسيح الدجّال وكذّابون ثلاثون وأكثر(۳) . ۳- عبداللّه بن مسعود، روى البخارى عن عبداللّه بن مسعود، قال: كنّا نغزو مع رسول اللّه وليس لنا شىء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معيّن، ثمّ قرأ علينا: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) (۴)(۵) . ــــــــــــــــــــ

۱ . المفيد: الارشاد ۹۳ طبع النجف .

۲ . الطبرى التفسير ۵ / ۹ .

۳ . مسند أحمد ۲ / ۹۵ .

۴ . صحيح البخارى، كتاب النكاح ۷ / ۴، الباب ۸، الحديث ۳ .

۵ . المائدة / ۸۷ . (۳۸۲)

۴- عمران بن حصـين، أخرج البخـارى فى صـحيحه عنه، قـال: نزلت آيـة المتعـة فى كتاب اللّه ففعلناها مع رسول اللّه، ولم ينزل قرآن يحرّمهـا ولم ينه عنهـا حتّى مات. قال رجل برأيه ما شاء(۱) . أخرج أحمد فى مسـنده عن أبى رجاءعن عمران بن حصـين، قال: نزلت آيـة المتعـة فى كتـاب اللّه وعملنـا بهـا مع رسول اللّه، فلم تنزل آيـة تمنعهـا، ولـم ينه عنها النبىّ حتّى مات(۲) . ۵- وقـد عمد المأمون الخليفة العباسى، أن يعلن بتحليل المتعة، ولكنّه خوفاً من الفتنة توقّف عن الاعلان قال ابن خلّكان، نقلا عن محمّد بن منصور: قال: كنا مع المـأمون فى طريق الشـام فـأمر فنودى بتحليـل المتعـة، فقـال يحيى بن أكثم لى ولأبى العيناء: بكّرا غـداً إليه فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلاّ فاسـكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يسـتاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ وعلى عهـد أبى بكر ـ رضـى الله عنه ـ وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ وأبوبكر ـ رضـى الله عنه ـ ؟! فأومـا أبو العينـاء إلى محمّـد بن منصور وقال: رجل يقول من عمر بن الخطاب نكلّمه نحن؟ فأمسـكنا، فجـاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسـنا، فقال المأمون ليحيى: مالى أراك متغيّراً؟ فقال: هو غم يا أميرالمؤمنين لما حـديث فى الإسـلام قـال: ومـا حـدث فيه؟ قـال: النـداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعـة زنا، قال: ومن أين قلت هـذا؟ قال: من كتاب اللّه عزّوجلّ، وحديث ــــــــــــــــــــ

۱ . صحيح البخارى ۶ / ۲۷، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة قول (فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ).

۲ . مسند أحمد. لاحظ مسائل فقهية للسيد شرف الدين ۷۰ . (۳۸۳)

رسـول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ قـال اللّه تعـالى: (قَـدْ أفْلَـحَ المُؤمِنـون) إلى قوله: (و الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حـافِظُونَ * إلاّـ على

أزْواجِهِمْ أو ما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلومين * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأولئِكَ هُمُ العادُونَ)(۱). يا أميرالمؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا، قال: فهى، الزوجة الّتى عند اللّه ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين(۲) . عزب عن ابن أكثم ـ وهو كان ممّن يكنّ العداء لآل البيت ـ . أنّ المتعة داخلة فى قوله سبحانه (إلاّ على أزواجكم) وأمّا عدم الوراثة، فهو تخصيص فى الحكم، وهو لا ـ ينافى ثبوتها، وكم لها من نظير، فالكافرة لا ترث الزوج المسلم، وبالعكس، كما أنّ القاتلة لا ترث وهكذا العكس، وأمّا الولد، فيلحق قطعاً ونفى اللحوق ناش إمّا من الجهل بحكمها أو التجاهل به . وما أقبح كلامه حيث فسّر المتعة بالزنا وقد أصفقت الاُمّة على تحليلها عصر الرسول والخليفة الأوّل، افحسب ابن أكثم انّ الرسول حلّل الزنا ولو مدّة قصيرة. كبرت كلمة تخرج من أفواهم:

وهناك روايات مأثورة عن الخليفة نفسه، تعرب عن أنّ التحريم كان صميم رأيه، من دون استناد إلى آية أو رواية . روى مسلم فى صحيحه: عن ابن أبى نضرة قال: كان ابن عباس يامر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها فذكر ذلك لجابر، فقال: على يدى دار الحديث: تمتّعنا مع ________________

۱ . المؤمنون / ۱ ـ ۷.

۲ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ۶ / ۱۴۹ ـ ۱۵۰ . (۳۸۴)

رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلمّا قام عمر قال: إنّ اللّه كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء فأتمّوا الحجّ والعمرة وابتّوا نكاح هذه النساء فلئِن اُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة(۱) . وروى الامام أحمد فى مسنده عن ابى نضرة: قلت لجابر: إنّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وانّ ابن عباس يأمر بها، فقال لى: على يدى جرى الحديث: تمتّعنا مع رسول اللّه ومع أبى بكر فلمّا ولّى عمر خطب الناس فقال: إنّ القرآن هو القرآن، وإنّ رسول اللّه هو الرسول، وإنّهما كانتا متعتان على عهد رسول اللّه إحداهما متعة الحج والاُخرى متعة النساء(۲) . وهذه المأثورات تعرب أولا: عن أنّ المتعة كانت باقية على الحل إلى عهد الخليفة ولم تكن محرّمة إلى زمان تولى عمر الأمر فنهى ومنع . وثانياً: انّه باجتهاده قام بتحريم ما أحلّه الكتاب والسنّة، ومن المعلوم انّ اجتهاده ـ لو صحّت تسميته بالإجتهاد ـ حجّة على نفسه لا على غيره .

وفى الختام نقول: إنّ الجهل بفقه الشيعة أدّى بكثير من الكتّاب إلى القول أنّ من أحكام المتعة عند الشيعة انّه لا نصيب للولد من ميراث أبيه، وانّ المتمتَّع بها لا ـ عدّة لها، وانّها تستطيع أن تنتقل من رجل إلى رجل إن شاءت. ومن أجل هذا استقبحوا المتعة واستنكروها وشنعوا على من أباحها . وقد خفى الواقع على هؤلاء، وانّ المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلاّ بالعقد الدال على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من ________________

۱ . مسلم: الصحيح ۴ / ۱۳۰ باب نكاح المتعة الحديث ۸، طبع محمد على صبيح .

۲ . أحمد: المسند ۱ / ۵۲ . (۳۸۵)

جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوراث، والانفاق وسائر الحقوق المادية وانّ عليها أن تعتد بعد إنتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهى فى عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار(۱) .

____

۱ . الاثنا عشرية وأهل البيت تأليف مغنية ۴۶ .

(۳۸۶) (۳۸۷) المسألة الثامنة: مسح الأرجل فى الوضوء

اختلف المسلمون فى غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمة الأربعة إلى أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الامامية انّه المسح، وقال داود بن على والناصر للحق من الزيدية يجب الجمع بينهما وهو صريح الطبرى فى تفسيره: ونقل عن الحسن البصرى انّه مخيّر بينهما(۱) . وممّا يثير العجب اختلاف المسلمين فى هذه المسالة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول اللّه كلّ يوم وليلة فى موطنه

ومهجره، وفى حضره وسفره ومع ذلك اختلفوا فى أشدّ المسائل ابتلاءً وهذا يعرب عن أنّ الاجتهاد لعب فى هذه المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها . إنّ الذكر الحكيم تكفّل لبيان المسألة وما أبقى فيها ابهاماً واعضالا، وكان الحاضرون فى عصر النزول فهموا من الآية معنىً واحداً. إمّا المسح أو الغسل ، ________

١ . الطبرى: التفسير ۶ / ۸۶ ومفاتيح الغيب ۱۱ / ۱۶۲ والمنار ۶ / ۲۲۸ .

(۳۸۸)

ولم يتردّدوا فى حكم الرجلين أبداً. ولو خفى حكم هذه المسألة بعد رحلة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الأجيال الآتية فلا غرو فى أن يخفى على المسلمين حكم أكثر المسائل . وليس فيها شىء أوثق من كتاب اللّه فعلينا دراسة ما جاء فيه، قال سبحانه: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إلى المَرافِقِ وامْسَحُوا بِرؤوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إلى الكَعْبَيْنِ)(۱) وقد اختلف القرّاء فى قراءة (وأرجلكم إلى الكعبين) فمنهم من قرأ بالخفض، ومنهم من قرأ بالكسر. ومن البعيد أن تكون كلّ من القراءتين موصولة إلى النبىّ، فإنّ تجويزهما يضفى على الآية ابهاماً واعضالا، ويجعل الآية لغزاً، والقرآن كتاب الهداية والارشاد، وتلك الغاية تطلب لنفسها الوضوح وجلاء البيان، خصوصاً فيما يتعلّق بالأعمال والأحكام التى يبتلى بها عامّة المسلمين، ولا تقاس بالمعارف والعقائد الّتى يختصّ الامعان فيها بالأمثل فالأمثل. وعلى كل تقدير فممّن حقّق مفاد الآية وبيّنها الامام الرازى فى تفسيره، ننقل كلامه بتلخيص: قال: حجّة من قال بوجوب المسح مبنى على القراءتين المشهورتين فى قوله (وأرجلكم) وهما: الأوّل: قرأ ابن كثير و حمزة وأبو عمرو وعاصم ـ فى رواية أبوبكر عنه ـ بالجرّ . الثانى: قرأ نافع وابن عامر وعاصم ـ فى رواية حفص عنه ـ بالنصب .

أمّا القراءة بالجرّ فهى تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح فى الرأس، فكذلك فى الأرجل .

____

١ . المائدة / ۶ .

(۳۸۹)

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون الجرّ على الجوار؟ كما فى قوله: «جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» وقوله: «كَبيرُ اُناس فى بِجاد مَزَمِّل» . قيل: هذا باطل من وجوه: ۱- إنّ الكسر على الجوار معدود من اللحن الّذى قد يتحمّل لأجل الضرورة فى الشعر، وكلام اللّه يجب تنزيهه عنه . ۲- إنّ الكسر على الجوار انّما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما فى قوله: «جُحرُضَبٍّ خَرِبٍ» فإنّ «الخَرِب» لا يكون نعتاً للضبّ بل للجحر، وفى هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل . ۳- إنّ الكسر بالجوار انّما يكون بدون حرف العطف وأمّا مع حرف العطف فلم تتكلّم به العرب . وأمّا القراءة بالنصب فهى أيضاً توجب المسح، وذلك لأنّ «برؤوسكم» فى قوله (فامسحوا برؤوسكم) فى محل النصب(۱) بامسحوا لأنّه المفعول به ولكنّها مجرورة لفظاً بالباء فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز فى الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، وجاز الجر عطفاً على الظاهر . ونزيد بياناً انّه على قراءة النصب يتعيّن العطف على محل برؤوسكم ولا يجوز العطف على ظاهر «أيديكم» لاستلزامه الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بجملة أجنبية وهو غير جائز فى المفرد، فضلا عن الجملة، هذا هو الّذى يعرفه المتدبّر فى الذكر الحكيم، ولا يسوغ لمسلم أن يعدل عن القرآن إلى غيره فإذا كان هو المهيمن ________

١ . يقال ليس هذا بعالم ولا عاملا. قال الشاعر:

معاوى انّنا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

لاحظ: المغنى لابن هشام: الباب الرابع . (۳۹۰)

على جميع الكتب السماوية فأولى أن يكون مهيمناً على ما فى أيدى الناس من الحقّ والباطل والمأثورات التى الحديث فيها ذو شجون(۱) مع كونها متضاربة فى المقام، فلو ورد فيها الأمر بالغسل، فقد جاء فيها الأمر بالمسح. رواه الطبرى عن الصحابة والتابعين نشير إليه على وجه الاجمال: ۱- ابن عباس، قال: الوضوء غسلتان ومسحتان. ۲- كان أنس إذا مسح قدميه بلّهما. ولمّا خطب الحجّاج

وقال: ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه فى قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، قال أنس: صدق اللّه وكذب الحجّاج، قال اللّه (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) وكان أنس إذامسح قدميه بلّهما . ٣- عكرمة، قال: ليس على الرجلين غسل وانّما نزل فيهما المسح . ۴- الشعبى قال: نزل جبرائيل بالمسح وقال: ألاترى انّ التيمّم أن يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحاً . ۵- عامر: اُمر أن يمسح فى التيمّم ما اُمر أن يغسل بالوضوء واُبطل ما اُمر أن يمسح فى الوضوء : الرأس والرجلان. وقيل له: إنّ اُناسا يقولون: إنّ جبرائيل نزل بغسل الرجلين فقال: نزل جبرائيل بالمسح . ۶- قتادة: فى تفسير الآية: افترض اللّه غسلتين ومسحتين . ٧- الأعمش: قرأ «وأرجلكم» مخفوضة اللام . ٨- علقمة: قرأ «أرجلكم» مخفوضة اللام . ٩- الضحاك: قرأ «وأرجلكم» بالكسر .

---

١ . لاحظ الجزء الأوّل من هذه الموسوعة: فصل «علل تكوّن المذاهب وأسبابه» .

(٣٩١)

١٠- مجاهد: مثل ما تقدّم(١) . وهؤلاء من أعلام التابعين وفيهم الصحابيان: ابن عباس وأنس وقد أصفقوا على المسح وقراءة الجر الصريح فى تقديم المسح على الغسل، وجمهور أهل السنّة يحتجّون بأقوالهم فى مجالات مختلفة، ولماذا، أعرض عنهم الأئمّة الأربعة؟ أنا لا ـ أدرى . إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمّة أهل البيت وهم يُسندون المسح إلى النبى الأكرم ويحكون وضوءه به قال أبوجعفر الباقر ـ عليه السلام ـ : ألا ـ أحكى لكم وضوء رسول اللّه؟ ثمّ أخذ كفّاً من الماء فصبّها على وجهه... إلى أن قال: ثمّ مسح رأسه وقدميه. وفى رواية اُخرى ثمّ

مسح ببقيّة مابقى فى يديه، رأسه ورجليه ولم يعدهما فى الاناء(٢) . وفى ضوء هذه الروايات والمأثورات اتّفقت الشيعة الامامية على أنّ الوضوء غسلتان ومسحتان وقال السيّد بحر العلوم فى منظومته الموسومة بالدرة النجفيّة: انّ الوضوء غسلتان عندنا ومسحتان والكتاب معنا فالغسل للوجه ولليدين والمسح للرأس وللرجلين وبعد وضوح دلالة الآية، واجماع أئمّة أهل البيت على المسح، لا يبقى مجال للاستدلال على الغسل، وإليك ما ذكروا من وجوه باطلة . ١- انّ الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه ويكون غسل ________________

١ . الطبرى: التفسير ۶ / ٨٢ ـ ٨٣.

٢ . الحرّ العاملى: الوسائل ١، الباب ١۵ من أبواب الوضوء، الحديث ٩ و ١٠ . (٣٩٢)

الأرجل يقوم مقام مسحها(١) . يلاحظ عليه: أنّ أخبار الغسل معارضة بأخبار المسح، وليس شيء أوثق من كتاب اللّه فلو دلّ على لزوم المسح، لا يبقى مجال لترجيحه على روايات الغسل، والقرآن هو المهيمن على الكتب والمأثورات، والمعارض منها للكتاب لا يقام لها وزن .

وأعجب من ذلك قوله: إنّ الغسل مشتمل على المسح، مع أنّهما حقيقتان مختلفتان، فالغسل إمرار الماء على المغسول، والمسح إمرار اليد على الممسوح(٢). وهما حقيقتان مختلفتان لغة وعرفاً وشرعاً ولو حاول الاحتياط لوجب الجمع بين المسح والغسل، لا الاكتفاء بالغسل . ٢- ما روى عن على أنّه كان يقضى بين الناس فقال «وأرجلكم» هذا من المقدّم والمؤخر فى الكلام فكأنّه سبحانه قال: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واغسلوا أرجلكم وامسحوا برؤوسكم» . يلاحظ عليه: أنّ أئمّة أهل البيت كالباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ أدرى بما فى البيت وهم اتّفقوا على المسح وهل يمكن الاتّفاق على المسح، مع اعتقاد كبيرهم بالغسل. وما روى موضوع عن لسان الامام ليثيروا الشك بين أتباعه وشيعته. ولا نعلّق على احتمال التقديم والتأخير شيئاً، سوى أنّه يجعل معنى الآية شيئاً مبهماً فى المورد الّذى يطلب فيه الوضوح، إذ هى المرجع للقروى والبدوى،وللحاضر عصر النزول، والغائب عنه، فيجب أن يكون على نسق ينتقل منه إلى المراد، ثمّ إنّه ________________

١ . الرازى: مفاتيح الغيب ١١ / ١۶٢ .

۲ . قال سبحانه حاكياً عن سليمان: (رُدّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ والأعْناق) ـ ص / ۳۳ ـ أى مسح بيده على سوق الصافنات الجياد وأعناقها . (۳۹۳)

أىّ ضرورة اقتضت هذا التقديم والتأخير، مع أنّه كان من الممكن ذكر الأرجل بعد الأيدى من دون تأخير؟ ولو كان الدافع إلى التأخير هو بيان الترتيب، وانّ غسل الأرجل بعد مسح الرأس، فكان من الممكن أن يُذكر فعله ويقال «فامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين». كل ذلك يعرب عن أنّ هذه محاولات فاشلة لتصحيح الاجتهاد تجاه النص وما عليه أئمة أهل البيت من الاتّفاق على المسح . ۳- ما روى عن ابن عمر فى الصحيحين قال: تخلّف عنّا رسول اللّه فى سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، وجعلنا نتوضّأ ونمسح على أرجلنا، قال: فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» ـ مرتين أو ثلاث ـ (۱) . يلاحظ عليه: أنّ هذه الرواية على تعيّن المسح أدلّ من دلالته على غسل الرجلين فإنّها صريحة فى أنّ الصحابة كانوا يمسحون، وهذا دليل على أنّ المعروف عندهم هو المسح. وما ذكره البخارى من أنّ الانكار عليهم كان بسبب المسح لا بسبب الاقتصار على بعض الرجل، اجتهاد منه، وهو حجّة عليه لا على غيره، فكيف يمكن أن يخفى على ابن عمر حكم الرجلين حتّى يمسح رجليه عدّة سنين إلى أن ينكر عليه النبىّ المسح؟! على أنّ للرواية معنى آخر تؤيّده بعض المأثورات، فقد روى أنّ قوماً من أجلاف العرب، كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لذلك الوعيد(۲) ويؤيّد ذلك ما يوصف به بعض الأعراب بقولهم: بوّال على عقبيه، وعلى فرض كون المراد ما ذكره البخارى، فلا تقاوم الرواية نص الكتاب . ______________

۱ . صحيح البخارى ج ۱ كتاب العلم ص ۱۸ باب من رفع صوته، الحديث ۱ .

۲ . مجمع البيان ۲ / ۱۶۷ . (۳۹۴)

۴- روى ابن ماجة القزوينى عن أبى إسحاق عن أبى حية، قال: رأيت عليّاً توضّأ فغسل قدميه إلى الكعبين ثمّ قال: أردت أن اُريكم طهور نبيّكم(۱) . يلاحظ عليه: أنّ أبا حية مجهول لا يعرف، ونقله عنه أبوإسحاق الّذى شاخ ونسى واختلط وترك الناس روايته(۲) أضف إليه انّه يعارض ما رواه عنه أهل بيته، وأئمّة أهل بيته، خصوصاً من لازمه فى حياته وهو ابن عباس كما مرّ .

۵- قال صاحب المنار: وأقوى الحجج اللفظية على الامامية جعل الكعبين غاية طهارة الرجلين وهذا لا يحصل إلّا باستيعابهما بالماء، لأنّ الكعبين هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل . يلاحظ عليه: أنّا نفترض أنّ المراد من الكعبين هو ما ذكره، لكن نسأله: لماذا لا تحصل تلك الغاية إلّا باستيعابهما بالماء؟ مع أنّه يمكن تحصيل تلك الغاية بمسحهما بالنداوة المتبقية فى اليد، والاختبار سهل، فها نحن من الذين يمسحون الأرجل إلى العظمين الناتئين بنداوة اليد ولا نرى فى العمل اعضالا وعسراً .

۶- الامامية يمسحون ظاهر القدم إلى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم، ويقولون هو الكعب، ففى الرجل كعب واحد على رأيهم، فلو صحّ هذا لقال إلى الكعاب كما قال فى اليدين إلى المرافق(۳) . يلاحظ عليه: إنّ المشهور بين الامامية هو تفسير الكعب بقبّة القدم الّتى هى معقد الشراك، وهناك من يذهب إلى أنّ المراد هو المفصل بين الساق والقدم وذهب قليل منهم إلى أنّ المراد هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل وعلى كل تقدير، يصح ______________

۱ . سنن ابن ماجة ۱ / ۱۷۰ باب ما جاء فى غسل القدمين الحديث الأوّل .

۲ . لاحظ التعليقة لسنن ابن ماجة ۱۷۰ وميزان الاعتدال للذهبى ۴ / ۵۱۹، برقم ۱۰۱۳۸ و ص ۴۸۹ باب «أبو إسحاق» .

۳ . المنار ۶ / ۲۳۴ . (۳۹۵)

اطلاق الكعبين، وإن كان حدّ المسح هو معقد الشراك أو المفصل، فيكون المعنى «فامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين منكم» إذ لا شك أن كلّ مكلّف يملك كعبين فى رجليه . أضف إلى ذلك انّه لو صحّ التفسير بما ذكره يجب أن يوسع الممسوح ويحدّد بالعظمين الناتئين لا أن يبدّل المسح بالغسل، وكأنّه تخيّل أن المسح بالنداوة المتبقّية فى اليد لا يتحقّق إليهما وتجفّ اليد قبل الوصول إليهما . ولعمرى انّ هذه اجتهادات واهية، وتخرّصات لاقيمة لها فى مقابل الذكر الحكيم . ۷ - آخر ما عند صاحب المنار فى توجيه غسل

الأرجل هو التمسّك بالمصالح، حيث قال: لا يعقل لإيجاب مسح ظاهر القدم باليد المبلّلة بالماء حكمة، بل هو خلاف حكمة الوضوء، لأنّ طروء الرطوبة القليلة على العضو الّذى عليه غبار أو وسخ، يزيده وساخة، وينال اليد الماسحة حظ من هذه الوساخة . يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره استحسان لا ـ يُعرَّج عليه مع وجود النص، فلا شك انّ الأحكام الشرعية تابعة للمصالح الواقعية ولا يجب علينا أن نقف عليها، فأى مصلحة فى المسح على الرأس ولو بمقدار اصبع أو اصبعين حتّى قال الشافعى: إذا مسح الرجل باصبع واحدة أو بعض اصبع أو باطن كفه، أو أمر من يمسح له أجزأه ذلك، وهناك كلمة قيّمة للامام شرف الدين الموسوى نأتى بنصها، فقال: نحن نؤمن بأنّ الشارع المقدّس لاحظ عباده فى كل ما كلّفهم به من أحكامه الشرعية، فلم يأمرهم إلّا بما فيه مصلحتهم، ولم ينههم إلّا عمّا فيه مفسدة لهم، لكنّه مع ذلك لم يجعل شيئاً من مدارك تلك الأحكام منوطاً من حيث المصالح والمفاسد بآراء العباد، بل تعبّدهم بأدلّة قويّة عيّنها لهم، فلم يجعل لهم مندوحة عنها إلى ما سواها. وأوّل تلك الأدلّة الحكيمة كتاب اللّه عزّوجلّ، وقد حكم بمسح الرؤوس والأرجل فى الوضوء، (۳۹۶)

فلا مندوحة عن البخوع لحكمه، أمّا نقاء الأرجل من الدنس فلابدّ من احرازه قبل المسح عليها عملا بأدلّة خاصّة دلّت على اشتراط الطهارة فى أعضاء الوضوء قبل الشروع فيه(۱) ولعلّ غسل رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رجليه ـ المدعى فى أخبار الغسل ـ انّما كان من هذا الباب ولعلّه كان من باب التبرّد، أو كان من باب المبالغة فى النظافة بعد الفراغ من الوضوء واللّه أعلم(۲) .

---

۱ . ولذاترى حفاة الشيعة والعمال منهم كأهل الحرث وأمثالهم وسائر من لا يبالون بطهارة أرجلهم فى غير أوقات العبادة المشروطة بالطهارة، إذا أرادوا الوضوء غسلوا أرجلهم ثمّ توضّأوا فمسحوا عليها نقيّة جافّة .

۲ . مسائل فقهيه ۸۲ .

(۳۹۷) المسألة التاسعة: عقيدة الشيعة الإماميّة فى الصحابة

صحابة النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هم الذين رأوا النبىّ الأكرم وتشرّفوا بكرامة الصحبة وبذل لفيف منهم النفس والنفيس فى نشر الإسلام حتّى ضرب بجرانه واتّسع نطاقه. فشادوا بنيانه، ورفعوا قواعده بجهادهم المتواصل، وبلغوا ذروة المجد باستسهال المصاعب، فلولا بريق سيوفهم، وقوّة سواعدهم، وخوضهم عباب المنايا، لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ له عود. إنّ الكتاب والسنّة هما المصدران الرئيسيان عند المسلمين جميعاً، والشيعة خاصة، ولا يجوز لمسلم أن يحكم بأمر شرعىّ إلّا بالرجوع إليهما. ولا يخالفهما إلّا منافق أو تاجر بالدين . والكتاب والسنّة يثنيان على الصحابة، ومن تلى آيات الذكر الحكيم حول (۳۹۸)

المهاجرين والذين اتّبعوهم بإحسان(۱) يغبط هؤلاء ويتمنّى من صميم قلبه أن يكون أحدهم. ويدرك شأنهم، ومن استمع للآيات النازلة فى المبايعين تحت الشجرة(۲) أو أصحاب سورة الفتح(۳)فاضت عيناه دموعاً من الشوق إلى هؤلاء الذين ركبوا الطريق، ومضوا، وتعاقدوا على المنيّة . فإذا كان هذا حال الصحابة فى الذكر الحكيم فكيف يتجرّأ مسلم على تكفير الصحابة ورميهم بالردّة والزندقة أو تفسيقهم جميعاً. (سبحانك هذا بهتان عظيم) . وكيف يستطيع أن يصوّر دعوة النبى ضئيلة الفائدة أو يتهمه بعدم النجاح فى هداية قومة وارشاد اُمّته وانّه لم يؤمن به إلاّ شرذمة قليلة لا ـ يتجاوزون عدد الأصابع وانّ ما سواهم كانوا بين منافق ستر كفره بالتظاهر بالايمان، أو مرتدّ على أدباره القهقرى بعد رحلة النبىّ الأكرم . كيف يجوز لمسلم أن يصف دعوته ويقول: انّه لم يهتد ولم يثبت على الإسلام بعد مرور (۲۳) عاماً من الدعوة إلّا ثلاثة أو سبعة أو عشرة. وأى شيعى واع ادّعى ذلك؟ ومتى قال؟ وأين ذكره؟ إن هو إلّا جزء من الدعايات الفارغة ضدّ الشيعة أثارها الأمويّون فى أعصارهم، ليسقطوا الشيعة من عيون المسلمين وتلقّفتها أقلام المستأجرين لتمزيق الوحدة الإسلامية وفصم عرى الاخوّة. وترى تلك الفرية فى هذه الأيام فى كتيب نشره الكاتب أبو الحسن الندوى أسماه بـ«صورتان متعارضتان». وهو يجترّ ذلك مرّة بعد اُخرى يجتره صنائع الوهابية فى المنطقة. نعم وردت روايات فى ذلك ولكنّها لا تكون مصدراً للعقيدة ولا تتّخذ مقياساً ______________

۱ . التوبة: ۱۰۰: (والذين اتبعوهم بإحسان...) .

۲ . الفتح: ۱۸: (لقد رضى اللّه عن المؤمنين...) .

۳ . الفتح: ۲۹: (محمّد رسول اللّه والذين معه...) . (۳۹۹)

لها لأنّها روايات آحاد لا تفيد علماً فى مجال العقائد، وستوافيك دراسة متنها وسندها . إنّا لو أحصينا المهتدين فى عصر الرسول من بنى هاشم لتجاوز عددهم العشرات بدءاً من عمّه أبى طالب ومروراً بصفيّة عمّته، وفاطمة بنت أسد، وبحمزة والعباس وجعفر وعقيل وطالب وعبيدة بن الحارث «شهيد بدر» وأبى سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وجعدة بن أبى هبيرة وأولادهم وزوجاتهم، وانتهاءً بعلى ـ عليه السلام ـ وأولاده وبناته وزوجته سيّدة نساء العالمين . أمّا الذين استشهدوا فى عهد النبىّ الأكرم فهم يتجاوزون المئات ولا يشك أىّ مسلم فى أنّهم كانوا من المؤمنين الصادقين الذين حوّلهم الإسلام وأثّر فيهم، وضربوا فى حياتهم أروع الأمثلة فى الايمان والتوحيد والتضحية، بالغالى والرخيص، خدمة للمبدأ والعقيدة. ابتداءً من ياسر وزوجته سميّة أوّل شهيد وشهيدة فى الإسلام وكان الرسول يقول لهم وهو يسمع أنينهم تحت سياط التعذيب: «صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة»(۱) مروراً بمن توفّى فى مهجر الحبشة إلى شهداء بدر واُحد، وقد استشهد فى معركة اُحد سبعون صحابياً دفنهم النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصلّى عليهم وكان يزورهم ويسلّم عليهم، ثم شهداء سائر المعارك والغزوات حتّى قال النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حقّ سعد بن معاذ شهيد غزوة الخندق: اهتزّالعرش لموته، وشهداء بئر معونة ويتراوح عدد الشهداء بين ۴۰ حسب رواية أنس بن مالك أو ۷۰ حسب رواية غيره، إلى غير ذلك من الأصحاب الصادقين الأجلّاء الذين: (صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ ——————

۱ . السيرة النبوية لابن هشام ۱ / ۳۲۰ طبعة الحلبى .

(۴۰۰) قضى نَحْبَهُ و مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر وما بَدَّلُوا تَبديلا)(۱)، (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً وقالوا حَسْبُنا اللّهُ وَ نِعْمَ الوَكيلُ)(۲)، (للفُقَراءِ المُهاجرينَ الَّذِينَ اُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ و أمْوالِهُمْ يبتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً و يَنْصُرُونَ اللّهَ و رسولَهُ... * و الَّذِينَ تَبَوّءو الدّارَ والإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إلَيهِمْ ولا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حاجةً مِمّا اُوتوا ويُؤثِرُونَ على أنفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)(۳) .

أو ليست هذه الآيات تثبت نجاح النبىّ فى دعوته، وانّه اجتمع حوله رجال صالحون ومخلصون فكيف يمكن رمى مسلم يتلو الذكر الحكيم ليل نهار باعتقاده بخيبة النبىّ الأكرم فى دعوته وتهالكه فى هداية اُمّته. إنّ الموقف الصحيح من الصحابة، هو ما جاء فى كلام الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: «أين اخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة واُبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟ اوّه على اخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبّروا الفرض فأقاموه. أحيوا السنّة وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتّبعوه»(۴) . وليس ما جاء فى هذه الخطبة فريداً فى كلامه، فقد وصف أصحاب رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم صفّين، يوم فرض عليه الصلح بقوله:

---

۱ . الأحزاب / ۲۳ .

۲ . آل عمران/ ۱۷۳ .

۳ . الحشر / ۸ ـ ۹ .

۴ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۸۲ . (۴۰۱)

«ولقد كنّا مع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم، وجدّاً فى جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان انفسهما أيّهما يسقى صاحبه كاس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا، فلمّا رأى اللّه صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت،

وأنزل علينا النصر، حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للايمان عود»(۱) . هذه كلمة الامام قائد الشيعة وامامهم أفهل يجوز لمن يؤمن بإمامته أن يكفّر جميع صحابة النبى أو يفسقهم أو ينسبهم إلى الزندقة والالحاد أو الارتداد، من دون أن يقسّـمهم إلى أقسام ويصنّفهم اصنافا ويذكر تقاسيم القرآن والسنّة فى حقّهم؟ كلاًّ ولا، وهذا هو الامام على بن الحسين يـذكر فى بعض أدعيته صحابة النبىّ ويقول: اللّهمّ وأصحاب محمّـد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاصّـة الـذين أحسنوا الصحبة، والـذين أبلوا البلاء احسن فى نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى اظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوّته، وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبّته، يرجون تجارة لن تبور فى مودّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى ظلّ قرابته، فلاـ تنس لهم اللّهمّ مـا تركوا لـك وفيـك وأرضـهم من رضوانـك وبمـا حـاشوا الخلق عليـك وكـانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت فى اعزاز دينك من مظلومهم، اللّهمّ واوصل التابعين ــــــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة، الخطبة ۵۶ .

لهم باحسـان الـذين يقولون ربّنـا اغفر لنا ولإخواننا...(۱) . فـإذا كان الحال كـذلك، واتّفق الشـيعى والسـنّى على اطراء الـذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعـد ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟ إنّ موضع الخلاف ليس إلاّ فى نقطـة واحـدة وهى أنّ أهـل السـنّة يقولون بـأنّ كل من رأى النبىّ وعاشـره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالـة منـذ اللقاء إلى يوم اُدرج فى كفنـه، ولـو صـدر منه قتـل أو نهب أو زنـا أو غير ذلـك، محتجّين بمـا نسب إلى رسـول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ : أصـحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم. ولو تليت عليهم التواريخ المتضافرة يقولون بما ذكره الحسن البصرى: اولئك الذين طهّر اللّه سيوفنا عن دمائهم فلنطهّر ألسـنتنا عن أعراضهم. ولا أظن أنّ الحسن البصرى يعتقد بما قال. وقد تدرّع بهذه الكلمة وصان بها نفسه عن هجمات الأمويين الـذين كانوا يروّجون عدالـة الصـحابة فى جميع الأزمنة بل يلبسونهم ثوب العصـمة، إلى حدّ كان القدح بالصـحابى أشدّ من القدح برسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ فنفى العصـمة عن النبىّ واتهامه بالذنب قبل بعثه وبعده كان أمراً سـهلا يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل به، وأمّا من نسب صـغيرة أو كبيرة إلى صحابى فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلاّ فالقتل.. فـإذا كـان هـذا هو محلّ النزاع أى عدالـة الكل بلا اسـتثناء أو تصـنيفهم إلى مؤمن وفاسق ومثالى وعادى، إلى زاهـد ومتوغّل فى حبّ الدنيا، إلى عالم بالشـريعة وعامل بها وجاهل لا يعرف منها إلاّ شيئاً طفيفاً، فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنّة مجرّدين عن كل رأى مسبق لا النزول على العاطفة الّتى تحمل المسلم ــــــــــــــــــــ

۱ . الصحيفة السجادية: الدعاء ۴ .

على الحكم بنزاهـة الصـحابة كلّهم، ورفض ما خلّفته الحوافز . ولأجل اماطـة الستر عن وجه الحقيقـة نـذكر اُموراً: الصـحابة فى القرآن الكريم:

۱- إنّ القرآن الكريم يصـنّف الصـحابة إلى اصـناف مختلفـة، فهو يتكلّم عن السابقين الأوّلين، والمبايعين تحت الشـجرة، والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم،وأصـحاب الفتح، إلى غير ذلك من الأصناف المثالية، الذين يثنى عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفى مقابـل ذلـك يـذكر أصـنافاً اُخرى يجب أن لاـ تغيب عن أذهاننا وتلك الأصـناف هى التاليـة: ۱- المنافقون المعروفون(۱) . ۲- المنافقون المتستّرون الذين لا يعرفهم النبىّ(۲) . ۳- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب(۳) . ۴- السمّاعون لأهل الفتنة(۴) . ۵- المجموعة الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً(۵) . ۶- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر(۶) . ــــــــــــــــــــ

۱ . المنافقون / ۱ .

۲ . التوبة / ۱۰۱ .

۳ . الأحزاب/ ۱۱ .

۴ . التوبة / ۴۵ ـ ۴۷ .

۵ . التوبة / ۱۰۲ .

۶ . آل عمران / ۱۵۴ . (۴۰۴)

۷- الفاسق أو الفسّاق الـذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم(۱) . ۸- المسلمون الذين لم يدخل الإيمان فى قلوبهم(۲) . ۹- المؤلّفة قلوبهم الذين يظهرون الإسـلام ويتآلفون بدفع سـهم من الصدقة إليهم لضـعف يقينهم(۳) . ۱۰- المولّون أمام الكفّار(۴) . هذه الأصـناف إذا انضمّت إلى الأصناف المتقدّمة، تعرب عن أنّ صحابة النبىّ الأكرم لم يكونوا على نمط واحد، بل كانوا مختلفين من حيث قوّة الإيمان وضـعفه، والقيام بالوظائف والتخلّى عنها، فيجب اخضاعهم لميزان العدالة الّذى توزن به أفعال جميع الناس، وعندئذ يتحقّق انّ الصحبة لا تعطى لصـحابها منقبة إلّا إذا كان أهلا لها، ومع ذلک فكيف يمكن رمى الجميع بسهم واحد واعطاء الدرجة الواحدة للجميع، وهذا هـو رأى الشـيعة فيهـم، وهـو نفس النتيجة الّتى يخرج بهـا الإنسـان المتـدبّر للقرآن الكريم . ۲- إنّ الآيـات الّتى تنـاولت المهـاجرين والأنصـار، وغيرهـم بالمـدح والثنـاء، لا تـدلّ على أزيـد من أنّهم كانوا حين نزول القرآن مُثلا للفضل والفضـيلة ولكن الُامور انّما تعتبر بخواتيمها، فيحكم عليهم ـ بعد نزول الآيات ـ بالصـلاح والفلاح إذا بقوا على ما كانوا عليه من الصـفات، وأمّا لو ثبت عن طريق السـنّة أو التاريـخ الصـحيح انّه صـدر عن بعضـهم ما لا تحمـد عاقبته، فحينئـذ لا مندوحـة لنا إلّا الحكم بـذلک، ولا يعـد مثل ذلک معارضـاً للقرآن الكريم لأنّه ناظر إلى أحوالهم فى ________________

۱ . الحجرات / ۶، السجدة / ۱۸ .

۲ . الحجرات / ۱۴ .

۳ . التوبة / ۶۰ .

۴ . الأنفال / ۱۵ ـ ۱۶ . (۴۰۵)

ظروف خاصّة، لافى جميع فصول حياتهم، فليس علينا رفع اليد عن السـنّة والتاريخ الصـحيح بحجّة أنّ القرآن الكريم مدحهم وأنّ اللّه رضـى عنهم، لمـا عرفت من أنّ المقياس القاطع للقضاء هو دراسـة جميع أحوالهم، فكم من مؤمن زلّ قـدمه فى الحياة، فعاد منافقاً، أو مرتدّاً، وكم من ضالّ شـملته العناية الإلهية فبصر الطريق وصار رجلا إلهياً، وبالجملة فمن ثبت عن طريق الدليل الصحيح انحرافه وزيغه عن الصـراط المسـتقيم وشوب ايمـانه بالظلم والعيث والفساد، فيؤخـذ بما هو الثابت فى ذينک المصـدرين، وأمّا من لم يثبت زيغه فلا نتكلّم فى حقّه بشىء سوى ما أمر اللّه به سبحانه من طلب الرحمة لهم حيث قال: (رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولاِخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإيمانِ)(۱) . ۳- ومن سوء الحظ انّ شـرذمة قليلـة من الصـحابة، زلّت أقـدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمس دراسـة أحوال هؤلاء القليلين، وتبيين مواقفهم، وانحرافهم عن الطريق المسـتقيم بكرامة الباقين، ولعلّ عدد المنحرفين (غير المنافقين) لا يتجاوز العشرة إلّا بقليل . أفيسوغ فى ميزان النصـفة رمى الشـيعة بأنّهم يكفّرون الصـحابة ويفسّـقونهم بحجّـة أنّهم يدرسون حياة عدّة قليلة منهم ويذكرون مساوئ أعمالهم، ومـا يؤاخـذ عليهم على ضوء الكتاب والسـنّة والتاريـخ الصـحيح . وما نسب إلى الحسن البصـرى فهو أولى بالاعراض عنه إذ لو كانت النجاة فى ترک ذكرهم فلماذا اهتمّ ببيان أفعالهم وصـفاتهم التاريـخ المؤلّف بيد السـلف الصالح الذين كانوا يحترمون الصـحابة مثلما يحـترمهم الخلف، فلو كـان الحق ترک التكلّم فيهم واعـذارهم بالاجتهـاد، فلمـاذا وصف النـبى الأـكرم بعضـهم بالارتـداد، كمـا رواه

۱ . الحشر / ۱۰ .

(۴۰۶)

البخاری وغیره(۱) . وإذا دار الأمر بین کون القرآن أو النبی أسوة، أو الکلمة المأثورة عن الحسن البصری، فالأوّل هو المتعیّن، ویضرب بالثانی عرض الجدار . الردّة بعد وفاة الرسول ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ :

بقیت هنا کلمة وهی: إذا کان موقف الشیعة وأئمّتهم من الصحابة ما ذکر آنفاً فما معنی ما رواه أبو عمرو الکشی من أنّه ارتدّ الناس بعد رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ إلاّ ـ ثلاثة. إذ لو صحّ ما ذکر، وجب الالتزام بأنّ النبیّ الأکرم لم ینجح فی دعوته ولم تتخرّج من مدرسته إلاّ قلائل لا یعتد بهم فی مقابل ما ضحّی به من النفس والنفیس. والاجابة علی هذا السؤال واضحة لمن تفحّص عنها سنداً ومتناً. فإنّ ما رواه لا یتجاوز السبع روایات. وهی بین ضعیف لا یعرج علیه، وموثق ـ حسب اصطلاح علماء الامامیة فی تصنیف الأحادیث ـ وصحیح قابلین للتأویل، ولا یدلان علی الارتداد عن الدین، والخروج عن الإسلام بل یرمیان إلی أمر آخر . أمّا الضعیف فهو ما رواه الکشی عن حمدویه وإبراهیم أبناء نصیر قال: حدثنا محمّد بن عثمان عن حنان بن سدیر عن أبیه عن أبی جعفر ـ علیه السلام ـ قال: کان الناس أهل الردّة بعد النبی إلاّ ثلاثة...(۲) . وکفی فی ضعفها وجود محمّد بن عثمان فی سنده وهو من المجاهیل . وما رواه أیضاً عن علی بن الحکم عن سیف بن عمیرة عن أبی بکر الحضرمی

۱ . صحیح البخاری ۵ / ۱۱۸ ـ ۱۱۹ فی تفسیر سورة النور .

۲ . رجال الکشی ۱۲ الحدیث ۱ . (۴۰۷)

قال: قال أبو جعفر ـ علیه السلام ـ : ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة نفر: سلمان و أبوذر والمقداد(۱). وکفی فی ضعفها انّ الکشی من أعلام القرن الرابع الهجری القمری فلا یصحّ أن یروی عن علی بن الحکم سواء أکان المراد منه الأنباری الراوی عن ابن عمیر المتوفّی عام ۲۱۷ أو کان المراد الزبیری الّذی عدّه الشیخ من أصحاب الرضا ـ علیه السلام ـ المتوفّی عام ۲۰۳ . وما نقله أیضاً عن حمدویه بن نصیر قال: حدثنی محمّد بن عیسی ومحمّد ابن مسعود قال: حدثنا جبرئیل بن أحمد. قال: حدثنا محمّد بن عیسی عن النضر بن سوید عن محمّد بن البشیر عمّن حدثه قال: ما بقی أحد إلاّ وقد جال جولة إلاّ المقداد بن الأسود فإنّ قلبه کان مثل زبر الحدید(۲) . والروایة ضعیفة بجبرئیل بن أحمد فانّه مجهول کما أنّها مرسلة فی آخرها. وأمّا الروایات الباقیة فالموثق عبارة عمّا ورد فی سنده علی بن الحسن بن فضال والثلاثة الباقیة صحیحة ومن أراد الوقوف علی اسنادها ومتونها فلیرجع إلی رجال الکشی(۳) . ومع ذلک کلّه فإنّ هذه الروایات لا ـ یحتج بها أبداً لجهات عدیدة نشیر إلی بعض منها . ۱- کیف یمکن أن یقال انّه ارتدّ الناس بعد رسول اللّه ولم یبق إلاّ ـ ثلاثة تمسّکوا بولایة علی ولم یعدلوا عنها مع أنّ ابن قتیبة والطبری رویا انّ جماعة من

۱ . رجال الکشی ۱۶ الحدیث ۱۳ .

۲ . رجال الکشی ۱۶ الحدیث ۱۱ .

۳ . رجال الکشی ۱۳ الحدیث ۳ ـ ۴ ـ ۶ و ۷ . (۴۰۸)

بنی هاشم وغیرهم تحصَّنوا فی بیت علی معترضین علی ما آل إلیه أمر السقیفة. ولم یترکوا بیت الامام إلاّ بعد التهدید والوعید واضرام النار أمام البیت. وهذا یدل علی انّه کان هناک جماعة مخلصین بقوا أوفیاء لما تعهّدوا به فی حیاة النبیّ ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وإلیک نص التاریخ. قال ابن قتیبة: «إنّ بنی هاشم اجتمعت عند بیعة الأنصار إلی علی بن أبی طالب، ومعهم الزبیر ابن العوام ـ رضی الله عنه ـ ...(۱) . وقال فی موضع آخر: إنّ أبابکر ـ رضی الله عنه ـ تفقّد قوماً تخلّفوا عن بیعته عند علی ـ کرم اللّه وجهه ـ فبعث إلیهم عمر فجاء فناداهم وهم فی دار علی فأبوا أن یخرجوا فدعا بالحطب وقال: والّذی نفس عمر بیده لتخرجنّ أو لأُحرقنّها علی من فیها، فقیل به: یا ابا حفص انّ فیها فاطمة فقال: وإن...(۲) . وقال الطبری: قال: أتی عمر بن الخطاب منزل علی وفیه طلحة والزبیر ورجال من المهاجرین فقال: واللّه لأُحرقنّ علیکم أو لتخرجنّ إلی البیعة. فخرج علیه الزبیر مصلتاً بالسیف فعثر فسقط السیف من یده فوثبوا علیه فأخذوه(۳) . وقال ابن واضح الاخباری: وتخلّف عن بیعة أبی بکر قوم من المهاجرین والأنصار ومالوا مع علی بن أبی طالب منهم

العباس بن عبدالمطلب، والفضل ابن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب وأُبى بن كعب. فأرسل أبوبكر إلى عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح والمغيرة

---

۱ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۰ ـ ۱۲ .

۲ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۰ ـ ۱۲ .

۳ . تاريخ الطبرى ۲ / ۴۴۲ . (۴۰۹)

ابن شعبة فقال: ما الرأى؟ قالوا: الرأى أن تلقى العباس بن عبدالمطلب فتجعل له فى هذا الأمر نصيباً...(۱) . كل ذلك يشهد على انّه كان هناك اُمّة بقوا على ما كانوا عليه، فى عصر الرسول الأعظم، ولم يغترّوا بانثيال الأكثرية إلى غير ما كان الحق يدور مداره. وكيف يمكن ادّعاء الردّة لعامة الصحابة إلاّ القليل . ۲- كيف يمكن أن يقال ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة مع أنّ الصدوق ـ رضى الله عنه ـ ذكر عدة من المنكرين للخلافة فى أوائل الأمر وقد بلغ عددهم اثنا عشر رجلا من المهاجرين والأنصار وهم خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، واُبى ابن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبوذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وعبداللّه بن مسعود، وبريدة الأسلمى، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصارى، وأبو هيثم ابن التيهان وغيره . ثمّ ذكر اعتراضاتهم على مسألة الخلافة واحداً بعد واحد (۲). ۳- إنّ وجود الاضطراب والاختلاف فى عدد من استثناهم الامام يورث الشك فى صحّتها ففى بعضها «إلاّ ثلاثة» وفى البعض الآخر إلاّ سبعة وفى ثالث «إلاّ ستة» فإنّ التعارض وإن كان يمكن رفعه بالحمل على اختلافهم فى درجات الايمان غير أنّه على كل تقدير يوهن الرواية . ۴- كيف يمكن انكار ايمان أعلام من الصحابة مع اتّفاق كلمة الشيعة والسنّة على علو شأنهم كأمثال بلال الحبشى، وحجر بن عدى، واويس القرنى، ومالك بن نويرة المقتول ظلماً على يد خالد بن الوليد، وعباس بن عبدالمطلب

---

۱ . تاريخ اليعقوبى ۲ / ۱۲۴ .

۲ . الخصال: الشيخ الصدوق أبواب الاثنى عشر ۴۶۱ ـ ۴۶۵ . (۴۱۰)

وابنه حبر الاُمّة وعشرات من أمثالهم، وقد عرفت أسماء المتخلّفين عن بيعة أبى بكر فى كلام اليعقوبى، أضف إلى ذلك انّ رجال البيت الهاشمى كانوا على خط الامام ولم يتخلّفوا عنه وانّما غمدوا سيوفهم اقتداءً بالامام لمصلحة عالية ذكرها فى بعض كلماته(۱) . واقصى ما يمكن أن يقال فى حقّ هذه الروايات هو انّه ليس المراد من الارتداد، الكفر والضلال والرجوع إلى الجاهلية وانّما المراد عدم الوفاء بالعهد. الّذى اُخذ منهم فى غير واحد من المواقف وأهمّها غدير خم. ويؤيّد ذلك: ما رواه وهب بن حفص عن ابى بصير عن أبى جعفر: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم ـ بعدما بويع أبوبكر ـ إلى على وقالوا له: أنت والله أميرالمؤمنين، أنت واللّه أحقّ الناس وأولاهم بالنبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هلمّ يدك لنبايعك فواللّه لنموتنّ قدامك. فقال على ـ عليه السلام ـ : إن كنتم صادقين فاغدوا غداً علىّ محلّقين. فحلق أميرالمؤمنين وحلق سلمان وحلق مقداد وحلق أبوذر ولم يحلق غيرهم(۲). وهذه الرواية قرينة واضحة على أنّ المراد هو نصرة الامام ـ عليه السلام ـ لأخذ الحق المغتصب فيكون المراد من الردّة هو عدم القتال معه . وممّا يؤيّد ذلك أيضاً الرواية الّتى جاء فيها انّ قلب المقداد بن الأسود كزبر الحديد، فهى وإن كانت ضعيفة السند، لكن فيها اشعار على ذلك لأنّ وصف قلب المقداد اشارة إلى ارادته القوية وثباته فى سبيل استرداد الخلافة . وظنّى انّ هذه الروايات صدرت من الغلاة والحشوية دعماً لأمر الولاية وتفانياً فى الاخلاص غافلين عن أنّها تضاد القرآن الكريم وما روى عن

---

۱ . نهج البلاغة، قسم الرسائل برقم ۶۲ .

۲ . لاحظ الرجال للكشى ۱۴ الحديث ۷ من هذا الباب . (۴۱۱)

أميرالمؤمنين وحفيده سيد الساجدين، من الثناء والمدح لعدّة من الصحابة. وهناك كلمة قيّمة للعلاّمة السيد محسن الأمين العاملى

نذكر نصّه وهو يمثّل عقيدة الشيعة فقال: وقالت الشيعة حكم الصحابة فى العدالة حكم غيرهم ولا يتحتّم الحكم بها بمجرّد الصحبة وهى لقاء النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مؤمناً به ومات على الإسلام. وانّ ذلك ليس كافياً فى ثبوت العدالة بعد الاتّفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته، لزمنا له من التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فى سبيل اللّه ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وبسر بن أرطاة وبعض بنى اُمية وأعوانهم، ومن جهلنا حاله فى العدالة توقّفنا فى قبول روايته . وممّا يمكن أنّ يذكر فى المقام انّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ توفّى ومن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف انسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر فى الاصابة عن أبى زرعة الرازى: «وقيل مات ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن مائة وأربعة عشر ألف صحابى» ومن الممتنع عادة أن يكون هذا العدد فى كثرته وتفرّق أهوائه وكون النفوس البشرية مطبوعة على حبّ الشهوات كلّهم قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعة عن صدور الكبائر، والاصرار على الصغائر بمجرّد رؤية النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والايمان به، ونحن نعلم أنّ منهم من أسلم طوعاً ورغبة فى الإسلام ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلّفة قلوبهم، وما كانت هذه الاُمّة إلاّ كغيرها من الاُمم الّتى جبلت على حبّ الشهوات وخلقت فيها الطبائع القائدة إلى ذلك إن لم يردع رادع والكل من بنى آدم وقد صحّ عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّه قال: «لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتّى لو دخل أحدهم (۴۱۲)

جحر ضب لدخلتموه». ولو منعت رؤية النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الّذى حصل من جماعة منهم كعبداللّه بن جحش، وعبيداللّه بن خطل، وربيعة بن اُمية بن خلف والأشعث بن قيس(۱) وغيرهم. هذا مع ما شوهد من صدور اُمور من بعضهم لاتتّفق مع العدالة كالخروج على أئمّة العدل، وشق عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسب والشتم وحرب المسلمين وغشهم، والقاح الفتن والرغبة فى الدنيا، والتزاحم على الامارة والرئاسة وغير ذلك ممّا تكفّلت به كتب الآثار والتواريخ وملأ الخافقين. وأعمال مروان بن الحكم فى خلافة عثمان معلومة مشهورة، وكذلك بسر بن أرطاة والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وكلّهم من الصحابة(۲) . وحصيلة البحث: انّ موضع الاختلاف، ومصبّ النزاع ليس إلاّ ـ كون عدالة الصحابة قضية كلية، أو جزئيّة، فالسنّة على الاُولى والشيعة على الثانية وأمّا ما سواها من سبّ الصحابة ولعنهم، أو ارتدادهم عن الدين بعد رحلة الرسول أو عدم حجية رواياتهم على وجه الاطلاق فانّها تهم اموية ناصبية، اتّهم بها شيعة آل محمّد وهم برآء منها. ونعم الحكم اللّه. فالشيعة يعطون لكل ذى حقّ حقّه، فيأخذون معالم دينهم عن ثقاة الصحابة، ولا يتكلّمون فى حقّ من لم يتعرّفوا على حاله، ويحكمون على القسم الثالث على ضوء الكتاب والسنّة . إنّ هناك رجالا من السلف لا يجوز حبّهم ولا يصحّ الترحّم عليهم ـ حسب الموازين الشرعية ـ، منهم: ________

۱ . الثلاثة الأوّلون ارتدّوا وماتوا على الردّة، والأشعث ارتدّ فاُتى به إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أسيراً فعاد إلى الإسلام وزوّجه اُخته، وكانت عوراء فأولدها محمّداً أحد قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ .

۲ . الأمين: أعيان الشيعة ۱ / ۱۱۳ ـ ۱۱۴ . (۴۱۳)

۱- معاوية بن أبى سفيان ويكفى فى حقّه ما ذكره الجاحظ فى رسائله: قال فى رسالته فى بنى اُميه والآثام الّتى اقترفوها: استوى معاوية على الملك، واستبدّ على بقيّة أهل الشورى، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار فى العام الّذى سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الّذى تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسرويا، والخلافة غصباً قيصريا، ثمّ مازالت معاصيه من جنس ما حكيناه، وعلى منازل ما رتّبناه، حتّى ردّ قضية رسول اللّه ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهرا(۱)، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار . أو ليس قتل حجر بن عدى واطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفيئ واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة، وسواء جحد الكتاب، وردّ السنّة إذا كانت فى شهرة الكتاب وظهوره، وإلاّ أنّ أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه

أشد(۲) . وقد أربت نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت: لا تسبّوه فانّ له صحبة وسبّ معاوية بدعة، ومن بغضه فقد خالف السنّة، فزعمت أنّ من السنّة ترک البراءة ممّن جحد السنّة(۳) . ۲- عمرو بن العاص الّذى ألّب على عثمان وسُرّ بقتله، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه من كان من أشدّ المدافعين عنه، وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء ــــــــــــــــــ

۱ . إشارة إلى استلحاق زياد بن أبيه وليد فراش غير أبى سفيان .

۲ . أى ردّ السنّة مثل ردّ الكتاب إذا بلغت السنّة فى الشهرة، شهرة الكتاب .

۳ . الجاحظ: رسائل الجاحظ ۲۹۴ طبع مصر . (۴۱۴)

عنه وتعجيل قتله. كل ذلک كان من ابن العاص حبّاً بخراج مصر، لا بعثمان ولا بمعاوية أيضا، والعجب أنّ الرسول تنبّأ بذلک وصرح بأنّهما لا يجتمعان إلّا على غدر(۱) . ۳- يزيد الخليع المستهتر خليفة معاوية الّذى ولّى ثلاث سنين بعده، فقتل فى الاُولى الحسين، وفى الثانية أغار على المدينة وقتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى وأباح أعراضهم، وفى الثالثة رمى الكعبة(۲) وكفى فى كفره وإلحاده جهره بقول ابن الزبعرى: لعبت هاشم بالملک فلا * خبر جاء ولا وحى نزل ۴- مروان بن الحكم الّذى كان من أشدّ الناس بغضاً لأهل البيت. قال ابن حجر: ومن أشدّ الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم(۳). روى الحاكم أنّ عبدالرحمان بن عوف ـ رضى الله عنه ـ قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلّا اُتى به النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فاُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو وزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون(۴) . ۵- الوليد بن عقبة شارب الخمر، والزائد فى الفريضة(۵) . ۶- عبداللّه سعد بن أبى سرح الّذى أهدر النبىّ دمه(۶) . ۷- الوليد بن يزيد بن عبدالملک الّذى يخاطب كتاب اللّه العزيز بعد أن ألقاه ــــــــــــــــــ

۱ . ابن حجر: تطهير الجنان ۱۰۲، المطبوع على هامش الصواعق المحرقة .

۲ . ابن الجوزى: تذكرة الخواص، فصل يزيد بن معاوية ۲۵۷ .

۳ . ابن حجر: الصواعق المحرقة .

۴ . الحاكم: المستدرک ۴ / ۴۷۹ .

۵ . البلاذرى: الانساب ۵ / ۳۳ وأحمد بن حنبل: المسند ۱ / ۱۴۴ .

۶ . الطبرى: التاريخ، الجزء ۳ / ۲۹۵، فصل: ذكر الخبر عن فتح . (۴۱۵)

ورماه بالسهام بقوله: تهدّدنى بجبّار عنيد * فها أنا ذاک جبّار عنيد إذا ماجئت ربّک يوم حشر * فقل يا ربّ مزّقنى الوليد(۱) هؤلاء وأضرابهم، هم الذين تتبرّأ الشيعة منهم وتحكم عليهم بما حكم اللّه به عليهم. أفيصح تكفير الشيعة وتفسيقهم لأجل سبّ هؤلاء والتبرّى منهم . ويقول السيوطى: إنّ الوليد هذا كان فاسقاً خميراً لوّاطا، راود أخاه سليمان عن نفسه ونكح زوجات أبيه(۲) . إلى غير ذلک من رجال العيث والفساد، أفيصح فى ميزان العدل والنصفة مؤاخذة الشيعة لأجل رفض هؤلاء الفسقة. الخارجين عن ولاية اللّه ودينه . ــــــــــــــــــ

۱ . ابن الأثير: الكامل فى التأريخ ۵ / ۱۰۷ .

۲ . جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء ۹۷ . (۴۱۶) (۴۱۷) المسألة العاشرة: الالتزام بالسجدة على الأرض أو ما أنبتته

السجدة فى الصلاة وغيرها، من مظاهر العبودية أمام المسجود له، ومن أركان الصلاة وفى بعض المأثورات «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده» فمهما أتى بالتذلّل والخضوع كان أوقع وافضل فى العبودية، فالسجود على التراب والرمل والحجر والحصى أبين لبيان العبودية والتصاغر، من السجود على الحصر والبوارى، فضلا عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الغالية والذهب والفضة، وإن كان الكل سجوداً، لكن العبودية تتجلّى فى الأوّل بما لا تتجلّى فى غيره . والامامية ملتزمة بالسجدة على الأرض فى حضرهم وسفرهم، ولا ـ يعدلون عنها إلاّ ـ إلى ما اُنْبِت منها من الحصر والبوارى بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس. ولا يرون الجسود على غيرهما صحيحاً فى حال الصلاة أخذاً بالسنّة المتواترة عن النبىّ الأكرم وأهل بيته وصحبه. وسيظهر ـ فى ثنايا البحث ـ أن الالتزام بالسجود على

الأرض أو (۴۱۸)

ما أنْبتت، كانت هى السنّة بين الصحابة وانّ العدول عنها حدث فى الأزمنة المتأخّرة، ولأجل توضيح المقام نقدم اُموراً: ۱- اختلاف الفقهاء فى شرائط المسجود عليه:

اتّفق المسلمون على وجوب السجود فى الصلاة فى كل ركعة مرّتين، ولم يختلفوا فى المسجود له فإنّه هو اللّه سبحانه الّذى له يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرها(۱) وشعار كل مسلم قوله سبحانه: (لا ـ تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا ـ للقَمَرِ واسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ)(۲) وانّما اختلفوا فى شروط المسجود عليه ـ أعنى ما يضع الساجد جبهته عليه ـ فالشيعة الامامية على أنّه يشترط أن يكون المسجود عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا ـ ملبوس كالحصر والبوارى، وما أشبه ذلك. و خالفهم فى ذلك غيرهم من المذاهب وإليك نقل الآراء . قال الشيخ الطوسى(۳) وهو يبيّن آراء الفقهاء: لا يجوز السجود إلّا على الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتان مع الاختيار. وخالف جميع الفقهاء فى ذلك وأجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك ـ إلى أن قال ـ : لا يجوز السجود على شىء هو حامل له ككور العمامة، وطرف الرداء، وكم القميص، وبه قال الشافعى، وروى ذلك عن على ـ عليه الصلاة والسلام ـ وابن عمرو عبادة بن الصامت، ومالك،وأحمد بن حنبل، ـــــــــــــــــــ

۱ . إشارة إلى قوله سبحانه: (ولِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمواتِ والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً وضلالُهُم بِالغُدُوِّ وَ الآصالِ) ـ الرعد / ۱۵ ـ .

۲ . فصّلت / ۳۷ .

۳ . من أعلام الشيعة فى القرن الخامس صاحب التصانيف والمؤلّفات ولد ۳۸۵ توفّى عام ۴۶۰ من تلاميذ الشيخ المفيد ۳۳۶ ـ ۴۱۳، والسيد الشريف المرتضى ۳۵۵ ـ ۴۳۶ـ رضى الله عنهم ـ . (۴۱۹)

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب الّتى عليه، أجزأه، وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفترش يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه، وروى ذلك عن الحسن البصرى(۱) . وقال العلّامة الحلّى(۲) ـ وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه ـ : لا ـ يجوز السجود على ما ليس بارض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع، وأطبق الجمهور على الجواز . وقد اقتفت الشيعة فى ذلك أئمّتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه فى حديث الثقلين نكتفى بالنزر القليل: روى الصدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبى عبداللّه ـ عليه السلام ـ : أخبرنى وعمّا يجوز السجود عليه، عمّا لا يجوز؟ قال: السجود لا يجوز إلّا على الأرض، أو على ما أنبتت الأرض إلّا ما اُكل أو لبس. فقال له: جعلت فداك ما العلّة فى ذلك؟ قال: لأنّ السجود خضوع للّه عزّوجلّ فلا ـ ينبغى أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد فى سجوده فى عبادة اللّه عزّوجلّ، فلا ينبغى أن يضع جبهته فى سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا لغرورها(۳) . فلا ـ عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته إذا لم يكن مأكولا ولا ملبوساً اقتداءً بأئمّتهم، على أنّ ما رواه أهل السنّة فى المقام، ـــــــــــــــــــ

۱ . الخلاف ۱ / ۳۵۷ ـ ۳۵۸ كتاب الصلاة، المسألة ۱۱۲ ـ ۱۱۳ .

۲ . الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّى ۶۴۸ ـ ۷۲۶ وهو اُستاذ الشيعة فى قرن السابع لا يسمع الدهر بمثله إلّا فى فترات خاصة .

۳ . الوسائل ۳ الباب ۱ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ۱، وهناك روايات بمضمونه. والكل يتضمن انّ الغاية من السجود الّتى هى التذلل لا تحصل بالسجود على غيرهما فلاحظ . (۴۲۰)

يدعم نظرية الشيعة وسيظهر لك فيما سيأتى من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح انّ السنّة كانت هى السجود على الأرض، ثم جاءت الرخصة فى الحصر والبوارى فقط، ولم يثبت الترخيص الآخر بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك . ۲- الفرق بين المسجود له والمسجود عليه:

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت، بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه، وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين المسجود له، والمسجود عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربة الموضوعة أمام المصلّى، وثناً يعبده المصلّى بوضع الجبهة عليه. ولكن

لاعتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرّق بين الأمرين وزعم المسجود عليه، مسجوداً له، وقاس أمر الموحّد، بأمر المشرك بحجّة المشاركة فى الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر مع أنّ الملاك هو الأخذ بالبواطن والضمائر، فالوثن عند الوثنى معبود ومسجود له يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحّد الّذى يريد أن يصلّى فى أظهار العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع للّه سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر، والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلا: أين التراب وربّ الأرباب .

۳- السنّة فى السجود فى عصر الرسول وبعده:

إنّ النبىّ الأكرم وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض مدّة لا يستهان بها، متحمّلين شدّة الرمضاء وغبار التراب ورطوبة الطين، طيلة أعوام. ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب وكور العمامة بل ولا على الحصر والبوارى والخمر، وأقصى ما كان عندهم لرفع الأذى عن الجبهة، هو تبريد الحصى بأكفّهم ثمّ السجود (۴۲۱)

عليها، وقد شكى بعضهم رسول اللّه من شدّة الحر، فلم يجبه، إذ لم يكن له أن يبدل الأمر الإلهى من تلقاء نفسه، إلى أن ورد الرخصة بالسجود على الخمر والحصر فوسع الأمر للمسلمين لكن فى اطار محدود، وعلى ضوء هذا فقد مرّت فى ذلك المجال على المسلمين مرحلتان لا غير: ۱- ما كان الواجب فيها على المسلمين، السجود على الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصى والطين، ولم تكن هناك أية رخصة . ۲- المرحلة التى ورد فيها الرخصة بالسجود على نبات الأرض من الحصر والبوارى والخمر، تسهيلا للأمر، ورفعاً للحرج والمشقّة ولم تكن هناك أية مرحلة اُخرى توسع الأمر للمسلمين أكثر من ذلك كما يدّعيه أهل السنّة وإليك البيان: المرحلة الاُولى: السجود على الأرض:

۱- روى الفريقان عن النبىّ الأكرم أنّه قال: «وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»(۱) . والمتبادر من الحديث انّ كل جزء من الأرض مسجد وطهور يُسْجد عليه ويُقْصَد للتيمّم، وعلى ذلك فالأرض تقصد للجهتين: للسجود تارة والتيمّم اُخرى. وأمّا تفسير الرواية بأنّ العبادة والسجود للّه سبحانه لا يختص بمكان دون مكان، بل الأرض كلّها مسجد للمسلمين بخلاف غيرهم حيث خصّوا العبادة بالبيع والكنائس، فهذا المعنى ليس مغايراً لما ذكرناه، فانّه إذا كانت الأرض على وجه الاطلاق مسجداً للمصلّى فيكون لازمه كون الأرض كلّها صالحة للعبادة، فما ذكر ________________

۱ . صحيح البخارى ۱ / ۹۱ كتاب التيمّم الحديث ۲ وسنن البيهقى ۲ / ۴۳۳ باب: أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد، ورواه غيرهما من أصحاب الصحاح والسنن .

(۴۲۲)

معنى التزامى لما ذكرناه، ويعرب عن كونه المراد ذكر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولين لـ «جعلت» والنتيجة هو توصيف الأرض بوصفين كونه مسجداً وكونه طهوراً، وهذا هو الّذى فهمه الجصاص وقال: إنّ ما جعله من الأرض مسجداً هو الّذى جعله طهوراً(۱) . ومثله غيره من شرّاح الحديث . تبريد الحصى للسجود عليها:

۲- عن جابر بن عبداللّه الأنصارى، قال: كنت اُصلّى مع النبىّ الظهر، فآخذ قبضة من الحصى، فأجعلها فى كفّى ثمّ اُحوّلها إلى الكف الاُخرى حتّى تبرد ثمّ أضعها لجبينى حتّى أسجد عليها من شدّة الحر(۲) . وعلّق عليه البيهقى بقوله: قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متّصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود(۳). ونقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلًا أم منفصلا جائزاً لكان أسهل من تبريد الحصى ولأمكن حمل منديل أو ما شابه للسجود عليه . ۳- روى أنس قال: كنّا مع رسول اللّه فى شدّة الحرّ فيأخذ أحدنا الحصباء فى يده فإذا برد وضعه وسجد عليه(۴) . ۴- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللّه شدة الرمضاء فى جباهنا ________________

۱ . احكام القرآن للجصاص ۲ / ۳۸۹ نشر بيروت .

۲ . مسند أحمد ۳ / ۳۲۷ من حديث جابر وسنن البيهقى ۱ / ۴۳۹ باب ما روى فى التعجيل بها فى شدة الحرّ .

٣ . سنن البيهقى ٢ / ١٠۵ .

۴ . السنن الكبرى ٢ / ١٠۶ . (۴٢٣)

وأكفّنا فلم يشكنا(١) . ۵- قال ابن الاثير فى معنى الحديث: إنّهم لمّا شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم(٢) . هذه المأثورات تعرب عن أنّ السنّة فى الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط حتّى انّ الرسول لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصلة أو المنفصلة وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مس جباههم الأرض، وإن آذتهم شدة الحر . والّذى يعرب عن التزام المسلمين بالسجود على الأرض وعن اصرار النبيّ الأكرم بوضع الجبهة عليها لا على الثياب المتصله ككور العمامة أو المنفصلة كالمناديل والسجاجيد، ما روى من حديث الأمر بالتتريب فى غير واحد من الروايات . الأمر بالتتريب:

۶- عن خالد الجهنى قال: رأى النبيّ صهيباً يسجد كأنّه يتّقى التراب فقال له: ترّب وجهك يا صهيب(٣) . ٧- والظاهر أنّ صهيباً كان يتّقى عن التتريب بالسجود على الثوب المتّصل والمنفصل، ولا أقل بالسجود على الحصر والبوارى والأحجار الصافية، وعلى كل تقدير، فالحديث شاهد على أفضلية السجود على التراب فى مقابل السجود على ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . سنن البيهقى ٢ / ١٠۵ باب الكشف عن الجبهة .

٢ . ابن الأثير: النهاية ٢ / ۴٩٧ مادة «شكى» .

٣ . المتقى الهندى: كنز العمال ٧ / ۴۶۵ برقم ١٩٨١٠ . (۴٢۴)

الحصى لما دل من جواز السجدة على الحصى فى مقابل السجود على غير الأرض. ٨- روت أُمّ سلمة ـ رضى الله عنها ـ رأى النبى غلاماً لنا يقال له «افلح» ينفخ إذا سجد، يا افلح ترّب(١) . ٩- وفى رواية: يا رباح ترّب وجهك(٢) . ١٠- روى أبو صالح قال: دخلت على أُمّ سلمة، فدخل عليها ابن أخ لها فصلّى فى بيتها ركعتين فلمّا سجد نفخ التراب، فقالت أُمّ سلمة: ابن أخى؟! لا تنفخ، فإنّى سمعت رسول اللّه يقول لغلام له يقال له يسار ـ ونفخ ـ : ترّب وجهك للّه (٣) . الأمر بحسر العمامة عن الجبهة:

١١- روى أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته(۴) . ١٢- روى عن على أميرالمؤمنين أنّه قال: إذا كان أحدكم يصلّى فليحسر العمامة عن وجهه، يعنى حتّى لا يسجد على كور العمامة(۵) . ١٣- روى صالح بن حيوان السبائى أنّ رسول اللّه رأى رجلاـ يسجد بجنبه وقد اعتمّ على جبهته فحسر رسول اللّه عن جبهته(۶) . ١۴- عن عياض بن عبداللّه القرشى: رأى رسول اللّه رجلا يسجد على كور ـــــــــــــــــــــــــــ

١ . المتقى الهندى: كنز العمال ٧ / ۴۵٩ برقم ١٩٧٧۶ .

٢ . المصدر نفسه برقم ١٩٧٧٧ .

٣ . المتقى الهندى كنز العمال ٧ / ۴۶۵، برقم ١٩٨١٠ ومسند أحمد ۶ / ٣٠١ .

۴ . الطبقات الكبرى ١ / ١۵١ كما فى السجود على الأرض ۴١ .

۵ . منتخب كنز العمال المطبوع فى هامش المسند ٣ / ١٩۴ .

۶ . البيهقى: السنن الكبرى ٢ / ١٠۵ . (۴٢۵)

عمامته فأومأ بيده: ارفع عمامتك وأومأ إلى جبهته(١) . هذه الروايات تكشف عن أنّه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلاّ السجود على الأرض ولم يكن هناك أى رخصة سوى تبريد الحصى ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبى بالتتريب، وحسر العمامة عن الجبهة . المرحلة الثانية: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر:

هذه الأحاديث والمأثورات المبثوثة فى الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبى وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنّهم كانوا لاـ يعدلون عنه وإن صعب الأمر واشتدّ الحر لكن هناك نصوص تعرب عن ترخيص النبيّ ـ بايحاء من اللّه

سبحانه إليه ـ السجود على ما أنبتت الأرض، فسهل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الاصر والمشقّة في الحر والبرد وفيما إذا كانت الأرض مبتلّة، وإليك تلك النصوص : ۱- عن أنس بن مالك قال: كان رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلّي على الخمرة(۲) . ۲- عن ابن عباس: كان رسول اللّه يصلّي على الخمرة وفي لفظ: وكان النبيّ يصلّي على الخمرة(۳) . ۳- عن عائشة: كان النبيّ يصلّي على الخمرة(۴). ________________

۱ . البيهقي: السنن الكبرى ۲ / ۱۰۵ .

۲ . أبو نعيم الاصفهاني: ذكر أخبار اصبهان ۲ / ۱۴۱ .

۳ . مسند أحمد ۱/ ۲۶۹ ـ ۳۰۳ ـ ۳۰۹ و ۳۵۸ .

۴ . مسند أحمد ۶ / ۱۷۹ وفيه أيضاً قال للجارية وهو في المسجد: ناوليني الخمرة . (۴۲۶)

۴- عن أُمّ سلمة: كان رسول اللّه يصلّي على الخمرة(۱) . ۵- عن ميمونة: ورسول اللّه يصلّي على خمرته فإذا أصابني طرف ثوبه(۲) . ۶- عن أُمّ سليم قالت: وكان يصلّي الخمرة(۳) . ۷- عن عبداللّه بن عمر: كان رسول اللّه يصلّي على الخمر(۴) . السجود على الثياب لعذر:

قد عرفت المرحلتين الماضيتين ولو كان هناك مرحلة ثالثة فانّما مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أنّ هذا الترخيص جاء متأخّراً عن المرحلتين لما عرفت أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يُجب شكوى الأصحاب من شدّة الحرّ والرمضاء وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحر والأذى ولكنّ الباري عزّ اسمه رخّص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة وإليك ما ورد في هذا المقام . ۱-عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثم سجد عليه . ۲- وفي صحيح البخاري: كنّا نصلّي مع النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحر. فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض، بسط ثوبه . ۳- وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ________________

۱ . مسند أحمد ۶ / ۳۰۲ .

۲ . مسند أحمد ۶ / ۳۳۱ ـ ۳۳۵ .

۳ . مسند أحمد ۶ / ۳۷۷ .

۴ . مسند أحمد ۲ / ۹۲ ـ ۹۸ . (۴۲۷)

فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحر مكان السجود(۱) . وهذه الرواية الّتي نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف الغطاء عن بعض ما روي في ذلك المجال الظاهر في جواز السجود على الثياب في حالة الاختيار أيضاً. وذلك لأنّ رواية أنس نص في اختصاص الجواز على حالة الضرورة، فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات وإليك بعض ما روي في هذا المجال . ۱- عبداللّه بن محرز عن أبي هريرة: كان رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلّي على كور عمامته(۲) . إنّ هذه الرواية مع أنّها معارضة لما مرّ من نهي النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن السجود عليه، محمولة على العذر والضرورة وقد صرّح بذلك الشيخ البيهقي في سننه، حيث قال: قال الشيخ: «وأمّا ما روي في ذلك عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك وأصحّ ما روي في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب النبيّ(۳) . وقد روي عن ابن راشد: قال: رايت مكحولا يسجد على عمامته فقلت: لِمَ تسجد عليها؟ قال: أتّقي البرد على أسناني(۴) . ۲- ما روي عن أنس: كنّا نصلّي مع النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيسجد ________________

۱ . صحيح البخاري ۱ / ۱۰۱، صحيح مسلم ۲ / ۱۰۹، مسند أحمد ۱ / ۱۰۰، السنن الكبرى ۲ / ۱۰۶.

۲ . كنز العمال ۸ / ۱۳۰ برقم ۲۲۲۳۸ .

۳ . البيهقی: السنن ۲ / ۱۰۶ .

۴ . المصنف لعبد الرزاق ۱ / ۴۰۰ كما فی سيرتنا وسنّتنا، والسجدة علی التربة ۹۳ . (۴۲۸)

أحدنا علی ثوبه(۱) . والرواية محمول علی صورة العذر بقرينة ما رويناه عنه، وبما رواه عنه البخاری: كنّانصلّی مع النبیّ ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ فی شدة الحرّ فاذا لم يستطع أحدنا أن يمكن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه(۲) . ويؤيّده ما رواه النسائی: كنّا إذا صلينا خلف النبیّ بالظهائر سجدنا علی ثيابنا اتّقاء الحرّ(۳) . وهناك روايات قاصرة الدلالة حيث لا تدل إلّا علی أنّ النبیّ ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ صلّی علی الفرو. وأمّا انّه سجد عليه فلا دلالة لها عليه . ۳- عن المغيرة بن شعبة: كان رسول اللّه يصلّی علی الحصير والفرو المدبوغة(۴) . والرواية مع كونها ضعيفه بيونس بن الحرث، ليست ظاهرة فی السجود عليه. ولا ملازمة بين الصلاة علی الفرو والسجدة عليه ولعلّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ وضع جبهته علی الأرض أو ما ينبت منها وعلی فرض الملازمة لا تقاوم هی وما فی معناها، ما سردناه من الروايات فی المرحلتين الماضيتين . حصيلة البحث:

إنّ الناظر فی الروايات يجد أنّه مرّ علی المسلمين مرحلتان أو مراحل ثلاثة ففی المرحلة الاُولی كان الفرض السجود علی الأرض ولم يُرخَّص للمسلمين السجود علی غيرها، وفی الثانية جاء الترخيص فيما تنبته الأرض وليست وراء هاتين ــــــــــــــــ

۱ . البيهقی السنن الكبری ۲ / ۱۰۶، باب من بسط ثوباً فسجد عليه .

۲ . البخاری ۲ / ۶۴ كتاب الصلاة باب بسط الثوب فی الصلاة للسجود .

۳ . ابن الأثير: الجامع للاُصول ۵ / ۴۶۸ برقم ۳۶۶۰ .

۴ . أبو داود: السنن / باب ما جاء فی الصلاة علی الخمرة برقم ۳۳۱ . (۴۲۹)

المرحلتين، مرحلة اُخری إلّا جواز السجود علی الثياب لعذر وضرورة فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود علی الفرو وأمثاله مطلقاً، فمحمولة علی الضرورة أو لا دلالة لها علی السجود عليها بل غايتها الصلاة عليها . فاللازم علی فقهاء أهل السنّة إعادة النظر فی هذه المسألة حتّی يحيوا السنّة ويميتوا البدعة. فانّ الرائج فی بلادهم هو افتراش المساجد بالسجاد، والسجود عليها. كما أنّ السائد هو السجود علی كل شیء. من البسط المنسوجة من الصوف والوبر، والحرير، وطرف الثوب فانّ هذا العمل حسب مامرّ من الروايات بدعة حدثت بعد النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ وكانت السنّة غيرهما فلا عتب علی الشيعة إذا ما تمسّكوا بالسنّة ولم يسجدوا الّا علی الأرض وما أنبتته تبعاً للسنن النبوية والأحاديث المروية عن أئمّة أهل البيت . ما هو السر فی اتّخاذ تربة طاهرة:

بقی هنا سؤال يطرحه اخواننا أهل السنّة يقولون ما هو السر فی اتّخاذ تربة طاهرة فی السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها. وربّما يتخيّل البسطاء انّ الشيعة يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربة ولكن المساكين لا يفرّقون بين السجود علی التربة، والسجود لها وعلی أی تقدير فالاجابة عنها واضحة فانّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربة طاهرة طيّبة ليتيقن من طهارتها من أی أرض اُخذت، من ای صقع من أرجاء العالم كانت، وهی كلّها فی ذلك سواء . وليس هذا الالتزام إلّا مثل إلتزام المصلّی بطهارة جسده وملبسه ومصلّاه وأمّا سرّ الالتزام فی اتّخاذ التربة هو أنّ الثقة بطهارة كل أرض يحل بها، ويتّخذها مسجداً لا تتأتّی له فی كل موضع من المدن والرساتيق والفنادق والخانات ومحال المسافرين ومحطّات وسائل السير والسفر ومهابط فئات الركاب ومنازل (۴۳۰)

الغرباء، أنّی له ذلك وقد يحل بها كل إنسان من الفئة المسلمة وغيرها ومن أخلاط الناس الذين لا يبالون ولا يكترثون لأمر الدين فی موضوع الطهارة والنجاسة . فای مانع من أن يحتاط المسلم فی دينه، ويتّخذ معه تربة طاهرة يطمئن بها وبطهارتها يسجد عليها لدی صلاته حذراً من السجدة علی الرجاسة والنجاسة، والأوساخ الّتی لا يتقرّب بها إلی اللّه قط ولا تجوّز السنّة السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ فی طهارة أعضاء المصلّی ولباسه والنهی عن الصلاة فی مواطن منها: المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومواطن الابل والأمر بتطهير المساجد وتطييبها(۱) . وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها فقد روی أنّ التابعی الفقيه مسروق بن الأجدع المتوفّی عام ۶۲ كان يصحب فی أسفاره لبنة من المدينة

يسجد عليها كما أخرجه ابن أبی شيبة فی كتابه المصنف باب من كان حمل فی السفينة شيئاً يسجد عليه. فأخرج بإسنادين أنّ مسروقاً كـان إذا سافر حمل معه فی السفينة لبنة يسجد عليها(۲) . إلی هنا تبيّن انّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّا تسهيل الأمر للمصلّی فی سفره وحضره عسی أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليه . وأمّا السر فی التزام الشيعة استحباباً بالسجود علی التربة الحسينية فانّما هو من ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . العلامة الأمينی: سيرتنا وسنّتنا ۱۵۸ ـ ۱۵۹ .

۲ . أبوبكر بن أبی شيبة: المصنف ۱ / ۴۰۰ كما فی السجدة علی التربة ۹۳ . (۴۳۱)

جهة الأغراض العالية والمقاصد السامية منها، أن يتذكّر المصلّی حين يضع جبهته علی تلك التربة، تضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه فی سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد . ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة وفی الحديث «أقرب ما يكون العبد إلی ربّه حال سجوده» فيناسب أن يتذكّر بوضع جبهته علی تلك التربة الزاكية اُولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحق، وارتفعت أرواحهم إلی الملأ الأعلی، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما فی الخبر فيكون حينئذ فی السجود سر الصعود والعروج من التراب إلی ربّ الأرباب(۱) . وقال العلامة الأمينی: نحن نتّخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنة من تربة المدينة المنوّرة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلّم السنّة بها، وحاشاه من البدعة. فليس فی ذلك أی حزازة وتعسّف أو شیء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة الله وسنّة رسوله ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ أو خروج من حكم العقل والاعتبار . وليس اتّخاذ تربة كربلاء مسجداً لدی الشيعة من الفرض المحتّم ولا من واجب الشرع والدين ولاـ ممّا ألزمه المذهب ولاـ يفرّق أی أحد منهم منذ أوّل يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض فی جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم بآرائهم، وإن هو عندهم إلّا استحسان عقلی ليس إلّا، واختيار لما هو الأولی بالسجود لدی العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت وكثير من رجال ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . الأرض والتربة الحسينية ۲۴ .

(۴۳۲)

المذهب يتّخذون معهم فی أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمرة مثله ويسجدون عليه فی صلواتهم(۱) . هذا إلمام اجمالی بهذه المسألة الفقهية والتفصيل موكول إلی محلّها وقد أغنانا عن ذلك ما سطّره أعلام العصر وأكابره وأخص بالذكر منهم . ۱- المصلح الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ۱۲۹۵ ـ ۱۳۷۳ فی كتابه الأرض والتربة الحسينية . ۲- العلاّمة الكبير الشيخ عبدالحسين الأمينی مؤلّف الغدير ۱۳۲۰ ـ ۱۳۹۰ فقد دوّن رسالة فی هذا الموضوع طبع فی آخر كتابه سيرتنا وسنّتنا . ۳-السجود علی الأرض للعلاّمة الشيخ علی الأحمدی ـ دام عزّه ـ فقد أجاد فی التتبع والتحقيق . فما ذكرنا فی هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم اللّه الماضين من علمائنا وحفظ اللّه الباقين منهم . ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . سيرتنا وسنّتنا ۱۶۶ ـ ۱۶۷ طبع النجف الأشرف .

الفصل الحادی عشر فی الأئمّة الإثنی عشر

الفصل الحادی عشر فی الأئمّة الإثنی عشر (۴۳۴) (۴۳۵)

إنّ الشيعة الامامية هی الفرقة المعروفة بالإثنی عشرية. فهم يعتقدون باثنی عشر إماماً من بنی هاشم وقد نصّ الرسول ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ علی إمامتهم وقيادتهم واحداً بعد الآخر كما نصّ كل إمام علی إمامة من بعده نصّاً يخلو من الابهام . وقد عرفت فيما مضی أنّه تضافر عن الرسول ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ أنّه يملك هذه الاُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بنی إسرائيل. وذكرنا هناك

أن هـذه الروايات مع ما فيها من المواصـفات لا تنطبق إلاّ على أئمّـة الشـيعة والعترة الطاهرة «وإذا كان رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته وصـاحب الكتاب وهم حملته»(۱) فيلزم علينـا معرفتهم، كيف وهم احـد الثقلين اللَّذِين تركهمـا الرسول، قـدوة للاُمّـة ونوراً على جبين الـدهر . ونحن نعرض فى هـذا الفصـل، موجزاً عن أحوالهم وحياتهم حتّى يكون القارئ ملمّاً بهم عن كثب. ونعيـد كلمتنا بأن الغرض هو الالمام والايجاز بل الاشارة والالماح لا التفصيل والتطويل. وإلاّ فإنّ بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين ________________

۱ . اقتباس ممّا ذكره أمين الاسلام الطبرسى فى مقدمة كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى ۳ .

(۴۳۶)

موسوعـة كبيرة. وقـد قام بـذلك شـطر كبير من علماء الإسـلام ونحن نستضـيئ من أنوار كلامهم فنقول: (۴۳۷) الامـام الأوّل: الامام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ

إنّ الامـام على بن أبى طـالب أشـهر من أن يعرّف ولقـد قـام لفيف من السـنّة والشـيعة بتـأليف كتب وموسوعـات عن حيـاته، ومناقبه، وفضـائله، وجهاده، وعلومه وخطبه وقصار كلماته. وسياسـته وحروبه مع النكاثين والقاسـطين، فالأولى لنا الاكتفاء بهـذا المقـدار واحالة القارئ إلى تلك الموسوعات بيد أنّنا نكتفى هنا بذكر أوصافه الواردة فى السـنّة فنقول: هو أميرالمؤمنين، وسـيد المسـلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصـيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهداللّه، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر اللّه، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الايمان، وباب الحكمـة، والممسوس فى ذات اللّه، خليفـة النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ، الهاشـمى، وليـد الكعبـة المشـرّفة ومُطهِّرها من كل صنم ووثن، الشهيد فى البيت الإلهى (۴۳۸)

(جامع الكوفـة) فى محرابه حال الصـلاة سـنة ۴۰ . كـل من هـذه الجمل الخمس عشـر، كلمـة قدسـيّة نبويّـة أخرجها الحفّاظ من أهل السنّة(۱) . وكفى فى حقّه ما قاله رسول اللّه: «عنوان صـحيفة المؤمن حبّ على بن أبى طالب»(۲) . وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «من سـرّه أن يحيى حياتى، ويموت مماتى، ويسـكن جنّة عـدن غرسـها ربّى، فليوال علياً بعدى، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدى، فـانّهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكـذّبين بفضـلهم، القاطعين فيهم صـلتى، لا أنالهم اللّه شـفاعتى»(۳) . وقال الامام أحمد: ما لأحمد من الصـحابة من الفضائل بالأسانيد الصـحاح مثل ما لعلى ـ رضـى الله عنه ـ (۴) . وقـال الامام الرازى: من اتّخذ عليّاً إماماً لـدينه، فقد اسـتمسك بالعروة الوثقى فى دينه ونفسه(۵) . ومن اقتـدى فى دينه بعلى بن أبى طالب فقـد اهتدى، لقول النبى: «اللّهـمّ أدر الحـق مـع على حيـث دار»(۶) . وقـال شـبلى شـميّل: «الامـام علىّ بـن أبى طـالب، عظيـم العظمـاء، مسـخة مفردة،

۱ . راجع مسند أحمد ۱ / ۳۳۱، ۵ / ۱۸۲ ـ ۱۸۹، حلية الأولياء ۱ / ۶۲ ـ ۶۸، ولاحظ الغدير ۲ / ۳۳ .

۲ . الخطيب البغدادى التاريخ ۴ / ۴۰ .

۳ . أبو نعيم: حلية الأولياء ۱ / ۸۶ .

۴ . ابن الجوزى الحنبلى: مناقب أحمد ۱۶۳ .

۵ و ۶ الرازى: التفسير ۱ / ۲۰۷ . (۴۳۹)

لم ير لها الشـرق والغرب صورة طبق الأصل، لا قـديماً ولا حـديثاً»(۱) . وقـال جورج جرداق: «ومـاذا عليك يا دنيا لو حشـدت قواك فأعطيت فى كل زمن عليّاً بعقله، وقلبه، ولسانه وذى فقاره» (۲) . فصول حياته الخمسة:

إنّ الامام ـ عليه السـلام ـ ولد فى الكعبة بعد مضـى ثلاثين عاماً من واقعة الفيل وفى الحقيقة ولد بعشـر سنين قبل البعثة وتوفّى فى العام الأربعين من الهجرة فيكون عمره الشـريف ثلاثة وستين عاما. فلو أردنا أن نقسم حياته إلى فصول نجد أنّ هناك فصولا خمسة تشـكّل مجموع حياته ـ عليه السـلام ـ . ۱- حياته قبل البعثة وهى لا تتجاوز عن عشـر سـنين، وقد تكفّله النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو

حین ذاک لا یتجاوز عمره عن أربعة أو خمسة سنین وجاء به إلی داره وعاش فی بیته، وقد لازمه طیلة تلک الأعوام حتّی الأیام التی کان النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یعتکف فیها فی غار حراء کما هو المحقق فی التاریخ . ۲- حیاته بعد البعثة وقبل هجرة النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ إلی المدینة المنوّرة، ولقد هاجر إلی المدینة بعد هجرة النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وهی لا تزید علی ثلاثة عشر عاماً . ۳- حیاته بعد الهجرة وقبل وفاة النبی الأکرم وهی عشر سنوات حافلة بالجهاد والتضحیات . ۴- حیاته بعد رحلة النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وقبل الخلافة وتبلغ ________________

۱ و ۲ . الإمام علی صوت العدالة الإنسانیة ۱ / ۳۷ - ۴۹ .

(۴۴۰)

۲۵ سنة ولقد قدّم خدمات ثقافیة عظیمة للاُمّة خلالها. ولم تکن خالیة عن الحوادث المریرة . ۵- حیاته بعد الخلافة إلی شهادته فی محراب مسجد الکوفة، وهی حافلة بحروبه مع الناکثین والقاسطین والمارقین. ولقد أخذ بمقالید الخلافة بعد أن صارت أمویة. وبعد أن سلّط عثمان بنی اُمیّة، علی العباد والبلاد وسادت عبادة الدینار والدرهم وملأ حبّ الدنیا قلوب کثیر من الناس فسعی ـ علیه السلام ـ فی اخراج الاُمّة من هذه الأزمة وارجاعهم إلی ما کانوا علیه فی عصر النبی الأکرم. ولقی فی طریق اُمنیته ما لقی إلی أستشهد فی محراب عبادته لشدّة عدله . فسلام اللّه علیه یوم ولد، ویوم استشهد، ویوم یبعث حیّا . وقد کتب حول حیاة الإمام ما لا تعد ولا تحصی من الکتب والرسائل والموسوعات، فلا محیص، عن احالة القرّاء إلیها غیر انّا نشیر هنا إلی بعض خصائصه. بعض خصائصه:

یطیب لی أن اُشیر إلی بعض خصائصه قیاماً ببعض الوظیفة تجاه ما له من الحقوق علی الإسلام والمسلمین عامة، فنقول: إنّ له خصائص لم یشترک فیها أحد: ۱- السابق إلی الإسلام . ۲- ولد فی الکعبة . ۳- تربّی منذ صغره فی حجر رسول اللّه . ۴- مؤاخاته مع النبی . ۵- إنّ النبی حمله حتّی طرح الأصنام من الکعبة . ۶- إنّ ذرّیة رسول اللّه منه . ۷- إنّ النبی تفل فی عینیه یوم خیبر، ودعا له بأن لا یصیبه حرّ ولا قرّ . (۴۴۱)

۸- إنّ حبّه إیمان، وبغضه نفاق . ۹- إنّ النبیّ باهل النصاری به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب . ۱۰- بلّغ سورة براءة عن النبی . ۱۱- إنّ النبیّ خصّه یوم الغدیر بالولایة . ۱۲- انّه القائل: «سلونی قبل أن تفقدونی» . ۱۳- إنّ النبی خصّه بتغسیله وتجهیزه والصلاة علیه . ۱۴- إنّ الناس جمیعاً من أرباب الأدیان وغیرهم ینظرون إلیه کأعظم رجل عرفه التاریخ(۱) . ________________

۱ . وقد استخرج هذه الخصائص الکاتب القدیر محمّد جواد مغنیة فی کتابه: الشیعة والتشیّع ۲۳۴ .

(۴۴۲) (۴۴۳) الامام الثانی أبو محمد الحسن بن علی ـ علیه السلام ـ

هو ثانی أئمّة أهل البیت الطاهر وأوّل السبطین وسیّد شباب أهل الجنّة، ریحانة رسول اللّه، وأحد الخمسة من أصحاب الکساء اُمّه فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلی اللّه علیه وآله وسلم ـ سیّدة نساء العالمین . ولد فی المدینة لیلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتین من الهجرة وهو أوّل أولاد علی وفاطمة ـ علیهما السلام ـ . نسب کان علیه من شمس الضحی نور ومن فلق الصباح عمودا وروی عن أنس بن مالک قال: لم یکن أحد أشبه برسول اللّه ـ صلی اللّه علیه وآله وسلم ـ من الحسن بن علی ـ علیهما السلام ـ .(۱)

____

۱ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی (ت ۸۵۵): ۱۵۱ ـ ۱۵۲، وأعیان الشیعة ۱ / ۵۶۲ .

(۴۴۴)

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلی: سمِّه فقال: ما کنت لأسبق باسمه رسول اللّه ـ صلی اللّه علیه وآله وسلم ـ فجاء النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فاُخرج إلیه فقال: اللّهمّ إنّی اُعیذه بک وولده من الشیطان الرجیم. وأذّن فی اُذنه الیمنی وأقام فی الیسری. أشهر ألقابه: التقی والزکی والسبط . أمّا علمه فیکفی انّه کان یجلس فی مسجد رسول اللّه ـ صلی اللّه علیه وآله وسلم ـ ویجتمع الناس حوله فیتکلّم ما یشفی غلیل السائل ویقطع حجج المجادلین. من ذلک ما رواه الامام أبوالحسن علی بن أحمد الواحدی فی تفسیر الوسیط: أنّ رجلا

دخل إلى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدِّث عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل قال: أخبرنى عن شاهد ومشهود: فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة. فتجاوزه إلى آخر غيره يحدّث فى المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود قال: أمّا الشاهد فيوم الجمعة وأمّا المشهود يوم النحر. قال: فتجاوزهما إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدِّث فى المسجد فسأله عن شاهد ومشهود فقال: نعم أمّا الشاهد فرسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمّا المشهود فيوم القيامة أما سمعته عزّوجلّ يقول: (يا أيُّها النَّبِيُّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً)(۱) وقال تعالى: (ذلِكَ يَومٌ مَجمُوعٌ لَهُ النّاسُ و ذلكَ يَومٌ مَشْهُودٌ)(۲). فسأل عن الأوّل فقالوا ابن عباس، وسأل عن الثانى فقالوا ابن عمر، وسال عن الثالث فقالوا الحسن بن على بن أبى طالب ـ عليهما السلام ـ (۳) . وأمّا زهده فيكفى فى ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم فى حليته بسنده أنّه قال ـ عليه السلام ـ : ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . الأحزاب / ۴۵ .

۲ . هود / ۱۰۳ .

۳ . الفصول المهمة: ۱۵۵ . (۴۴۵)

إنّى لأستحى من ربّى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكّة على قدميه. وروى عن الحافظ أبى نعيم فى حليته أيضاً أنّه ـ عليه السلام ـ خرج من ماله مرّتين، وقاسم اللّه تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به. وكان ـ عليه السلام ـ من أزهد الناس فى الدنيا ولذّاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان ـ عليه السلام ـ يتمثّل بهذا البيت شعرا: يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها * إنّ غتراراً بظلّ زائل حَمَقُ(۱) وأمّا حلمه فقد روى ابن خلكان عن ابن عائشة انّ رجلا من أهل الشام قال: دخلت المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ فرأيت رجلا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبى إليه فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن على بن أبى طالب، فامتلأ قلبى له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله فصرت إليه وقلت له: أأنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: أنا ابنه. قلت: فعل بك وبأبيك ـ اسبهما، فلمّا انقضى كلامى ـ قال لى: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آتيناك أو إلى حاجة عاوناك قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إلىّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلاّ شكرته وخزيت نفسى(۲) . وأمّا إمامته. فيكفى فى ذلك ما صرّح به النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : هذان ابناى إمامان قاما أو قعدا... روت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالى قال: شهدت أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ حين أوصى إلى ابنه الحسن ـ عليه السلام ـ وأشهد على وصيته الحسين ـــــــــــــــــــــــــ

۱ . الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكى ۱۵۶ .

۲ . وفيات الأعيان: ابن خلكان ۲ / ۶۸ . (۴۴۶) ـ عليه السلام ـ ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته؟ ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بنى إنّه أمرنى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن اُوصى إليك، وأدفع إليك كتبى وسلاحى كما أوصى إلىّ ودفع إلى كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرك إذا حضرت الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين ـ عليه السلام ـ فقال: وأمرك رسول اللّه أن تدفعها إلى ابنك هذا ثمّ أخذ بيد على بن الحسين وقال: وأمرك رسول اللّه أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن على فاقرئه من رسول اللّه ومنّى السلام(۱) .

روى أبو الفرج الاصفهانى انّه خطب الحسن بن على بعد وفاة أميرالمؤمنين على ـ عليه السلام ـ وقال: قد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتّى يفتح اللّه عليه، ولقد توفّى هذه الليلة الّتى عرج فيها بعيسى بن مريم ولقد توفّى فيها يوشع بن نون وصى موسى وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله . ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه . ثم قال: أيّها الناس من عرفنى، فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن ابن محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى اللّه عزّوجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل

البيت الذين أذهب اللّه عنهم ـــــــــــــ

۱ . إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسى ۲۰۷ ـ ۲۰۸ ومن أراد الوقوف على نصوص إمـامته فعليه أن يرجع إلى الكافى ۱ / ۲۹۷ واثبات الهداة ۲ / ۵۴۳ ـ ۵۶۸ فقد نقل: خمسة نصوص فى المقام.

(۴۴۷)

الرجس وطهّرهم تطهيراً، والـذين افترض اللّه مودتهم فى كتـابه إذ يقول: (و مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَـنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهـا حُسْـناً)(۱) فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت . قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة فبايعوه(۲) . وقال المفيـد: كانت بيعته يوم الجمعـة ۲۱ من شـهر رمضان سنة ۴۰(۳) . ونقـل عن أبى الفرج انّه نزل عن المنبر فرتّب العمّـال وأمّر الاُـمراء ونظر فى الاُمور، وأنفـذ عبـداللّه بن العباس إلى البصـرة وأوّل شـىء أحـدثه انّه زاد فى المقاتلـة مائـة مائـة. وقـدكان على أبوه فعـل ذلـك يوم الجمـل وهو فعله يوم الاسـتخلاف فتبعه الخلفاء بعـد ذلك(۴) . قـال المفيـد: فلمّا بلغ معاويـة وفاة أميرالمؤمنين وبيعـة النـاس ابنه الحسن، دسَّ رجلاـ من حمير إلى الكوفـة ورجلا من بنى القين إلى البصـرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسـدا على الحسن الاُـمور، فعرف ذلـك الحسن فـأمر باسـتخراج الحميرى من عنـد لحـام فى الكوفـة فـاُخرج واُمر بضـرب عنقه. وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم فاُخرج وضربت عنقه(۵) . ـــــــــــــ

۱ . الشورى / ۲۳ .

۲ . مقاتل الطالبيين ۵۲ .

۳ . الإرشاد للمفيد ۱۸۸ .

۴ . فى رحـاب أئمّـة أهل البيت للأمين العاملى ۱۵ وما نقله عن أبى الفرج ليس موجوداً فى النسـخة المطبوعـة المحققة على يد السـيد أحمد صقر ولعلّه سقط من نسخته .

۵ . مقاتل الطالبيين: ۵۲، الارشاد: للمفيد ۱۸۸ ـ ۱۸۹ . (۴۴۸)

ثمّ إنّه اسـتمرّت المراسلات(۱) بيـن الحسـن ومعاويـة وانجرّت إلى حـوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصـلح واضـطرّ إلى التنـازل عن الخلافة لصالح معاوية. فعقدا صلحاً وإليك صورته . بسم اللّه الرحمن الرحيم

هـذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سـفيان صالحه على أن يسـلّم إليه ولاية المسـلمين على أن يعمل فيهم بكتاب اللّه وسنّة رسول اللّه، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللّه تعالى فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم. وعلى أنّ أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بذلك عهد اللّه وميثاقه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين غايلة ولا لأحد من أهل بيت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ ،غائلة سوء سـرّاً وجهراً ولا يخيف أحداً فى اُفق من الآفاق شهد عليه بذلك فلان وفلان وكفى باللّه شهيدا(۲) . ولمّا تمّ الصـلح صـعد معاويـة المنبر وقـال فى خطبته: إنّى واللّه مـا قاتلتكم لتصـلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّى قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقـد أعطانى اللّه ذلك وأنتم كارهون. ألا وانّى كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قـدمىّ هاتين لا أفى به(۳) . ـــــــــــــ

۱ . ومن أراد الوقوف عليهـا فليرجع إلى مقاتـل الطـالبيين ۵۳ إلى ۷۲ وبالامعان فيها وما أظهر أصـحابه من التخاذل، يتضح سرّ صـلح الامام وتنازله عن الخلافة فلم يطاع إلاّ أنّه أتمّ الحجة عليهم ومن أراد التفصيل فليرجع إلى صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين .

۲ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ۱۶۳ .

۳ . المفيد: الارشاد ۱۹۱ طبع النجف . (۴۴۹) شهادته:انصرف الحسن ـ رضى الله عنه ـ إلى المدينة فأقام بها، وأراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد فلم يكن شىء أثقل من أمر الحسن بن على فدسّ إليه السم فمات منه.

أرسل معاوية إلى إبنة الأشعث: إنّى مزوّجك بيزيد ابنى على أن تسمّى الحسن ابن على وبعث إليها بمائة ألف درهم فقبلت وسمّت الحسن فسوغها المال ولم يزوّجها منه(۱) . فلمّا دنى موته أوصى لأخيه الحسين ـ عليه السلام ـ وقال: إذا قضيت نحبى غسّلنى وكفنّى واحملنى على سريرى إلى قبر جدّى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثمّ ردّنى إلى قبر جدّتى فاطمة بنت أسد فادفنّى هناك باللّه أُقسم عليك أن لا ـ تهرق فى أمرى محجمة دم. فلمّا حملوه إلى روضة رسول اللّه لم يشك مروان ومن معه من بنى اُميّة انّهم سيدفنونه عند جدّه رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فتجمّعوا له ولبسوا السلاح ولحقتهم عائشة على بغل وهى تقول: مالى ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتى من لا ـ اُحب وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجاء هى خير من دعة، ايدفن عثمان فى اقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبىّ وكادت الفتنة تقع بين بنى هاشم وبين اُمية. ولأجل وصيّة الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد(۲) . توفّى الحسن وله من العمر ۴۷ وكانت سنة وفاته سنة ۵۰ من الهجرة النبوية. والعجب انّ مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: أتحمل سريره أما واللّه لقد كنت تجرّعه الغيظ فقال مروان: إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازن

---

۱ . مقاتل الطالبيين ۷۳ .

۲ . كشف الغمة ۱ / ۲۰۹ ومقاتل الطالبيين ۷۴ ـ ۷۵ . (۴۵۰)

حلمه الجبال(۱) . هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير ممّا يرجع إلى جوانب حياته خصوصاً ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تحف العقول(۲) فقد ذكر قسماً كبيراً من كلماته . ولمّا بلغ معاوية موت الحسن ـ عليه السلام ـ سجد و سجد من حوله وكبّر وكبّروا معه، ذكره الزمخشرى فى ربيع الأبرار وابن عبدالبر فى الاستيعاب وغيرهما. فقال بعض الشعراء: أصبح اليوم ابن هند شامتا * ظاهر النخوة إذ مات الحسن يا ابن هند إن تذق كأس الردى * تكُ فى الدهر كشىء لم يكن لست بالباقى فلا تشمت به * كل حىّ للمنايا مرتهن(۳) ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . مقاتل الطالبيين ۴۶ .

۲ . الحرّانى، حسن بن شعبة: تحف العقول ۲۲۵ ـ ۲۳۶ .

۳ . فى رحاب أئمّة أهل البيت ۴۳ . (۴۵۱) الإمام الثالث: الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهما السلام ـ سيّد الشهداء

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر، وثانى السبطين، وأحد سيدى شباب أهل الجنّة، وريحانتى المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيد الشهداء، واُمّه فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ولد فى المدينة المنوّرة فى الثالث من شعبان سنة ۳ أو ۴ من الهجرة ولمّا ولد جيئ به إلى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاستبشر به، وأذّن فى اُذنه اليمنى واقام فى اليسرى، فلمّا كان اليوم السابع سمّاه حسينا. وعقَّ عنه بكبش وأمر أن يحلق رأسه ويتصدّق بوزن شعره فضّة. كما فعلت بأخيه الحسن فامتثلت اُمّه ما أمرها . (۴۵۲)

ولقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ۶۱ من الهجرة وقيل يوم السبت. أدرك من حياة النبىّ الأكرم ۵ أو ۶ سنوات وعاش مع أبيه ۳۶ سنة. ومع أخيه ۴۶ سنة . إنّ حياة الامام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالحوادث، والاشارة فضلا عن الاحاطة إلى كل ما يرجع إليه يحتاج إلى تأليف مفرد، فقد أغنانا فى ذلك ما كتبه المؤلّفون حول النصوص الواردة من جدّه وأبيه فى حقّه، وحول علمه ومناظراته، حول خطبه وكتبه وقصار كلمه، حول فصاحته وبلاغته، حول مكارم أخلاقه وكرمه وجوده، وزهده وعبادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، حول أصحابه والرواة عنه، والجيل الّذى تربّى على يديه. كل ذلك ألّف حوله رسائل ومؤلّفات وموسوعات . غير أنّ للحسين ـ عليه السلام ـ وراء ذلك، خصيصة اُخرى، وهى كفاحه وجهاده الرسالى والسياسى الّذى عُرِفَ به، وصار شعاراً له بل مدرسة سياسية دينية، واُسوة وقدوة مدى أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يُؤثر فى ضمير الاُمة ووعيها ويحرّك العقول المتفتّحة، والقلوب المستنيرة إلى التحرّك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة. وها نحن نقدم إليك نموذجاً من

غرر كلماته فى ذلك المجال حتّى تقف على كفاحه وجهاده أمام التيارات الالحادية والانهيار الخلقى . إباؤه للضيم ومعاندة الجور:
لمّا توفّى أخوه الحسن فى العام الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه فى حلّهم وترحالهم
وكان لمعاوية عيون فى المدينة يكتبون إليه ما يكون لأُمور الناس مع الحسين ـ عليه السلام ـ ولقد كتب مروان (۴۵۳)
ابن الحكم وهو عامل معاوية على المدينة أنّ رجالا من أهل العراق و وجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن على وأنّه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغنى أنّه يريد الخلاف يومه هذا . ولمّا بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالة إلى الحسين وهذه نصّها: أمّا بعد: فقد انتهت إليّ اُمور عنك إن كانت حقّاً فإنّى أرغب بك عنها، ولعمر اللّه أنّ من أعطى اللّه عهده و ميثاقه لجدير بالوفاء وأنّ أحقَّ الناس بالوفاء من كان فى خطرك وشرفك ومنزلتك الّتى أنزلك اللّه لها...(۱) . ولمّا وصل الكتاب إلى الحسين بن على كتب إليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منه مايلى . «ألست قاتل حجر بن عدى أخا كندة وأصحابه المصلّين، العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون فى اللّه لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدوانا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على اللّه واستخفافاً بعهده. أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللّه العبد الصالح الّذى أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال . أولست المدعى زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك وقد قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : الوالد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تعمّداً وتبعت هواك بغير ________________

۱ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۶۳ .

(۴۵۴)

هدى من اللّه، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنّك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك. أولست صاحب الحضرميّين الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم على دين على ـ صلوات اللّه عليه ـ فكتبت إليه أن اُقتل كل من كان على دين علىّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين على هو دين ابن عمّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الّذى كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الّذى أنت فيه ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف(۱) . هذا هو الحسين وهذا هو إباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين فى عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله الّتى ضبطها التاريخ . رفضه البيعة ليزيد:
لمّا توفّى معاوية فى منتصف رجب سنة ۶۰ كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين ـ عليه السلام ـ بالبيعة له فأنفذ الوليد إلى الحسين ـ عليه السلام ـ فاستدعاه فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم لحمل السلاح وقال: اجلسوا على الباب فإذا سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علىّ وصار ـ عليه السلام ـ إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين ـ عليه السلام ـ ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية فقال الحسين ـ عليه السلام ـ : فنصبح ونرى فى ذلك، فقال الوليد: انصرف على اسم اللّه تعالى، فقال مروان: واللّه لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه

۱ . الامامة والسياسة ۱ / ۱۶۴ وبحارالأنوار ۴۴ / ۲۱۳ .

(۴۵۵)

فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين ـ عليه السلام ـ وقال: أنت يابن الزرقاء تقتلنى أو هو؟ كذبت واللّه وأثمت فخرج(۱) . وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه فى طريقه فقال: أبا عبداللّه إنّى لك ناصحٌ فأطعنى ترشد وتسدّد، فقال: وما ذاك قل أسمع، فقال: إنّى أرشدك لبيعة يزيد فانّها خير لك فى دينك وفى دنياك،

فاسترجع الحسين وقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد، ثمّ قال: يا مروان أترشدنى لبيعة يزيد. ويزيد رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزللا، ولا ألومك فانّك اللعين الّذى لعنك رسول اللّه وأنت فى صلب أبيك الحكم بن العاص ومن لعنه رسول اللّه، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد. إليك عنّى يا عدوّ اللّه. فإنّا أهل بيت رسول اللّه الحق فينا ينطق على ألسنتنا. وقد سمعت جدّى رسول اللّه يقول: الخلافة محرّمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء. فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول اللّه فلم يفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه يزيد(۲) . ثمّ إنّ الحسين غادر المدينة إلى مكة. ولمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلا طالبيين منه مغادرته مكة إلى الكوفة وهذا نموذج من رسائلهم . «فقد اخضرّت الجنّات، وأينعت الثمار فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّدة» . ولمّا جاءت رسائل أهل الكوفة تترى كتب إليهم الحسين: انّه قد اجتمع رأى ــــــــــــــــ

۱ . الشيخ المفيد: الارشاد ۲۰۰ طبع النجف .

۲ . الخوارزمى: مقتل الحسين ۱ / ۱۸۴ ـ ۱۸۵ . (۴۵۶)

ملائكم وذووا الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم وقرأته فى كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء اللّه فلعمرى ما الامام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات اللّه(۱) . خرج الامام من مكة متوجّها إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله فقطع المنازل حتّى نزل بمقربة من الكوفة وعند ذاك استقبله الحر بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيداللّه بن زياد لاستقدامه مقبوضاً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الامام وخطب أصحابه وأصحاب الحر بقوله: أيّها الناس! إنّ رسول اللّه قال: من راى سلطاناً جائراً مستحلاّ حرم اللّه ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل فى عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على اللّه أن يدخله مدخله، ألا وانّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيئ، وأحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيرى(۲) . الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

إنّ الدافع الظاهرى لهجرته إلى العراق، وإن كانت رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتّى أنّ الامام احتجّ بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحى وعمر بن سعد عندما سألاه عن سر مجيئه إلى العراق فقال: ما أتتنى إلاّ رسل القوم ورسائلهم(۳) ولكن هذا الدافع كان أمراً ظاهرياً وكان وراء ذلك سرّ آخر لهجرته ــــــــــــــــ

۱ . الارشاد ۲۰۴ .

۲ . الطبرى: التاريخ ج ۴، حوادث سنة ۶۱، ص ۳۰۴، وأمّا ما جرى على الامام وأهل بيته حتّى نزل أرض كربلا فراجع المقاتل .

۳ . الارشاد ۲۲۴ ـ ۲۲۵ . (۴۵۷)

يكتشفه من قرأ وتمعّن فى حياته منذ ولادته إلى شهادته وعند ذلك سيتّخذ موقفاً آخرا. وهو أنّه ما هاجر من الحجاز إلى العراق إلاّ وقد وطّن نفسه للشهادة والتضحية لأجل بقاء الإسلام واصلاح أمر الأُمّة وفضح أعدائهما. إنّ الدافع الحقيقى للامام إلى الثورة والتضحية بالنفس والنفيس هو شعوره الدينى بأنّ السلطة وسياستها العامة لاتلتزم بالمبادئ الدينية وانّها بيد من يشرب الخمر ويلعب بالكلاب ويمارس الفسق والفجور ليله ونهاره، فلو دامت السلطة على هذه الحال لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه ولأجل ذلك لمّا طلب مروان بن الحكم مبايعة الامام ليزيد، قال: فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد كما عرفت . إنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: صنفان من اُمّتى إذا صلحا صلحت اُمّتى وإذا فسدا فسدت اُمّتى، قيل: يا رسول اللّه ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأُمراء(۱)، فإذا كان صلاح الأُمّة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها فقيادة مثل يزيد لا يزيد الأمر إلاّ عيثاً وفسادا . إنّ القيادة الإسلامية بين التنصيص والشورى فلم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من اللّه سبحانه ولا بشورى من الأُمّة وقد وقف على ذلك أعلامهم، ولأجل ذلك كتبوا إلى الحسين ـ عليه السلام ـ فى رسالة جاء فيها: أمّا بعد فالحمدللّه الّذى قسم عدوّك الجبّار العنيد الّذى انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها و استبقى شرارها(۲) . ولم يكن الولد

(يزيد) فريداً فی غصب حق الاُمّة بل سبقه والده معاوية إليه ـــــــــــــــــ

۱ . القمی: سفينة البحار ۲ / ۳۰ مادة أمر .

۲ . الجزری الكامل ۲ / ۲۶۶ ـ ۲۶۷ والأرشاد ۲۰۳ . (۴۵۸)

كما أشار إليه الامام فی كتابه إليه وقال: «فقد آن لک أن تنتفع باللمح الباصر، من عيان الاُمور، وقد سلكت مدارج أسلافک بادّعائک الأباطيل واقتحامک غرور المين والأكاذيب، وبانتحالک ما قد علا عنک، وابتزازک لما قد اختزن دونک فراراً من الحق»(۱) . هذا ونظائره المذكورة فی التاريخ دفع الحسين إلی الثورة، وتقديم نفسه وأهل بيته إلی المجزرة مع العلم بأنّه لا ينجح فی ثورته نجاحاً ظاهريا ولا يغلب علی العدو بالسيف والقوة، لكن كان يقف علی أنّ شجرة الإسلام ستنمو بدمه الطاهر، وأنّ مصباحه سيتوقّد بدماء أهل بيته وأصحابه، وأنّ الاُمّة ستتّخذ من تلک الثورة دروساً وعبراً حتّی قيام الساعة. وإليک ما يدل علی أنّ الإمام خاض المعركة مع العلم بأنه سيقتل ويستشهد . كان المعروف منذ ولادة الامام الحسين ـ عليه السلام ـ انّه سيستشهد فی العراق فی أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلک فی عصر النبیّ الأكرم ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ ووصيّه لذا كان الناس يترقّبون حدوث تلک الفاجعة وإليک بعض ما يدل علی ذلک ممّا يرجع إلی زمان خروجه . ۱- روی غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الّذی استشهد فی كربلاء أنّه قال: سمعت رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ ابنی هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلک منكم فلينصره» فخرج أنس بن الحارث فقتل بها مع الحسين ـ عليه السلام ـ (۲) . ۲- إن أهل الخبرة والسياسة فی عصر الإمام كانوا متّفقين علی أنّ الخروج

ـــــــــــــــــ

۱ . نهج البلاغة، قسم الكتب، برقم ۶۵ .

۲ . الاصابة ۱ / ۸۱ برقم ۲۶۶ . (۴۵۹)

إلی العراق يشكّل خطراً كبيراً علی حياة الامام ـ عليه السلام ـ وأهل بيته ولأجل ذلک أخلصوا له النصيحة، وأصروا عليه عدم الخروج ويتمثّل ذلک فی كلام أخيه محمّد بن الحنفية، وابن عمّه ابن عباس، ونساء بنی عبدالمطلب ومع ذلک اعتذر لهم الامام وأفصح عن عزمه علی الخروج(۱) . ۳- لمّا عزم الإمام المسير إلی العراق خطب وقال: الحمدللّه وماشاء اللّه ولا قوّة إلّا باللّه خطّ الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جيد الفتاة، وما أولهنی إلی أسلافی، اشتياق يعقوب إلی يوسف، وخيّر لی مصرع أنا لاُ قيه، كأنّی بأوصالی يتقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء فيملأن منّی أكراشاً جُوَّفاً وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضی اللّه رضانا أهل البيت نصبر علی بلائه. ويوفينا اُجور الصابرين لن تشذ عن رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ لحمته، بل هی مجموعة له فی حظيرة القدس تَقرّبهم عينه، وينجز لهم وعده ألا ـ ومن كان فينا باذلا مهجته، موطناً علی لقاءاللّه نفسه فليرحل معنا فإنّی راحل مصبحاً إن شاء اللّه(۲) . ۴- لمّا بلغ عبدالله بن عمر ما عزم عليه الحسين ـ عليه السلام ـ دخل عليه فلامه فی المسير ولمّا رآه مصرّاً عليه قبّل ما بين عينيه وبكی وقال: أستودعک اللّه من قتيل(۳) . ۵- لمّا خرج الحسين ـ عليه السلام ـ فی مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلی أين يابن رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ ما أعجلک عن الموسم قال: لو لم أعجل لأخذْتُ أخذاً فأخبرنی يا فرزدق عمّا وراءک فقال: تركت الناس بالعراق، ـــــــــــــــــ

۱ . لاحظ المحاورات الّتی جرت بين الامام وهؤلاء فی الارشاد ۲۰۱ ـ ۲۰۲ طبع النجف ومقاتل الطالبيين ۱۰۹، اللهوف ۲۰ طبع بغداد .

۲ . اللهوف ۴۱ طبع بغداد .

۳ . تذكرة الخواص ۲۱۷ ـ ۲۱۸ . (۴۶۰)

قلوبهم معک، وسيوفهم مع بنی اُمية. فاتّق اللّه فی نفسک(۱) . ۶- لمّا أتی إلی الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهانی بن عروة وعبداللّه بن يقطر. قال لأصحابه: لقد خذلنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس معه زمام، فتفرّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالا حتّی بقی فی أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة نفر يسير ممّن انضمّوا إليه «ومع ذلک فلمّا أصبح سار نحو الكوفة

فقال له شيخ من بنى عكرمة يقال له عمر بن لوزان: أين تريد؟ فقال له الحسين ـ عليه السلام ـ : الكوفة، فقال الشيخ: أنشدك لمّا انصرفت فواللّه ما تَقْدِمُ إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف فقال له الحسين: ليس يخفى علىّ الرأى وأنّ اللّه تعالى لا يغلب على أمره(٢) . وفى نفس النص دلالة على أنّ الامام كان يتفرّس ما كان يتفرسه غيره وانّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة التى كان المولى سبحانه كتبها إيّاه لأجل احياء الدين وهتك الأعداء، وايقاظ الاُمة من سباتها حتّى يضحّوا فى طريق الدين بكل غال ورخيص . إلى غير ذلك من الشواهد والقرائن المتواترة، الدالة على أنّه كان من الواضح أنّ الامام لا ينجح فى ثورته نجاحاً ظاهرياً ومع ذلك واصل طريقه إلى أن لقى عدوّه وضحّى بنفسه وأهل بيته، كل ذلك لأجل ايقاظ ضمير الاُمّة، وفضح أعداء الإسلام ولقد أفصح عن هدفه عندما طلب منه الحر بن يزيد ترك المخاصمة وقال: فإنّى أشهد لئن قاتلت لتُقْتَلنَّ فقال له الحسين: أبالموت تخوّفنى وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول اللّه فخوفه ابن عمّه . ______________

١ . الارشاد ٢١٨، نفس المهموم ٩١ .

٢ . الارشاد ٢٢٣ . (۴۶۱)

سأمضى فما فى الموت عار على الفتى * إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما وآسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مثبوراً وخالف مجرما وإن عشت لم اَنْدُم، وإن مِتُّ لَمْ اُلم * كفى بك ذلاّ ـ أن تعيش وترغما(١) ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين ـ عليه السلام ـ أثر كبير فى ايقاظ شعور الاُمّة وتشجيعهم على الثورة ضدّ الحكومة الاموية الّتى اصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين، ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين فى العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقّق هدفها فى وقتها ولكن كان لها الدور الأساسى فى سقوط الحكومة الاموية بعد زمان . ولقد أجاد من قال لولا نهضة الحسين ـ عليه السلام ـ وأصحابه ـ رضى الله عنه ـ يوم الطف لما قام للاسلام عمود ولا اخضرّ له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدفنوه فى أوّل عهده فى لحده. فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة قيامة إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين ـ عليه السلام ـ وأصحابه ـ رضى الله عنه ـ (٢)على ذلك الموقف، يقال فيه انّ الإسلام محمّدى الحدوث حسينى البقاء والخلود . وكيف يجوز لأبى الشهداء السكوت تجاه تسلّم يزيد مقاليد الخلافة وهو يقول: وعلى الإسلام السلام إذ بليت الاُمة براع مثل يزيد. ويزيد هو الّذى أنشد، حين حضر رأس الحسين بين يديه: ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلنا قتيل بدر فاعتدل فأهلّوا واستهلّوا فرحا * ثمّ قالوا: يا يزيد لاتشل ______________

١ . المفيد: الارشاد ٢٢٥ والطبرى فى تاريخه ٥ / ٢٠۴ .

٢ . جنة المأوى ٢٠٨ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء . (۴۶۲)

لست من خندف إن لم أنتقم * من بنى أحمد ما كان فعل لعبت هاشم بالملك فلا * خبر به جاء ولا وحى نزل(١) وأمّا بيان خروجه من مكة متوجّهاً إلى العراق والحوادث الّتى واجهها فى المسير إلى أن نزل بأرض كربلا، واستشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ٧٢ شخصاً، ظمآناً وعطشاناً، لهو خارج عن موضوع البحث وقد ألّف فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات. فسلام اللّه عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا . ______________

١ . البيتان الأوّلان لابن الزبعرى، والثلاثة الأخيرة ليزيد لاحظ تذكرة الخواص ٢٣٥ . (۴۶٣) الإمام الرابع: على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ زين العابدين

هو رابع أئمّة أهل البيت الطاهر. المشهور بزين العابدين أو سيّدهم، والسجّاد، وذو الثفنات. ولد فى المدينة سنة ٣٨ أو ٣٧ وتوفّى بها عام ٩٥ أو ٩۴ يوم السبت ١٢ من محرّم . قال ابن خلكان: هو أحد الأئمّة الإثنى عشر ومن سادات التابعين، قال الزهرى: ما رايت قرشياً أفضل منه، وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصى وتذكر، ولمّا توفّى دفن فى البقيع فى جنب عمّه الحسن فى القبّة الّتى فيها قبر العباس ـ رضى الله عنه ـ (١) . ومن أراد الاطّلاع على مناقبه وكراماته وفضائله فى مجالات شتّى كالعلم ، ______________

۱ . وفيات الأعيان ۳ / ۲۶۷ ـ ۲۶۹ .

(۴۶۴)

والحلم، والصفح، ومقابلة الاساءة بالاحسان، والشجاعة، وقوّة القلب، وثبات الجنان، والجرأة، والكرم والسخاء، وكثرة الصدقات، وعتق العبيد، والفصاحة والبلاغة، والورع والتقوى والعبادة وتربية صفوة جليلة من الأعلام وايصالهم إلى القمّة فى العلم والعمل من الذين يُسْتَدر بهم الغمام وكثرة البرّ بأُمه والرفق بالحيوان وهيبته وعظمته فى أعين الناس وغير ذلك فعليه الرجوع إلى الموسوعات . ونكتفى بأُمور: ۱- إيصاء الحسين إليه فى أمر الامامة . ۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء . ۳- هيبته وعظمته . ۴- ما تركه من الثروة العلمية من الأدعية والمناجاة . أمّا إيصاء الحسين له، فقد تكفّل لذكره كتب الحديث والعقائد، وأخص بالذكر، الكافى للكلينى(۱) وإثبات الهداة للحر العاملى(۲) . وأمّا هيبته ومكانته فى القلوب، فاستمع ما يلى: لمّا حجّ هشام بن عبدالملك قبل أن يلى الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه، وجاء على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتّى استلم فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا ـ أعرفه (مع أنّه كان يعرفه انّه على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّى أعرفه، هذا على بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته الّتى منها هذه الأبيات . ________

۱ . الكافى ۳۰۳ .

۲ . إثبات الهداة ۳ / ۱ ـ ۵ . (۴۶۵)

هذا الّذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم إنْ عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجدّه أنبياء اللّه قد ختموا وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم إلى آخر القصيدة الّتى حفظتها الأُمّة وشطرها جماعة من الشعراء وقد ثقل ذلك هشاماً فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكة والمدينة. فقال معترضاً على عمل هشام: أيحبسنى بين المدينة والتى * إليها قلوب الناس يهوى منيبها يقلب رأساً لم يكن رأس سيد * وعيناً له حولاء باد عيوبها فأخرجه من الحبس فوجّه إليه على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ عشرة آلاف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلاّ للّه، فقال له على ـ عليه السلام ـ : قد راى اللّه مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها . أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من اللّه فغنى عن البيان كان على بن الحسين إذا توضّأ اصفّر لونه فيقال: ما هذا الّذى يعتادك عند الوضوء؟ قال: أتدرون بين يدى مَنْ أُريد أن أقف . ومن كلماته: أنّ قوماً عبدوا اللّه رياضة فتلك عبادة العبيد، وأنّ قوماً عبدوه رغبة، فتلك عبادة التجار، وأنّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار . وكان إذا أتاه سائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة . (۴۶۶)

وكان ينحل فلمّا مات وجدوه يعول مائة من أهل بيت المدينة. وفى رواية لا يدرون من يأتيهم بالرزق لأنّه يبعث به إليهم فى الليل فلمّا مات على فقدوه، وفى رواية كان يحمل جراب الخُبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: صدقة السر تطفئ الرب، وفى رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتّى مات على بن الحسين ـ عليه السلام ـ (۱) . وقال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت رجلا أورع من فلان ـ وسمّى رجلا ـ فقال له سعيد: أما رأيت على بن الحسين؟ فقال: لا، فقال: ما رايت أورع منه. وقال الزهرى: لم أر هاشمياً أفضل من على بن الحسين ـ عليه السلام ـ . وقال أبو حازم كذلك أيضاً: ما رأيت هاشمياً افضل من على بن الحسين . وقال طاووس: رأيت على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ ساجداً فى الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب لأسمعن ما يقول، فاصغيت إليه فسمعته يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، فواللّه ما دعوت بهنّ فى كرب إلاّ كشف عنّى . وكان يصلّى فى كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشياً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبلة، وكان يوماً خارجا فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد والموالى فقال لهم على: مهلا ـ كفّوا، ثمّ أقبل على ذلك الرجل فقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر،

ألـك حاجـة نعينـك عليهـا؟ فاسـتحى الرجـل فالقى إليه على خميصـة كانت عليه، وأمر له بألف درهم فكان ذلك الرجل بعـد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل(٢). ______________

١ . تذكرة الخواص ٢٩۴ .

٢ . كشف الغمّة ٢ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣ . (۴۶٧) الثروة العلمية للامام:

أمّا الثروة العلميـة والعرفانية، فهى أدعيته الّتى رواها المحدثون باسـنادهم المتضافرة، المعروفة بالصـحيفة السـجّادية المنتشـرة فى العالم فهى زبور آل محمّـد، ومن الخسـارة الفادحـة، أنّ اخواننـا أهـل السـنّة إلاّـ النـادر القليل منهم غير واقفين على هـذا الأثر القيّم الخالـد. وفصاحـة ألفاظهـا، وبلاغـة معانيهـا، وعلو مضامينهـا وما فيها من أنواع التـذلل للّه تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبـة فى طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه، أقوى شاهد على صـحّة نسبتها إليه ـ عليه السلام ـ وانّ هذا الدر من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعـدّدة المتّصـلة، إلى زين العابدين(١) . وقـد أرسل أحـد الأعلام نسـخة من الصـحيفة مع رسالـة إلى العلاّمة الشـيخ الطنطاوى (ت ١٣۵٨) صاحب التفسير المعروف فكتب فى جواب رسالته «ومن الشـقاء إنّا إلى الآن لم نقف على هـذا الأثر القيم الخالـد فى مواريث النبوّة وأهـل البيت وإنّى كلّمـا تأمّلتهـا رأيتها فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق»(٢) . والمعروف بين الشـيعة هو الصـحيفة الاُولى التى تتضـمّن على أحـد وستين دعـاء فى فنون الخير وأنواع السؤال من اللّه سـبحانه وهى تعلّم الإنسان كيف يلجأ إلى ربّه فى الشـدائد والمهمـات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتـذلّل ويتضـرّع له وكيف يحمـد ويشـكر له غير أنّ لفيفـا من العلمـاء اسـتدركوا عليها فجمعوا ______________

١ . فى رحاب أئمّة أهل البيت ٣ / ۴١۴ .

٢ . مقدمة الصحيفة بقلم العلامة المرعشى ـ قدس سره ـ ٢٨ . (۴۶٨)

من شوارد أدعيته صـحائف خمس أخيرتها ما جمعه العلاّمـة السـيد محسن الأمين العاملى ـ رضـى الله عنه ـ . ولقـد قام العلاّمـة الحجة السيد محمّد باقر الأبطحى ـ دام ظله ـ بجمع جميع أدعية الامام الموجودة فى هذه الصحف فى جامع واحد وقال فى مقدمته: وحرىّ بنا القول انّ أدعيته ـ عليه السـلام ـ كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الاصـلاحية التى قادها الامام ـ عليه السـلام ـ فى ذلـك الظرف العصب. فاسـتطاع بقـدرته الفائقـة المسـدّدة أن يمنـح أدعيته ـ إلى جـانب روحهـا التعبّديـة – محتوىً اجتماعياً متعـدّد الجوانب، بمـا حملته من مفـاهيم خصـبة، وأفكار نابضـة بالحياة فهو ـ عليه السـلام ـ صاحب مدرسـة إلهيـة، تارة يعلّم المـؤمن كيـف يمجّـد اللّه ويقـدّسه،وكيف يلج بـاب التوبـة، وكيف ينـاجيه وينقطع إليه، واُخرى يسـلك به درب التعامـل السـليم مع المجتمع فيعلّمه اسـلوب البر بالوالـدين، ويشـرح حقوق الوالـد والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسـلم فى سـلوكه الاجتمـاعى كل ذلك باسـلوب تعليمى رائع وبليغ . وصـفوة القول انّها كانت اسلوبا مبتكراً فى إيصال الفكر الاسـلامى والمفـاهيم الإسـلامية الأصـيلة إلى القلوب الظمـأى، والأفئـدة الّتى تهوى إليهـا لترتزق من ثمراتهـا، وتنهل من معينها، فكانت بحق علمية تربوية نموذجية من الطراز الأوّل، لاُسـس بناها الامام السـجاد ـ عليه السـلام ـ مستلهماً جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين(١) . ______________

١ . الصحيفة السجادية الجامعة ١٣ .

(۴۶٩) رسالة الحقوق:

إنّ للامام على بن الحسـين رسالـة معروفة باسم رسالة الحقوق أوردها الصدوق فى خصاله(١)بسـند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة فى تحف العقول(٢) مرسـلا، وبين النقلين اختلاف بالزيادة والنقيصـة وهى من جلائل الرسائل فى أنواع الحقوق، فيذكر الامام فيها حقوق اللّه سـبحانه على الإنسـان وحقوق نفسه عليه وحقوق أعضائه من اللسان والسـمع، والبصـر والرجلين واليـدين والبطن والفرج ثمّ يـذكر

حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدى... يبلغ خمسين حقّا، آخرها حق الذمّة. روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته أحاديث عنه أوردها الشيخ الحر العاملى فى جامعه «وسائل الشيعة» كما أنّ له ـ عليه السلام ـ حكماً فى مختلف أبواب الفقه، جمعها الشيخ الحسن الحرانى فى تحفه(۳) فلاحظ . الراوون عنه:

ذكر الشيخ فى رجاله الرواة عنه ـ عليه السلام ـ : ورتّبها على حروف المعجم فبلغ ۱۷۵، شخصاً(۴)وهم بين صحابى وتابعى ـ رضى الله عنهم ـ . قال ابن شهر آشوب: ومن رجاله من الصحابة جابر بن عبداللّه الأنصارى، وعامر بن واثلة الكنانى وسعد بن المسيب بن حزن، وسعيد بن جهان الكنانى مولى اُم هانى... ومن التابعين أبو محمّد سعيد بن جبير مولى بنى أسد، ومحمّد ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الخصال ۵۶۴ ـ ۵۷۰ فى أبواب الخمسين .

۲ . تحف العقول ۱۸۴ ـ ۱۹۵ .

۳ . تحف العقول ۱۸۰ ـ ۲۰۵ .

۴ . الشيخ الطوسى الرجال ۸۱ ـ ۱۰۲ . (۴۷۰)

ابن جبير بن مطعم، وأبو خالد الكابلى، والقاسم بن عوف، وإسماعيل بن عبداللّه بن جعفر، وإبراهيم والحسن ابنا محمّد بن الحنفية، وحبيب بن أبى ثابت، وأبو يحيى الأسدى وأبو حازم الأعرج وسلمة بن دينار المدنى الاقرن القاص . ومن أصحابه أبو حمزة الثمالى بقى إلى أيام موسى بن جعفر، وفرات بن أحنف بقى إلى زمان الصادق وجابر بن محمّد بن أبى بكر، وأيوب بن الحسن، وعلى بن رافع، وحميد بن موسى الكوفى، وأبان بن تغلب، وأبو الفضل سدير ابن حكيم بن صهيب الصيرفى، وقيس بن رمانة، وعبداللّه البرقى...(۱) . قال الشيخ أبو زهرة: «فى بيت الامام زين العابدين نشأ زيد وتكوّنت ميوله، ومنازعه فى الحياة، واتّجاهاته وكان زين العابدين فقيهاً كما كان محدثاً، وكان له شبه بجدّه على بن أبى طالب فى قدرته على الاحاطة بالمسائل الفقهية من كل جوانبها والتفريع عليها، وكان إذا راى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك ـ إذ أنتم صغار قوم ـ أن تكونوا كبار قوم آخرين، وإذا جاءه طالب علم، رحّب به وقال: أنت وصيّة رسول اللّه إنّ طالب العلم لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلاّ سبّحت له الأرض إلى السابعة(۲) . يقول الكاتب محمّد جواد مغنيه: «وكان يحسن إلى من يسئ إليه، من ذلك أنّ هشام بن إسماعيل كان أميراً على المدينة وكان يتعمّد الإساءة إلى الامام وأهل بيته، ولمّا عزله الوليد، أمر أن يوقف للناس: فى الطريق العام ليقتصوا منه، ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . المناقب ۴ / ۱۷۴ طبع قم .

۲ . المقرّم: الامام زيد ۳۱ . (۴۷۱)

وكان لا يخاف أحداً كخوفه من الامام السجاد، ولكن الامام أوصى أهله وأصحابه أن لا يسيئوا إليه، وذهب إليه بنفسه، وقال له: لا بأس عليك منّا، وأية حاجة تعرض لك فعلينا قضاؤها(۱) . ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . محمّد جواد مغنيه: الشيعة والتشيّع ۲۴۴ .

(۴۷۲) (۴۷۳) الامام الخامس: أبوجعفر محمّد بن على بن الحسين ـ عليهم السلام ـ الباقر

هو خامس أئمّة أهل البيت، الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قال ابن منظور فى لسان العرب: لقّب به لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه(۱) وقال ابن حجر: سمّى بذلك لأنّه من بقر الأرض أى شقّها، وإثارة مخبآتها، ومكامنها. فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه(۲) ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . لسان العرب ۴ / ۷۴ .

۲ . الصواعق المحرقة ۲۰۱ . (۴۷۴)

قال ابن خلكان: أبو جعفر محمّد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر أحد الأئمّة الاثنى عشر فى اعتقاد الامامية وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً وانّما قيل له الباقر لأنّه تبقّر فى العلم أى توسّع وفيه يقول الشاعر: يا باقر العلم لأهل التُّقى * وخير من لبّى على الأجبل(۱) ولد بالمدينة غرة رجب سنة ۵۷ وقيل ۵۶ وتوفّى فى السابع من ذى الحجّة سنة ۱۱۴ وعمره الشريف ۵۷ سنة. عاش مع جدّه الحسين ـ عليه السلام ـ ۴ سنين ومع أبيه ـ عليه السلام ـ بعد جدّه ـ عليه السلام ـ تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدة إمامته ـ عليه السلام ـ ۱۸ سنة(۲) . وأمّا النصوص الدالّة على إمامته من أبيه وأجداده الّتى ذكرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهى مستفيضة نقلها الكلينى وغيره(۳) . قال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من المدينة كان عالماً عابداً ثقة وروى عنه الأئمّة أبو حنيفة وغيره . قال أبو يوسف: قلت لأبى حنيفة: لقيت محمّد بن على الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوماً فقلت له: أراد اللّه المعاصى؟ فقال: أفيعصى قهراً؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جوابا أفحم منه . وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب ويعنى الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلا جليلا فى زمانه . وذكر المدائنى: عن جابر بن عبداللّه انّه أتى أبا جعفر محمّد بن على إلى ـــــــــــــــــــــ

۱ . وفيات الأعيان ۴ / ۱۰۷۴ .

۲ . إعلام الورى بأعلام الهدى ۲۶۴ ـ ۲۶۵ .

۳ . الكافى ۱ / ۳۰۵ ـ ۳۰۶، اثبات الهداة ۳ / ۳۳ ـ ۳۵ . (۴۷۵)

الكتاب وهو صغير فقال له: رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول اللّه والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد مولود اسمه علىّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام . وذكر ابن الصبّاغ المالكى بعد نقل القصّة قوله: انّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال لجابر: وإن لاقيته فاعلم انّ بقاءك فى الدنيا قليل فلم يعش جابر بعد ذلك إلاّ ثلاثة أيّام. ثمّ قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام وفضيلة شهد له بها الخاص والعام(۱) . وقال عبداللّه بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر لقد رايت الحكم عنده كأنّه متعلّم(۲) . وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ فى علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ (۳) . وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر كلامه الأخبار واُنشدت فى مدائحه الأشعار...(۴) . قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكاه علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة اللّه وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة ـــــــــــــــــــــ

۱ . تذكرة الخواص لابن الجوزى ۳۰۲ ـ ۳۰۳، الفصول المهمّة ۲۱۵ ـ ۲۱۶ .

۲ . كشف الغمة ۲ / ۳۲۹.

۳ . الارشاد ۲۶۱ .

۴ . الفصول المهمّة ۲۱۰ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد: ۲۶۱ ـ ۲۶۲ . (۴۷۶)

الواصفين وله كلمات كثرة فى السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة(۱). وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنها ولا حرج فقد جمعها العلاّمة الطبرسى فى كتاب الاحتجاج(۲) . قال الشيخ المفيد فى الارشاد: وجاءت الأخبار: انّ نافع بن الأزرق(۳) جاء إلى محمّد بن على فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر فى عرض كلامه: قل لهذه المارقة بم استحللتم فراق أميرالمؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه فى طاعته والقربة إلى اللّه بنصرته، فسيقولون له أنّه حكم فى دين اللّه فقل لهم قد حكّم اللّه تعالى فى شريعة نبيّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رجلين من خلقه فقال: (فَابَعثوا حَكَماً مِن أهلِهِ و حَكَماً مِن أهلِها إن يُرِيدا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُما)(۴). وحكّم رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سعد بن معاذ فى بنى قريظة فحكم فيهم بما أمضاه اللّه. أو

ما علمتم انّ أميرالمؤمنين انّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط رد ما خالف القرآن فى أحكام الرجال وقال حين قالوا له حكّمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكّمت مخلوقاً وانّما حكّمت كتاب اللّه فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن، واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم فى بدعتهم البهتان؟ فقال: نافع بن الأزرق هذا واللّه كلام ما مرّ بسمعى قط ولا خطر منّى ببال وهو الحق إن شاء اللّه(۵) . ـــــــــــــــــــ

۱ . الصواعق المحرقة ۳۰۱ .

۲ . الاحتجاج ۲ / ۵۴ ـ ۶۹ طبع النجف .

۳ . ولعلّ المناظر هو عبداللّه بن نافع بن الأزرق، لأنّ نافع قتل عام ۶۵ من الهجرة وللإمام عندئذ من العمر دون العشرة وقد نقل ابن شهر آشوب بعض مناظرات الإمام مع عبداللّه بن نافع فلاحظ المناقب ۴ / ۲۰۱ .

۴ . النساء / ۳۵ .

۵ . الارشاد: ۲۶۵. (۴۷۷) الراوون عنه:

وقد روى بعض الصحابة وأكثر التابعين ـ عليه السلام ـ وقد نهلوا من معين علمه، وقدجمع الشيخ الطوسى أسماء من روى عنه من العلماء والحفّاظ مبتدئاً بإبراهيم بن مناف الأسدى ومنتهيا بحبابة الوالبية بلغ عددهم ۴۶۶ شخصاً. وقال ابن شهر آشوب بعد نقل كلام المفيد: فمن الصحابة نحو جابر بن عبداللّه الأنصارى ومن التابعين جابر بن يزيد الجعفى، وكيسان السختيانى صاحب العوفية. ومن الفقهاء نحو ابن مبارك، والزهرى، والأوزاعى وأبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وزياد بن منذر النهرى. ومن المصنّفين نحو الطبرى والبلاذرى...(۱) . ثمّ إنّ الشيعة الامامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده البار جعفر الصادق وحسب الترتيب المتداول فى الكتب الفقهية وأمّا ما روى عنه فى الحكم والمواعظ فقد نقلها أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء والحسن بن شعبة الحرّانى فى تحفه(۲) . ثمّ إنّ الامام محمّد الباقر توفّى عام ۱۱۴ ودفن فى جنب قبر أبيه فى البقيع ومن أراد البحث عن فصول حياته فى شتى المجالات فليراجع الموسوعات . ـــــــــــــــــــ

۱ . المناقب ۴ / ۱۹۵ ومن المعلوم أنّ المقصود هو الأعم ممّن روى عن الإمام مباشرة أو مع الواسطة ولاحظ حلية الأولياء ۳ / ۱۹۸ .

۲ . حلية الأولياء ۳ / ۱۸۰ ـ ۲۳۵ وفى بعض ما نقل عنه تأمّل ونظر. والحسن بن على بن شعبة فى تحف العقول ۲۸۴ ـ ۳۰۰ . (۴۷۸) (۴۷۹) الامام السادس: جعفر بن محمّد ـ عليهما السلام ـ الصادق

هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الطاهر ـ رضى الله عنه ـ أجمعين ولقّب بالصادق لصدقه فى مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ۸۰ وتوفّى عام ۱۴۸ ودفن فى البقيع جنب قبر أبيه محمّد الباقر وجدّه علىّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن على ـ رضى اللّه عنهم أجمعين ـ فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه(۱). وقال محمّد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم وذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتبع معانى القران الكريم، ـــــــــــــــــــ

۱ . وفيات الأعيان ۱ / ۳۲۷ رقم الترجمة ۳۱ .

(۴۸۰)

ويستخرج من بحره، جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد فى الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّية الرسالة. نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم. مثل يحيى بن سعيد الأنصارى وابن جريج، ومالك بن أنس،والثورى، وابن عيينة، وأبى حنيفة، وشعبة وأبو أيّوب السجستانى(۱) وغيرهم وعدّوا أخذهم عنه منقبه شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها. وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويُحار فى أنواعها فهم اليقظ الباصر حتّى انّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام الّتى لا تدرك عللها، والعلوم الّتى تقصر الأفهام عن الاحاطة بحكمها، تضاف إليها وتروى عنه(۲)

. وقال ابن الصباغ المالكى: كان جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ من بين اخوته، خليفة أبيه، ووصيّه والقائم بالامامة من بعده، برزعلى جماعة بالفضل، وكان أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره فى البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث . وروى عنه جماعة. من أعيان الأمّة مثل يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثورى، وأبو عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة وأبو أيّوب السجستانى وغيرهم(۳) . ______________

۱ . وفى الأصل أيّوب السختيانى والصحيح ما ذكرناه.

۲ . كشف الغمة ۲ / ۳۶۸ .

۳ . الفصول المهمة ۲۲۲ . (۴۸۱)

إنّك إذا تتّبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلّها تعرب عن اتّفاق الأمّة على إمامته فى العلم والقيادة الروحية وإن اختلفوا فى كونه إماماً منصوصاً من قبل اللّه عزّوجلّ، فذهبت الشيعة إلى الثانى نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة فى مظانّها(۱) . إنّ الامام قام بهداية الاُمّة إلى النهج الصواب فى عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الامويين ومعارضيهم من العباسيين ففى تلك الظروف الصعبة والقاسية استغلّ الامام الفرصة فنشر من أحاديث جدّه، وعلوم آبائه ما سارت إليه الركبان وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء. ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلاف آرائهم ومقالاتهم فكانوا أربعة آلاف رجل(۲) وهذه فضيلة رابية لم تكتب لأحد من الأئمّة قبله ولا بعده . إنّ الامام ـ عليه السلام ـ قام بالتحديث عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الغفلة الّتى استمرّت إلى عام ۱۴۳(۳) وقد اختلط الصحيح بالضعيف وتسرّب إلى السنّة الاسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات بالاضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الاموى. وبالامام عرفوا الصحيح من الزائف، والحقيقة من الباطل فأخذوا عنه الحكم والأحاديث النبويّة ولو نهلت الاُمّة من مناهل علمه وتركوا الروايات الّتى رواها الوضّاعون والكذّابون. لما ابتلت الاُمة بمصائب الحديث الّتى تركها الرواة على جبين الدهر وترى كثيراً من هذه المصائب فى الصحاح والمسانيد ______________

۱ . لاحظ الكافى ۱ / ۳۰۶ ـ ۳۰۷ وإثبات الهداة للحر العاملى ۵ / ۳۲۲ ـ ۳۳۰ .

۲ . الارشاد ۲۷۰ والمناقب لابن شهر آشوب ۴ / ۲۴۷ .

۳ . تاريخ الخلفاء للسيوطى، خلافة المنصور الدوانيقى فقد حدّد تاريخ التدوين بسنة ۱۴۳ . (۴۸۲)

خصوصاً فى صحيح البخارى . والعجب انّ الامام البخارى، احتجّ بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطّان وحريز بن عثمان الرحبى وغيرهم ولم يرو عن الامام الصادق ـ عليه السلام ـ . أمّا الأوّل فهو الوزغ ابن الوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسول اللّه، وأمّا الثانى فهو الخارجى المعروف الّذى أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث فكان ينتقص عليّاً وينال منه ومع ذلك لم نجد رواية للبخارى عن الامام الصادق ونعم ما قال القائل: قضية أشبه بالمرزئة * هذا البخارى إمام الفئة بالصادق الصدّيق ما احتجّ فى * صحيحه واحتجّ بالمرجئة ومثل عمران بن حطان أو * مروان وابن المرأة المخطئة مشكلة ذات عوار إلى * حيرة أرباب النهى ملجئة انّ الامام الصادق المجتبى * بفضله الآى أتت منبئة أجلّ من فى عصره رتبة * لم يقترف فى عمره سيّئة قلامة من ظفر ابهامه * تعدل من مثل... مئة(۱) إنّ للامام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث فى الأحكام الّتى تتجاوز عشرات الالآف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين فى عصره والمتقشفين من الصوفية ضبط المحققون كثيراً منها وهى فى حد ذاتها ثروة علمية تركها الامام ـ عليه السلام ـ أمّا الرواية عنه فى الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ۳۰ ألف حديث . حتّى انّ الحسن بن على الوشاء قال: أدركت فى هذا المسجد (مسجد الكوفة) ______________

۱ . النصايح الكافية لمن يتولى معاوية، كما فى أعيان الشيعة ۱ / ۶۶۷ .

تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني جعفر بن محمّد. (كان ـ عليه السلام ـ يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحديث رسول اللّه قول اللّه عزّوجلّ)(۱) . وأمّا ما اثر عنه في المعارف والعقائد فحدّث عنه ولا حرج ولا يسعنا نقل حتّى القليل منه ومن اراد فليرجع إلى مظانّه(۲) . وأمّا حكمه وقصار كلمه. فلاحظ تحف العقول. وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته الى النجاشي، والى الأهواز، ومنها رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال، ومنها ما أملاه في التوحيد للمفضل بن عمر إلى غير ذلك من الرسائل الّتي رسمها بخطّه(۳) . ولمّا توفّي الامام شيّعه عامّة الناس في المدينة وحمل إلى البقيع وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلي قوله: أقول وقد راحوا به يحملونه * على كاهل من حامليه وعاتق أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى * ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق غداة حثا الحاثون فوق ضريحه * ترابا وأولى كان فوق المفارق فسلام اللّه عليه يوم يولد ويوم مات ويوم يبعث حيا . ________________

۱ . الرجال للنجاشي ۱۳۹ برقم ۷۹ .

۲ . الاحتجاج ۲ / ۶۹ ـ ۱۵۵ والتوحيد للصدوق وقد بسطها على أبواب مختلفة .

۳ . ولقد جمع أسماء هذه الرسائل السيد الأمين في أعيانه ۱ / ۶۶۸ . (۴۸۴) (۴۸۵) الإمام السابع: أبوالحسن موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ الكاظم

سابع أئمّة أهل البيت الطاهر. ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ۷ صفر سنة ۱۲۸ واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ۱۸۳ ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية. يعرف بالعبد الصالح، وبالكاظم، والصابر، والأمين . هو الإمام الكبير القدر والأوحد الحجة الحبر، الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما. قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدّم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلى الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولي (۴۸۶)

عهده والإمام القائم من بعده(۱) . إنّ الكلام في خلقه، وحلمه، وكظمه الغيظ، وفي مناقبه وفضائله، وفي تواضعه ومكارم أخلاقه، وكرمه وسخائه، وشدّة خوفه من اللّه سبحانه، وكثرة صدقاته، وأخباره مع الرشيد وأخيراً في القاء القبض عليه من قبله، وحبسه في ظُلم السجون قرابة سبع سنين واستشهاده، يحتاج إلى تأليف مفرد قام به المحققون ونحن نترك البحث في جميع ذلك ونشير إلى بعض الجوانب خصوصاً في ما يتعلق بعلمه والذين تخرّجوا على يده من الشيعة والسنّة حتّى يقف القارئ على انّه إمام الكل. ۱- روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ زائراً وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر ولمّا انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول اللّه يابن عمّي ـ افتخاراً على من حوله ـ ، فدنى موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبه، فتغيّر وجه الرشيد وقال: هذا الفخريا أبا الحسن حقّاً(۲) . ۲- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنّ هارون كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فدكاً ـ وهو يمتنع عليه ـ ، فلمّا ألحّ عليه قال: ما آخذها إلاّ بحدودها قال: وما حدودها؟ قال: الحد الأوّل عدن ـ فتغيّر وجه الرشيد ـ قال: والحد الثاني؟ قال: بسمرقند ـ فأربد وجهه ـ قال: والحد الثالث؟ قال: أفريقيا قال: والحد الرابع؟ قال: سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينيا فقال هارون: فلم يبق لنا شيء فتحوّل من ________________

۱ . لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ۱ / ۳۰۷ ـ ۳۱۱، إثبات الهداة ۳ / ۱۵۶ ـ ۱۷۰ فقد نقل في الأخير ۶۰ نصّاً على إمامته.

۲ . وفيات الأعيان ۵ / ۳۰۹ . (۴۸۷)

مجلسي فقال موسى: قد أعلمتك انّي إن حدّدتها لم تردّها. فعند ذلك عزم على قتله واستكفى أمره(۱). ۳- كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثمّ يعقّب حتّى تطلع الشمس ويخرّ للّه ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس وكان يدعو كثيرا. فيقول: اللّهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب، ويكرّر ذلك، وكان من دعائه ـ عليه السلام ـ : عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك وكان يبكي من خشية الله حتّى تخضل لحيته بالدموع وكان أوصل الناس لأهله

ورحمه وكان يتفقّد فقراء المدينة فى الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والادقة والتمور فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أى جهة هو(۲) . ۴- فى تحف العقول للحسن بن على بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت فى ايام أبى عبداللّه الصادق ـ عليه السلام ـ فلمّا أتيت المدينة دخلت داره فجلست فى الدهليز أنتظر إذنه إذ خرج صبى فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: على رسلك. ثمّ جلس مستنداً إلى الحائط، ثمّ قال: توقَّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها وضع حيث شئت، فأعجبنى ما سمعت من الصبى فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. فقلت له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال: إنّ السيّئات لاتخلو من احدى ثلاث: إمّا أن تكون من اللّه وليست من العبد فلا ينبغى للرب أن يعذّب العبد على ما لا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغى ____________

۱ . الزمخشرى: ربيع الأبرار، كما فى أعيان الشيعة ۲ / ۸ .

۲ . المفيد: الارشاد ۲۹۶ . (۴۸۸)

للشريك القوى أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد وهى منه، فإن عفا فكرمه وجوده وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته، قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبداللّه واستغنيت بما سمعت. ورواه ابن شهر آشوب فى المناقب نحوه إلاّ أنّه قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار وقال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل فى عينى، وعظم فى قلبى. وقال فى آخر الحديث: فقلت: ذرّية بعضها من بعض(۱) . ۵- روى أبو الفرج الاصفهانى: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى من جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير. وكان صراره ما بين الثلاثمائة وإلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلا. وقال: إنّ رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم على بن أبى طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثمّ مضى راكباً حتّى قصده فى مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا. فلم يصغ إليه وأقبل حتّى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم، قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدرى، قال: إنّما سألتك كم ترجو. قال: مائة اُخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلّم عليه وجعل يقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته . وكان بعد ذلك كلّما دخل موسى خرج وسلّم عليه ويقوم له. فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: أيّما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟(۲) . ____________

۱ . تحف العقول ۳۰۳، المناقب لابن شهر آشوب ۴ / ۳۱۴ .

۲ . مقاتل الطالبيين ۴۹۹ ـ ۵۰۰، تاريخ بغداد ۱۳ / ۲۸ . (۴۸۹)

۶- حكى انّ الرشيد سأله يوماً: كيف قلتم نحن ذرّية رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنتم بنو على وانّما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لاُمّه؟ فقال الكاظم ـ عليه السلام ـ : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بِسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم: (ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ ويُوسُفَ ومُوسى وهرون وَكَذلكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَريّا وَ يَحْيى وَ عِيسى و إلْياسَ...) وليس لعيسى أب إنّما اُلحق بذريّة الأنبياء من قبل اُمّه وكذلك اُلحقنا بذريّة النبى من قبل اُمّنا فاطمة الزهراء، وزيادة اُخرى يا أميرالمؤمنين: قال اللّه عزّوجلّ: (فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ جاءكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أبناءَكُمْ ونِساءَنا ونساءَكُمْ وأنْفُسَنا وأنفُسَكُمْ ثمَّ نَبْتَهِلْ...) ولم يدع ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء(۱) . ۷- أمّا علمه واحديث عنه فقد روى عنه العلماء فى فنون العلم ما ملأ الكتب وكان يعرف بين الرواة بالعالم. وقد روى الناس عنه فأكثروا وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب اللّه(۲) . وقد ذكر الشيخ الطوسى أسماء الرواة عنه فى رجاله فبلغ عددهم مائتين واثنين وستين شخصاً وقام الزميل المتتبع الشيخ العطاردى بجمع اسماء من رووا عنه الأحاديث فى مجالات شتّى فبلغ ستمائة وثمانية وثلاثين رجلا وأسماه بمسند الامام موسى الكاظم فجاء جميع ذلك فى أجزاء ثلاثة . ولقد اتّفقت كلمة المؤرّخين على أنّه استشهد مسموماً فى سجن السندى ابن شاهك بأمر

من الرشيد وكان الخليفة يخاف من أن ينتشر خبر شهادته فی بغداد ـــــــــــــــــــ

۱ . الفصول المهمة ۲۳۸، والآيتان من سورتی الأنعام ۸۴ وآل عمران ۶۱ .

۲ . المفيد: الارشاد ۲۹۸ . (۴۹۰)

ولأجل ذلک لمّا مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه بغداد وفيهم الهيثم بن علی وغيره حتّی يشهدوا علی أنّه مات بأجله، واُخرج ووضع علی الجسر ببغداد فنودی هذا موسی بن جعفر قد مات فانظروا إليه فجعل الناس يتفسّرون فی وجهه وهوميّت(۱) . وأمّا الكلام فی شهادته وأخباره ممّا يطول بنا الكلام إذا أردناه ذكره فليرجع إلی محلها . ومن أحسن كلماته ما وصّی به هشام بن الحكم(۲) .

ـــــــــــــــــــ

۱ . مقاتل الطالبيين ۵۰۴ .

۲ . لاحظ الكافی ۱ / ۱۳ ـ ۲۰ وتحف العقول ۲۸۳ ـ ۲۹۷ . (۴۹۱) الإمام الثامن: علی بن موسی بن جعفر ـ عليهم السلام ـ الرضا هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه موسی بن جعفر ـ عليهما السلام ـ وقد اجتمع أهل البيت فی عصره علی علمه وورعه وكفاءته لنصب الإمامة مضافاً إلی النصوص الواردة فی حقّه من أبيه علی إمامته(۱) . ولد فی المدينة سنة ۱۴۸ واستشهد فی طوس من أرض خراسان فی صفر ۲۰۳ وله يومئذ ۵۵ سنة وكانت مدّة إمامته بعد أبيه ۲۰ سنة(۲) . قال الواقدی: علی بن موسی سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم وكان ثقة يفتی بمسجد رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ وهو ابن نيف وعشرين سنة وهو ـــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ للوقوف علی النصوص: الكافی ۱ / ۳۱۱ ـ ۳۱۹ والارشاد ۳۰۴ ـ ۳۰۵ واثبات الهداة ۳ / ۲۲۸، وروی فيه ۶۸ نصاً علی إمامته .

۲ . الارشاد ۳۰۴ . (۴۹۲)

من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة(۱) . قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجده فی الحقيقة وارثهما (المراد علی بن أبی طالب وعلی بن الحسين ـ عليهم السلام ـ) نما إيمانه، وعلا ـ شأنه، وارتفع مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتّی أدخله الخليفة المأمون، محل مهجته، وأشركه فی مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له علی رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه علية، وصفاته ثنية، ونفسه الشريفة زكية هاشمية، وارومته النبوية كريمة(۲) . وقد عاش الامام فی عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم وازداد التشكيک فی الاُصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصاری ومجسّمة أهل الحديث . وفی تلک الأزمة اُتيحت له ـ عليه السلام ـ الفرصة للمناظرة مع المخالفين علی اختلاف مذاهبهم فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف علی ذلک من اطّلع علی مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء(۳) . ولأجل ايقاف القارئ علی نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلی: دخل أبو قرة المحدّث علی أبی الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ فقال: روينا أنّ اللّه قسم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسی ـ عليه السلام ـ الكلام ولمحمّد ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ الرؤية. فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ فمن المبلّغ عن اللّه إلی الثقلين الجنّ والإنس: انّه (لا ـ تدركه الأبصار) و (لا ـ يحيطون به علما)و (ليس

ـــــــــــــــــــ

۱ . تذكرة الخواص ابن الجوزی ۳۱۵ .

۲ . الفصول المهمة ۲۴۳ نقلا عن مطالب السؤول .

۳ . لقد جمع الشيخ الطبرسی قسماً من هذه الاحتجاجات فی كتابه الاحتجاج ۲ / ۱۷۰ ـ ۲۳۷ طبع النجف . (۴۹۳) كمثله شی) أليس محمّد ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال: بلی. قال: فكيف يجیء رجل إلی الخلف جميعا فيخبرهم انّه جاء من عنداللّه وانّه يدعوهم إلی اللّه بأمر اللّه فيقول: (لا تدركه الأبصار) و (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثله شی).

ثمّ يقول: أنا رأيته بعينی واُحطت به علما، وهو علی صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتی من

عنداللّه بشى ثمّ يأتى بخلافه من وجه آخر. قال أبو قرة: فانّه يقول: (ولَقَدْ رَآهُ نزلةً اُخْرى) فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ إنّ بعده هذه الآيهٔ ما يدل على ما رأى حيث قال:(ما كذب الفؤادُ ما رأى) يقول: ما كذب فؤاد محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: (لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرى) فآيات اللّه غير اللّه. وقال(لا يُحيطون بِهِ عِلْما) فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفهٔ. فقال أبو قرهٔ: فتكذب الروايات؟ فقال أبو الحسن: إذا كانت الروايات مخالفهٔ للقرآن كذّبتها وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علما، ولاتدركه الأبصار، وليس كمثله شيء(۱) . انتشر علم الامام وفضله فأخذت الأفئدهٔ والقلوب تشدّ إليه وفى الاُمّهٔ الإسلاميهٔ رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكانت تأتى الأخبار المرعبهٔ إلى مركز الخلافهٔ العباسيهٔ بمرو. فحاول المأمون الرشيد القاء القبض على الامام من خلال لعبهٔ سياسيهٔ لقتل الثورهٔ فى مهدها، فأنفذ رجالا إلى المدينهٔ حتّى يحملوا الطالبيين وفيهم على بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ إلى مرو. فساروا بالامام عن طريق البصرهٔ حتّى وصلوا به إلى مرو. فأنزلوه داراً وأكرموه . واجتمع المأمون معه فى مجلس ليس فيه غيرهما وقال له: إنّى اُريد أن أخلع ــــــــــــــــــــــ

۱ . الاحتجاج للطبرسى ۲ / ۱۸۴، البحرانى: البرهان ۴ / ۲۲۸ .

(۴۹۴)

نفسى من الخلافهٔ واُقلّدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضا ـ عليه السلام ـ هذا الأمر وقال له: اُعيذك باللّه يا أميرالمؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد، فرد عليه الرسالهٔ فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولايهٔ العهد بعدى فرد عليه الرضا اباءً شديداً، ثمّ استدعاه إليه ثانياً وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين ليس فى المجلس غيرهم وقال له: إنّى قد رايت أن اُقلّدك أمر المسلمين وافسخ ما فى رقبتى واضعه فى رقبتك فقال له الرضا ـ عليه السلام ـ : اللّه اللّه يا أميرالمؤمنين انّه لا طاقهٔ لى بذلك ولا قوّهٔ لى عليه قال له: فانّى موليك العهد من بعدى فقال له: اعفنى من ذلك يا أميرالمؤمنين فقال له المأمون كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال فى كلامه: انّ عمر بن الخطاب جعل الشورى فى ستهٔ أحدهم جدّك أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ وشرط فى من خالف منهم أن يضرب عنقه ولابد من قبولك ما اُريد منك فإنّى لا أجد محيصاً عنه فقال له الرضا ـ عليه السلام ـ : فإنّى اُجيبك إلى ما تريد من ولايهٔ العهد على انّنى لا آمر ولا أنهى ولا أفتى ولا اقضى ولا اُولى ولا أعزل ولا اُغيّر شيئاً ممّا هو قائم فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه (۱) . بعد قبول على بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ بولايهٔ العهد قامَ بين يديه الخطباء والشعراء فخفقت الألويهٔ على رأسه وكان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل ابن على الخزاعى فلمّا دخل عليه قال: قلت قصيدهٔ وجعلت على نفسى أن لا أنشدها أحداً قبلك فأمره بالجلوس حتّى خف مجلسه ثم قال له: هاتها. فأنشد قصيدته المعروفهٔ: ذكرت محل الربع من عرفات * فأجريت دمع العين على الوجنات ــــــــــــــــــــــ

۱ . الارشاد للمفيد ۳۱۰.

(۴۹۵)

وقد خانني صبرى وهاجت صبابتى * رسوم ديار اقفرت وعرات مدارس آيات خلت من تلاوهٔ * ومنزل وحى مقفر العرصات حتّى أتى على آخرها. فلمّا فرغ من إنشادها قام الرضا ـ عليه السلام ـ فدخل إلى حجرته وأنفذ إليه صُرّهٔ فيها مائهٔ دينار واعتذر إليه فردّها دعبل وقال: واللّه ما لهذا جئت وانّما جئت للسلام عليك والتبرّك بالنظر إلى وجهك الميمون وانّى لفى غنى فإن رأيت أن تعطينى شيئاً من ثيابك للتبرّك فهو أحب فأعطاه الرضا جبّهٔ خز وردّ عليه الصرهٔ(۱) . كان الامام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض وعند ذلك أحسَّ المأمون أنّ اعطاءه ولايهٔ العهد ربّما يؤدّى إلى الاطاحهٔ بخلافته، وقوّى ذلك الظن أنّ المأمون بعث إليه يوم العيد فى أن يصلّى بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا ـ عليه السلام ـ : إنّك قد علمت ما كان بينى وبينك ما كان من الشروط فى دخول الأمر فاعفنى فى الصلاهٔ بالناس فقال له المأمون: إنّما اُريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك، ولم تزل الرسل تتردّد بينهما فى ذلك حتّى ألحّ عليه المأمون. فارسل إليه الرضا: إن أعفيتنى فهو أحبّ إليّ وإن لم

تعفنی خرجت كما خرج رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وأميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ فقال له المأمون: أُخرج كيف شئت وأمر القوّاد والحجاب والناس أن يبكروا إلى باب الرضا قال: فعقد الناس لأبی الحسن ـ عليه السلام ـ فی الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه ومسّ ـــــــــــــــــــ

١ . ابن الصباغ: الفصول المهمة ٢٤۶ والمفيد: الارشاد ٣١۶ وللقصة صلة ومن أراد فليرجع إلى المصدرين المذكورين .

(۴٩۶)

شيئاً من الطيب وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه افعلوا ما فعلت فمشى قليلا ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، فلمّا رآه الجند والقواد سقطوا كلّهم عن الدواب إلى الأرض ثمّ كبّر وكبر الناس فخيل إلينا أنّ السماء والحيطان تجاوبه وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لما رأوه فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلّنا على دمائنا، فأنفذ إليه أن يرجع فرجع الرضا ـ عليه السلام ـ واختلف أمر الناس فی ذلك اليوم(١) . وقد أشار الشاعر البحترى إلى تلك القصّة بأبيات: ذكروا بطلعتك النبی فهللوا * لما طلعت من الصفوف وكبروا حتّى انتهيت إلى المصلى لابساً * نور الهدى يبدو عليك فيظهر ومشيت مشية خاشع متواضع * للّه لا يزهى ولا يتكبر(٢) إنّ هذا وأمثاله وبالأخص خروج أخ المأمون زيد بن موسى بالبصرة على المأمون. لأنّه فوض ولاية العهد لعلی بن موسى الرضا وبالتالی سيؤدی إلى خروج الأمر من بيت العباسيين ـ كل ذلك ـ دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السم على النحو المذكور فی التاريخ . ومن لطيف ما نقل عن أبی نواس انّه كان ينشد الشعر فی كل جليل وطفيف ولم يمدح الامام فاعتذر عنه بالأبيات التالية.

قيل لی أنت أحسن الناس طرّاً * فی فنون من الكلام النبيه لك من جوهر الكلام بديع * يثمر الدر فی يدی مجتنيه فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال الّتی تجمّعن فيه ـــــــــــــــــــ

١ . المفيد: الارشاد ٣١٢ .

٢ . أعيان الشيعة ٢ / ٢١ ـ ٢٢ . (۴٩٧)

قلت لا ـ أستطيع مدح إمام * كان جبرئيل خادماً لأبيه ولمّا لم يقبل هذا العذر منه أنشد قصيدة مطوّلة فيها مايلی: مطهّرون نقيّات جيوبهم * تجری الصلاة عليهم أينما ذكروا من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له فی قديم الدهر مفتخر اللّه لمّا برأ خلقاً فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيّها البشر فأنتم الملأ الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاء به السور(١) وأمّا من روى عن الرضا ـ عليه السلام ـ فحدّث عنه ولا حرج فقد ذكر الشيخ الطوسی فی رجاله(٢)والسيد الأمين فی أعيانه أسماء من رووا عنه. وقد قام الفاضل المعاصر الشيخ العطاردی بجمع ما روى عنه من الأحاديث والخطب والمواعظ والمناظرات وأسماه مسند الامام الرضا ـ عليه السلام ـ ورتّب أسماء الراوين عنه حسب حروف المعجم فجاء ٣١٢ رجلا ـ فسلام اللّه عليه يوم ولد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيّا.

___

١ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠ .

٢ . رجال الشيخ ٣۶۶ ـ ٣٩٧ ذكر فيه ٣١۵ رجلا . (۴٩٩) الإمام التاسع: محمّد بن علی بن موسى ـ عليهم السلام ـ الجواد

هو من أئمّة أهل البيت، تاسع الأئمّة عند الشيعة، ولد عام ١٩۵. ورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوّة وارتوت شجرته من منهل الرسالة. قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا ـ عليه السلام ـ عام ٢٠٣ واستشهد ببغداد عام ٢٢٠. أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم. أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة(١) . لمّا توفّى الرضا ـ عليه السلام ـ كان الامام الجواد فی المدينة وقام بأمر الامامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين غير انّ المأمون قد مارس معه نفس السياسة الّتی مارسها مع أبيه ـ عليه السلام ـ خلافاً لأسلافه من العباسيين، ـــــــــــــــــــ

۱ . الكافى ۱ / ۳۲۰ ـ ۳۲۳، اثبات الهداة ۳ / ۳۲۱ ـ ۳۲۸ .

(۵۰۰)

حيث انّهم كانوا يتعاملون مع أئمّـة أهل البيت بالقتل والسجن وكان ذلك يزيـد فى قلوب الناس حبّاً لأهل البيت وبغضا للخلفاء، ولمّا شعر المأمون بـذلك بدّل ذلك الاسلوب باسلوب آخر وهو استقدام أئمة أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكى يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرت هذه السياسة فى حقّهم إلى الامام الحادى عشر كما ستعرف . ولمّا جيئ بالامام الجواد إلى مركز الخلافة، شغف به المأمون، لما راى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه فى العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته اُم الفضل وحملها معه إلى المدينة وكـان حريصاً على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره، ونكتفى فى المقام بذكر أمرين: ۱- لمّا توفّى الامام الرضا ـ عليه السلام ـ وقدم المأمون بغداد. اتّفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد وعمره آنذاك تسع سنين. فلمّا قرب منه الخليفة فقال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعا: يا أميرالمؤمنين فرّ أصحابى فرقا والظن بك حسن انّه لا يفر منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأنتحى. فأعجب المأمون كلامه. وحسن صورته قال: ما اسمك يا غلام؟ قال: محمّد بن على الرضا ـ عليه السلام ـ فترحّم على أبيه(۱) . ۲- لمّا أراد المأمون تزويج ابنته اُم الفضل من الامام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: ننشدك اللّه أن تقيم على هذا الأمر الّذى عزمت عليه من تزويج ابن الرضا ـ عليه السلام ـ فانّا نخاف أن يخرج به عنّا أمرا، قد ملّكناه اللّه وينزع عنّا

۱ . الفصول المهمة ۲۶۶ .

(۵۰۱)

به عزّا. قد ألبسناه اللّه وقد كنّا فى وهلة من عملك مع الرضا حتّى كفى الله المهم من ذلك، وأضافوا: انّه صبى لا معرفة له فامهلة حتى يتأدّب ويتفقّه فى الدين ثمّ اصنع ماترى. قال المأمون: ويحكم إنّى أعرف بهذا الفتى منكم وإنّ أهل هذا البيت علمهم من اللّه تعالى والهامه. ولم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين والأدب من الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا ابا جعفر حتّى يتبيّن لكم ما وصفت لكم من حاله، قالوا: رضينا فخرجوا واتّفق رأيهم على أنّ يحيى بن أكثم يساله مسألة وهو قاضى الزمان فأجابهم المأمون على ذلك، واجتمع القوم فى يوم اتّفقوا عليه وأمر المأمون أن يفرش لأبى جعفر دست ففعل ذلك وجلس يحيى بن أكثم بين يديه وقام الناس فى مراتبهم والمأمون جالس فى دست متّصل بدست أبى جعفر ـ عليه السلام ـ فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لى يا أميرالمؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال: إستأذنه فى ذلك، فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لى جعلت فداك فى مسألة؟ فقال: سل إن شئت . فقال: ما تقول جعلت فداك فى مُحْرِم قتل صيدا؟ فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ : فى حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلا؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبدا؟ صغيراً كان أو كبيرا؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّاً كان على ما فعل أو نادما؟ ليلا كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟ فتحيّر يحيى وبان فى وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد للّه على هذه النعمة والتوفيق لى فى الرأى، ثمّ قال لأبى جعفر ـ عليه السلام ـ : اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وانا مزوّجك (۵۰۲)

اُم الفضل ابنتى(۱) . ولمّا تمّ الزواج قال المأمون لأبى جعفر: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الجواب فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ : إنّ المحرم إذا قتل صيداً فى الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن اصابه فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإذا قتل فرخاً فى الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله فى الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة وإن كان ظبيا فعليه شاة، فان قتل شيئاً من ذلك فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه

بالحج نحره بمنى، وإن كان احرامه بالعمرة نحره بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفى العمد له المأثم وهو موضوع عنه فى الخطأ، والكفارة على الحر فى نفسه، وعلى السيد فى عبده، والصغير لا كفارة عليه وهى على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب فى الآخرة. فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر...(۲) . رجوع الجواد إلى المدينة:

ثمّ إنّ أبا جعفر بعد أن اقام مدّة فى بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدّة إلى أن توفّى المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكّراً فى أبى جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التى ــــــــــــــــــــ

۱ . الارشاد ۳۱۹ ـ ۳۲۱ وإعلام الورى ۳۵۲ وللقصّة صلة فراجع .

۲ . المفيد: الارشاد ۳۲۲ . (۵۰۳)

مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدمه إلى بغداد سنة ۲۲۰(۱) وتوفّى فى بغداد آخر ذى القعدة من تلك السنة وله من العمر ۲۵ سنة وأشهر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر فى مقابر قريش . وأمّا الرواة عنه فقد ذكرهم ابن شهر آشوب فى مناقبه فقال: من ثقاته أيوب ابن نوح بن دراج الكوفى، وجعفر بن محمّد بن يونس الأحول، والحسين بن مسلم بن الحسن، والمختار بن زياد العبدى البصرى، ومحمّد بن الحسين أبى الخطاب الكوفى . ومن أصحابه شاذان بن الخليل النيسابورى، ونوح بن شعيب البغدادى، ومحمّد بن أحمد المحمودى، وأبو يحيى الجرجانى، وأبوالقاسم إدريس القمّى، وعلى بن محمّد بن هارون بن الحسن بن محبوب، وإسحاق بن إسماعيل النيسابورى، وأبو حامد أحمد بن إبراهيمن المراغى، وأبو على بن بلال وعبداللّه بن محمّد الحضينى، ومحمّد بن الحسن بن شمعون البصرى وقال فى موضع آخر: وقد روى عنه المصنّفون نحو أبى بكر أحمد بن ثابت فى تاريخه وأبى إسحاق الثعلبى فى تفسيره، ومحمّد بن منده بن مهربذ فى كتابه(۲). هذا فقد قام الفاضل المعاصر الشيخ العطاردى بجمع ما روى عن الامام الجواد ـ عليه السلام ـ أسماه «مسند الامام الجواد» وقد ذكر أسماء الرواة عنه من ــــــــــــــــــــ

۱ . وفى الارشاد ۳۲۶ وفى إعلام الهدى ۳۰۴: وكان سبب ورود الامام إلى بغداد وإشخاص المعتصم له من المدينة فورد بغداد لليلتين بقيتا من محرّم الحرام سنة ۲۲۵... ثمّ يقول: وكان له يوم قبض ۲۵ سنة .

ولا يخفى انّه لو كان تاريخ وروده إلى بغداد هى سنة ۲۲۵ يكون له يوم وفاته ۳۰ سنة من العمر لأنّه ولد عام ۱۹۵ .

۲ . ابن شهر آشوب: المناقب ۴ / ۲۵۸ . (۵۰۴)

المحدّثين والفقهاء الذين يربو عددهم على ۱۲۱ شخصا. شكر اللّه مساعيه. وسلام اللّه على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم مات أو استشهد بالسم ويوم يبعث حيّا. (۵۰۵) الامام العاشر: أبوالحسن على بن محمّد الجواد بن على الرضا ـ عليهم السلام ـ الهادى

الامام على الهادى، هو الامام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام ۲۱۲ هـ وتوفّى بسامراء سنة ۲۵۴ هـ وهو من بيت الرسالة والامامة ومقر الوصاية والخلافة، وثمرّة من شجرة النبوّة، قام بأمر الامامة بعد والده الامام الجواد، وقد عاصر خلافة المعتصم فالواثق، فالمتوكل فالمنتصر، والمستعين، والمعتز،وله مع هؤلاء قضايا لا يقتضى المقام ذكر البعض فكيف الكل . قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمَت، عَلَتْه هيبة الوقار، وإذا تكلّم سماه البهاء(۱).

ــــــــــــــــــــ

۱ . مناقب آل أبى طالب ۴ / ۴۰۱ طبع قم.

(۵۰۶)

وقال عماد الدين الحنبلى: كان فقيهاً إماماً متعبّداً(۱) . وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبى جعفر ابنه أبو الحسن على بن محمّد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالامامة، والاشارة إليه من أبيه بالخلافة(۲) . وقدتضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن اراد فليرجع إلى الكافى واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّة لذلك(۳) . وقد مارس المتوكّل نفس الاسلوب الخبيث الّذى رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمّة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الاقامة فى مقرّ الخلافة وجعل العيون

والحرّاس عليهم حتّى يطلعوا على دقيق حياتهم وجليلها، وكان المتوكّل من أخبث الخلفاء العباسيين وأشدّهم عداءً لعليّ فبلغه مقام على الهادى بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمة، وقال: إذهب إلى المدينة، وانظر فى حاله وأشخصه إلينا. قال يحيى: فذهبت إلى المدينة. فلمّا دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على على الهادى، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه كان مُحْسِنا اليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت اُسكِّنهم وأحْلِف لهم أنّى لم اُؤمر فيه بمكروه، وانّه لا ـ بأس عليه، ثمّ فتّشت منزله فلم أجد فيه إلاّ ـ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم فى عينى وتولّيت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته، فلمّا قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . شذرات الذهب ۲ / ۱۲۸ فى حوادث سنة ۲۵۴ .

۲ . الارشاد ۳۲۷ .

۳ . الكلينى، الكافى ۱ / ۳۲۳ ـ ۳۲۵، الشيخ الحر العاملى: اثبات الهداة ۳ / ۳۵۵ ـ ۳۵۸ . (۵۰۷)

إبراهيم الطاهرى وكان والياً على بغداد، فقال لى: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول اللّه، والمتوكل مَنْ تَعْلَم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول اللّه خصمك يوم القيامة. فقلت له: واللّه ما وقعت منه إلاّ ـ على كلّ أمر جميل، ثمّ صرت به إلى «سرّ من راى»، فبدأت بـ «وصيف» التركى، فأخبرته بوصوله، فقال: واللّه لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وأنّى فتّشت داره ولم أجد فيها إلاّ ـ المصاحف وكتب العلم وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء(۱) . ومع انّ الامام كان يعيش فى نفس البلد الّذى يسكن فيه المتوكل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، وشى إلى المتوكل بعلى بن محمّد أن فى منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم وأنّه عازم بالوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه فى بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجّه إلى اللّه تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك، إلى المتوكل، قالوا للمتوكل: لم نجد فى بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً فى مجلس الشراب فاُدخل عليه والكأس فى يد المتوكل، فلمّا رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس الّتى كانت فى يده، فقال: واللّه ما خامر لحمى ودمى قط، فاعفنى، فأعفاه، فقال له: أنشدنى شعراً، فقال على: أنا قليل الرواية للشعر، فقال: لابد، فأنشده وهو جالس عنده: باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم * واُسْكِنُوا حُفراً يابئس ما نزلوا ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . سبط ابن الجوزى، تذكرة الخواص ۳۲۲ .

(۵۰۸)

ناداهم صارخ من بعد دفنهم * أين الأسرّة والتيجان والحلل أين الوجوه الّتى كانت منعّمة * من دونها تضرب الأستار والكلل فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل(۱) قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد اُكِلوا فبكى المتوكّل حتّى بلّتَ لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون ورفع إلى على أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرماً(۲) . آثاره العلمية :

روى الحفّاظ والرواة عن الامام أحاديث كثيرة فى شتّى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون فى كتبهم وبثّها الحرّ العاملى فى وسائل الشيعة على أبواب مختلفة، وممّا نلفت إليه النظر انّ للإمام رسائل . ۱ ـ رسالته فى الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين أوردها بتمامها الحسن بن على بن شعبة الحلبى فى كتابه (۳) . ۲- أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضا أوردها فى تحف العقول . ۳- قطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب فى المناقب . ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الامام نأتى بنموذج من تفسيره: ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . ربما يروى «ينتقل» .

۲ . المسعودی: مروج الذهب ۴ / ۱۱ .

۳ . تحف العقول ۳۳۸ ـ ۳۵۲ . (۵۰۹)

قدم إلی المتوکل رجل نصرانی فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن یقیم علیه الحد، فأسلم، فقال یحیی بن أکثم: الایمان یمحو ما قبله، وقال بعضهم: یضرب ثلاثة حدود، فکتب المتوکّل إلی الامام الهادی یسأله، فلمّا قرأ الکتاب، کتب: یضرب حتّی یموت، فأنکر الفقهاء ذلک فکتب إلیه یسأله عن العلّة، فکتب: بسم اللّه الرحمن الرحیم(فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالوا آمَنَّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَکَفَرْنا بِما کُنّا بِهِ مُشرِکینَ * فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إیمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بأسنا سُنَّةَ اللّهِ الَّتی قَدْ خَلَتْ فی عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الکافِرُونَ)(۱)، فأمر به المتوکّل فضرب حتّی مات(۲) . وفاته:

توفّی أبوالحسن ـ علیه السلام ـ فی رجب سنة أربع وخمسین ومائتین ودفن فی داره بسرّ من رأی، وخلّف من الولد أبا محمّد الحسن ابنه هو الإمام من بعده والحسین ومحمّد وجعفر وابنته عایشة، وکان مقامه بسرّ من رأی إلی أن قبض عشر سنین وأشهر، وتوفّی وسنّه یومئذ علی ما قدمناه إحدی وأربعون سنة(۳) . وقد ذکر المسعودی فی اثبات الوصیّة، تفصیل کیفیة وفاته وتشییعه وإیصاء الإمامة لابنه أبی محمّد العسکری. فمن أراد فلیراجع . ________________

۱ . غافر / ۸۴ ـ ۸۵.

۲ . ابن شهر آشوب: مناقب آل أبی طالب ۴ / ۴۰۳ ـ ۴۰۵.

۳ . الإرشاد ۳۲۷ . (۵۱۰) الرواة عن الامام الهادی:

ذکر ابن شهر آشوب فی المناقب مشاهیر الرواة عنه(۱)، وذکر الشیخ الطوسی أسماء الرواة عنه فی رجاله فبلغ عددهم ۱۸۵ شخصاً(۲) ثمّ إنّ الشیخ المعاصر العطاردی قام بجمع ما روی عنه فی مجالات شتی فأسماه «مسند الإمام الهادی» شکر اللّه سعیه .

---

۱ . المناقب ۴ / ۴۰۲ .

۲ . رجال الشیخ الطوسی ۴۰۹ ـ ۴۲۷ . (۵۱۱) الإمام الحادی عشر: أبو محمّد الحسن بن علی الهادی ـ علیهما السلام ـ العسکری

أبو محمّد: الحسن بن علی الهادی بن محمّد الجواد، أحد أئمّة أهل البیت، والإمام الحادی عشر، الملقّب بالعسکری ولد عام ۲۳۲(۱)، وقال الخطیب فی تاریخه(۲) وابن الجوزی فی تذکرته(۳) أنّه ولد عام ۲۳۱، وأشخص بشخوص والده إلی العراق سنة ۲۳۶، وله من العمر أربع سنین وعدّة شهور وقام بأمر الامامة والقیادة الروحیة بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فیه خصال الفضل، وبرز تقدّمه

---

۱ . الکلینی: الکافی ۱ / ۵۰۳ .

۲ . الخطیب: تاریخ بغداد ۷ / ۳۶۶ .

۳ . سبط ابن الجوزی فی تذکرة الخواص ۳۲۲ . (۵۱۲)

علی کافة أهل العصر، واشتهر بکمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة(۱) روی عنه لفیف من الفقهاء والمحدّثین ما یربو علی ۱۵۰ شخصاً(۲) وتوفّی عام ۲۶۰، ودفن فی داره الّتی دفن فیها أبوه بسامراء . وخلّف إبنه المنتظر لدولة الحق، وکان قد أخفی مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطة، واجتهادها فی البحث عن أمره ولکنّه سبحانه حفظه من شرار أعدائه کما حفظ سائر أولیائه کإبراهیم الخلیل وموسی الکلیم، فقد خابت السلطة فی طلبهما والاعتداء علیهما . وقد اشتهر الإمام بالعسکری لأنّه منسوب إلی عسکر ویراد به سرّ من رأی الّذی بناها المعتصم، وانتقل إلیها بعسکره، وأمّا نسبة الإمام لأنّ المتوکّل أشخص اباه علیّاً إلیها وأقام بها عشرین سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إلیها(۳) . وقال السبط ابن الجوزی: کان عالماً ثقة روی الحدیث عن أبیه عن جدّه ومن جملة مسانیده حدیث فی الخمر عزیز . ثمّ ذکر الحدیث عن جدّه أبی الفرج الجوزیّ فی کتابه المسمّی بتحریم الخمر ثمّ ساق سند الحدیث

إلى الحسن العسكرى وهو يسند الحديث إلى ابائه إلى على بن أبى طالب وهو يقول: اشهد باللّه لقد سمعت محمّداً رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: أشهد باللّه لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد باللّه لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد باللّه لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد باللّه على اللوح المحفوظ انّه قال: سمعت اللّه يقول: «شارب الخمر كعابد الوثن»(۴) . ــــــــــــــــــ

۱ . المفيد: الارشاد ۳۳۵ .

۲ . العطاردى: مسند الامام العسكرى وقد جمع فيه كل ما روى عنه وأسند إليه.

۳ . ابن خلكان: وفيات الأعيان ۲ / ۹۴ .

۴ . تذكرة الخواص ۳۲۴ . (۵۱۳)

إنّ الإمام أسند الحديث إلى النبىّ الأكرم ولعلّ السبط ابن الجوزى زعم انّه مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنّ أحاديث أئمّة أهل البيت مروية كلها عن النبىّ الأكرم، فهم لا يروون فى مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلاّ ما وصل إليهم عن النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا ـ تعبّر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصوّر كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممّن يعتمدون على آرائهم الشخصية وهو فى قياسه خاطئ، فهم منذ نعومة أظفار هم إلى أن لبّوا دعوة ربّهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء ولا تعلّموا شيئاً من غير آبائهم فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول اللّه وراثة غيبية لا يعلم كنهه إلاّ اللّه سبحانه والراسخون فى العلم. وهذا جابر الجعفى، قال: قلت لأبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ : إذا حدّثنى بحديث فأسنده لك؟ فقال: حدّثنى أبى عن جدّى عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن جبرئيل عن اللّه تبارك وتعالى، فكل ما اُحدثك بهذا الإسناد. ثمّ قال: لحديث واحد تأخذه من صادق عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها(۱) . وروى حفص ابن البخترى، قال: قلت لأبى عبداللّه الصادق ـ عليه السلام ـ : أسمع الحديث منك فلا أدرى منك سماعه أو من أبيك؟ فقال: ما سمعته منّى فاروه عن أبى، وما سمعته منّى فاروه عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۲) . فأئمة المسلمين على حد قول القائل: ــــــــــــــــــ

۱ . الحر العاملى: وسائل الشيعة ج ۱۸، الباب الثامن من أبواب صفات القاضى الحديث ۶۷ .

۲ . المصدر نفسه، الحديث ۸۶ . (۵۱۴)

ووال اناسا نقلهم وحديثهم * روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى ولقد عاتب الامام الباقر ـ عليه السلام ـ سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا يأخذان الحديث من الناس ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: شرقّا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ أشياء خرج من عندنا أهل البيت. رغم أنّ الخلفاء وضعوا الامام تحت الاقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيساً ولكن روى عنه الحفّاظ والرواة أحاديث جمّة فى شتى المجالات نذكر أسماء الرواة عنه: قال ابن شهرآشوب: من ثقاته على بن جعفر، وأبو هاشم، داود بن القاسم الجعفرى وقد أدرك خمسة من الأئمّة ـ عليهم السلام ـ وداود بن أبى يزيد النيسابورى، ومحمّد بن على بن بلال، وعبداللّه بن جعفر الحميرى القمّى، وأبو عمر عثمان ابن سعيد العمرى، وإسحاق بن ربيع الكوفى، وأبو القاسم جابر بن اليزيد الفارسى، وإبراهيم بن عبدة بن إبراهيم النيسابورى و...(۱) . ثمّ إنّ الكلام فى أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته، وعظمته، ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة. وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا فى ذلك علماؤنا الأبرابر بيد أنّا نشير هنا إلى لمحة من علومه : ۱- لقد شغلت الحروف المقطّعة بال المفسّرين فضربوا يميناً ويساراً وقد أنهى الرازى أقوالهم فيها فى أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولا، ولكن الامام ـ عليه السلام ـ يعالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبين تقوّله. ــــــــــــــــــ

۱ . المناقب ۴ / ۴۲۳ .

(۵۱۵)

فقال اللّه: (الم ذلِكَ الكتابُ) (فقل) يا محمّد، هذا الكتاب الّذى نزّلناه عليك هو الحروف المقطّعة الّتى منها «الف»، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن انّه لا يقدرون عليه بقوله: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَ الجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هـذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض ظَهِيرا) ـ الإسراء / ۸۸ ـ (۱) . وقد روى هذا المعنى عن أبيه الامام الهادى ـ عليه السلام ـ (۲) . ۲- كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك فى طريق المسلمين فيقولون: إنّكم تقولون فى صلواتكم: (اهدِنا الصِّراط المُسْتقيم) أولستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنّكم متنكّبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «أدم لنا توفيقك الّذى به أطعناك فى ماضى أيّامنا حتّى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمالنا» . ثمّ فسّر الصراط بقوله: الصراط المستقيم هو صراطان: صراط فى الدنيا وصراط فى الآخرة أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شىء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الّذى هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة(۳) . وقد استفحل أمر الغلاة فى عصر الامام العسكرى ونسبوا إلى الأئمّة الهداة اُموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركّز الامام على أنّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير .

---

۱ . الصدوق: معانى الأخبار ۲۴، والحديث ذيل فمن أراد فليرجع إلى الكتاب .

۲ . الكلينى: الكافى ج ۱ كتاب العقل والجهل الحديث ۲۰ / ۲۴ ـ ۲۵ .

۳ . الصدوق: معانى الأخبار ۳۳ . (۵۱۶)

۳- ربّما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: (صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِم) ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من اللّه، ولكن المراد من الآية بقرينة قوله: (غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم ولا الضّالِّين) هو نعمة التوفيق والهداية . ولأجل ذلك نرى انّ الامام يفسّر الأنعام بقوله: «قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال اللّه عزّوجلّ: (وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ والرَّسُولَ فَاُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّقينَ والشُّهَداءِ والصّالِحينَ و حَسُنَ اُولئِكَ رفيقاً) ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من اللّه ظاهرة»(۱) . ۴- لقد تفشّت فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء، قبل أن تخلق استلهاماً من بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمّد بن صالح عن قول اللّه: (يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ اُمُّ الكِتابِ)(۲) فقال: هل يمحو إلاّ ما كان وهل يثبت إلاّ ما لم يكن؟ فقلت فى نفسى: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطى. إنّه لا يعلم الشىء حتّى يكون، فنظر إلىَّ شزرا، وقال: «تعالى اللّه الجبّار العالِم بالشىء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه»(۳) . ـــــــــــــــ

۱ . الصدوق: معانى الأخبار ۳۶ .

۲ . الرعد / ۳۹ .

۳ . المسعودى: اثبات الوصية ۲۴۱ . (۵۱۷) حصيلة البحث:

هؤلاء هم أئمّة الشيعة وقادتهم بل أئمة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك وقد ترك رسول اللّه بعد رحلته الثقلين وحثّ الاُمّة على التمسّك بهما وقال: إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً(۱) . ولكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا فى تفسير كتاب اللّه العزيز على أقوال أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين وإنّما استعانوا فى تفسيره بأناس لا ـ يبلغون شأوهم ولا يشقون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (ت ۱۰۴) وعكرمة البربرى (ت ۱۰۴) وطاووس بن كيسان اليمانى (ت ۱۰۶) وعطاء بن أبى رباح (ت ۱۱۴) ومحمّد بن كعب القرظى (ت ۱۱۸) إلى غير ذلك من اُناس لا يبلغون فى الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت ـ صلوات الّه عليهم ـ.. فالإسلام عقيدة وشريعة، فالنجاة عن الضلال ـ حسب مفاد حديث الثقلين هو الرجوع إليهما وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلاّ فلا قيمة له ـ أمّا

الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلاّ إذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنّة نبيّه، وليس حديث أئمّة أهل البيت إلاّ إشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته . ______________

۱ . رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ نشرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. حول هذا الحديث،ترى اسنادها موصولة إلى النبيّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

(۵۱۸) (۵۱۹) الإمام الثانى عشر: الخلف الصالح المهدى صاحب الزمان (عجل اللّه تعالى فرجه)

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكرى الحجّة، الخلف الصالح، ولد عليه السلام بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه اللّه الحكم صبيّا كما حدث ليحيى قال سبحانه: (يا يَحْيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّة وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّا)(۱)وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع قال سبحانه: (إنِّى عَبْدُ اللّهِ آتانِىَ الكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيّا)(۲) وقد تواتر النص عليه من النبىّ الأكرم وآبائه ______________

۱ . مريم / ۱۲ .

۲ . مريم: ۳۰ . (۵۲۰)

الكرام . اتّفق المسلمون على ظهور المهدى فى آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن اللّه ينجى العالم من ذلّ العبودية لغير اللّه، ويلغى الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة الّتى سنّتها الأهواء، ويقطع أواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويمحى أسباب العداء، والبغضاء الّتى صارت سبباً لاختلاف الاُمّة، وافتراق الكلمة، ويحقق به سبحانه بظهوره، وعده الّذى وعد به المؤمنين بقوله: ۱- (وَعَدَ اللّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ولُيمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعَدَ ذلِكَ فَاُولئِكَ هُمُ الفاسِقُون)(۱) . ۲- (وَ نُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ)(۲) . ۳- (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ)(۳). ويأتى عصر ذهبى لا يبقى فيه على الأرض بيت إلاّ ودخلته كلمة الإسلام ولا تبقى قرية إلاّ وينادى فيها بشهادة «لا إله إلاّ اللّه» بكرة وعشيا . ______________

۱ . النور / ۵۵ .

۲ . القصص / ۵ .

۳ . الأنبياء / ۱۰۵ . (۵۲۱)

۱- روى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ولو لم يبق من الدهر إلاّ يوم واحد لبعث اللّه رجلا من أهل بيتى يملأها عدلا كما ملئت جورا(۱) . ۲- أخرج أبو داود عن عبداللّه بن مسعود أنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: لا تنقضى الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى(۲) . ۳- أخرج أبو داود عن اُمّ سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: المهدى من عترتى من ولد فاطمة(۳) . ۴- أخرج الترمذى عن ابن مسعود أنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى(۴) . إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة الّتى بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه يقول الدكتور عبدالباقى: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين انّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريبا، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح(۵) . هذا هو المهدى الّذى اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وانّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة فى ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدى الموعود هو الامام الثانى عشر الّذى ولد بسامراء عام ۲۵۵ هـ واختفى بعد وفاة أبيه عام ۲۶۰ هـ ، وقد تضافرت ______________

۱ . مسند أحمد ۱ / ۹۹، ۳ / ۱۷ ـ ۷۰ .

۲ . جامع الأُصول ۱۱ / ۴۸ برقم ۷۸۱۰ .

۳ . المصدر نفسه برقم ۷۸۱۲ .

۴ . المصدر نفسه برقم ۷۸۱۰ .

۵ . الدكتور عبدالباقی: بين يدی الساعة ۱۲۳ . (۵۲۲)

عليه النصوص من آبـائه، علی وجه ماترک شـكّاً ولا شـبهة(۱) ووافقتهم جماعـة من علماء أهل السـنّة، وقالوا بأنّه ولـد وأنّه محمّـد بن الحسن العسكری . نعم كثير منهم قالوا بأنّه سيولد فی آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت أدری بما فی البيت، فمن رجع إلی روايات أئمّة أهـل البيت فی كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للامـام العسـكری هو المهـدی الموعود . وممّن وافق من علمـاء أهل السـنّة بأنّ وليد بيت الحسن العسكری هو المهدی الموعود : ۱- كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشی الشافعی فی كتابه «مطالب السؤول فی مناقب آل رسول». وقد أثنی عليه من ترجم له مثل اليافعی فی «مرآة الجنان» فی حوادث سنة ۶۵۰. قال بعد سرد اسمه ونسبه: «المهدی الحجّـة الخلف الصالـح المنتظر، فأمّا مولده فبسـرّ من رأی، وأمّا نسـبه أبا فأبوه الحسن الخالص» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة فی المهدی من طريق أبی داود، والترمـذی، ومسـلم والبخـاری وغيرهـم ثمّ اعترض بأنّها لا تـدل علی أنّه محمّـد بن الحسن العسـكری وأجاب بأنّ الرسول لمّا وصـفه وذكر اسـمه ونسبه وجدنا تلک الصفات والعلامات موجودة فی محمّد بن الحسن العسكری علمنا أنّه هو المهدی . ۲- أبو عبـداللّه محمّـد بن يوسف بن محمّـد الكنجی الشافعی فی كتابيه: «البيان فی اخبار صاحب الزمان» و «كفايـة الطالب فی مناقب علی بن أبی طالب». ۳- نور الدين علی بن محمّد بن الصباغ المالكی فی كتابه الفصول المهمة فی معرفة الأئمّة . ---------------

۱ . اقرأ هـذه النصوص فی كتاب كمال الدين للشيـخ الصدوق ۳۰۶ ـ ۳۸۱ تری فيه النصوص المتضافرة علی أنّ المهـدی الموعود هو ولد الامام أبو محمّد الحسن العسكری وانّ له غيبة .

(۵۲۳)

۴- الفقيه الواعظ شـمس الـدين المعروف بالسـبط ابن الجوزی «فی تذكرة الخواص». إلی غير ذلک من علماء وحفّاظ ذكر أسـماءهم وكلماتهم السـيد الأمين فی أعيان الشـيعة وأنهاه إلی ثلاثة عشـر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدی من علماء أهل السـنّة كثيرون وفيما ذكرناه منهم كفاية ومن أراد الاسـتقصاء فليرجع إلی كتابنا «البرهان إلی وجود صاحب الزمان» و رسالة «كشف الأسـتار» للشيخ حسين النوری(۱) . وقد كان الاعتقاد بظهور المهدی فی عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً حتّی أنّ دعبل الخزاعی ذكره فی قصيدته الّتی أنشدها لعلی بن موسـی الرضـا ـ عليه السـلام ـ فقـال: خروج إمام لا محالـة قائم يقوم علی اسم اللّه والبركات يميز فينا كل حق وباطل ويجزی علی النعماء والنقمات ولمّا وصل دعبل إلی هذين البيتين بكی الرضا ـ عليه السلام ـ بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: يا خزاعیّ نطق روح القدس علی لسانک بهذين البيتين، فهل تدری من هذا الامام ومتی يقوم؟، فقلت: لا يا مولای، إلّا أنّی سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأـرض من الفسـاد، ويملأهـا عـدلا كمـا ملئت جوراً، فقـال: يا دعبل، الامام بعـدی محمّـد ابنی (الجواد) وبعـد محمّـد ابنه علی (الهادی) وبعد علی ابنه الحسن (العسكری) وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر فی غيبته، المطاع فی ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحـد لطوّل اللّه ذلـک اليوم حتّی يخرج فيملأها عـدلا كما ملئت جورا، وأمّا متی؟ فاخبار عن الوقت، ولقـد حـدّثنی أبی عن أبيه عن ---------------

۱ . أعيان الشيعة ۲ / ۶۴ ـ ۷۵.

(۵۲۴)

آبائه عن علی ـ عليه السـلام ـ إنّ النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ قيل له: يا رسول اللّه متی يخرج القائم من ذريتک؟ فقال: مثله مثل الساعـة لا يجليها لوقتها إلّا هو. ثقلت فی السـماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتـة(۱) . ثمّ إنّ للمهـدی ـ عجّـل اللّه تعالی فرجه ـ غيبتين صغری وكبری، كمـا جاءت بـذلک الأخبار عن أئمّـة أهل البيت، أمّا الغيبـة الصـغری فمن ابتـداء إمامته إلی انقطاع السـفارة بينه وبين

شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير على بن محمّد السمرى عام ۳۲۹ هـ، ففى هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته فى اُمور شتّى . وأمّا الغيبة الكبرى فهى بعد الاُولى إلى أن يقوم بإذن اللّه تعالى . وأمّا من رأى الحجّة فى زمان أبيه وفى الغيبة الصغرى وحتّى بعد الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج فقد اُلف فى ذلك كتب أحسنها وأجملها: كمال الدين للصدوق والغيبة للشيخ الطوسى . ثمّ إنّ حول الامام المهدى أسئله وشبهات ربّما يتجاوز العشرة، وقد ذكرها المحقّقون من علماء الإمامية فى كتبهم وأجابوا عنها بوضوح(۲) . ______________

۱ . الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ۲ / ۳۷۲ .

۲ . لاحظ محاضراتنا: الإلهيات: بقلم الشيخ الفاضل حسن مكّى ۲ / ۶۴۱ ـ ۶۵۳ وفى كتاب منتخب الأثر فى الامام الثانى عشر لشيخنا: لطف الله الصافى ـ دام ظله ـ غنى وكفاية لطالب الحق .

الفصل الثانی عشر دور الشیعهٔ فی بناء الحضارهٔ

الفصل الثانى عشر دور الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية وازدهار العلوم (۵۲۶) (۵۲۷)

الحضارة تقابل البداوة، وتطلق على الاقامة فى الحضر وهى الكلمة الدارجة فى أيّامنا هذه على ألسن الخطباء وقلم الكتّاب وكلمة التمدّن هى الّتى كانت رائجة سابقاً . ولقد شهدت الحياة البشرية على هذا الكوكب (الأرض) حضارات متعدّدة، لكلٍّ ميزاتها وخصائصها الّتى ضبطها التاريخ، وأفصحت عنها الاكتشافات الأثرية. ومن مشاهير هذه الحضارات: الحضارة الصينية ـ المصرية ـ البابلية ـ اليونانية الرومانية ـ الفارسية ـ وأخيراً الحضارة الغربية ولكل انطباعاتها الخاصة . وأمّا الحضارة الإسلامية فهى الّتى تتوسّط بين الحضارة الأخيرة (الغربية) وما تقدّمها. وهى أكبر الحضارات فى تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون. وهى الأساس الوطيد الّذى قامت عليه حركة النهضة الاوربية. ولقد وضع عشرات من العلماء موسوعات وكتب لبيان ما قدّمته الحضارة الإسلامية من خدمات جليلة إلى المجتمع البشرى فى المجالات المختلفة . وليست الحضارة الإسلامية حضارة عربية ابتدعتها العرب، بمواهبها وتجاربها بل حضارة الشعوب الإسلامية من عرب و فرس وترك وغيرهم من القوميات، الذين ذابوا فى الإسلام ونسوا قومياتهم ومشخّصاتهم العنصرية والبيئية. وكلّما (۵۲۸)

تُستخدم الحضارة العربية يراد منها الحضارة الإسلامية. التى انبثقت بطلوع فجر الإسلام فى الجزيرة العربية وانتشرت بانتشاره بسرعة عجيبة فخفقت راياتها فى بقاع واسعة من العالم فامتدّت من حدود الصين شرقا، إلى المحيط الأطلسى غربا . إنّ الحضارة الحقيقة تتميّز بانعدام الهمجية والفوضى الاجتماعية، وباستغلال الموارد الطبيعية والمواهب البشرية إلى أقصى الحدود. كما تتميز بتقدّم العلوم وازدهار الآداب والفنون، وسموّ المطامح الإنسانية وحلول التنظيم الاجتماعى . إنّ الحضارة تتألّف من عناصر أربعة: ۱- الموارد الاقتصادية . ۲- النظم السياسية . ۳- التقاليد الخلقية . ۴- متابعة العلوم والفنون . وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحرّرت فى نفسه دوافع التطلّع وعوامل الابداع والانشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى فى طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها(۱) . وما ذكره ذلك العالم الباحث من اُسس الحضارة وأركانها يرجع إلى تفسير الحضارة بالمعنى الجامع الشامل للحضارة الإلهية والمادّية. وأمّا بالنظر إلى الحضارة المرتكزة على الاُسس الدينية فمن أهم أركانها توعية الإنسان فى ظلال الاعتقاد باللّه سبحانه واليوم الآخر. حتّى يكون هو الدافع إلى العمل والالتزام بالسلوك الأخلاقى والدينى. فالحضارة المنقطعة عن التوعية الدينية حضارة صناعية ______________

۱ . ويل دورانت: قصة الحضارة ۱ / ۳ .

(۵۲۹)

لا إنسانية، وتمدّن مادّى وليس بالهى . إنّ مؤسّس الحضارة الإسلامية هو النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد جاء بسنن

وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق ومتابعة العلوم والفنون، واستغلال الموارد الطبيعية وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة. ولا يشك فى ذلك من قرأ تاريخ الإسلام وتاريخ النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خصوصاً إذا قارن بين حياة البشرية بعد بزوغ شمس الإسلام بما قبلها . ثمّ إنّ المسلمين شيدوا أركان الحضارة الإسلامية فى ظل الخطوط الّتى رسمها النبىّ الأكرم من خلال القرآن والسنّة فأصبح لهم قوّة اقتصادية، ونظم سياسية، وتقاليد دينية وخلقية وأصبحت العلوم والفنون تتطوّر وتتقدم. وقد قاموا بترجمة كتب اليونانيين والفرس وغيرهم إلى لغتهم فصارت الحضارة الإسلامية مزدهرة. بفضل هذه العلوم وتطويرها. فصارت المكتبات عامرة بآلاف الكتب المتنوّعة . انّ لكلّ حضارة طابعاً خاصاً. فلبعضها طابع اقتصادى ولاُخرى طابع عسكرى، ولثالث طابع فنّى معمارى وهكذا، ولكن الحضارة الإسلامية تتمتّع بمجموع هذه المميزات فلم تترك ميزة دون اُخرى . والّذى يطيب لنا فى هذا الفصل، ذكر مشاركة الشيعة فى بناء هذه الحضارة خصوصاً فيما يرجع إلى الركن الرابع وهو متابعة العلوم والفنون، وأمّا الأركان الثلاثة الباقية فغير مطلوبة لنا فى هذا الفصل وذلك: لأنّ الموارد الاقتصادية شارك فيها المسلمون انطلاقاً من دوافعهم النفسية من خلال الاهتمام بالاُمور التالية: ۱- التنمية الزراعية بأنواعها المختلفة من الحبوب والفاكهة وغيرهما. (۵۳۰) ۲- استخراج المعادن الذهبية، والفضّية، والأحجار، النفيسة الكريمة، كالفيروز، والعقيق، والزمرّد واللؤلؤ والمرجان. ۳- إحداث القنوات المائية وبناء السدود. وتقسيم الماء، ومحاربة طغيانه. ۴- تربية الحيوانات الأليفة وصيد السمك والطيور. ۵- صناعة الألبسة والأقمشة والستور والسجاد . ۶- صناعة الورق وكتابة الكتب ونشرها فى العالم . ۷- ايجاد المواصلات البرّية والبحريّة، وتنظيم حركة الملاحة، ومحاربة قطاع الطرق واللصوص فى البحر والبر . ۸- العناية الفائقة بالتجارة وعقد الاتّفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة، إلى غير ذلك ممّا يوجب ازدهار الوضع الاقتصادى، فلا يصحّ ابعاد قوم عن تلك الساحة وتخصيص الازدهار الاقتصادى بطائفة دون اُخرى فإنّ الإنسان حسب الفطرة والدافع الغريزى، ينساق إلى ذلك . وأمّا النظم السياسية فقد نضجت فى الدولتين الاموية والعباسية فى حقول شتى: الادارة والعسكرية البرية منها والبحرية، فقد قامت كل دولة فى مصر الخلفاء بواجبها من غير فرق بين الدول الشيعية منها كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين وغيرهم كالسامانية والسلاجقة والغزاونة وهكذا . وأمّا التقاليد الخلقية فقد كانت منبثقة من صميم الإسلام ومأخوذة من الكتاب والسنّة وأمّا التقاليد القومية لقد افسح الإسلام لها المجال إذا لم تكن معارضة لمبادئ الشريعة والمثل الأخلاقية الإسلامية . فلأجل ذلك نركز على الركن الرابع من هذه الأركان الأربعة للحضارة، وهو متابعة العلوم والفنون فهى الطابع الأساسى للحضارة الإسلامية وبها تتميّز عن ما تقدّم عليها وعن ما تأخّر عنها، فنأتى بموجز عن دور الشيعة فى بناء هذا الركن أى ازدهار (۵۳۱)

العلوم والفنون ليظهر أنّهم كانوا فى الطليعة وكان لهم الدور الأساسى . إنّ الحضارة الإسلامية تستمد من الكتاب والسنّة فكل من قدّم خدمة للقرآن لفظاً ومعنى، صورة ومادة فقد شارك فى بناء الحضارة الإسلامية ومثله السنّة وإليك البيان . ۱- قدماء الشيعة وعلم النحو:

إنّ دراسة القرآن بين الاُمة ونشر مفاهيمه، يتوقّف على معرفة العلوم الّتى تعد مفتاحاً له إذ لولا تلك العلوم لكانت الدراسة ممتنعة، ونشرها فى ربوع العالم غير ميسور، جدّاً. بل لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم. لأنّ الفتوحات فرضت على المجتمع العربى الاختلاط مع بقية القوميات وسبّب ذلك خطراً على بقاء اللغة العربية وكان العرب عند ظهور الإسلام يعربون كلامهم على النحو الّذى فى القرآن إلّا من خالطهم من الموالى والمتعرّبين، ولكن اللحن لم يكثر إلّا بعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق فشارع اللحن فى قراءة القرآن فمست الحاجة الشديدة إلى ضبط قواعد اللغة(۱) . فقام أبو الأسود الدؤلى بوضع قواعد نحوية بأمر الامام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ فأبو الأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه وكان من سادات التابعين، صاحب عليّاً وشهد معه صفين. ثمّ أقام فى البصرة. يقول الشيخ أبو الحسن سلامة الشامى النحوى: إنّ عليّاًدخل عليه أبوالأسود يوماً. قال: فرأيته مفكّراً، فقلت له: مالى أراك مفكّراً يا أميرالمؤمنين؟ قال: إنّى سمعت من بعض الناس لحناً وقد هممت أن أضع كتاباً

أجمع فيه كلام العرب. فقلت: إن فعلت ذلک أحييت ________________

۱ . جرجی زیدان: تاریخ آداب اللغة العربیة ۱ / ۲۱۹ .

(۵۳۲)

أقواماً من الهلاک فألقی إلیّ صحیفة فیها: الکلام کلّه إسم وفعل وحرف. فالإسم ما دلّ علی المسمّی، والفعل ما دلّ علی حرکة المسمّی، والحرف ما أنبأ عن معنی ولیس بإسم ولا فعل وجعل یزید علی ذلک زیادات قال: واستأذنته أن اصنع فی النحو ما صنع فأذِن وأتیته به فزاد فیه ونقص، وفی روایة أنّه ألقی إلیه الصحیفة وقال له: انح نحو هذه فلهذا سمّی النحو نحوا(۱) . ومن المعلوم انّ هذه القواعد لم تکن تسد الحاجة الملحّة. ولکن أبا الأسود قام باکمالها وضبطها وبتمییز المنصوب من المرفوع والاسم من الفعل بعلامات نسمّیها الاعراب فالروایات مجمعة علی أنّ أبا الأسود (وهو شیعی المذهب توفّی سنة ۶۹) إمّا مدوّن علم النحو أو واضعه وأضحی ما دوَّنه مصدراً لهذا العلم فی العصور الّلاحقة وهناک کلام لابن الندیم دونک لفظه. یقول: قال محمّد بن إسحاق: زعم أکثر العلماء أنّ النحو اُخذ عن أبی الأسود الدؤلی وأنّ أبا الأسود أخذ ذلک عن أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ . ثمّ نقل عن الطبری وقال: انّما سمّی النحو نحواً لأنّ أبا الأسود الدؤلی قال لعلی ـ علیه السلام ـ وقد ألقی علیه شیئاً من اُصول النحو قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع، فسمّی ذلک نحواً(۲) . ۲- وإذا کان أبو الأسود الدؤلی واضعاً للنحو فالخلیل بن أحمد الفراهیدی هو المنقّح له والباسط له. قال أبوبکر محمّد بن الحسن الزبیدی: والخلیل بن أحمد، أوحد العصر، وفرید الدهر، وجهبذ الاُمة واُستاذ أهل الفطنة الّذی لم یر نظیره ولا ________________

۱ . حسن الصدر: تأسیس الشیعة ۵۱ ولقد بلغ الغایة فی ذلک المجال فنقل کلمات المؤرّخین فی ما قام به الأمام وتلمیذه فی تأسیس علم النحو .

۲ . ابن الندیم: الفهرست ۶۶ وللکلام صلة من أراد فلیرجع إلی المصدر . (۵۳۳)

عرف فی الدنیا عدیلة، وهو الّذی بسط النحو ومدّ اطنابه وسبب علله وفتق معانیه وأوضح الحجاج فیه، حتّی بلغ أقصی حدوده وانتهی إلی ابعد غایته... وسیوافیک انّ الخلیل من أصحاب الامام الصادق ومن شیعته . ثمّ إنّ علماء الفریقین شارکوا فی نضج هذا العلم وایصاله إلی القمة . ولیس للمصنف بخس حق طائفة لمصالح اُخری ولکن لمّا کان الهدف هو بیان دور الشیعة فی تطویر العلوم وتتبعها نذکر من خدم علم النحو من قدماء الشیعة فقط منهم. ۱- عطاء بن أبی الأسود: قال الشیخ الطوسی فی باب أصحاب الحسین بن علی: ومنهم ابن أبی الأسود الدؤلی. وقال الحافظ السیوطی فی الطبقات: عطاء، استاذ الأصمعی وأبو عبیدة(۱) . ۲- أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبی سارة الرواسی الکوفی: قال السیوطی: هو أوّل من وضع من الکوفیین کتاباً فی النحو وسمّاه الفیصل وهو اُستاذ الکسائی والفرّاء(۲) . قال النجاشی: روی هو وأبوه عن أبی جعفر وأبی عبداللّه ـ علیهما السلام ـ وله کتاب الوقف والابتداء، وکتاب الهمز، وکتاب اعراب القرآن(۳) . ۳- حمران بن أعین أخو زرارة بن أعین: کان نحویاً إماماً فیه، عالماً بالحدیث واللغة والقرآن، أخذ النحو والقراءة عن (ابن) أبی الأسود، وأخذ عنه الفراء وحمزة أحد السبعة وأخذ الحدیث عن الامام السجاد والباقر والصادق. وآل أعین بیت کبیر بالکوفة من أجلّ بیوت الشیعة ولأبی غالب الزراری ________________

۱ . تأسیس الشیعة ۶۵ .

۲ . تأسیس الشیعة ۶۷ .

۳ . النجاشی: الرجال ۲ / ۲۰۰ برقم ۸۸۴ . (۵۳۴)

رسالة فی ترجمة آل أعین قال: کان حمران من أکابر مشایخ الشیعة وکان عالماً بالنحو واللغة(۱) . ۴- أبو عثمان المازنی: بکر بن محمّد: قال النجاشی: کان سید أهل العلم بالنحو والعربیة واللغة ومقدمته بذلک مشهورة، وکان من علماء الإمامیة، قد تأدّب علی ید إسماعیل بن میثم(۲) له فی الأدب کتاب التصریف، کتاب ما یلحن فیه العامة، التعلیق. مات سنة ۲۴۸ (۳) . ۵- ابن السکیت: یعقوب

بن إسحاق السكيت: كان مقدّماً عند أبی جعفر (الجواد) وأبی الحسن (الهادی) ـ عليهما السلام ـ وكانا يختصّانه. وله عن أبی جعفر ـ عليه السلام ـ رواية ومسائل، وقتله المتوكّل لأجل تشيّعه، وأمره مشهور، وكان وجيهاً فی علم العربية واللغة، ثقة، مصدّقاً، لا يطعن عليه. وله كتب: إصلاح المنطق، كتاب الألفاظ، كتاب ما اتّفق لفظه واختلف معناه، كتاب الأضداد، كتاب المذكّر والمؤنّث، كتاب المقصور والممدود،و...(۴) . وسبب قتله: انّ المتوكل سأله يوماً وهو يعلّم ابنيه وقال: يا يعقوب أيّهما أحبّ إليك، ابناى هذان، أم الحسن والحسين؟ فأجابه: «انّ قنبراً خادم على خير منك ومن ابنيك» فأمر المتوكّل فسلّوا لسانه من قفاه فمات، وقد خلّف بضعة وعشرين أثراً فی النحو واللغة والشعر(۵) واستشهد سنة ۲۴۴ . ــــــــــــــــــــــــــ

۱ . أبو غالب: رسالة فی آل أعين ۲ ـ ۳ بتلخيص .

۲ . وهو من أئمّة المتكلّمين فی الشيعة .

۳ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۷۲ برقم ۲۷۷ وذكره ابن النديم فی أخبار النحويين واللغويين ۹۰ والخطيب البغدادی فی تاريخ مدينة بغداد ج ۷ برقم ۳۵۲۹ .

۴ . النجاشی: الرجال ۲ / ۴۲۵ برقم ۱۲۱۵ .

۵ . جرجی زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ۱ / ۴۲۴ وترجمه ابن خلكان: فی وفياته، وياقوت فی طبقات الادباء وغيرهما . (۵۳۵)

۶- ابن حمدون: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون: قال النجاشی: الكاتب النديم، شيخ أهل اللغة ووجههم. اُستاذ أبی العباس(۱) وكان خصيصاً بسيدنا أبی محمّد العسكری وأبی الحسن قبله. له كتب ثمّ ذكر كتبه(۲) . ۷- أبو إسحاق النحوی: ثعلبة بن ميمون: قال النجاشی: كان وجهاً فی أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحويّاً، لغويّاً، راوية، وكان حسن العمل، كثير العبادة والزهد، روى عن الصادق والكاظم(۳). وبما أنّ الامام الكاظم توفّی عام مائة وثلاث وثمانين، فهو من أهل المائة الثانية . ۸- قتيبة النحوی، الجعفی، الكوفی: قال النجاشی: المؤدب المقری، ثقة، عين، روى عن الصادق(۴) وذكره السيوطی فی بغية الوعاة ووصفه فی تأسيس الشيعة بأنّه إمام أهل النحو واللغة(۵). ۹- إبراهيم بن أبی البلاد: قال النجاشی: كان ثقة، قارئاً، أديباً، روى عن الصادق والكاظم ـ عليهما السلام ـ (۶) . ۱۰- محمّد بن سلمة اليشكری: قال النجاشی: جليل من أصحابنا الكوفيين، عظيم القدر، فقيه، قارئ، لغوی، راوية، خرج إلى البادية، ولقی العرب وأخذ ــــــــــــــــــــــــــ

۱ . يريد ثعلب (۲۰۰ ـ ۲۹۱ م) .

۲ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۳۷ برقم ۲۲۸ .

۳ . النجاشی الرجال ۱ / ۲۹۴ برقم ۳۰۰ وذكره ابن حجر فی لسان الميزان ج ۲ برقم ۳۳۲ .

۴ . النجاشی: الرجال ۲ / ۱۸۵ برقم ۸۶۷ .

۵ . تأسيس الشيعة ۷۶ .

۶ . النجاشی: الرجال ۱ / ۱۰۲ برقم ۳۱ . (۵۳۶)

عنهم، وأخذ عنه: يعقوب بن السكيت، ثمّ ذكر كتبه(۱) وبما أنّه شيخ ابن السكيت فهو أهل المائة الثانية وأوائل الثالثة . ۱۱- أبو عبداللّه النحوی: الحسين بن أحمد بن خالويه، سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبنا، مع علمه بعلوم العربية، واللغة، والشعر، وله كتب ومن كتبه: مستحسن القراءات والشواذ، كتاب فی اللغة(۲). ووصفه السيوطی فی الطبقات إنّه إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دفن ببغداد سنة ۳۱۴ هـ . ۱۲- أبو القاسم التنوخی: قال الشيخ رشيد الدين ابن شهر آشوب: انّه من جملة الشعراء المجاهرين بالشعر فی مدح أهل البيت، وقال ياقوت: كان فی النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة والعروض قدوة، وكان يحفظ من اللغة والنحو شيئاً عظيما(۳) . ما ذكرناه نماذج من أئمّة اللغة من الشيعة الامامية فی القرون الاُولى، وأمّا من وليهم من الأئمّة فحدّث عنهم ولا حرج، فإنّ ذكر أسمائهم ونبذ من حياتهم يدفعنا إلى تأليف مفرد، وقد كفانا فی ذلك ما كتبه السيد الصدر فی هذا المجال، فقد

بلغ النهاية، وقد ذكر أئمّة النحو من الشيعة إلى القرن السابع(۴) فبلغ ۱۴۰ إماماً وأُستاذاً ومؤلّفاً فى الأدب العربى ولا سيما النحو وبينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى (ت ۴۳۶ هـ) والشريف الرضى وابن الشجرىّ الّذى يقول فى حقه السيوطى: كان أوحد زمانه، وفرد أوانه فى علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب توفّى ۵۴۲ . ________

۱ . النجاشى: الرجال ۲ / ۲۱۸ برقم ۸۹۷ .

۲ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۸۸ برقم ۱۵۹ .

۳ . تأسيس الشيعة ۹۱ .

۴ . لاحظ تأسيس الشيعة ۳۹ ـ ۱۳۷ . (۵۳۷)

ونجم الأئمّة الرضى الاستر آبادى، إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة . ۲- قدماء الشيعة وعلم الصرف:

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبو عثمان المازنى وكان قبل ذلك مندرجاً فى علم النحو، كما ذكره فى كشف الظنون، وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنّى المتوفّى فى ۳۹۲ هـ(۱) وأبسط كتاب فى الصرف، ما كتبه نجم الأئمة أعنى محمّد بن الحسن الاسترآبادى الغروى، له شرح الشافية فى الصرف، كما له شرح الكافية فى النحو وكلا كتابيه جليل الخطر محمود الأثر، قد جمع بين الدلائل والمبانى، قال فى كشف الظنون: للكافية شروح أعظمها شرح الشيخ رضىّ الدين محمّد بن الحسن الطوسى الاستر آبادى النحوى قال السيوطى: لم يؤلّف عليها، بل ولا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً فتداوله الناس واعتمدوا عليه وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها فرغ من تأليفه سنة ۶۸۳ . أقول: فرغ من شرح الكافية سنة ۶۸۶ فى النجف الأشرف، كما هو مذكور فى آخر الكتاب .

ولنكتف بهذا المقدار فى مساهمة الشيعة، مع غيرهم فى بناء الأدب العربى وتجديد قواعده وارسائها فى مجالى النحو والصرف، وفيما ذكرنا غنى وكفاية . ۳- قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللغة، الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أُصولها، واشتقاقها، ومعناها وهو يطلب لنفسه تأليف معاجم لغوية إمّا فى موضوعات خاصّة كالخيل ________

۱ . كشف الظنون ۱ / ۲۴۹ مادة «كافية» .

(۵۳۸)

والشاة والوحوش والإنسان فقد أُلّف حولهما كتب تحتوى كلّ منها أسماء الحيوانات وأعضائها، ومن الإنسان أعضائه وأسماؤه. أو موضوعات عامة وأوّل من ألّف فى القسم الثانى هو: ۱- أبو عبدالرحمان الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدى: سيد أهل الأدب، هو أوّل من ضبط اللغة وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم فألّف كتابه «العين» جمع فيه ما كان معروفاً فى أيّامه من ألفاظ اللغة وأحكامها، وقواعدها، ورتّب ذلك على حروف الهجاء، لكنّه رتّب الحروف حسب مخارجها من الحلق، فاللسان، فالأسنان، فالشفتين، وبدأ بحرف العين وختمها بحروف العلّة «واى» وسُمِّى الكتاب بأوّل لفظ من ألفاظه(۱) . وكان الكتاب مخطوطاً عزيز النسخة، لكنّه رأى النور أخيراً وطبع محقّقاً. لم يشك أحد من علمائنا أنّ الخليل كان شيعيّاً وعن المرزبانى أنّه ولد عام مائة من الهجرة وتوفى سنة ۱۷۰ أو ۱۷۵ وقال ابن قانع أنه توفّى سنة ۱۶۰(۲) قد ألّف كتاباً فى الإمامة، أورده بتمامه محمّد بن جعفر المراغى فى كتابه واستدرك عليه ما لم يذكره وأسماه «الخليلى» قال النجاشى محمّد بن جعفر بن محمّد: أبو الفتح الهمدانى الوادعى المعروف بـ«المراغى» كان يتعاطى الكلام، له كتاب مختار الأخبار، كتاب الخليلى فى الامامة، وكتاب ذكر المجاز من القرآن(۳) . قال العلاّمة فى الخلاصة: كان خليل بن أحمد أفضل الناس فى الأدب

____

۱ . آداب اللغة العربية ۴۲۷ ـ ۴۲۸ .

۲ . المامقانى: تنقيح المقال ۱ / ۴۰۳ برقم ۳۷۳۹ .

۳ . النجاشي: الرجال ۲ / ۳۱۸ برقم ۱۰۵۴ . (۵۳۹)

وقوله حجّة فيه واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر وكان إماميّ المذهب(۱) . وقال ابن داود: الخليل بن أحمد شيخ الناس فى علوم الأدب فضله وزهده أشهر من أن يخفى، كان إماميّ المذهب(۲) . ۲- أبان بن تغلب بن رباح الجُرَيرى: من أصحاب الباقر والصادق، قال النجاشي: كان قارئاً من وجوه القرّاء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم(۳) وقال ياقوت: ذكره أبو جعفر الطوسي فى مصنفّى الامامية. وقال: هو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وقال: كان قارئاً، فقيهاً، لُغويّاً، نبيهاً ثبتا(۴) . ۳- ابن حمدون النديم: شيخ أهل اللغة ووجههم وأُستاذ أبى العباس ثعلب(۵) . ۴- أبوبكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدى: الأديب اللغوى، صاحب الجمهرة فى اللغة مات هو وأبو هاشم الجبّائى فى يوم واحد فقال الناس: مات علم اللغة والكلام. ألّف كتاب «جمهرة اللغة» على منوال «العين» واختصره الصاحب وسمّاه «جوهرة الجمهرة»(۶) . ۵- الصاحب بن عباد: عظيم الشأن، جليل القدر فى العلم والأدب، وألّف الصدوق (۳۰۶ ـ ۳۸۱) كتابه عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ لأجله، ومن كتبه فى اللغة: «المحيط» عشر مجلدات وقد عرفت تلخيص الجوهرة. وأمّا تشيّعه فحدّث ـــــــــــــــــــــــ

۱ . العلامة الحلّي: الخلاصة، القسم الأول ۶۷ .

۲ . ابن داود الحلّي: الرجال، القسم الأول ۸۸ برقم ۵۷۴ .

۳ . النجاشي: الرجال ۱ / ۷۳ برقم ۶ .

۴ . ياقوت: معجم الأُدباء ۱ / ۱۰۷ .

۵ . الطوسي: الفهرست ۱۱ / ۵۶ .

۶ . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ۲ / ۱۹۵ . (۵۴۰)

عنه ولا ـ حرج . وكم له من قصائد فى مدح أهل البيت نذكر منها ما يلى: ألم تعلموا انّ الوصى هو الذى * أتى الزكاة وكان فى المحراب ألم تعلموا انّ الوصى هو الذى * حكم الغدير له على الأصحاب(۱)ولنكتف بهذا المقدار فانّ المقصود اراءة نماذج من كبار القدماء الذين شاركوا المسلمين فى تأسيس العلوم العربية وتطويرها وأمّا التفصيل فيرجع إلى محالّه(۲) . ۴- قدماء الشيعة وعلم العروض:

إذا كانت الشيعة هى الّتى ابتكرت علم النحو بهداية من باب علم النبى الأكرم ـ عليه السلام ـ ولحسن الحظ أنّها المبتكرة أيضاً لعلم العروض واستخراجه إلى الوجود وإليك المؤسّسين والمؤلّفين فيه بوجه موجز . ۱- الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى قال ابن خلّكان: هو الّذى استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه فى خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً(۳) . ۲- كافى الكفاة الصاحب بن عباد الطائر الصيت، له كتاب الاقناع فى ـــــــــــــــــــــــ

۱ . الغدير ۴ / ۶۶ وله قصائد اُخرى مذكورة فيه .

۲ . لاحظ تأسيس الشيعة للسيد الصدر فقد ترجم فيه ۲۴ شخصاً كلّهم من أقطاب علم اللغة وللمناقشة فى بعض ما ذكره وان كان مجالا لكنّه لا ينقص عن عظم الجهد الّذى بذله فى طريق منشوده .

۳ . وفيات الأعيان ۲ / ۲۴۴ برقم ۲۲۰ . (۵۴۱)

العروض(۱) وقد توإلى التأليف بعده إلى عصرنا هذا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المعاجم حول مصنّفات الشيعة . ومن أبرز ما اُلّف فى العروض أخيراً أثران: أحدهما: للسيد الشريف هبة الدين الشهرستانى ۱۳۰۱ ـ ۱۳۸۶ أسماه: رواشح الفيوض فى علم العروض وقد طبع فى طهران ۱۳۲۴ . ثانيهما: منظومة رصينة قيّمة قلّما رأى الدهر مثلها للشيخ مصطفى التبريزى (۱۲۹۸ ـ ۱۳۳۸) شرحها العلاّمة أبو المجد الشيخ محمّد رضا الاصفهانى (۱۲۸۶ ـ ۱۳۶۲) وأسماها «اداء المفروض فى شرح ارجوزة العروض» وإليك مستهلّها:

الحمدللّه على اسباغ ما * أولى لنا من فضله وأنعما وخصّنا منه بواف وافر * من بحر جوده المديد الزاخر صلّى على نبيّنا المختار * ما

عـاقب الليـل على النهـار وآله معـادن الرسالـة * بهم يـداوى علل الجهالـة خـذها ودع عنك رموز الرامزة * كعادة تجلى عليك بارزة تجمع كـل ظـاهر وخاف * فى علمى العروض والقوافى(۲) ولنكتف بهـذا المقـدار والمقصود عرض موجز من مشـاطرتهم غيرهم فى تتبع العلوم وتطويرها . ______________

۱ . كشف الظنون ۱ / ۱۳۲ .

۲ . نحتفظ منها بنسخة بخط السيد الامام الخمينى ـ قدس سره ـ وفرغ من نسخها عام ۱۳۴۶ . (۵۴۲) ۵- قدماء الشيعة وطرائف الشعر: لاـ نريـد من الشعـر فى المقـام، الألفـاظ المسبـوكة، والكلمـات المنضَّدة على أحـد الأوزان الشـعرية. وانّمـا نريـد منه مـا يحتوى على المضامين العالية، فى الحياة ويبث روح الجهاد فى الإنسان أو الّذى يشـتمل على حجاج فى الدين أو تبليغ للحق. وعلى مثل هذا الشـعر بنيت الحضـارة الإنسانيـة وهو مقياس ثقافـة الاُمّـة ورقيّها وله خلود عبر القرون لا تطمسه الـدهور والأيّام . فلو نرى فى الـذكر الحكيم، تنديداً بالشـعراء لقوله عزّوجلّ: (والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوون)(۱)فانّما يريـد بها الشـعراء المأجورين الذين يتغافرون بالأباطيل فيجعلون من الشـعر تجـارة، ويصـنعون من الظـالم مظلوماً، ومن المظلوم ظالماً ولأجل ذلك قال سـبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ واد يَهيمُونَ * وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مـا لا يَفْعَلُونَ)(۲) . فإذا كان المراد من الشـعراء هـذه الطائفـة المثلى، الـذين لا يقصدون بشـعرهم وأدبهم وطرائفهم إلاّ ترويج الحق ودعمه ونشـره فى الملاء، فنرى فى الشـيعة طبقـة راقية منهم فى القرون الاُولى وكان أئمة أهل البيت يقدّرون جهودهم ويرحبّون بهم بكـل حفـاوة كما نطق به التاريـخ فى حقّ الفرزدق وميميته وهاشـميات الكميت، وعينيـة الحميرى وتائيـة دعبل، لقـد حظوا جميعاً بتقـدير واحترام الأئمـة وصـار عملهم فى هـذا المجال اسوة الشـيعة . وإليك أسـماء قليل من شـعراء الشـيعة مع ذكر ابيات من شـعرهم الخالد . ______________

۱ . الشعراء / ۲۲۴ .

۲ . الشعراء / ۲۲۵ ـ ۲۲۶ . (۵۴۳) ۱- قيس بن سعد بن عبادة:

وهو سـيد الخزرج، الصـحابى الجليل، كان زعيماً مطاعاً، كريماً ممدوحاً، وكان من شيعة على ـ عليه السلام ـ بعثه على أميراً على مصر سنة ۳۶ وهو وأبوه وأهل بيته من الـذين لم يبايعوا ابابكر وقالوا لا نبايع إلاّ عليّاً(۱) . ومن أشـعاره الّتى أنشدها بين يدى أميرالمؤمنين ـ عليه السـلام ـ : قلتُ لمّا بغى العدو علينا * حسـبنا ربّنا ونعم الوكيل حسبنا الّذى فتح البصر * ة بالأمس والحديث الطويل يوم قال النبى من كنت مولا * ه فهذا مولاه خطب جليل انّما قاله النبى على الاُمّة * حتم ما فيه قال وقيل(۲) ۲- الكميت (۶۰ ـ ۱۲۶):

وهو الكميت بن زيـد شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها من شـعراء مضـر. وكان معروفاً بالتشيّع لبنى هاشم مشـهوراً بذلك وقد حظى بتقدير الأئمة لا صحاره بالحق، ولجهاده فى سبيله، وهاشمياته المقدّرة بـ ۵۷۸ بيتاً أخلد ذكراه فى التاريخ وهى مشتملة على ميمية وبائية ورائية وغيرها . وإليك أبياتاً من عينيته: ويوم الدوح دوح غدير خم * أبان له الولاية لو اُطيعا ولكن الرجال تبايعوها * فلم أر مثلها خطراً مبيعا ______________

۱ . الطبرى: التاريخ ۳ / ۴۶۲ .

۲ . المفيد: الفصول المختارة ۸۷، الكراجكى: كنز الفوائد ۲۳۴، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص ۲۰ . (۵۴۴)

إلى أن قال: أضاعوا أمر قائـدهم فضـلّوا * وأقومهم لـدى الحـدثان ريعا تناسوا حقّه وبغوا عليه * بلا ترة وكان لهم قريعا فقل لنبى اُميّة حيث حلّوا * وإن خفت المهنَّد والقطيعا ولقد طبع ديوان الكميت غير مرة وشرحه الاُسـتاذ محمّد شاكر الخياط والاُستاذ الرافعى(۱) .

۳- السيد الحميرى (ت ۱۷۳):

أبو هاشم إسـماعيل بن محمّـد الملقّب بالسـيد، الشاعر المعروف، ومن المكثرين المجيدين، ومن الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شـعراً فى الجاهليـة والإسـلام وهم «السـيّد» و«بشار» و «أبو العتاهيـة» وكان متفانياً فى حبّ العترة الطاهرة فلم يكن يرى لمناوئيهم حرمة وقدراً وكان يشـدّد النكير عليهم فى كل موقف ويهجوهم بألسـنة حـداد فى كل حول طول . ومن قصائـده المعروفة، عينيته وقد شـرحها عدة

من الأدباء ومستهلّها: لاُم عمرو باللوى مربَع * طامسة أعلامها بلقعُ تروع عنها الطير وحشيَّة * والوحشُ من خيفته تفزعُ(۲) ۴- دعبل الخزاعى (ت ۲۴۶):

أبو على دعبل بن على الخزاعى وهو من بيت علم وفضل وأدب، يرجع نسبه ————————

۱ . إقرأ حياة الكميت فى الغدير ۲ / ۱۸۰ ـ ۲۱۲ .

۲ . إقرأ ترجمة السيد فى الغدير ۲ / ۲۱۳ ـ ۲۸۹ . (۵۴۵)

إلى بديل بن ورقاء الخزاعى الّذى دعا فى حقّه النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . قال النجاشى: أبو على الشاعر المشهور فى أصحابنا، صنّف كتاب طبقات الشعراء ومن أراد التوغّل فى حياته وسيرته، فليقرأ النواحى الأربعة من حياته: ۱- تهالكه فى ولائه لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ . ۲- نبوغه فى الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه . ۳- روايته للحديث والرواة عنه ومن يروى عنهم . ۴- سيرته مع الخلفاء ثم ملحه ونوادره وثم ولادته ووفاته(۱) . وإليك نزراً من تائيته المعروفة: تجاوبن بالأرنان والزفراتِ * نوائح عجم اللفظ والنطقات إلى أن يقول: هم نقضوا عهد الكتاب و * فرضه ومحكمه بالزور والشبهات ولم تك إلّا محنة قد كشفتهم * بدعوى ضلال من هن وهنات تراث بلا قربى وملك بلا هوى * وحكم بلا شورى بغير هدات ۵- أبو فراس (۳۲۰ ـ ۳۵۷):

أبو فراس الحرث ابن أبى العلاء قال الثعالبى: كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلا وكرماً ونبلا ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة(۲) . ————————

۱ . لاحظ حياته فى الغدير ۲ / ۳۶۹ ـ ۳۶۸ .

۲ . يتيمة الدهر ۲۷۰ . (۵۴۶)

وتبعه فى اطرائه والثناء عليه ابن عساكر. ومن قصائده المعروفة الميمية. الّتى مستهلّها . الحق مهتضم والدين مخترم * وفى آل رسول اللّه مقتسم والناس عندك لا ناس فيحفظهم * سوم الرعاة ولا شاء ولا نعم إلى أن قال: باللرجال أما لله منتصر * من الطغاة أما لله منتقم بنو على رعايا فى ديارهم * والأمر تملكه النسوان والخدم إلى أن قال: ابلغ لديك بنى العباس مالكة * لا يدَّعوا ملكها ملاّكها العجم أىّ المفاخر أمست فى منازلكم * وغيركم آمر فيها ومحتكم أنّى يزيدكم فى مفخر علم * وفى الخلاف عليكم يخفق العلم يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم * لمعشر بَيْعهم يوم الهياج دم(۱) ويطيب لى فى المقام أن اُشير إلى أسماء بعض من أنجبتهم مدرسة أهل البيت فى حلبة الشعر والأدب فى القرن الرابع والخامس من اناس معدودين فى القمّة فعلى القارئ الكريم أن يطالع عن حياتهم ويقرأ دواوينهم . ۱- ابن الحجاج البغدادى المتوفّى ۳۲۱ صاحب القصيدة المعروفة: يا صاحب القبّة البيضاء على النجف * من زار قبرك واستشفى لديك شفى ۲- الشريف الرضى ۳۵۷ ـ ۴۰۶ الغنى عن كل تعريف وبيان . ۳- الشريف المرتضى ۳۵۵ ـ ۴۳۶ وهو كأخيه أشهر من أن يعرّف . ۴- مهيار الديلمى المتوفّى ۴۴۸ الّذى هو فى الرعيل الأوّل من شعراء القرن ————————

۱ . الغدير ۳ / ۳۹۹ ـ ۴۰۱ .

(۵۴۷)

الرابع وله غديريات كثيرة منها: هل بعد مفترق الأظغان مجتمع * أم هل زمان بهم قد فات يرتجع هذا عرض موجز لبعض الشعراء البارزين من الشيعة وفيه كفاية لمن أراد الاجمال وأمّا من أراد التوسّع فليرجع إلى الكتب التالية: ۱- الأدب فى ظلّ التشيّع للشيخ عبداللّه نعمة . ۲- تأسيس الشيعة: للسيّد حسن الصدر. الفصل السادس . ۳- الغدير للعلاّمة الأمينى بأجزائه الأحد عشر . ۶- قدماء الشيعة وعلم التفسير:

إنّ القرآن هوالمصدر الرئيسى للمسلمين فى مجالى العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبى الأكرم، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهى على وجه لا تجد له مثيلا بين أصحاب الشرائع السابقة، حتّى أسّسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقى فى ظلّها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام لذكرها. فأدّوا واجبهم تجاه كتاب اللّه العزيز ـ

شكر اللّه مساعيهم ـ من غير فرق بين الشيعة والسنّة . إنّ مدرسة الشيعة منذ أن ارتحل النبيّ الأكرم إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسيراً على أصعدة مختلفة، وخدمت الذكر الحكيم بصور شتّى، فأتى بوجه موجز، لما اُلّف فى القرون الإسلامية الاُولى . إنّ أئمّة أهل البيت ـ بعد الرسول الأكرم ـ هم المفسّرون للقرآن الكريم حيث فسّروا القرآن، بالعلوم الّتى نحلهم الرسول بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم الّتى لا تشذّ عن قول الرسول وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين فى عداد المفسّرين ولا نعترف بحقوق أئمّة أهل البيت إلّا شيئاً لا يذكر. (۵۴۸)

هذا هو الدكتور محمّد حسين الذهبى، جعل عليّاً ـ وهو الوصى وباب علم النبى ـ فى الطبقة الثالثة من حيث نقل الرواية عنه، وجعل تلميذه ابن عباس فى الدرجة الاُولى(۱) ولم يذكر عن بقية الأئمّة شيئاً مع ما نقل عنهم فى مجال التفسير من الروايات الوافرة . ارتحل النبيّ الأكرم وعكف المسلمون على دراسة القرآن وأوّل ما فوجئوا به، هو قصور باع لفيف منهم عن فهم بعض ألفاظ القران. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز، لكن يوجد فيه ألفاظ غير رائجة فيها وربّما كانت رائجة بين القبائل الاُخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه «غريب القرآن» وقد سأل ابن الأزرق ـ رأس الخوارج ـ ابن عباس عن شىء كثير من غريب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقحاح وقد جمعها السيوطى فى اتقانه(۲) . وبما أنّ تفسير غريب القرآن كان الخطوة الاُولى لتفسيره، ألّف أصحابنا فى أبان التدوين كتباً فى ذلك المضمار، نذكر قليلا من كثير . ۱- غريب القرآن: لأبان بن تغلب بن رباح البكرى (ت ۱۴۱)(۳) . ۲- غريب القرآن: لمحمّد بن السائب الكلبى من أصحاب الامام الصادق ـ عليه السلام ـ (۴) . ۳- غريب القرآن: لأبى روق، عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى التابعى، قال ابن عقدة: كان ممّن يقول بولاية أهل البيت(۵) . ــــــــــــــــــــ

۱ . الذهبى: التفسير والمفسّرون ۱ / ۸۹ ـ ۹۰ .

۲ . السيوطى: الاتقان ۴ / ۵۵ ـ ۸۸ .

۳ . النجاشى: الرجال ۱ / ۷۳ برقم ۶ .

۴ . النجاشى: الرجال ۱ / ۷۸ برقم ۶ .

۵ . ابن النديم: الفهرست ۵۷، النجاشى: الرجال ۱ / ۷۸ . (۵۴۹)

۴- غريب القرآن: لعبد الرحمان بن محمّد الأزدى الكوفى، جمع فيه ما ورد فى الكتب الثلاثة المتقدّمة(۱) . ۵- غريب القرآن: للشيخ ابن جعفر أحمد بن محمّد الطبرى الآملى الوزير الشيعى المتوفّى عام ۳۱۳ (۲) . وقد توالى التأليف حول غريب القرآن فى القرون الماضية، فبلغ العشرات أخيرها ـ لا آخرها ـ ما ألّفه السيد محمّد مهدى الخرسان فى جزأين(۳) . مجازات القرآن:

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معانى مفرداته وألفاظه، هناك لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. ونأتى بنماذج قليلة ممّا اُلّف فى ذلك المجال بيد أعلام الشيعة: ۱ ـ مجاز القرآن: لشيخ النحاة الفراء يحيى بن زياد الكوفى المتوفّى عام ۲۰۷، وقد طبع أخيراً فى جزأين (۴). ۲- مجاز القرآن: لمحمّد بن جعفر أبو الفتح الهمدانى. قال النجاشى: له كتاب «ذكر المجاز من القرآن»(۵) . ۳- مجازات القرآن: للشريف الرضى المسمّى بتلخيص البيان فى مجازات القرآن، وهو أحسن ما اُلّف فى هذا الباب وهو مطبوع . ــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشى: الرجال ۱ / ۷۸ .

۲ . ابن النديم: الفهرست ۵۸ .

۳ . الطهرانى آغا بزرگ: الذريعة ۱۶ / ۵۰ برقم ۲۰۸ .

۴ . الطهرانى آغا بزرگ: الذريعة ۱۶ / ۵۰ برقم ۲۰۸ .

۵ . النجاشى: الرجال ۲ / ۳۱۹ برقم ۱۰۵۴ . (۵۵۰) التفسير بصور متنوّعة:

وهناك لون آخر من التفسير، يندفع المفسّر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصة كالمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ،

وآیات الاحکام، وقصص الأنبیاء، وأمثال القرآن، وأقسامه ،والآیات الواردة فی مغازی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ والنازلة فی حق العترة الطاهرة ـ علیهم السلام ـ إلی غیرها من الموضوعات الّتی لا ـ تعم جمیع آیات القرآن، بل تختص بموضوع واحد. فقد خدمت الشیعة کتاب اللّه العزیز بهذه الأنواع من التفاسیر، ومن أراد أن یقف علیها فعلیه أن یرجع إلی المعاجم، وأخص بالذکر: الذریعة إلی تصانیف الشیعة . الشیعة والتفسیر الموضوعی

إنّ نزول القرآن نجوماً وتوزّع الآیات الراجعة إلی موضوع واحد، فی سور متعدّدة، یطلب لنفسه نمطاً آخر، غیر النمط المعروف بالتفسیر الترتیبی، فإنّ النمط الثانی، یتّجه إلی تفسیر القرآن سورة بعد سورة، وآیة بعد آیة، وأمّا النمط الأوّل فیحاول فیه المفسّر إیراد الآیات الواردة فی موضوع خاص، فی مجال البحث، وتفسیر الجمیع جملة واحدة وفی محل واحد . فیستمدّ المفسّر من المعاجم المؤلّفة حول القرآن، ومن غیرها فی الوقوف علی الآیات الواردة، مثلا فی خلق السماء والأرض، أو الإنسان أو أفعاله وحیاته الاُخرویة، فیفسّر المجموع مرة واحدة، ویرفع ابهام آیة، بآیة اُخری، ویخرج بنتیجة واحدة وهذا النوع من التفسیر وإن لم یهتم به القدماء واکتفوا منه بتفسیر بعض الموضوعات کآیات الاحکام، والناسخ والمنسوخ، إلاّ أنّ المتأخّرین منهم، بذلوا جهدهم فی طریقه، ولعلّ العلاّمة المجلسی (۱۰۳۷ ـ ۱۱۱۰) أوّل من فتح (۵۵۱)

هذا الباب علی مصراعیه فی موسوعته «بحارالأنوار»، حیث یورد فی أوّل کل باب الآیات الواردة حوله ثمّ یفسّرها اجمالا، وبعد الفراغ منها، ینتقل إلی الأحادیث الّتی لها صلة بالباب . وقد قام کاتب هذه السطور بتفسیر الآیات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتّی الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهیم القرآن» ولقی اقبالا واسعا، أسأله سبحانه أن یوفّقنی لا تمامه . الشیعة والتفسیر الترتیبی:

قد تعرّفت علی أنّ المنهج الراسخ بین القدماء وأکثر المتأخّرین هو التفسیر الترتیبی، وقد قام فضلاء الشیعة من صحابة الامام علی والتابعین له إلی العصر الحاضر، بهذا النمط من التفسیر إمّا بتفسیر جمیع سوره، أو بعضها والغالب علی التفاسیر المعروفة فی القرون الثلاثة الاُولی، هو التفسیر بالأثر، ولکن انقلب النمط إلی التفسیر العلمی والتحلیلی من أواخر القرن الرابع. فأوّل من ألف من الشیعة علی هذا المنهاج هو الشریف الرّضی (۳۵۷ ـ ۴۰۶) مؤلّف کتاب «حقائق التأویل» فی عشرین جزءاً(۱) ثمّ جاء بعده أخوه الشریف المرتضی فسلک مسلکه فی أمالیه المعروفة بالدرر والغرر. ثمّ توالی التألیف علی هذا المنهاج من عصر الشیخ الأکبر الطوسی (۳۸۵ـ ۴۶۰) مؤلّف «التبیان فی تفسیر القرآن» فی عشرة أجزاء کبار، إلی عصر هذا . فقد قامت الشیعة فی کل قرن بتألیف عشرات التفاسیر وفق أسالیب متنوّعة، ________________

۱ . وللأسف لم توجد منه نسخة کاملة فی عصرنا الحاضر إلاّ الجزء الخامس وهو یکشف عن عظمة هذا السفر ویدل علی جلالة المؤلّف .

(۵۵۲)

ولغات متعدّدة. لا ـ یحصیها إلاّ المتوغّل فی المعاجم ورفوف المکتبات. ولقد فهرسنا علی وجه موجز أسماء مشاهیر المفسّرین من الشیعة وأعلامهم فی ۱۴ قرناً، وفصلنا کل قرن عن القرن الآخر واکتفینا بالمعروفین، لأنّ ذکر غیرهم عسیر ومحوج إلی تألیف حافل. فبلغ عددهم ۱۲۲ مفسّرا. ومن أراد الالمام بذلک فعلیه الرجوع إلی المقدمة الّتی قدّمناها لتفسیر التبیان للشیخ الطوسی ولأجل ذلک نطوی الکلام فی المقام . ۷- قدماء الشیعة وعلم الحدیث:

إنّ السنّة هو المصدر الثانی للثقافة الإسلامیة بجمیع مجالاتها ولم یکن شیء أوجب بعد کتابة القرآن وتدوینه وصیانته من نقص وزیادة، من کتابة حدیث الرسول وتدوینه وصیانته من الدس والدجل وقد أمر به الرسول غیر مرة، روی الامام أحمد عن عمر بن شعیب عن أبیه عن جدّه انّه قال للنبی: یا رسول اللّه أکتب کل ما أسمع منک؟ قال: نعم. قلت: فی الرضا والسخط؟ قال ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ: نعم فانّه لا ینبغی لی أن أقول فی ذلک إلاّ حقّا(۱) . إنّ اللّه سبحانه أمر بکتابة الدِّین حفظاً له، واحتیاطاً علیه واشفاقاً من دخول الریب فیه فالعلم الّذی حفظه أصعب من حفظ الدِّین أحری بأن یکتب ویحفظ من دخول الریب والشک فیه(۲) . فإذا کان

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا ينطق عن الهوى وانّما ينطق عن ــــــــــــــــ

۱ . مسند أحمد ۲ / ۲۰۷ .

۲ . الخطيب البغدادى: تقييد العلم ۷۰ . (۵۵۳)

الوحى الّذى يوحى إليه(۱) فيجب حفظ كلمه وأفعاله وتقريره. حتّى تصدر الاُمة عنها ويستغنى المسلم عن المقاييس الظنّية والاستنباطات الذوقية . وبالرغم من وضوح الأمر وانّه كان من واجب ووظيفة المسلمين الاهتمام بدراسة سنّة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتدوينها. حالت الخلافة دون ذلك فأصبحت كتابة السنّة جريمة لا تغتفر حتّى انّ الخليفة الثانى قال لأبى ذرّ وعبداللّه بن مسعود وأبى الدرداء: «ما هذا الحديث الّذى تفشون عن محمّد؟»(۲) . ولقد أضحى عمل الخليفة سنّة فاتّبعه عثمان ومشى على خطاه معاوية، فأصبح ترك كتابة الحديث سنّة إسلامية وعُدّت الكتابة شيئاً منكراً مخالفاً لها . إنّ الرزيّة الكبرى هى المنع عن التحدّث بحديث رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكتابته وتدوينه، وفسح المجال فى نفس الوقت للرهبان والأحبار للتحدّث بما عندهم من صحيح وباطل، ولقد أذن عمر لتميم الدارى النصرانى الّذى استسلم فى عام ۹ من الهجرة أن يقص(۳) . ولمّا تسنّم عمر بن عبدالعزيز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث فكتب إلى أبى بكر بن حزم فى المدينة، أن يقوم بتدوين الحديث قائلا: إنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّا(۴) . ومع ذلك فلم يقدر ابن حزم على القيام بما أمر به الخليفة. لأنّ رواسب الحظر

---

۱ . اقتباس عن قوله سبحانه: (ما ضَلَّ صاحبُكُم وما غوى * وما ينطقُ عن الهوى * إنّ هو إلّا وحىٌ يُوحى) ـ النجم / ۲ ـ ۴ .

۲ . كنز العمال ۱۰ / ۲۹۳ برقم ۲۹۴۷۹. وفيه: ما هذه الأحاديث الّتى قد أفشيتم عن رسول اللّه الآفاق؟

۳ . كنز العمال ۱۰ / ۲۸۱ .

۴ . صحيح البخارى ۱ / ۲۷ . (۵۵۴)

السابق المؤكد من قبل الخلفاء، حالت دون اُمنيته إلى أن زالت دولة الاُمويين وجاءت دولة العباسيين. فقام المسلمون بتدوين الحديث فى عصر أبى جعفر المنصور سنة ۱۴۳. وأنت تعلم أنّ الخسارة الّتى لحقت بالتراث الاسلامى من منع تدوين السنّة لا تجبر بتدوينه بعد مضى قرن ونيّف، وبعد موت الصحابة وكثير من التابعين الذين رأوا النور وسمعوا منه الحديث. ولم يحدثوا ما سمعوه إلّا سرّاً ومن ظهر القلب إلى مثله . أضف إلى ذلك أنّ الأحبار والرهبان والمأجورين للبلاط الأموى نشروا كل كذب وافتراء بين المسلمين . اهتمام الشيعة بتدوين الحديث:

قام الامام أميرالمؤمنين على ـ عليه السلام ـ بتأليف عدة كتب فى زمان النبى، فقد أملى رسول اللّه كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الامام واشتهر بكتاب على وقد روى عنه البخارى فى صحيحه فى باب «كتابة الحديث»(۱) وباب «أثم من تبرّأ من مواليه»(۲) وقد تبعه ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة الامام وإليك أسماء من اهتمّ بتدوين الآثار وما له صلة بالدين وإن لم يكن حديث الرسول . ۱- قام أبو رافع صحابى الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بتدوين كتاب السنن والأحكام والقضايا(۳). ۲- قام الصحابى الكبير سلمان الفارسى المتوفى سنة ۳۴ بتأليف كتاب حديث ــــــــــــــــ

۱ . صحيح البخارى ۱ / ۲۷ كتاب العلم .

۲ . صحيح البخارى ۸ كتاب الفرائض الباب ۲۰ ص ۱۵۴ .

۳ . النجاشى: الرجال ۶۴ برقم ۱ . (۵۵۵)

الجاثليق الرومى الّذى بعثه ملك الروم بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال الشيخ الطوسى: روى سلمان حديث الجاثليق الّذى بعثه ملك الروم بعد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۱) . ۳- وألّف الصحابى الورع أبو ذر الغفارى المتوفّى سنة ۳۲ كتاب الخطبة يشرح فيها الاُمور بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۲) . هذا ما يرجع إلى الصحابة من الشيعة وأمّا الشيعة من غير

الصحابة أعنى التابعين وتابعى التابعين منهم، فقد قام لفيف منهم بتدوين السنّة إلى عصر الغيبة الكبرى، قد تكفّل بذكرهم وتآليفهم معاجم الرجال قديماً وحديثاً وإليك عرضاً موجزاً من محدّثى الشيعة ومؤلّفيهم فى القرن الأوّل وبداية الثانى . الطبقة الأُولى:

۱- الأصبغ بن نباتة المجاشعى، كان من خاصة أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ روى عنه ـ عليه السلام ـ عهد الأشتر، ووصيته إلى ابنه محمّد(۳) . ۲- عبيداللّه بن أبى رافع، المدنى، مولى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، كان كاتب أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ، له كتاب قضايا أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ وتسمية من شهد مع أميرالمؤمنين الجمل وصفين والنهروان(۴) . ۳- ربيعة بن سميع، له كتاب فى زكاة النعم عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ (۵). ـــــــــــــــــــــــ

۱ . الطوسى: الفهرست ۸ .

۲ . الطوسى: الفهرست ۵۴ .

۳ . النجاشى: الرجال ۱ / ۷۰ برقم ۴ .

۴ . الطوسى: الفهرست ۱۰۷ .

۵ . النجاشى: الرجال ۱ / ۶۷ برقم ۲ . (۵۵۶)

۴- سليم بن قيس الهلالى: أبو صادق، له كتاب وهو مطبوع باسم كتاب سليم بن قيس . ۵- على بن أبى رافع، قال النجاشى: ولابن أبى رافع كتاب آخر، وهو على بن أبى رافع، تابعى من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ، وكان كاتباً له، حفظ كثيراً، وجمع كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب(۱) . ۶- عبيداللّه بن الحر الجعفى، الفارس، الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ (۲) . ۷- زيد بن وهب الجهنى، له كتاب خطب أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرها(۳) . الطبقة الثانية:

۱- الامام السجاد زين العابدين ـ عليه السلام ـ، له الصحيفة الكاملة، المشتهرة بزبور آل محمّد ـ عليهم السلام ـ . ۲- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى، أبو عبداللّه، المتوفّى سنة ۱۲۸، له كتب (۴) . ۳- زياد بن المنذر، الضعيف، كان مستقيماً ثم انحرف، له أصل ،

---

۱ . النجاشى: الرجال ۱ / ۶۵ برقم ۱ .

۲ . النجاشى: الرجال ۱ / ۷۱ برقم ۵ .

۳ . الطوسى: الفهرست ۷۲ .

۴ . النجاشى: الرجال ۱ / ۳۱۳ برقم ۳۳۰ . (۵۵۷)

وله كتاب التفسير(۱) . ۴- لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة، أورده الشيخ فى رجاله(۲) فى أصحاب الحسن والصادق ـ عليهما السلام ـ . ۵- جارود بن منذر الثقة، أورده الشيخ فى أصحاب الحسن والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ، له كتب(۳) . الطبقة الثالثة:

وهم من أصحاب السجاد والباقر ـ عليهما السلام ـ : ۱- برد الاسكاف، من أصحاب السجاد والصادقين ـ عليهم السلام ـ، له كتاب(۴) . ۲- ثابت بن دينار، أبو حمزة الثمالى الأزدى، الثقة، المتوفّى سنة ۱۵۰ روى عنهم ـ عليهم السلام ـ، له كتاب، وله النوادر والزهد، وله تفسير القرآن(۵) . ۳- ثابت بن هرمز، الفارسى، أبو المقدم العجلى، مولاهم الكوفى، روى نسخة عن على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ (۶) . ۴- بسام بن عبداللّه، الصيرفى، مولى بنى أسد، أبو عبداللّه، روى عن ـــــــــــــــــــــــ

۱ . الطوسى: الفهرست ۷۲ .

۲ . الطوسى: الرجال ۲۷۹ من أصحاب الصادق ـ عليه السلام ـ ولاحظ تعليقة المحقق .

۳ . الطوسى: الرجال ۱۱۲ فى أصحاب الباقر ـ عليه السلام ـ .

۴ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۸۴ برقم ۲۸۹ .

۵ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۸۹ برقم ۲۹۴ .

۶ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۹۲ برقم ۲۹۶ . (۵۵۸)

أبی جعفر وأبی عبداللّه ـ علیهما السلام ـ ، له کتاب(۱) . ۵- محمّد بن قیس البجلی، له کتاب قضایا أمیرالمؤمنین ـ علیه السلام ـ (۲) . ۶- حجر بن زائدة الحضرمی، روی عن الباقر والصادق ـ علیهما السلام ـ ، له کتاب(۳) . ۷- زکریا بن عبداللّه الفیاض، له کتاب(۴) . ۸- ثویر بن أبی فاختة «أبو جهم الکوفی»، واسم أبی فاختة: سعید بن علاقة(۵) . ۹- الحسین بن ثور بن أبی فاختة سعید بن حمران، له کتاب نوادر(۶) . ۱۰- عبدالمؤمن بن القاسم بن قیس، الأنصاری، المتوفّی سنة ۱۴۷، عدّه الشیخ فی رجاله من أصحاب السجّاد والصادقین ـ علیهم السلام ـ ، له کتاب(۷) . ولقد خصّص أبو عمرو الکشّی باباً للمحدّثین المتقدّمین من الشیعة وجعله فی صدر رجاله، وتبعه النجاشی فی رجاله فخصّ الطبقة الاُولی بباب ثمّ أورد أسماء الرواة علی حسب الأحرف الهجائیة . ولقد أجاد الشیخ الطوسی فی التعرّف علی طبقات الشیعة بعد رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ إلی عصره فذکر الأئمّة الاثنی عشر، وذکر أصحاب کل إمام ـــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۸۲ برقم ۲۸۶ .

۲ . الطوسی: الفهرست ۱۳۱ .

۳ . النجاشی: الرجال ۱ / ۳۴۷ برقم ۳۸۲ .

۴ . النجاشی: الرجال ۱ / ۳۹۱ برقم ۴۵۲ .

۵ . النجاشی: الرجال ۱ / ۲۹۵ برقم ۳۰۱ .

۶ . النجاشی: الرجال ۱ / ۱۶۶ برقم ۱۲۴ .

۷ . النجاشی: الرجال ۲ / ۱۶۸ برقم ۶۵۳ . (۵۵۹)

وفق الترتیب الزمنی، ثمّ ذکر باباً آخر باسم من لم یرهم ولکن روی عنهم بالواسطة. وأحسن کتاب ألّف فی هذا المجال هو ما ألّفه اُستاذنا الجلیل السید النحریر المحقق البروجردی الّذی أخرج رجال الشیعة فی ۳۴ طبقة، من عصر الصحابة إلی زمانه (۱۲۹۲ ـ ۱۳۸۰) فهذا الکتاب یکشف عن سبق الشیعة فی نظم الحدیث وتدوینه، وأنّهم لم یقیموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قیمة. وبذلک حفظوا نصوص النبی الأکرم وأهل بیته وقدّموها إلی المجتمع الاسلامی، فعلی جمیع علماء المسلمین أن یتمسّکوا بهذا الحبل الّذی هو أحد الثقلین . هذا عرض موجز لمحدّثی الشیعة إلی عصر السجاد والباقر ـ علیهما السلام ـ وأمّا الطبقات الاُخری فیأتی الکلام فی فصل قدماء الشیعة والفقه لأنّهم تجاوزوا عن التحدیث إلی درجة الاجتهاد . ۸- قدماء الشیعة والفقه الاسلامی:

إنّ الفقه الشیعی هو الشجرة الطیّبة، الراسخة الجذور، المتّصلة الاُسس بالنبوّة، امتازت بالسعة والشمولیة، والعمق، والدقّة، والقدرة علی مسایرة العصور المختلفة، والمستجدّات من دون أن تتخطّی عن الحدود المرسومة فی الکتاب والسنّة . إنّ الفقه الامامی یعتمد فی الدرجة الاُولی علی القرآن الکریم ثمّ علی السنّة المحمدیة المنقولة عن النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عن طریق العترة الطاهرة ـ علیهم السلام ـ أو الثقات من أصحابه والتابعین لهم باحسان . وکما یعتمد الفقه الشیعی علی الکتاب والسنّة کذلک یتّخذ من العقل مصدراً فی المجال الّذی له الحق فی ابداء الرأی. کأبواب الملازمات العقلیة أو قبح التکلیف بلا بیان أو لزوم البراءة الیقینیة عند الاشتغال الیقینی . (۵۶۰)

ولا ـ یکتفی بذلک بل یستفید من الاجماع فی الاستنباط ولکن الاجماع المفید هو الکاشف عن وجود النص فی المسألة أو موافقة الامام المعصوم مع المجمعین فی عصر الحضور . إنّ الشیعة الامامیة قدّمت فی ظلّ هذه الاُسس الأربعة فقهاً یتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إلیه الاُمّة ولم یقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبی إلی یومنا هذا. بل فتح بابه طیلة القرون فأنتج عبر العصور فقهاءً

عظاماً، وموسوعات كبارا. لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلا وإليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهائهم والايعاز إلى بعض كتبهم فى القرون الأولى . فقهاء الشيعة فى القرنين الأوّلين:

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدى أئمة الهدى عدة من الفقهاء العظام لا يستهان بهم فبلغوا الذروة فى الاجتهاد كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم الطائفى، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار، وكلّهم من أفاضل خريجى مدرسة أبى جعفر الباقر وولده الصادق ـ عليهما السلام ـ . فأجمعت العصابة على تصديق هؤلاء وانقادت لهم فى الفقه والفقاهة . ويليهم فى الفضل لفيف آخر، هم أحداث خريجى مدرسة أبى عبداللّه الصادق نظراء جميل بن دراج، وعبداللّه بن مسكان، وعبداللّه بن بكير، وحماد بن عثمان، وحماد بن عيسى، وأبان بن عثمان . وهناك ثلة اُخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الامام موسى الكاظم وابنه أبى الحسن الرضا ـ عليهما السلام ـ نظراء يونس بن عبدالرحمان، ومحمّد بن أبى عمير، وعبداللّه بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن على بن فضال، وفضالة (۵۶۱)

ابن أيوب(۱) . أكثر هؤلاء من فقهاء أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث . هؤلاء أعلام الشيعة فى الفقه والحديث فى القرنين الأوّلين وكلّهم خريجو مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ولقد خلّفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل وعناوين اُخرى. أصحاب الجوامع الفقهية فى القرن الثالث:

لم تزل تنجب مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فى القرن الثالث فقهاءاً كباراً ألّفوا جوامع فقهية. نشير إلى بعضهم: ۱- يونس بن عبدالرحمان، ولقد وصفه ابن النديم فى فهرسته بعلاّمة زمانه، له جوامع الآثار والجامع الكبير، وكتاب الشرائع. ۲- صفوان بن يحيى البجلى، الّذى كان أوثق أهل زمانه وصنّف ۳۰ كتابا. ۳ و ۴ ـ الحسن والحسين ابنا سعيد بن حماد الأهوازى، صنّفا الكتب الثلاثين. ۵- أحمد بن محمّد بن خالد البرقى، المتوفّى ۲۷۴ صاحب كتاب المحاسن وغيره. ۶- محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعرى القمّى، صاحب نوادر الحكمة المتوفّى حوالى ۲۹۳. صاحب الجامع المعروف . ۷- أحمد بن محمّد أبى نصر البزنطى، المتوفّى ۲۲۱، صاحب الجامع

۱ . أبو عمرو الكشى: الرجال ۲۰۶ ـ ۲۲۲ ـ ۴۶۶، وراجع رجال النجاشى فى ترجمتهم وذكر آثارهم ومنزلتهم فى الفقه .
(۵۶۲)

المعروف . فقهاء الشيعة فى القرن الرابع:

هؤلاء هم فقهاء الشيعة فى القرن الثالث ويليهم عدة اُخرى فى القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الاجمال: ۱- الحسن بن على بن أبى عقيل شيخ الشيعة وفقيهها صاحب كتاب المتمسك بحبل آل الرسول . ۲- على بن الحسين بن بابويه، المتوفّى ۳۲۹، صاحب كتاب الشرائع . ۳- محمّد بن الحسن بن الوليد القمى، جليل القدر، شيخ القميين وفقيههم ومتقدّمهم مات سنة ۳۴۳ ولقد بلغ فى الوثاقة والدقة على حد يسكن إليها الشيخ الصدوق فى تصحيحاته وتضعيفاته . ۴- جعفر بن محمّد بن قولويه. اُستاذ الشيخ الصدوق مؤلّف كامل الزيارات، يقول النجاشى: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلاّئهم فى الفقه والحديث. توفّى عام ۳۶۹. ۵- محمّد بن على بن الحسين الصدوق ۳۰۶ ـ ۳۸۱، مؤلّف من لا ـ يحضره الفقيه والمقنع والهداية . ۶- محمّد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالاسكافى، المتوفّى سنة ۳۸۵ . قال النجاشى: وجه فى أصحابنا ثقة جليل القدر صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة. وكتاب الأحمدى للفقه المحمّدى . مشاهير الفقهاء فى القرن الخامس:

وفى القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، احتفل الفقه الشيعى بل الاسلامى (۵۶۳)

بأسمائهم وآرائهم كالشيخ المفيد ۳۳۶ ـ ۴۱۳ والسيد المرتضى ۳۵۵ ـ ۴۳۶ والشيخ الكراجكى ۴۴۹ والشيخ الطوسى ۳۸۵ ـ ۴۶۰ وسلّار الديلمى مؤلف المراسم، وابن البراج ۴۰۱ ـ ۴۸۹ مؤلف المهذب، وغيرهم الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال، ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه بالرجوع إلى الموسوعات الرجالية وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة . هذا

عرض موجز لمشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهى. وبعين اللّه انّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود فى ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات ومرتزقة البلاط تطاردهم وتسجنهم وتقتلهم ومع ذلك نرى هذا الانتاج العلمى الهائل فى مجال الفقه. ولو وقف عليها علماء الإسلام لا ندهشوا من سعة الفكر، وعمق النظر، وغزارة الانتاج . هذا هو الشيخ الطوسى الّذى ألّف المبسوط فى الفقه المقارن فى ۸ أجزاء فى زمن كانت نار الحرب مشتعلة على الشيعة ولقد أحرقت داره، ومكتبته فى كرخ بغداد فالتجأ سرّاً إلى النجف الأشرف تاركاً بلده الّذى عاش فيه قرابة نصف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب، واُجيزوا بازاء شعر أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا . ۹- قدماء الشيعة وعلم اُصول الفقه:

إنّ السنّة النبوية بعد القرآن الكريم هى المصدر للتشريع، وقد سبق أنّ الخلافة ـ بعد رحلة الرسول ـ حالت دون تحديث ما تركه بين الاُمة، وكتابته وتدوينه. فلم تدوّن السنّة إلى عصر أبى جعفر المنصور إلّا صحائف غير منظّمة ولا مرتّبة إلى أن (۵۶۴)

شرع علماء الإسلام فى التدوين سنة ۱۵۳(۱) . إنّ الحيلولة بين السنّة وتدوينها ونشرها أدّت إلى نتائج سلبية عظيمة منها قصور ما وصل إلى الفقهاء فى ذلك العصر صحيحاً من الرسول، عن تلبية متطلّباتهم فى مجال الأحكام. حتّى اشتهر عن امام الحنفية أنّه لم يثبت عنده من أحاديث الرسول فى مجال التشريع إلّا سبعة عشر حديثا . نحن لا نوافق مع ما حكى عن النعمان ولكن نؤكّد على شىء آخر، وهو أنّ ما ورد فى مجموع الصحاح والمسانيد والسنن الأعم من الصحيح والضعيف فى مجال الأحكام الشرعية، لا يتجاوز ۵۰۰ حديثاً، قال السيد محمّد رشيد رضا: إنّ أحاديث الأحكام الاُصول لا تتجاوز ۵۰۰ حديثاً تمدّها أربعة آلاف فيما أذكر(۲). ويقول أيضاً فى تفسيره: يقولون انّ مصدر القوانين، الاُمة، ونحن نقول بذلك، فى غير المنصوص فى الكتاب والسنّة. كما قرّره الامام الرازى والمنصوص قليل جدّاً(۳) . وما ذكره من قضية الامداد، يوحى إلى الموقوفات عن الصحابة من دون أن يثبت صدورها عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهذه الموقوفات تعرب عن اجتهادات الصحابة فى المسألة. ومن المعلوم انّ قول الصحابى لا يكون حجّة إلّا إذا نسبه إلى الرسول . هذا وأنّ الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفّى ۸۵۲ جمع كل ما ورد فى ــــــــــــــــــــ

۱ . جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء ۲۶۱ .

۲ . الوحى المحمّدى، الطبعة السادسة ۲۱۲، نعم أنهاه ابن حجر فى كتابه «بلوغ المرام» إلى ۱۵۹۶ لكن كثيراً منها لا يتضمّن حكماً شرعياً وانّما هى أحاديث أخلاقية وغيرها فلاحظ .

۳ . المنار ۵ / ۱۸۹ . (۵۶۵)

مجال التشريع فى كتاب أسماه بلوغ المرام من أدلّة الأحكام(۱) وهو كتاب صغير جدّاً . إنّ افتقاد النص فى مجال التشريع الّذى واجه فقهاء أهل السنّة بعد رحلة الرسول، هو الّذى دعاهم إلى التفحّص عن حلول لهذه الأزمة حتّى تسد حاجاتهم الفقهية فعكفوا على المقاييس الظنية الّتى ما أنزل اللّه بها من سلطان كالقياس، والاستقراء، والاستحسان، وسد الذرائع، وسنّة الخلفاء، أو سنّة الصحابة، أو رأى أهل المدينة إلى غير ذلك من القواعد وأسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية، وقد جاء ذلك نواة لتأسيس علم اُصول الفقه بصورة مختصرة نمت ونضجت فى الأجيال . وأمّا الشيعة حيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول بعد وفاته لوجود باب علم النبى، على ـ عليه السلام ـ والأئمة المعصومين بين ظهرانيهم فلم تكن هناك أية حاجة للعمل بتلك المقاييس وبالتالى لم يكن هناك أى دافع للاتّجاه نحو اُصول الفقه . نعم لمّا كان الإسلام ديناً عالمياً والنبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاتم الأنبياء، والاُصول والسنن مهما كثرت لا يمكن أن تلبّى بحرفيتها حاجات المسلمين إلى يوم القيامة، انبرى أئمّة أهل البيت إلى املاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو اجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات الّتى يواجه بها الفقيه. وتلك الاُصول هى الّتى تشكّل أساساً لعلم اُصول الفقه ولقد جمعها عدّة من الأعلام فى كتاب خاص أفضلها الفصول المهمّة فى اُصول الأئمّة للشيخ المحدث الحر العاملى المتوفّى ۱۱۰۴ . فلو تأخّرت الشيعة فى تدوين مسائل اُصول الفقه فانّما لأجل ذاك الغنى الذى ــــــــــــــــــــ

١ . بلوغ المرام من أدلة الأحكام، طبع مصر تحقيق محمّد حامد الفقى .

(۵۶۶)

عرفت، ومع ذلك نرى انّ لفيفاً من صحابة الأئمّة درسوا بعض مسائل اُصول الفقه نظير: ١- هشام بن الحكم المتوفّى سنة ١٩٩، صنّف كتاب الألفاظ(١) . ٢- يونس بن عبدالرحمان، صنّف كتاب اختلاف الحديث ومسائله. وهو مبحث تعارض الحديثين(٢) . ٣- إسماعيل بن على بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت ٢٣٧ ـ ٣١١ . قال النجاشى: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا وذكر مصنّفاته وعدّ منها كتاب الخصوص والعموم(٣) وذكره ابن النديم فى فهرسته وعدّ من مصنّفاته كتاب ابطال القياس. وكتاب نقض اجتهاد الرأى على ابن الراوندى(۴) . ۴- أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختى من علماء القرن الثالث له كتاب الخصوص والعموم والخبر الواحد والعمل به(۵) . ۵- أبو منصور صرام النيشابورى من علماء القرن الثالث وأوائل الرابع له ابطال القياس(۶) . ۶- محمّد بن أحمد بن داود بن على المتوفّى عام ٣۶٨ قال النجاشى: شيخ ـــــــــــــــــ

١ . النجاشى: الرجال ٢ / ٣٩٨ برقم ١١۶۵ وهو مردد بين كونه كتاب لغة أو أدب، أو كونه باحثاً عن الألفاظ الّتى يستخدمها الفقيه فى استنباط الأحكام لكون الأمر للوجوب والمرّة والتكرار أو الفورية والتأخير إلى غير ذلك .

٢ . الطوسى: الفهرست ٢١١ برقم ٨١٠ والنجاشى ٢ / ۴٢٠ .

٣ . النجاشى: الرجال ١ / ١٢١ برقم ۶٧ .

۴ . ابن النديم: الفهرست ٢۶۵ طبع مطبعة الاستقامة القاهرة .

۵ . النجاشى: الرجال ١ / ١٨٠ ـ ١٨١ برقم ١۴۶ .

۶ . الطوسى: الفهرست قسم الكنى ٣٨١ برقم ۵٨٨ . (۵۶٧)

هذه الطائفة وعالمها له كتاب الحديثين المختلفين(١) . ٧- محمّد بن أحمد بن الجنيد المتوفّى سنة ٣٨١ له كتاب كشف التمويه والالتباس فى ابطال القياس(٢) . والطابع السائد على هذه الكتب هو دراسة بعض المسائل الاُصولية كحجّية خبر الواحد، أو حل مشكلة اختلاف الحديثين أو نقد بعض الأساليب الرائجة فى تلك الأجيال فى استنباط الأحكام، كالقياس وغيره ولا يصحّ عدّها كتباً اُصوليّة بالمعنى المصطلح، نعم يمكن عدّها مرحلة اُولى، ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية . وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت، بالسعة والشمول، بادخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم اُصول الفقه وأوّل من فتح هذا الباب على وجه الشيعة بمصراعيه: معلم الاُمّة الشيخ المفيد (٣٣۶ ـ ۴١٣) فألّف رسالة فى هذا المضمار وأدرجها تلميذه العلاّمة الكراجكى فى كتابه كنز الفوائد(٣) . وألّف بعده تلميذه الجليل علم الهدى المعروف بالسيد المرتضى كتابه القيم الذريعة إلى اُصول الشريعة طبع فى جزأين، وقد رأيت منهانسخة مخطوطة فى مدينة قزوين جاء فيها تاريخ فراغ المؤلّف منه عام ۴٠٠ . الشيخ الطوسى: (٣٨۵ ـ ۴۶٠) ألّف عدّة اُصول وطبع مرات، وعن طريق هذه الكتب، انتشرت آراء الشيعة فى علم الاُصول . ثمّ دخلت المرحلة الثالثة فقد اُلّف فيها كتب منها: ـــــــــــــــــ

١ . النجاشى: الرجال ٢ / ٣٠۵ برقم ١٠۴۶ .

٢ . النجاشى: الرجال ٢ / ٣٠۴ برقم ١٠۴٨ .

٣ . كنز الفوائد ٢ / ١۵ ـ ٣٠ طبع بيروت . (۵۶٨)

١- التقريب فى اُصول الفقه للشيخ أبى ليلى المعروف بسلاّر بن عبدالعزيز الديلمى صاحب المراسم توفّى عام ۴۴٨ . ٢- غنية النزوع إلى علمى الاُصول والفروع تأليف أبى المكارم حمزة بن على بن زهرة المعروف بابن زهرة المتوفّى عام ۵٨۵ . ٣- المصادر تاليف الشيخ سديد الدين الحمصى المتوفّى حدود سنة ۶٠٠ . هذه هى المراحل الثلاثة إلتى مرّ بها علم الاُصول، وقد تلتها مراحل اُخرى إلى أن بلغت فى القرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها وبلغ أعلى مراحل كمالها، ويتّضح ذلك من ملاحظة ما اُلّف من عصر الاُستاذ الأكبر المحقق البهبهانى (١١١٨ ـ ١٢٠۶) إلى يومنا، فقد راج التحقيق فى المسائل الاُصولية من عصره إلى عصر الشيخ مرتضى الأنصارى

(۱۲۱۲ ـ ۱۲۸۱) وعصر تلميذه الشيخ محمّد كاظم الخراسانى (۱۲۵۵ ـ ۱۳۲۹) ففى هـذه الفترة: أى القرون الثلاثة، اُلّف مئات الكتب والرسائل فى ذاك المجال، ولا اُغالى إذا قلت: انّه لم تبلغ طائفة من الطوائف الإسلامية تلك الدرجة الّتى وصلت إليها الشيعة فى علمى الفقه والاُصول من جانب كثرة الانتاج والاستيعاب ودقه النظر، شكر اللّه مساعيهم. ۱۰- قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير: مغازى النبىّ الأكرم جزء من تاريخ حياته وسيرته، والرسول قدوة واُسوة وفعله كقوله حجّة بلا اشكال وقد وضع بعضهم كتباً فى فقه السيرة(۱) فكان على المسلمين ضبط دقيقها وجليلها، وقد قاموا بـذلك لولا أنّ الخلافة حالت دون الاُمنية. ولكن قيض اللّه سبحانه، رجالا فى الشيعة فى ذلك المجال ضبطوا سيرة الرسول ــــــــــــــــــــ

۱ . كزاد المعاد لابن القيم، وفقه السيرة للشيخ الغزالى المعاصر .

(۵۶۹)

ومغازيه: ۱- منهم محمّد بن إسحاق بن يسار (ت ۱۵۱): عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله(۱) من أصحاب الإمام الصادق. ولأجل ولائه لأهل بيت النبوّة وصفه ابن حجر فى التقريب «بأنّه امام المغازى، صدوق،يدلس ورمى بالتشيّع والقدر»(۲) وفى مختصر الذهبى: انّه كان صدوقاً من بحور العلم، وعن تاريخ اليافعى عن شعبة بن الحجاج انّه قال: محمّـد بن إسحاق أميرالمؤمنين فى الحديث، وعن الشافعى: من اراد أن يتبحّر فى المغازى فهو عيال محمّد بن إسحاق(۳) . لمّا كان المترجم شيعياً مجاهراً فى ولائه لأهل البيت عمد ابن هشام (ت ۲۱۲) بتلخيص كتابه على أساس حذف ما لا ـ يلائم نزعته فحذف أكثر ما له صلة بفضائل الامام على وأهل بيته . فعلى الشيعة الغيارى التفحّص فى مكتبات العالم وفهارسها، حتّى يعثروا على نسخة الاُم، وينشروا هذا الكنز الدفين، وقد أذعن بعض المستشرقين انّه عثر على الأصل ونشره باسم سيرة ابن إسحاق، لكنّه جزء من السيرة لا كلّها . ومن حسن الحظ انّ سيرة ابن إسحاق وإن لم تكن موجودة بصورتها لكنّها موجودة بمادتها فقد بثّها الطبرسى (۴۷۰ ـ ۵۴۸) فى أجزاء مجمع البيان، وابن الجوزى (۱۵۹۵) فى المنتظم، وابن كثير فى تاريخه وغيرهم، فعلى المحققين العظام، استخراج مادة السيرة عن هذه الكتب، وملخّصها المعروف بالسيرة النبوية لابن هشام . ــــــــــــــــــــ

۱ . الطوسى: الرجال ۱۸۱ .

۲ . ابن حجر: التقريب ۲ / ۱۴۴ برقم ۴۰ .

۳ . المامقانى: تنقيح المقال ۳ / ۷۹ برقم ۱۰۳۸ . (۵۷۰)

۲- نعم سبق ابن إسحاق، عبيداللّه بن أبى رافع من أصحاب الامام أميرالمؤمنين، فقد عمل كتاباً أسماه تسمية من شهد مع أميرالمؤمنين، الجمل وصفين والنهروان من الصحابة، ذكره الشيخ فى الفهرس(۱) لكنّه فى مغازى الوصىّ لا النبىّ . ۳- كما ألّف جابر الجعفى (ت ۱۲۸) كتباً فى ذلك المجال: قال النجاشى: جابر عربى قديم. ثمّ ذكر نسبه وعدّ من كتبه: كتاب الجمل وكتاب صفّين، وكتاب نهروان، وكتاب مقتل أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ وكتاب مقتل الحسين(۲) . ۴- وألّف فى ذلك المجال: أبان بن عثمان الأحمر البجلى الكوفى الّذى ربّما يسكن البصرة وقد أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنّى (۱۱۰ ـ ۲۰۹) وأبو عبداللّه بن القاسم بن سلام (۱۵۷ ـ ۲۲۴) وأكثروا الحكاية عنه فى أخبار الشعراء والنسب والأيام، له كتاب حسن يجمع المبتدأ والمغازى والوفاة والردة(۳) . وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من مبعثه ومغازيه ووفاته وأخبار يوم السقيفة وارتداد بعض القبائل . ۵- ومن مشاهير هذا الفن من الشيعة أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى الغامدى شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، روى عن جعفر بن محمّد ـ عليهما السلام ـ . وصنّف كتباً: منها كتاب المغازى، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب فتوح الإسلام...(۴) . ۶- ومن أعلامه، نصر بن مزاحم (۲۱۲) ألّف كتباً كثيرة فى ذلك ــــــــــــــــــــ

۱ . الطوسى: الفهرست ۲۰۲ .

۲ . النجاشى: الرجال ۱ / ۳۱۳ برقم ۳۳۰.

۳ . النجاشي: الرجال ۱ / ۸۰ برقم ۷ .

۴ . النجاشي: الرجال ۲ / ۳۸۴ برقم ۱۱۴۹ . (۵۷۱)

المجال(۱) . ۷- هشام بن محمّد بن السائب الكلبى (۲۰۶) أعلم علماء النسب والسير والآثار، ذكره النجاشى وقال: الناسب، العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم وكان يختص بمذهبنا ثمّ ذكر كتبه(۲) . هذا عرض موجز لمن شارك المسلمين من قدماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تدوين السيرة والمغازى والمقاتل والتاريخ، وأمّا المتأخرون فسل عنهم ولا حرج، وراجع المعاجم: كأعيان الشيعة للسيد الأمين العاملى، والذريعة لشيخنا المجيز الطهرانى . ۱۱- قدماء الشيعة وعلم الرجال:

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، نذكر المؤلّفين الأوائل: ۱- عبداللّه بن جبلة الكنانى (۲۱۹) قال النجاشى: وبيت جبلة مشهور بالكوفة وكان واقفاً، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً. له كتب، منها كتاب الرجال...(۳) . ۲- على بن الحسن بن فضال كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث، من أصحاب الامام الهادى والعسكرى له كتب منها كتاب الرجال(۴) . وهذا المعروف بابن فضال الصغير، وأبوه الحسن هو ابن فضال الكبير وكلاهما فطحيان . ــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشى: الرجال ۲ / ۱۹۱ ـ ۱۹۲ برقم ۸۷۳ .

۲ . النجاشى: الرجال ۲ / ۳۹۹ برقم ۱۱۶۷ .

۳ . النجاشى: الرجال ۲ / ۱۳ برقم ۵۶۱ .

۴ . النجاشى: الرجال ۲ / ۸۲ برقم ۶۷۴ . (۵۷۲)

۳- الحسن بن محبوب السراد (۱۵۰ ـ ۲۲۴) الراوى عن ستين رجلاً من أصحاب الصادق له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار»(۱) . ۴- أبو عمرو الكشى البصير بالأخبار والرجال، تلميذ الشيخ العياشى، وكتابه المعروف بـ«معرفة الرجال» هو الّذى لخّصه الشيخ الطوسى وأسماه بـ«اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود فى الاعصار الأخيرة . ۵- الشيخ أبو العباس أحمد بن على النجاشى (۳۷۲ ـ ۴۵۰) من نقّاد هذا الفن ومن أجلّائه وأعيانه حاز قصب السبق فى ميدان علم الرجال، له كتاب فهرس مصنفى الشيعة المعروف برجال النجاشى وقد طبع أخيراً محقّقاً فى مؤسستنا «الامام الصادق ـ عليه السلام ـ» . ۶- والشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) الغنى عن التعريف عمل كتابين أحدهما الفهرست والآخر الرجال ويعدّان من اُمّهات الكتب الرجالية، وتوالى التأليف فى علم الرجال وأخيه علم الدراية إلى عصرنا هذا، وقد أنهى الشيخ الطهرانى المؤلّفين من الشيعة فى علم الرجال فبلغ قرابة خمسمائة مؤلّف شكر اللّه مساعى الجميع . هذا عرض موجز من مشاركة علماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم واكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهم الجبّارة فى القرون الاُولى وما بعدها إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة من عمالقة العلم وجهابذة الفضل، كرسوا حياتهم الثمينة فى ارساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها فأخلدوا لأنفسهم صحائف بيضاء ولصالح اُمّتهم حضارة انسانية، كل ذلك فى ظروف قاسية وسلطات شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلّا فى فترات ــــــــــــــــــــ

۱ . الطوسى: الفهرست ۷۱، برقم ۱۶۲، ابن شهرآشوب: معالم العلماء ۳۳۳ برقم ۱۸۲، الطهرانى: مصفى المقال ۱۲۸ .

(۵۷۳)

يسيرة . ۱۲- قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة الّتى خلقتها له الأجيال الماضية وهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفيك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها ۴۷ مرة، و «التفكّر» ۱۸ مرة و«اللب» ۱۶ مرّة، و «التدبّر» ۴ مرات و «النهى» مرتين. فبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقّل ببيانات مختلفة . فتارة فتح عيون الإنسان إلى الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته .قال سبحانه: (أأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها * رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها * وأَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها * والأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها * أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها

* وَ الجِبالَ أرْساها * متاعاً لَكَمْ و لأنْعامِكَمْ)(١) . واُخرى دعاه إلى التفكير والاستدلال المنطقى، فقال سبحانه: (أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيء أمْ هُمُ الخالِقُونَ * أمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأرْضَ بَلْ لا يوقِنُونَ)(٢) . فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر فى الكون نظرة فاحصة، واُخرى بالحثّ عى التفكير فى المعارف باسلوب منطقى وبرهانى، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وبعثهم إلى اعمال الحس والتعقّل وأعطى لكلّ قدره ________________

١ . النازعات / ٢٧ ـ ٣٣ .

٢ . الطور / ٣٥ ـ ٣٦ . (٥٧٤)

وقيمته غير أنّ المسلمين سوى قليل منهم تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً فى ما يرجع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعطّل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم على الجمود بالمفردات الواردة فى الكتاب والسنّة، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم فى الخالق: اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عمّا وراء ذلك(١)، فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة ،وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكّر فى اللّه سبحانه، فقالوا: اُعطينا العقل لاقامة العبودية لا لادراك الربوبيّة، فمن شغل ما اُعطى لاقامة العبودية بادراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية(٢) . فالأكثرية الساحقة فى القرون الاُولى كانوا بين مشبّه ومعطّل، غير أنّه سبحانه شملت عنايته اُمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً، وقالوا بأنه يمكن للانسان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين: ١- النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة كما وردت فى القرآن الكريم. ٢- ترتيب الأقيسة المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا هو الخط الّذى رسمه القرآن الكريم، ومشى على هذا الخط أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من أوّلهم إلى آخرهم.ترى ذلك فى كلام الامام على ـ عليه السلام ـ بوضوح، فى أحاديثه وخطبه، ورسائله وكلمه ولا يمكن لنا نقل معشار منه، ونكتفى بحديث واحد . ________________

١ . الشهرستانى: الملل والنحل ١ / ١٠٥ ط دار المعرفة لبنان .

٢ . علاقة الاثبات والتفويض نقلا عن الحجة فى بيان المحجة ٣٣ . (٥٧٥)

سأله سائل: هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا فى بيضة من غير أن يُصغّر الدنيا أو يُكبّر البيضة؟ فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والّذى سألتنى لا يكون(١). إنّ خطب الامام ـ عليه السلام ـ ورسائله وقصار حكمه صار هو الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم يقف نشاط الشيعة فى ذلك المجال، بل جاءت الأئمة بعد الامام، ففتحوا عقول شيعتهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكّر فى المعارف، حتّى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيد الساجدين إلى عصر الامام العسكرى، تجد أسماءهم وتآليفهم وافكارهم فى المعاجم وكتب الرجال، وقد نبغ فى عصر أئمة أهل البيت مفكّرون بارزون افادوا الأجيال من بعدهم، نأتى بأسماء البارزين بعد استفحال علم الكلام فى أوائل القرن الثانى . متكلّموا الشيعة فى القرن الثانى:

١- زرارة بن أعين بن سُنسُن: مولى (بنى عبداللّه بن عمرو السمين بن اسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان)، أبوالحسن. شيخ أصحابنا فى زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً فى ما يرويه. قال أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة والجبر(٢) وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثا ________________

١ . الصدوق: التوحيد ١٣٠ باب «القدرة» برقم ٩ .

٢ . النجاشى: الرجال ١ / ٣٩٧ برقم ٤٦١، الطوسى الفهرست برقم ٣١٤، الكشى: الرجال برقم ٦٢، الذهبى: ميزان الاعتدال ٢ برقم ٢٨٥٣ . (٥٧٦)

ومعرفة بالكلام والتشيّع(١) وهو من الشخصيات البارزة للشيعة الّتى اجتمعت العصابة على تصديقهم، وهو غنىّ عن التعريف والتوصيف . ٢- محمّد بن على بن النعمان بن أبى طريفة البجلى: مولى الأحول «أبو جعفر»، كوفى، صيرفى يلقب بـ «مؤمن الطاق» و

«صاحب الطاق»، ويلقّبه المخالفون بـ«شيطان الطاق»... وكان دكانه فى طاق المحامل، بالكوفة، فيرجع إليه فى النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق». أمّا منزلته فى العلم وحسن الخاطر، فاشهر وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا. وله كتاب «افعل لا تفعل» رأيته عند أحمد بن الحسين بن عبيداللّه رحمه اللّه، كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخرين أحاديث تدل فيه على فساد، ويذكر تباين أقاويل الصحابة. وله كتاب «الاحتجاج فى إمامة أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبى حنيفة والمرجئة...(۲)فقد توفى الامام الصادق عام ۱۴۸، وأبو حنيفة عام ۱۵۰، فالرجل من متكلّمى القرن الثانى . وقال ابن النديم وكان متكلّماً حاذقاً وله من الكتب كتاب الامامة، كتاب المعرفة، كتاب الرد على المعتزلة فى إمامة المفضول، كتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة(۳) . ۳- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق ـ عليه السلام ـ، فقال: أقول لك ما قال رسول اللّه لحسان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهو الّذى فتق الكلام فى

---

۱ . ابن النديم: الفهرست ۳۲۳ .

۲ . النجاشى: الرجال ۲ / ۲۰۳ برقم ۸۸۷، الطوسى: الرجال أصحاب الكاظم برقم ۱۸ والفهرست للطوسى برقم ۵۹۴، الكشى: الرجال برقم ۷۷ .

۳ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۴ وأيضاً ۲۵۸ . (۵۷۷)

الإمامة وهذّب المذهب وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب(۱) . يقول الشهرستانى: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور فى الاُصول، لا ينبغى أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة، فانّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم الغلاة...(۲) . وقال النجاشى: هشام بن الحكم أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل بنى شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة ۱۹۹، ويقال انّ فى هذه السنة مات. له كتاب يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه على النحو التالى: ۱- علل التحريم، ۲- الفرائض، ۳- الإمامة، ۴- الدلالة على حدوث الأجسام، ۵- الرد على الزنادقة، ۶- الرد على أصحاب الاثنين، ۷- التوحيد، ۸- الرد على هشام الجواليقى، ۹- الرد على أصحاب الطبائع، ۱۰- الشيخ والغلام فى التوحيد، ۱۱- التدبير فى الإمامة، ۱۲- الميزان، ۱۳- إمامة المفضول، ۱۴- الوصية والرد على منكريها، ۱۵- الميدان، ۱۶- اختلاف الناس فى الإمامة، ۱۷- الجبر والقدر، ۱۸- الحكمين، ۱۹- الرد على المعتزلة وطلحة والزبير، ۲۰- القدر، ۲۱- الألفاظ، ۲۲- الاستطاعة، ۲۳- المعرفة، ۲۴- الثمانية أبواب، ۲۵- على شيطان الطاق، ۲۶- الاخبار، ۲۷- الرد على المعتزلة، ۲۸- الرد على ارسطاطاليس فى التوحيد، ۲۹- المجالس فى التوحيد، ۳۰- المجالس فى الإمامة(۳) .

---

۱ . ابن النديم: الفهرست ۲۵۷ .

۲ . الشهرستانى: الملل والنحل ۱ / ۱۸۵ .

۳ . النجاشى: الرجال ۲ / ۳۹۷ برقم ۱۱۶۵ . (۵۷۸)

يقول أحمد أمين: أكبر شخصية شيعية فى الكلام، وكان جداً قوىّ الحجة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له فى كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهته وقوّة حججه . إنّ الرجال كان فى بداية أمره من تلاميذ أبى الشاكر الديصانى، صاحب النزعة الالحادية فى الإسلام ثمّ تبع الجهم بن صفوان، الجبرى المتطرّف المقتول بترمذ عام ۱۲۸ هـ، ثم لحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء الّتى لا توافق اُصول الامامية، فانّما هى راجعة إلى العصرين اللذين كان فيهما على النزعة الالحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حد كبير، حتّى صادر أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الامامية(۱) . ۴- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلمين، تعلّم الكلام من على بن الحسين ـ عليه السلام ـ روى الكلينى انّه أتى شامى إلى أبى عبداللّه الصادق ليناظر أصحابه، فقال ـ عليه السلام ـ ليونس بن يعقوب: اُنظر من

تری بالباب من المتکلمین...إلی أن قال یونس: فأدخلت زرارة بن أعین وکان یحسن الکلام، وأدخلت الأحول وکان یحسن الکلام، وأدخلت هشام بن الحکم وهو یحسن الکلام، وأدخلت قیس الماصر وکان عندی أحسنهم کلاماً وقد تعلم الکلام من علی بن الحسین ـ علیهما السلام ـ (۲). ۵- عیسی بن روضة، حاجب المنصور: کان متکلّماً، جیّد الکلام، وله ـــــــــــــــــــ

۱ . إنّ للعلامة الحجة الشیخ عبداللّه نعمة کتاباً فی حیاة هشام بن الحکم، فقد أغرق نزعاً فی التحقیق وأغنانا عن کل بحث وتنقیب .

۲ . الکلینی الکافی ۱ / ۱۷۱ . (۵۷۹)

کتاب فی الإمامة. وقد وصفه أحمد بن أبی طاهر فی کتاب بغداد، وذکر أنّه رأی الکتاب. وقال بعض أصحابنا رحمهم اللّه: انّه رای هذا الکتاب. وقرأت فی بعض الکتب: انّ المنصور لمّا کان بالحیرة، تسمّع علی عیسی بن روضة، وکان مولاه، وهو یتکلّم فی الإمامة فأُعجب به واستجاد کلامه(۱) وبما أنّ المنصور توفّی عام ۱۵۸، فالرجل من متکلّمی القرن الثانی . ۶- الضحاک، أبو مالک الحضرمی: کوفی، عربی، أدرک أبا عبداللّه ـ علیه السلام ـ وقال قوم من أصحابنا: روی عنه وقال آخرون: لم یرو عنه. وروی عن أبی الحسن، وکان متکلّماً ثقة ثقة فی الحدیث. وله کتاب: فی التوحید، روایة علی بن الحسن الطاطری(۲) فالرجل من متکلّمی القرن الثانی. وقال ابن الندیم: من متکلّمی الشیعة وله مع ابی علی الجبّائی مجلس فی الإمامة وتثبیتها بحضرة أبی محمّد القاسم بن محمّد الکوفی وله من الکتب کتاب الإمامة، نقض الإمامة علی أبی علی ولم یتمّه(۳) . ۷- علی بن الحسن بن محمّد الطائی: المعروف بـ «الطاطری» کان فقیهاً ثقة فی حدیثه له کتب منها: التوحید، الامامة، الفطرة، المعرفة، الولایة(۴) وغیرها وعدّه ابن الندیم من متکلمی الامامیة وقال: ومن القدماء: الطاطری وکان شیعیاً واسمه... وتنقّل فی التشیّع وله من الکتب کتاب الإمامة حسن(۵)وبما أنّه من أصحاب الإمام الکاظم فهو من متکلّمی القرن الثانی . ـــــــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۲ / ۱۴۵ برقم ۷۹۴ .

۲ . النجاشی: الرجال ۱ / ۴۵۱ برقم ۵۴۴ .

۳ . ابن الندیم: الفهرست ۲۶۶ .

۴ . النجاشی: الرجال ۲ / ۷۷ برقم ۶۶۵ .

۵ . ابن الندیم: الفهرست ۲۶۶ . (۵۸۰)

۸- الحسن بن علی بن یقطین بن موسی: مولی بنی هاشم، وقیل مولی بنی أسد، کان فقیهاً متکلّماً روی عن أبی الحسن والرضا ـ علیهما السلام ـ ،وله کتاب مسائل أبی الحسن موسی ـ علیه السلام ـ (۱) وبما أنّ أبا الحسن الأول توفّی عام ۱۸۳، والثانی توفّی عام ۲۰۳، فالرجل من متکلّمی القرن الثانی وأوائل الثالث، وذکره الشیخ فی رجاله فی أصحاب الرضا(۲) وهو الّذی سأل الإمام الرضا ـ علیه السلام ـ بأنّه لا ـ یقدر علی لقائه فی کل وقت فعمّن یأخذ معالم دینه؟ فأجاب الامام ـ علیه السلام ـ خذ عن یونس بن عبدالرحمان(۳) . ۹- حدید بن حکیم: أبو علی الأزدی المدائنی، ثقة، وجه، متکلّم، روی عن ابی عبد الله، وأبی الحسن ـ علیهما السلام ـ له کتاب یرویه محمّد بن خالد(۴) وبما أنّه من تلامیذ الصادق والکاظم ـ علیهما السلام ـ فالرجل من متکلّمی الشیعة فی القرن الثانی . ۱۰- فضال بن الحسن بن فضال: وهو من متکلّمی عصر الصادق ـ علیه السلام ـ وذکره الطبرسی فی احتجاجه ومناظرته مع أبی حنیفة فلاحظ(۵) . وما ذکرناه نماذج من مشاهیر المتکلّمین فی عصر الصادقین والکاظم، وهناک من لم نذکرهم ولهم مناظرات واحتجاجات احتفلت بهم الکتب التاریخیة والکلامیة کحمران بن أعین الشیبانی، وهشام بن سالم الجوالیقی، والسید الحمیری ،والکمیت الاسدی(۶) . ـــــــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۱ / ۱۴۸ برقم ۹ .

۲ . الشیخ الطوسی: الرجال برقم ۷ .

۳ . النجاشی: الرجال ۲ / ۴۲۱ برقم ۱۲۰۹ .

۴ . النجاشی: الرجال ۱ / ۳۷۷ برقم ۳۸۳،وذکره الخطیب فی تاریخه ج ۸ برقم ۴۳۷۷.

۵ . التستری: قاموس الرجال ۴ / ۳۱۳ .

۶ . لاحظ أعیان الشیعة ۱ / ۱۳۴ ـ ۱۳۵ .

(۵۸۱) متکلّموا الشیعة فی القرن الثالث:

۱– الفضل بن شاذان بن الخلیل أبو محمّد الأزدی النیشابوری: کان أبوه من أصحاب یونس، وروی عن أبی جعفر الثانی وقیل الرضا ـ علیهما السلام ـ وکان ثقة، أحد اصحابنا الفقهاء، والمتکلمین، وله جلالة فی هذه الطائفة وهو فی قدره أشهر من أن نصفه وذکر الکنجی انّه صنّف مائة وثمانین کتابا . وذکره الشیخ فی رجاله فی أصحاب الإمام الهادی والعسکری، وقد توفّی عام ۲۶۰ فهو من متکلّمی القرن الثالث. وقد ذکر النجاشی فهرس کتبه نقتبس منه ما یلی: کتاب النقض علی الاسکافی فی تقویة الجسم، کتاب الوعید، کتاب الرد علی أهل التعطیل، کتاب الاستطاعة، کتاب مسائل فی العلم، کتاب الاعراض والجواهر، کتاب العلل، کتاب الایمان، کتاب الرد علی الثنویة، کتاب اثبات الرجعة، کتاب الرد علی الغالیة المحمدیة، کتاب تبیان اصل الضلالة، کتاب الرد علی محمّد بن کرام، کتاب التوحید فی کتب اللّه، کتاب الرد علی أحمد بن الحسین، کتاب الرد علی الأصم، کتاب فی الوعد والوعید آخر، کتاب الرد علی بیان ایمان ابن رباب (الخارجی)، کتاب الرد علی الفلاسفة، کتاب محنة الإسلام، کتاب الأربع مسائل فی الامامة، کتاب الرد علی المنّانیة، کتاب الرد علی المرجئة، کتاب الرد علی القرامطة، کتاب الرد علی البائسة، کتاب اللطیف، کتاب القائم علیه السلام، کتاب الإمامة الکبیر، کتاب حذو النعل بالنعل، کتاب فضل أمیرالمؤمنین ـ علیه السلام ـ ، کتاب معرفة الهدی (۵۸۲) والضلالة، کتاب التعری والحاصل، کتاب الخصال فی الإمامة، کتاب المعیار والموازنة، کتاب الرد علی الحشویة، کتاب الرد علی الحسن البصری فی التفضیل، کتاب النسبة بین الجبریة والبتریة(۱) . ۲– حکم بن هشام بن الحکم: أبو محمّد، مولی کندة، سکن البصرة، وکان مشهوراً بالکلام، کلّم الناس، وحکی عنه مجالس کثیرة، ذکر بعض أصحابنا أنّه رای له کتاباً فی الامامة(۲) وقد توفّی والده ۲۰۰ أو ۱۹۹، فهو من متکلمی أواخر القرن الثانی، وأوائل القرن الثالث . ۳– داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصری ـ رحمه الله ـ شیخ جلیل، فقیه متکلّم من أصحاب الحدیث ثقة ثقة، وأبوه من شیوخ أصحاب الحدیث الثقات، له کتب منها، کتاب فی الإمامة علی سائر من خالفه من الاُمم، والآخر مجرد الدلائل والبراهین(۳). وذکره الشیخ الطوسی فی الفهرست فی باب الکنی وقال: انّه من جملة متکلّمی الإمامیة، لقیه الحسن بن موسی النوبختی، وأخذ عنه، واجتمع معه فی الحائر علی ساکنه السلام، وکان ورد للزیارة(۴). فبما أنّه من مشایخ الحسن بن موسی النوبختی المعاصر للجبّائی (ت ۳۰۳) فهو من متکلّمی القرن الثالث المعاصر. ۴– محمّد بن عبداللّه بن مملک الاصبهانی: أصله جرجان، وسکن اصبهان، جلیل فی أصحابنا، عظیم القدر والمنزلة کان معتزلیاً ورجع علی ید عبدالرحمان بن أحمد بن جبرویه ـ رحمه الله ـ . له کتب منها، کتاب الجامع فی سائر أبواب الکلام کبیر، وکتاب المسائل والجوابات فی الإمامة، کتاب موالید الأئمة ـــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۲ / ۱۶۸ برقم ۸۳۸، والطوسی: الرجال برقم ۱ و ۲ فی أصحاب الهادی والعسکری ـ علیهما السلام ـ ، والکشی: الرجال برقم ۴۱۶ .

۲ . النجاشی: الرجال ۱ / ۳۲۸ برقم ۳۴۹ .

۳ . النجاشی: الرجال ۱ / ۳۶۴ برقم ۴۱۲ .

۴ . الطوسی: الفهرست ۲۲۱ برقم ۸۷۵ . (۵۸۳) ـ علیهم السلام ـ ، کتاب مجالسه مع أبی علی الجبّائی (۲۳۵ ـ ۳۰۳)(۱) .

۵– ثبیت بن محمّد، أبو محمّد العسکری: صاحب أبی عیسی الوراق (محمّد بن هارون) متکلّم حاذق، من أصحابنا العسکریین، وکان أیضاً له اطّلاع بالحدیث والروایة، والفقه. له کتب، منها: ۱– کتاب تولیدات بنی اُمیة فی الحدیث وذکر الأحادیث الموضوعة . ۲– الکتاب الّذی یعزی إلی أبی عیسی الوراق فی نقض العثمانیة له . ۳– کتاب الأسفار . ۴– دلائل الأئمة ـ علیهم السلام ـ (۲) . وبما أنّه

من أصحاب أبى عيسى الوراق، وقد توفّى هو فى ۲۴۷، فالرجل من متكلّمى القرن الثالث . ۶- إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومى: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه، قدم العراق، وسمع أصحابنا منه، مثل أيوب بن نوح، والحسن بن معاوية، ومحمّد بن الحسين، وعلى بن الحسن بن فضال، له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة . وبما أنّ الراوى عنه كعلى بن الحسن بن فضال من أصحاب الهادى والعسكرى ـ عليهما السلام ـ وقد توفّى الامام العسكرى عام ۲۶۰، فهو فى رتبة الحسن بن على بن فضال، الّذى هو من أصحاب الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ فيكون من متكلّمى القرن الثالث(۳) . ______________

۱ . النجاشى: الرجال ۲ / ۲۹۷ برقم ۱۰۳۴ .

۲ . النجاشى: الرجال ۱ / ۲۹۳ برقم ۲۹۸، وثبيت على وزان زبير .

۳ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۲۰ برقم ۶۶ . (۵۸۴)

۷- محمّد بن هارون: أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة، وكتاب الحكم على سورة لم تكن وكتاب اختلاف الشيعة والمقالات. قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودى له مصنّفات حسان فى الإمامة وغيرها وكانت وفاته سنة ۲۴۷(۱) . ۸- إبراهيم بن سليمان بن أبى داحة المزنى: مولى آل طلحة بن عبيداللّه، «أبو إسحاق»، وكان وجه أصحابنا البصريين فى الفقه والكلام والأدب والشعر. والجاحظ يحكى عنه، وقال الجاحظ: «حدثنى إبراهيم ابن داحة، عن محمّد بن أبى عمير»(۲) . وبما أنّ أُستاذه ابن أبى عمير توفّى عام ۲۱۷، والجاحظ، الراوى عنه توفّى عام ۲۵۵، فهو من متكلّمى القرن الثالث يروى عنه الجاحظ فى البيان والتبيين(۳) . ۹- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى اشياء إلاّ فى اصل الإمامة وله من الكتب كتاب المعرفة، كتاب فى الاستطاعة، كتاب الامامة، كتاب على من أبى وجوب الإمامة بالنص(۴) وبما أنّ هشاماً توفّى عام ۱۹۹، فالرجل من متكلّمى أوائل القرن الثالث. ۱۰- الحسين بن اشكيب: شيخ لنا، ثقة مقدم، ذكره أبو عمرو فى كتاب الرجال فى أصحاب أبى الحسن، صاحب العسكر ـ عليه السلام ـ ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب، المقيم بسمرقند وكش. له من الكتب، كتاب الرد على من

____

۱ . النجاشى: الرجال ۲ / ۲۸۰ برقم ۱۰۱۷، ابن حجر: لسان الميزان ج ۵ برقم ۱۳۶۰، المحقق الداماد: الرواشح السماوية ۵۵ ومر ذكره فى ترجمة ثبيت وما فى كلام ابن حجر من عده من المعتزلة، ناشئ عن الخلط بين المعتزلة والامامية .

۲ . النجاشى: الرجال ۱ / ۸۷ برقم ۱۳، و ۲ / ۲۰۵ برقم ۸۸۸ .

۳ . البيان والتبيين ۱ / ۶۱ .

۴ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۴ . (۵۸۵)

زعم أنّ النبىّ كان على دين قومه، والرد على الزيدية، وبما أنّه من أصحاب أبى الحسن المتوفى عام ۲۶۰، فهو من متكلمى القرن الثالث(۱) . وعده الشيخ فى رجاله من أصحابه الامام الهادى ـ عليه السلام ـ (۲) . ۱۱- عبدالرحمان بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكرى: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام، وعلى يده رجع محمّد بن عبداللّه بن مملك الاصبهانى عن مذهب المعتزلة إلى القول بالإمامة، وقد كلّم عباد بن سليمان، ومن كان فى طبقته، وقع إلينا من كتبه: كتاب الكامل فى الإمامة، كتاب حسن(۳) . وبما أنّ محمّد بن عبداللّه معاصر للجبّائى (۲۳۵ ـ ۳۰۳) وله مجالس معه(۴) فالرجل من متكلّمى القرن الثالث، ولعلّه أدرك أوائل القرن الرابع . ۱۲- على بن منصور، أبو الحسن: كوفى سكن بغداد، متكلّم، من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير فى التوحيد والإمامة(۵). وقال النجاشى فى ترجمة هشام بن الحكم: كتاب التدبير فى الإمامة، وهو جمع على بن منصور من كلامه(۶) وبما أنّ هشام توفّى عام ۱۹۹، فالرجل من متكلّمى القرن الثانى، وأوائل القرن الثالث . ۱۳- على بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى بنى أسد، كوفى، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، ______________

۱ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۴۶ برقم ۸۷ .

۲ . الشيخ الطوسى: الرجال برقم ۱۸ .

۳ . النجاشى: الرجال ۲ / ۴۷ برقم ۶۲۳ .

۴ . النجاشى: الرجال ۲ / ۲۹۷ برقم ۱۰۳۴ .

۵ . النجاشى: الرجال ۲ / ۷۱ برقم ۶۵۶ .

۶ . النجاشى: الرجال ۲ / ۳۹۷ برقم ۱۱۶۵ . (۵۸۶)

كلّم أبا الهذيل (۱۳۵ ـ ۲۳۵) والنظام (۱۶۰ ـ ۲۳۱) له مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة(۱) .وعدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب الرضا برقم ۵۲ فهو من متكلّمى القرن الثانى. وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم فى مذهب الإمامة على بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وميثم (جده) من أجلّة أصحاب على ـ رضى الله عنه ـ ولعلى من الكتب كتاب الإمامة، كتاب الاستحقاق(۲) . متكلّموا الشيعة فى القرن الرابع:

۱ـ الحسن بن على بن أبى عقيل: أبو محمّد العمانى الحذّاء، فقيه متكلّم ثقة، له كتب فى الفقه والكلام، منها كتاب المتمسّك بحبل الرسول. قال النجاشى: وقرأت كتابه المسمّى: الكرّ والفرّ، على شيخنا أبى عبداللّه المفيد ـ رحمهم الله ـ وهو كتاب فى الإمامة، مليح الوضع . وذكره الشيخ فى الفهرست والرجال(۳)، وبما أنّه من مشايخ أبى القاسم جعفر ابن محمّد المتوفّى عام ۳۶۸ فالرجل من أعيان القرن الرابع،المعاصر للكلينى، المتوفّى عام ۳۲۹ . ۲ـ إسماعيل بن على بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة فى الدنيا والدين، يجرى مجرى الوزراء فى جلالة الكتاب، صنف كتباً كثيرة، منها كتاب الاستيفاء فى الإمامة، التنبيه فى الإمامة. قال النجاشى: قرأته على شيخنا أبى عبداللّه (المفيد) ـ رحمهم الله ـ، ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشى: الرجال ۲ / ۷۲ برقم ۶۵۹ .

۲ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۳ .

۳ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۵۳ برقم ۹۹ ولاحظ فهرست الشيخ رقم ۲۰۴، ورجاله فى باب من لم يرو عنهم برقم ۵۳ . (۵۸۷)

كتاب الجمل فى الإمامة، كتاب الرد على محمّد بن الأزهر فى الإمامة، كتاب الرد على اليهود، كتاب فى الصفات للرد على أبى العتاهية (۱۳۰ ـ ۲۱۱) فى التوحيد فى شعره، كتاب الخصوص والعموم والأسماء والأحكام، كتاب الإنسان والرد على ابن الراوندى، كتاب التوحيدن كتاب الارجاء، كتاب النفى والاثبات، مجالسه مع أبى على الجبّائى (۲۳۵ ـ ۳۰۳) بالأهواز، كتاب فى استحالة رؤية القديم، كتاب الرد على المجبرة فى المخلوق، مجالس ثابت بن أبى قرة (۲۲۱ ـ ۲۸۸)، كتاب النقض على عيسى بن أبان فى الاجتهاد، نقض مسألة أبى عيسى الوراق فى قدم الاجسام، كتاب الإحتجاج لنبوّة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، كتاب حدوث العالم(۱) . وقال ابن النديم أبو سهل: إسماعيل بن على بن نوبخت من كبار الشيعة وكان أبو الحسن الناشى يقول إنّه اُستاذه وكان فاضلا، عالماً، متكلماً، وله مجالس بحضرة جماعة من المتكلمين... وذكر فهرس كتبه(۲) . ۳ـ الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه (أخو الصدوق) القمى أبو عبداللّه، ثقة روى عن أبيه اجازة، وله كتب منها: ۱ـ كتاب التوحيد ونفى التشبيه . ۲ـ كتاب عمله للصاحب أبى القاسم بن عباد (۳۲۶ ـ ۳۸۵) وقد توفّى أخوه عام ۳۸۱ فهو من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه ولدا بدعوة صاحب الأمر ـ عليه السلام ـ ، ترجمه ابن حجر فى لسان الميزان(۳) . ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۲۱ برقم ۶۷ (وهو خال الحسن بن موسى مؤلّف فرق الشيعة) .

۲ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۵ .

۳ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۸۹ برقم ۱۶۱، ابن حجر: لسان الميزان ۲ / ۳۰۶ برقم ۱۲۶۰ . (۵۸۸)

۴ـ محمّد بن بشر الحمدونى «أبو الحسين السوسنجردى»: متكلم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب، منها كتاب المقنع فى الإمامة، كتاب المنقذ فى الإمامة(۱) وقال ابن النديم: السوسنجردى من غلمان أبى سهل النوبختى. ويكنّى أبا الحسن،

ویعرف بالحمدونی منسوباً إلی آل حمدون، وله من الکتب کتاب الانقاذ فی الامامة(۲) وقال ابن حجر: کان زاهداً ورعاً متکلماً، علی مذهب الإمامیة وله مصنّفات فی نصرة مذهبه(۳) . ۵- یحیی أبو محمّد العلوی من بنی زبارة: علوی، سید، متکلّم، فقیه، من أهل نیشابور. قال الشیخ الطوسی: جلیل القدر، عظیم الریاسة، متکلّم، حاذق، زاهد، ورع، لقیت جماعة ممّن لقوه وقرأوا علیه، له کتاب ابطال القیاس، وکتاب فی التوحید(۴)، وعلی هذا فالرجل فی درجة شیخ مشایخ الطوسی، فهو من متکلّمی القرن الرابع . ۶- محمّد بن القاسم، أبوبکر، بغدادی: متکلم عاصر بن همام، له کتاب فی الغیبة، کلام(۵). وابن همام هو محمّد بن أبی بکر بن سهیل الکاتب الاسکافی الّذی ترجم له النجاشی فی رجاله برقم ۱۰۳۳ وذکره الخطیب فی تاریخه ۳ / ۳۶۵ وقال أحد شیوخ الشیعة، ولد عام ۲۵۸ وتوفّی عام ۳۳۸ وعلی هذا فالمترجم من متکلّمی أوائل القرن الرابع . ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۲ / ۲۹۸ برقم ۱۰۳۷ .

۲ . ابن حجر: لسان المیزان ۵ / ۹۳ برقم ۳۰۴ .

۳ . ابن الندیم: الفهرست ۲۶۶ .

۴ . النجاشی: الرجال ۲ / ۴۱۳ برقم ۱۱۹۲، وقد جاءت ترجمته أیضاً برقم ۱۱۹۵، الشیخ الطوسی: الفهرست برقم ۸۰۳ .

۵ . النجاشی: الرجال ۲ / ۲۹۸ برقم ۱۰۳۶ . (۵۸۹)

۷- محمّد بن عبدالملک بن محمّد التبان: یکنّی أبا عبداللّه، کان معتزلیاً، ثمّ أظهر الانتقال، ولم یکن ساکنا، له کتاب فی تکلیف من علم اللّه انّه یکفر، وله کتاب فی المعدوم، ومات لثلاث بقین من ذی القعدة سنة ۴۱۹(۱) . ۸- محمّد بن عبدالرحمان بن قبة الرازی أبو جعفر: متکلّم، عظیم القدر حسن العقیدة، قوی فی الکلام، کان قدیماً من المعتزلة، وتبصّر وانتقل، له کتب فی الکلام، وقد سمع الحدیث، وأخذ عنه ابن بطة وذکره فی فهرسته الّذی یذکر فیه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبدالرحمان بن قبة. له کتاب الانصاف فی الامامة، وکتاب المستثبت نقض کتاب أبی القاسم البلخی (ت ۳۱۹)، وکتاب الرد علی الزیدیة، وکتاب الرد علی ابی علی الجبائی، المسالة المفردة فی الامامة . قال النجاشی: سمعت أبا الحسین السوسنجردی ـ رحمه الله ـ وکان من عیون أصحابنا وصالحیهم المتکلّمین، وله کتاب فی الإمامة معروف به، وقد کان حج علی قدمیه خمسین حجة یقول: مضیت إلی أبی القاسم البلخی إلی بلخ بعد زیارتی الرضا ـ علیه السلام ـ بطوس فسلمت علیه وکان عارفاً بی ومعی کتاب أبی جعفر بن قبة فی الإمامة المعروف بالانصاف، فوقف علیه، ونقضه بالمسترشد فی الإمامة فعدت إلی الری، فدفعت الکتاب إلی ابن قبة فنقضه بالمستثبت فی الامامة، فحملته إلی أبی القاسم فنقضه بنقض المستثبت، فعدت إلی الری فوجدت أبا جعفر قدمات ـ رحمه الله ـ (۲). وقال ابن الندیم: أبو جعفر بن محمّد بن قبة من متکلّمی الشیعة وحذّاقهم ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال ۲ / ۳۳۳ برقم ۱۰۷۰ .

۲ . النجاشی: الرجال ۲ / ۲۸۸ برقم ۱۰۲۴ . (۵۹۰)

وله من الکتب: کتاب الانصاف فی الإمامة، کتاب الإمامة(۱) . وقال العلاّمة: وکان حاذقاً شیخ الإمامیة فی عصره(۲) . ۹- علی بن وصیف، أبوالحسن الناشی: (۲۷۱ ـ ۳۶۵) الشاعر المتکلّم، ذکر شیخنا ـ رضی الله عنه ـ انّ له کتاباً فی الإمامة(۳). قال الطوسی: وکان شاعراً مجوداً فی أهل البیت ـ علیهم السلام ـ ومتکلّماً بارعاً وله کتب(۴). قال ابن خلکان: من الشعراء المحبین وله فی أهل البیت قصائد کثیرة، وکان متکلماً بارعاً، أخذ علم الکلام عن أبی سهل إسماعیل بن علی بن نوبخت المتکلم، وکان من کبار الشیعة، وله تصانیف کثیرة، وقال ابن کثیر: إنّه کان متکلّماً، بارعاً من کبار الشیعة(۵)، فهو من متکلمی القرن الرابع . ۱۰- الحسن بن موسی، ابو محمّد النوبختی: شیخنا المبرز علی نظرائه فی زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له علی الأوائل کتب کثیرة، منها: ۱- کتاب الآراء والدیانات، یقول النجاشی: کتاب کبیر حسن یحتوی علی علوم کثیرة قرأت هذا الکتاب علی شیخنا أبی عبداللّه (المفید) ـ رحمه الله ـ . ۲- کتاب فرق الشیعة . ۳- کتاب الرد علی فرق الشیعة ما خلا الإمامیة . ۴- کتاب الجامع فی الإمامة . ۵- کتاب الموضع فی حروب

أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ . ________________

۱ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۲ .

۲ . العلامة: الخلاصة ـ القسم الأول ـ ۱۴۳ .

۳ . النجاشى: الرجال ۲ / ۱۰۵ برقم ۷۰۷ .

۴ . الطوسى: الفهرست ۲۳۳ طبع ليدن .

۵ . المامقانى: تنقيح المقال ۲ / ۳۱۳ برقم ۸۵۴۹ . (۵۹۱)

۶- كتاب التوحيد الكبير . ۷- كتاب التوحيد الصغير . ۸- كتاب الخصوص والعموم . ۹- كتاب الأرزاق والآجال والأسعار . ۱۰- كتاب كبير فى الجزء . ۱۱- مختصر الكلام فى الجزء . ۱۲- كتاب الرد على المنجّمين . ۱۳- كتاب الفرد على أبى على الجبّائى فى ردّه على المنجّمين . ۱۴- كتاب النكت على ابن الراوندى . ۱۵- كتاب الرد على من أكثر المنازلة . ۱۶- كتاب الرد على أبى الهذيل العلاّف فى أنّ نعيم أهل الجنة منقطع . ۱۷- كتاب الإنسان غير هذه الجملة . ۱۸- كتاب الرد على الواقفة . ۱۹- كتاب الرد على أهل المنطق . ۲۰- كتاب الرد على ثابت بن قرة . ۲۱- الرد على يحيى بن أصفح . ۲۲- جواباته لأبى جعفر بن قبة . ۲۳- جوابات أُخر لأبى جعفر . ۲۴- شرح مجالسه مع أبى عبداللّه بن مملك . ۲۵- حجج طبيعية مستخرجة من كتاب أرسطاطاليس فى الرد على من زعم أنّ الفلك حى ناطق . ۲۶- كتاب فى المرايا وجهة الرؤية فيها . (۵۹۲)

۲۷- كتاب فى خبر الواحد والعمل به . ۲۸- كتاب فى الاستطاعة على مذهب هشام وكان يقول به . ۲۹- كتاب فى الرد على من قال بالرؤية للبارى عزّوجلّ . ۳۰- كتاب الاعتبار والتمييز والانتصار . ۳۱- كتاب النقض على أبى الهذيل فى المعرفة . ۳۲- كتاب الرد على أهل التعجيز، وهو نقض كتاب أبى عيسى الوراق . ۳۳- كتاب الحجج فى الإمامة . ۳۴- كتاب النقض على جعفر بن حرب (۱۷۷ ـ ۲۳۶) فى الإمامة . ۳۵- مجالسه مع أبى القاسم البلخى (ت ۳۱۹) . ۳۶- كتاب التنزيه وذكر متشابه القرآن . ۳۷- الرد على أصحاب المنزلة بين المنزلتين فى الوعيد . ۳۸- الرد على أصحاب التناسخ . ۳۹- الرد على المجسّـمة . ۴۰- الرد على الغلاة . ۴۱- مسائله للجبّائى فى مسائل شتّى(۱) . والرجل من أكابر متكلّمى الشيعة، عاصر الجبّائى (ت ۳۰۳) والبلخى (ت ۳۱۹) وأبو جعفر بن قبة المتوفّى قبل البلخى فهو من أعيان متكلّمى الشيعة فى أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع . وقال ابن النديم: أبو محمّد الحسن بن موسى بن أُخت أبى سهل بن نوبخت، ________________

۱ . النجاشى: الرجال ۱ / ۱۷۹ برقم ۱۴۶ ترجمه ابن حجر فى لسان الميزان ۲ / ۲۵۸ برقم ۱۰۷۵ وترجمة هبه الدين الشهرستانى فى مقدمة فرق الشيعة .

(۵۹۳)

متكلّم، فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبى عثمان الدمشقى، وإسحاق وثابت وغيرهم وكانت المعتزلة تدّعيه، والشيعة تدّعيه ولكنّه إلى حيّز الشيعة ما هو (كذا) لأنّ آل نوبخت معروفون بولاية على وولده ـ عليهم السلام ـ فى الظاهر، فلذلك ذكرناه فى هذا الموضع... وله مصنفات وتأليفات فى الكلام والفلسفة وغيرها ثمّ ذكر فهرس كتبه ولم يذكر إلاّ القليل من الكثير(۱). إنّ بيت نوبخت من أرفع البيوتات الشيعية خرج منه فلاسفة كبار، متكلّمون عظام، وقد آثرنا الاقتصار ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلّفة حول هذا البيت . هؤلاء أعلام الشيعة ومتكلّموهم فى القرون الأربعة فهم الذين ذادوا عن حياض الإسلام والتشيّع ببيانهم وبنانهم أتينا بأسمائهم فى المقام ليكونوا كنموذج لما لم نذكره أو لم يحتفل بذكرهم التاريخ فإنّ الإستقصاء يخرجنا إلى تأليف منفرد . ونختم هذا الفصل بمتكلّم فحل وبارع لا يسمع الدهر بمثله إلاّ فى فترات يسيرة أعنى أُستاذ الشيعة وشيخ الاُمة الشيخ المفيد (۳۳۶ ـ ۴۱۴) الّذى أنطق علمه وفضله وورعه وتقاه، لسان كل موافق ومخالف وإليك نموذج ممّا ذكره أصحاب التذكرة وعلماء الرجال فى كتبهم على وجه الإيجاز ونركّز على كلمات أهل السنّة ونذكر القليل من كلمات الشيعة فى حقه . ۱- هذا هو ابن

النديم (ت ۳۸۸) معاصره ويعرّفه فى الفهرست بقوله:

«ابن المعلم، أبو عبداللّه، فى عصرنا انتهت رياسة متكلّمى الشيعة إليه، مقدم فى صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضى الخاطرة، شاهدته ______________

۱ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۵ ـ ۲۶۶ الفن الثانى من المقالة الخامسة .

(۵۹۴)

فرأيته بارعا...(۱) والمعروف انّه ألّف الفهرست عام ۳۷۷، وتوفّى حوالى ۳۸۸، وعلى ضوء هذا فالمفيد انتهت إليه رياسة متكلّمى الشيعة وله من العمر ما لا يجاوز الخمسين . ۲- وقال الحافظ أحمد بن على الخطيب البغدادى (ت ۴۶۳):

أبو عبداللّه المعروف بابن المعلم، شيخ الرافضة، والمتعلم على مذهبهم، صنّف كتباً كثيرة فى ضلالاتهم والذب عن اعتقاداتهم(۲) .

۳- وقال عبدالرحمان ابن الجوزى (ت ۵۹۷):

شيخ الإمامية وعالمها، صنّف على مذهبه، ومن أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره، بدرب رياح، يحضره كافة العلماء، له منزلة عند اُمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبه(۳) . ۴- وقال أبو السعادات عبداللّه بن أسعد اليافعى (ت ۷۶۸):

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة توفّى عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيد، وابن المعلم أيضاً، البارع فى الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة فى الدولة البويهية. قال ابن ابى طى: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتى مصنّف، وكانت جنازته مشهورة وشيّعه ثمانون الفاً من الرافضة والشيعة(۴) . ______________

۱ . ابن النديم: الفهرست ۲۶۶ فى فصل أخبار متكلّمى الشيعة .

۲ . الخطيب البغدادى: ۳ / ۳۳۱ برقم ۱۷۹۹ .

۳ . ابن الجوزى: المنتظم ۱۵ / ۱۵۷ .

۴ . اليافعى: مرآة الجنان ۳ / ۲۸ طبع الهند . (۵۹۵) ۵- ووصفه أبوالفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت ۷۷۴) بقوله:

شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامى عن حوزتهم، وكان يحضر ملجسه خلق كثير من العلماء وسائر الطوائف(۱) . ۶- وقال الذهبى (ت ۷۴۸):

محمّد بن محمّد بن النعمان، الشيخ المفيد، عالم الرافضة، أبو عبداللّه ابن المعلم، صاحب التصانيف البدعية، وهى مائتا مصنف(۲) . عالم الشيعة، وإمام الرافضة وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن ابى طى فى تاريخه ـ تاريخ الإمامة ـ : هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة العظيمة فى الدولة البويهية(۳) . ۷- قال ابن حجر (ت ۸۵۲) بعد نقل ما ذكره الذهبى :

وكان كثير التعقيب والتخشّع والاكباب على العلم، تخرج به جماعة، وبرع فى المقالة الإمامية حتّى يقال: له على كل إمام منّة، وكان أبوه معلماً بواسط وما كان المفيد ينام من الليل إلاّ هجعة ثمّ يقوم يصلى أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن(۴) . ۸- وقال ابن العماد الحنبلى: (ت ۱۰۸۹):

«وفيها توفّى المفيد، ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرافضة، وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبى طى فى تاريخ الإمامية: هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان ______________

۱ . ابن كثير: البداية والنهاية ۱۱ / ۱۵ .

۲ . الذهبى ميزان الاعتدال ۴ / ۳۰ .

۳ . الذهبى: العبر ۲ / ۲۲۵ .

۴ . ابن حجر: لسان الميزان ۵ / ۳۶۸ برقم ۱۱۹۶ . (۵۹۶)

الإماميـة، رئيس الكلام، والفقه والجـدل وكان يناظر اهل كل عقيـدة مع الجلاله والعظمـة فى الدولـة البويهية»(۱) . هذا بالنسـبة للسنّة، وأمّا الشيـعة فنقتصـر على كلام تلميذيه: الطوسى والنجاشى ونترك الباقى لمترجمى حياته . ۱- يقول الشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) فى الفهرست :

المفيـد يكنّى أبا عبـداللّه المعروف بابن المعلم، من جملـة متكلّمى الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، وكان مقدّماً فى العلم، وصـناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب وله قريب من مائتى مصنف كبار وصغار وفهرست كتبه معروف، ولد سنة ۳۳۸ وتوفّى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ۴۱۳، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق(۲) . ۲- ويقول تلميذه الآخر، النجاشى (۳۷۲ ـ ۴۵۰):

شيخنا وأُستاذنا ـ رضى الله عنه ـ فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم ثمّ ذكر تصانيفه(۳) . وهذه الكلم تعرّفنـا منزلته الرفيعـة وانّه لم يكن يومـذاك للشـيعة متكلّم أكبر منه، وكفى فى ذلـك انّه تخرّج على يـديه لفيف من متكلّمى الشـيعة نظير: السيد المرتضى (۳۵۵ ـ ۴۳۶) والشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) وهما كوكبان فى سماء الكلام، وحاميان عظيمان عن حياض التشيع، ببيانهم وبنانهم . ________

۱ . ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ۳ / ۱۹۹ وفيه مكان الطائفة: الصوفية. وهو لحن .

۲ . الشيخ الطوسى: الفهرست برقم ۷۱۰ .

۳ . النجاشى: الرجال ۲ / ۳۲۷ برقم ۱۰۶۸ . (۵۹۷)

ولنكتف فى سـرد أسـماء أئمـة الكلام بهـذا المقدار ولنترك الباقى من القرن الخامس إلى عصـرنا هذا غير أنّه يطيب لى أن اشيـر إلى بعض أساتذة الفلسفة منهم . مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع:

۱- إذا كان الشيـخ المفيد أكبر متكلّم للشـيعة ظهر فى العراق، فإنّ الشـيخ الرئيس ابن سينا (۳۸۰ ـ ۴۲۴) أكبر فيلسوف اسلامى شيعى ظهر فى المشـرق، وهـو من الـذين دفعـوا عجلـة الفكر والعلم إلى الأمـام فى خطوات كـثيرة وقـد طـار صـيته شـرقاً وغربـاً، وكتبت عنه دراسات ضافية من المسلمين والمستشرقين ونحن فى غنى عن افاضة القول فى ترجمة حياته، وآثاره الّتى خلّفها، والتلاميذ الذين تربّوا فى مدرسـته ولكـن نشير إلى كتـابين مـن كتبـه لأنّهمـا كوكبـان . الـف ـ الشـفاء وهـو يشـتمل على المنطـق، والطبيعيـات والإلهيـات والرياضيات وقد طبع أخيراً فى مصر فى أجزاء، وبالامعان فيما ذكره فى مبحث النبوّة يعلم مذهبه قال: والاستخلاف بالنص أصوب فانّ ذلك لا يؤدّى إلى التشـعّب والتشاغب والاختلاف(۱). باء ـ الاشارات وهو يشـتمل على المنطق والطبيعات والإلهيات وهو من أحسـن مؤلّفاته وفيه آراؤه النهائية وقد وقع موقع العناية لمن بعده، فشـرحه الامام الرازى (۵۴۳ ـ ۶۰۶) والمحقق الطوسى (۵۹۷ ـ ۶۷۲) والشرح الثـانى، كان محور الدراسـة فى الحوزات العلميـة . ۲- نصـير الدين الطوسـى: الخواجه نصـير الدين الطوسى، سلطان المحققين وأُستاذ الحكماء والمتكلمين (۵۹۷ ـ ۶۷۲) وهو أشهر من أن يذكر، شارك فى ________

۱ . الشفاء قسم الإلهيات ۲ / ۵۶۴ طبع ايران .

(۵۹۸)

جميع العلوم النظرية فاصـبح أُسـتاذاً محقّقاً مؤسّـساً أثنى عليه الموافق والمخالف . ۳- الشـيخ كمال الدين: الشـيخ كمال الدين ميثم بن على بـن ميثـم البحرانى (۶۳۶ ـ ۶۹۹) الفيلسوف المحقّق، والحكيم المـدقّق، قـدوة المتكلمين، تظهر جلالـة شـأنه وسـطوع برهـانه من الامعـان فى شـرحه لنهـج البلاغـة فى أربعـة أجزاء وله «قواعـد المرام فى الكلاـم» وكلاهما مطبوعان . ۴- العلاّمة الحلّى: شـيخ الشيعة جمال الـدين المعروف بالعلاّمة الحلّى (۶۴۸ ـ ۷۲۸) له الجوهر النضـيد فى شـرح منطق التجريد، وكشف المراد فى الكلام، وكتبه فى

المنطق والكلام والفلسفة تنوف على العشرين . ۵- الرازى: قطب الدين الرازى (ت ۷۶۶)، تلميذ العلاّمة الحلّى واُستاذ الشهيد الأوّل، له شرح المطالع فى المنطق والمحاكمات بين العلمين: الرازى ونصير الدين الطوسى.

إلى غير ذلك من أدمغة كبيرة ظهرت فى الحوزات الشيعيّة، كالفاضل المقداد (ت ۸۰۸) مؤلّف نهج المسترشدين فى الكلام، والشيخ بهاء الدين العاملى (۹۵۳ ـ ۱۰۳۰)، والسيد محمّد باقر المعروف بالداماد (ت ۱۰۴۰) ،وتلميذه المعروف بصدر المتألّهين مؤلّف الأسفار الأربعة (۹۷۱ ـ ۱۰۵۰) وغيرهم ممّن يتعسّر علينا احصاء أسمائهم فضلا عن تحرير تراجمهم . هذه لمحة عابرة عن مشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم العقلية واقتصر نا على المشاهير منهم إلى أواسط القرن الحادى عشر، وتركنا أسماء الكثيرين.

هذا وقد قام المتتبّع المتضلّع الشيخ عبداللّه نعمة بتأليف كتاب حول فلاسفة الشيعة ومتكلّميهم أسماه «فلاسفة الشيعة» وسدّ بذلك بعض الفراغ حيّاه اللّه وبيّاه . ومن حسن الحظ أنّ ركب التفكير والبرهنة والاستدلال لم يقف، بل توالت (۵۹۹)

إلى عصرنا، فترى فى حقول الكلام والفلسفة شخصيات بارزة ومؤلّفات لا تحصى فى الكلام والفلسفة والمنطق، وقد عاش كثير من هؤلاء فى الظروف السياسية الصارخة بالدم والرعب، وقد صار ذلك سبباً فى اختفاء آثارهم وضياعها، بل وتراكم الأساطير حولها . وبذلك تقف على قيمة ما ذكره المستشرق «آدم متز» فى حق كلام الشيعة: «أمّا من حيث العقيدة والمذهب، فانّ الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولابدّ أن يكون قلّة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة ممّا لاءم أغراض الشيعة ولم يكن للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاص به»(۱) . إنّ الشيعة منذ بكرة أبيهم، كانوا مقتفين أثر أئمتهم، ولم يكونوا ورثة المعتزلة، وانّما أخذت المعتزلة اُصول مذهبهم عن أئمة أهل البيت، كما أوضحنا حاله فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة، والعجب أنّ الشيعة كانت تناظر المعتزلة من عصر الامام الصادق ـ عليه السلام ـ إلى عصر المفيد وبعدهم حتّى أنّ الشيخ المفيد وضع كتباً فى نقد المعتزلة، كما وضع قبلهم بعض أئمة المتكلمين من الشيعة ردوداً على المعتزلة، فكيف يكون الشيعة ورثة للمعتزلة، نعم وأنّ القائل خلط مسألة الاتّفاق فى بعض المسائل بالتبعية والاقتفاء، فالشيعة والمعتزلة تتفقان فى بعض الاُصول، لا أنّ أحدهما عيال على الآخر . ۱۳- قدماء الشيعة والعلوم الكونية: لم يكن اتّجاه الشيعة مختصّاً بالعلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق، ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، تعريب محمّد عبدالهادى أبو ريدة ۱ / ۱۰۶ الطبعة الثالثة .

(۶۰۰)

بل امتدّ نشاطهم وحركتهم الفكرية إلى العلوم الرياضية، والكونية، فتجد هذا النشاط بارزاً فى مؤلّفاتهم طيلة القرون، ونحن نأتى هنا بذكر موجز عن مشاهير علمائهم ومؤلّفاتهم فى القرون الاُولى تاركين غيرهم للمعاجم: ۱- هشام بن الحكم (ت ۱۹۹) له آراء فى الاعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ منه إبراهيم بن سيار النظام، وحاصل هذا الرأى أنّ الرائحة جزئيات متبخّرة من الأجسام تتأثّر بها الغدد الأنفية وأنّ الأطعمة جزئيات صغيرة تتأثّر بها الحليمات اللسانية(۱) . ۲- إنّ بيت بنى نوبخت بيت شيعى عريق، فقد قاموا بترجمة الكتب الفارسية إلى العربية وقد خدموا بذلك العلوم الكونية . قال ابن النديم: آل نوبخت معروفون بولاية على وولده، وقال الأفندى فى رياض العلماء: بنو نوبخت طائفة من متكلّمى الإمامية منهم . الف ـ أبو الفضل بن نوبخت قال ابن النديم: كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وقال ابن القطفى فى تاريخ الحكماء: إنّه مذكور مشهور من أئمة المتكلمين وذكر فى كتب المتكلمين وكان فى زمن هارون الرشيد وولاّه القيام بخزانة كتب الحكمة، وهو من متكلّمى أواخر القرن الثانى . ب ـ ولده إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت من متكلمى القرن الثالث . ج ـ يعقوب بن اسحاق بن أبى سهل بن نوبخت متقدم فى الحكمة والكلام والنجوم(۲) .

۳- أبو على أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مسكويه، من أعيان الشيعة ـــــــــــــــــــــــــــ

۱ . عبداللّه نعمة: فلاسفة الشيعة ۵۶ .

۲ . العاملى: أعيان الشيعة ۱ / ۱۳۵ . (۶۰۱)

وأعلام فلاسفتهم، صنّف فى علوم الأوائل وله تعليقات فى المنطق ومقالات جليلة فى أقسام الحكمة والرياضة(۱) . ۴- من أشهر علماء

الشيعة واقدمهم الـذين برزوا بالكيمياء هو جابر بن حيان، فهو الّذى ظهر فى حقل الكيمياء، وهو أوّل من أشار إلى طبقات العين قبل يوحنا بن ماسويه (ت ۲۴۳) وقبل حنين بن إسحاق (ت ۲۶۴) وأوّل من أثبت امكان تحويل المعدن الخسيس إلى الذهب والفضة، فلم تقف عبقريته فى الكيمياء، عنـد هـذا الحد بل دفعته إلى ابتكار شـىء جديد فى الكيمياء فأدخل فيها ما سـمّاه بعلم الميزان، والمقصود منه معادلـة ما فى الأجسام والطبائع، وجعل لكل جسم من الأجسام، موازين خاصة(۲) وقد اُلّفت حول جابر وعبقريته كتب كثيرة، فمن أراد فليرجع إليها، وقـد اتّفق الكل على أنّه تلميذ الامام الصادق ـ عليه السـلام ـ . ۵- الشريف أبوالقاسم على بن القاسم القصرى، وهو من علماء القرن الرابع، ذكره ابن طاووس فى فرج المهموم فى عـداد منجّمى الشـيعة(۳) . وهذه نماذج من علماء الشـيعة فى الطبيعيات والفلكيات، وأمّا المتأخّرون، فحدّث عنهم ولا حرج، وقد أتى بقسم كبير منهم الشـيخ عبداللّه نعمة فى كتابه «فلاسفة الشيعة» فمن أراد فليرجع، غير أنّا نـذكر هنا المحقق الطوسـى الّذى له حقّ على الاُمّـة جمعاء تقول فى حقّه المستشـرقة الألمانيـة: «وحصل نصير الـدين الطوسـى على مرصده، فكان معهداً لأبحاث لا مثيل له، وزوّده بالآلات الفلكية الّتى زادت فى شهرة المعهد، ورفعت مكانته... ويحكى أنّ ـــــــــــــــ

۱ . محمّد باقر الخونسارى: روضات الجنات ۱ / ۲۵۴ .

۲ . فلاسفة الشيعة ۱ / ۵۷ .

۳ . فرج المهموم . (۶۰۲)

زائراً قصـد ابن الفلكى نصير الـدين فى مرصـده فى مراغه فلمّا رأى الآلات الفلكية المتنوعّة ذهل، وقد زاد دهشة حين رأى «المحلقة» ذات الخمس حلقات والدوائر من النحاس: اولاها تمثّل خطّ الطول الّذى كان مركّزاً فى الأسـفل، وثانيتها خطّ الاسـتواء، وثالثتها الخطّ الاـهليلجى، ورابعتهـا دائرة خـطّ الأـرض، وخامسـتها دائرة الانقلاب الصـيفى والشـتوى، وشاهـد أيضاً دائرة السـمت الّتى يمكن للمرء بواسطتها أن يُحدّد سمت النجوم، أى الزاوية الناتجة على خطّ اُفقىّ ثابت وخطّ اُفقى آخر صادر عن كوكب فى السماء . وتقول أيضاً: إنّ نصـير الـدين أحضـر إلى مكتبـة المعهد أربعمائة ألف مجلّد كانت قد سـرقت من مكتبات بغداد وسوريا وبلاد بابل، وقد اسـتدعى علماء ذوى شهرة طائرة من اسبانيا ودمشق وتفليس والموصل إلى مدينة مراغة لكى يعملوا على وضع الازياج بأسرع وقت يمكن»(۱) . ويناسب فى المقام ذكر اجمالى عمّا قدموا من الخدمة فى مجال الجغرافية وعلم البلدان فنقول: الجغرافية وتقويم البلدان:

نـذكر فى المقام، رحّالتين طافا فى البلاد الإسـلامية وكتبا ما يرجع إلى جغرافيـة البلـدان، وقد صار كتاباهما أساساً للآخرين: ۱- أحمد بن أبى يعقوب بن واضـح المعروف باليعقوبى المتوفّى فى أواخر القرن الثالث، فهو أوّل جغرافى بين العرب، وصف الممالك معتمـداً على ملاحظاته ـــــــــــــــ

۱ . السيدة زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ۱۳۳ والصحيح أن يسمى: شمس الإسلام...

(۶۰۳)

الخاصـة، ومتوخّيـاً قصـد ما أراد من وصف البلـد وخصائصـها وهو يقول عن نفسه: انّه عنى فى عنفوان شـبابه، وحـدّة ذهنه بعلم أخبار البلـدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأنّه سافر حديث السن واتّصلت أسـفاره ودام تغرّبه، وقد طاف فى بلاد المملكة الإسـلامية كلّها، فنزل أرمينيـة وورد خراسان وأقام بمصـر والمغرب بل سافر إلى الهنـد، وكان متى لقى رجلا سأله عن وطنه ومصـره وعن زرعه ما هو؟ وساكنيه منهم؟ عرب أو عجم؟ وعن شـرب أهله ولباسـهم ودياناتهم ومقالاتهم من غير أن يلحقه من ذلك ملال ولا فتور، وقد وصف المملكـة الإسـلامية مبتدئاً ببغداد وصـفاً منظّماً مع اصابة جديرة بالثقة والاعجاب(۱) . ۲- أبو الحسن على بن الحسـين المسعودى (ت ۳۴۶) فقـد ألّف فى ذلـك المضـمار كتـابه «مروج الـذهب ومعادن الجوهر» وكتابه الآخر «التاريـخ فى أخبار الاُمم من العرب والعجم» وكتابه الثالث «التنبيه والاشراف» فقد اشتمل وراء التاريخ على الجغرافية وتقويم البلدان، وقد جرّه حُبّه للاستطاع إلى بلاد بعيدة، فكتب ما رآه وشاهده . ـــــــــــــــ

۱ . آدم متز: الحضارة الإسلامیة ۲ / ۳۴ وکتاب الیعقوبی فی الجغرافیة هو کتاب «البلدان» المنتشر .
(۶۰۴) (۶۰۵)

الفصل الثالث عشر فی بلدان الشیعة وجامعاتهم

الفصل الثالث عشر فی بلدان الشیعة وجامعاتهم العلمیة (۶۰۶) (۶۰۷)
قد عرفت الخطوط العریضة فی التشیّع وأنّه لیس شیئاً سوی الإسلام علی أساس کون القیادة والخلافة ـ بعد رحلة النبی ـ لعلی ـ علیه السلام ـ وأهل بیته، کما تعرّفت علی حیاة الأئمّة الاثنی عشر، وعلی عمالقة الفکر والعلم والفلسفة، والأدب والشعر، من شیعتهم، الذین شارکوا المسلمین فی بناء حضارة قامت علی العلم، والثقافة. ولکن ـ اکمالا للبحث ـ نذکر بلدان الشیعة أوّلا، والجوامع والمعاهد العلمیة الّتی أنشأوها ثانیاً ودورهم ثالثاً وعددهم رابعاً. حتّی یتم التعرّف علیهم، علی القدر المستطاع . ۱- بلدان الشیعة:
تتواجد الشیعة فی جمیع أنحاء العالم بنسب مختلفة وربّما یعدّ بعض البلدان معقل الشیعة ومزدحمها ویکون المذهب السائد علیه هو التشیّع. وإلیک أسماء بعضها وهی إیران، والعراق، والحجاز، والشامات، وترکیا، وأفغانستان، والباکستان، والهند، والیمن، ومصر، والامارات المتّحدة العربیة، والبحرین، والاحساء، والقطیف، والکویت، ومسقط، وعمان، والتبت، والصین، (۶۰۸)
وجمهوریة آذربایجان، وطاجیکستان والجمهوریات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفیتی،ومالیزیا، وأندونیسیا، وسیلان، وتایلند، وسنغافورة، والأفریقیة الشمالیة، والصومال، والأرجنتین، وبریطانیا، وألمانیا، وفرنسا، وألبانیا، والولایات المتّحدة، وکندا وغیرها ممّا یعسر عدّها . ولا بأس بالإیعاز إلی خصوصیات بعض البلدان إذ فیه تسلیط لبعض الضوء للتعرّف علی ماضی التشیّع وما لاقه أتباعه من العدوان والویلات والمصائب . التشیّع حجازی المحتد والمولد:
التشیّع حجازی المحتد والمولد، إذ فیه نشأ، وفی تربته غرست شجرته ثمّ نمت وکبرت، فصارت شجرة طیّبة ذات أغصان متّسقة وثمار یانعة. وفیه حثّ النبیّ الأکرم علی ولاء الإمام وسمّی أولیاءه شیعة، وحدّث بحدیث الثقلین وجعل أئمة أهل البیت قرناء الکتاب فی العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفیه رقی النبیّ المنبر الّذی صنعوه من رحال الابل وأخذ بید وصیّه وولی عهده علیّ المرتضی وحمداللّه وأثنی علیه وقال: «ألست أولی بالمؤمنین من أنفسهم؟» فقالوا: اللّهمّ بلی، ولمّا أخذ من الجمع المحتشد، الاقرار بأولویته علی النفس والنفیس عرّف علیاً خلیفة عنه وقال: «من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه» ونزل من المنبر ثمّ نزلت آیات، وتبودلت التهانی والتحیّات بین الامام والصحابة(۱) . وقد أشار إلی بعض ما ذکر مؤلّف خطط الشام وقال: «إنّ النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ هو الّذی حثّ علی ولاء علی وأهل بیته ـ علیهم السلام ـ ـــــــــــــــــــــــ

۱ . لاحظ الفصل الثالث من هذا الجزء .
(۶۰۹)

وهو أوّل من سمّی أولیاءه بالشیعة وفی عهده ظهر التشیّع وسمّی جماعة بالشیعة(۱) . ولمّا ارتحل النبی الأکرم إلی دار البقاء تناسی اُولوا القوة والمنعة من الصحابة عهد النبی الأکرم فحالوا بین النبی واُمنیته کما حالوا بین اُمّته وإمامها، فتداولوا کرة الخلافة بینهم، وأخذوا بمقالید الحکم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحکم، لا عمل له إلّا هدایة الاُمّة وارشادها بلسانه وبیانه وقلمه وبنانه . إنّ الّذی دعا علیّاً إلی السکوت والانحیاز، هو مشاهدة ظاهرة الردّة، الطارئة علی المجتمع الاسلامی عن طریق مسیلمة الکذاب، وطلیحة بن خویلد الأفّاک، وسجاح بنت الحرث الدجّالة، واصحابهم الهمج الرعاع فکانوا مهتمّین بمحق الإسلام وسحق المسلمین. ویحدّث عنه الامام فی رسالته إلی أهل مصر الّتی أرسلها مع مالک الأشتر یقول: «فأمسکت یدی حتّی رأیت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام یدعون إلی محق دین محمّد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فخشیت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أری فیه ثلماً أو هدماً تکون المصیبة به علیّ أعظم»(۲) . رأی الامام أنّ صیانة الإسلام وردّ عادیة الأعداء تتوقّفان علی المسالمة والموادعة فألقی حبل الخلافة علی

غاربها، تقديماً للأهم على المهمّ، وتبعته شيعته صابرين على مضض الحياة ومرّها . بقى الامام منعزلا عن الحكم قرابة ربع قرن إلى أن قتل عثمان فى عقر داره وانثال الناس إلى دار على من كلّ جانب مجتمعين حوله كربيضة الغنم، يطلبون منه القيام بالأمر وأخذ مقاليد الحكم، وفيهم شيعته المخلصون الأوفياء، فلم ير بدّاً من ________________

١ . محمد كرد على: خطط الشام ٥ / ٢٥١ .

٢ . الرضى: نهج البلاغة قسم الكتب برقم ٦٢ . (٦١٠)

قبول دعوتهم لقيام الحجة بوجود الناصر(١) . ولمّا نكث الناكثون البيعة، وقادوا حبيبة رسول اللّه «عائشة»، معهم إلى البصرة، ارتحل الإمام بأنصاره وشيعته إلى العراق إلاّ ـ قليلا ـ بقوا فى الحجاز لقلع مادة الفساد قبل أن تستفحل، ولمّا قلع عين الفتنة، استوطن الإمام الكوفة واستوطنها معه شيعته وصارت الكوفة عاصمة التشيّع، ومعقله، وفيها نما وأينع وأثمر ومنها انحدر إلى سائر البلدان، بعدما كان الحجاز مهبط التشيّع ومغرسه ومحتده. فكان حجازى المحتد والمغرس عراقى النشوء والنمو. ولم يكن يوم ذاك يتظلّل فى ظلال التشيّع، إلاّ عربى صميم، من عدنانىّ وقحطانىّ ولم يكن بينهم فارسىّ المحتدّ ولا بربرىّ الأصل ولا شعوبىّ العقيدة . ومضت على التشيّع فى مغرسه (الحجاز) قرون ومرّت به أجواء قاسية، وظروف رهيبة كادت تقضى على الشيعة ـ مع ذلك ـ نرى اليوم تواجدهم فى مكة والمدينة وحضرموت ونجران، الحدود اليمنية، وقبائل الأطراف رغم العدوانية السائدة فى هذه الآونة الأخيرة ضدّهم ورغم سيادة السيف والوحشية الكاسرة فيها، فبنو جهم، وبنو على، وبعض بنى عوف، ونخاولة المدينة والفلاحون فى رساتيقاها كلّهم شيعة . وأمّا المنطقة الشرقية كالاحساء والقطيف والدمّام، فالأكثرية الساحقة فيها هى الشيعة، ولأجل سحق هذه الأكثرية عمدت السلطة الوهابية بزرع السنّة فى بلادهم باستيطان بعض القبائل والموظفين فيها واللّه من وراء القصد . ________________

١ . إشار إلى قوله ـ عليه السلام ـ : «أما والّذى فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر... لأقيت حبلها على غاربها» نهج البلاغة، الخطبة ٣ . (٦١١) التشيّع عراقىّ النشوء والنموّ:

قد عرفت أنّه لمّا غادر الامام المدينة المنوّرة متوجّهاً إلى العراق واستوطن الكوفة هاجر كثير من شيعته معه واستوطنوا العراق، فصار ذلك أقوى سبب لنشوء التشيّع ونموّه، فى العراق ولا سيما فى الكوفة، فصارت معقل الشيعة، ولمّا قضى الامام نحبه حاولت السلطة الاموية وعمّالها استئصال التشيّع منها بأبشع صورة مذكورة فى التاريخ. بالرغم من أنّ العراق وأخص منه الكوفة كان علوى النزعة هاشمى الولاء، إلاّ أنّ الحسين، ابن الإمام قتل بسيف الكوفيين، وسقط عطشاناً وحوله أجساد أبنائه وأبناء أخيه وأصحابه ولكن ذلك لا ـ يدل على انسلاخهم عن التشيّع لأنّ الشيعة يوم ذاك كانوا بين مسجون فى زنزانات الامويين، ومرعوب فاقد للتصميم والحميّة وخاذل، ومنتظر لما تؤول إليه الاُمور، وناصر التحق بالحسين فى اُحلك الظروف . هؤلاء هم الشيعة . وأمّا الذين شاركوا فى قتل الحسين فلم يكونوا من الشيعة أبداً بل كانوا أتباع الامويين والمنضوين تحت راياتهم. ولمّا قتل الحسين أثار قتله أعمق الأشجان وأعنف العواطف فى الشيعة وبعد اطلاق سراح المسجونين قاموا بجد وحماس بأخذ الثار بقيادة المختار، باكين ليلا ونهاراً على ما أصاب الحسين من مصيبة. وقد حاول الامويون جعل العراق أموياً، وبذلوا جهودهم، لكن عادت الجهود فاشلة فهو إلى اليوم هاشمى وعلوى وحتّى أنّ دعوة العباسيين نجحت فى بداية الأمر فى العراق فى ظل طلب ثأر الحسين وأهل بيته وكانت الدعوة للرضا من آل محمّد . تبلور التشيّع بعد حادثة الطف بقليل واتّسع نطاقه وصار العراق مركزه، وكانت القوافل من أنحاء العراق وغيرها تؤمّ قبر الحسين ـ عليه السلام ـ وأصحابه، (٦١٢)

فصارت مشاهد أهل البيت فيها معمورة بالزائرين والمجاورين، وكانت المآتم تقام فى حواضرها واتّخذت الشيعة مشاهد أئمّتهم، حوزات علمية ومعاهد فكرية، فازدهر العراق بعمالقة الفكر، وأساتذة الفقه وأساطين الكلام، وأعان على نشر التشيّع ونموّه فى العراق نشوء دول وإمارات للشيعة فى القرن الرابع وما بعده . يقول الشيخ المظفر: وساعد على نمو التشيّع وانتشاره فى العراق، أن تكوّنت من الشيعة فيه سلطنات دول وإمارات كسلطنة آل بويه، وامارة بنى مزيد فى الحلّة والنيل، وبنى شاهين فى البطائح، وبنى حمدان وآل

المسيّب فى الموصل، ونصيبين، وكدولة بعض المغول أمثال محمّد خدابنده وابنه أبى سعيد، وأمّا محمود غازان فقد قيل بتشيّعه وهناك امارات عليه إلاّ أنّه لم يصارح به، وكدولة الجلائرية الّتى أسّسها الشيخ حسن الجلائرى أحد قواد المغول وابن أُخت محمود غازان ومحمّد خدابنده، وكانت بغداد عاصمة ملكه، وكالدولة الصفوية الّتى ناصرت التشيّع ونشرته فى البلاد بشتّى الطرق، فكانّما هى دولة دينية تأسّست لنشر مذهب أهل البيت . وأيّد مذهب التشيّع أيضاً أن انعقدت عدّة وزارات من رجاله فقد استوزر السفاح أوّل ملوك بنى العباس: ابا سلمة الخلال الكوفى الهمدانى داعية أهل البيت وقتله على التشيّع. واستوزر المنصور: محمّد بن الأشعث الخزاعى. واستوزر المهدى: أبا عبداللّه يعقوب بن داود وحبسه لتشيّعه. واستوزر الرشيد: على بن يقطين، وجعفر بن الأشعث الخزاعى. والمأمون: الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف وقتله عند ما أحسّ بميله إلى الرضا ـ عليه السلام ـ . واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل. واستوزر المعتزّ والمهتدى: أبا الفضل جعفر بن محمود الاسكافى. واستوزر المقتدى: أبا شجاع ظهر الدين محمّد بن الحسين الهمدانى وعزله لتشيّعه. واستوزر المستظهر: أبا المعالى هبة الدين بن محمّد بن المطلب (۶۱۳)

وعزله لتشيّعه ثمّ أعاده على أن لا يخرج من مذهب أهل السنّة ثم تغيّر عليه وعزله، واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر: مؤيد الدين محمّد بن عبدالكريم القمى من ذرية المقداد ـ رضوان اللّه عليه ـ واستوزر المستعصم آخر ملوك بنى العباس: أبا طالب محمّد بن أحمد العلقمى الأسدى وأقرّه هولاكو على الوزارة، ولمّا مات ـ رحمه الله ـ استوزر: ولده أبا الفضل عز الدين، إلى ما سوى هؤلاء . وأمّا الإمارات، والقيادات، والكتابة، والخزانة، فما أكثرها، أمثال امارة آل قشتمر، آل أبى فراس الشيبانى، وآل دبيس كما أشرنا إليهم، وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعى وقيادة أولاده كابنه عبد الله، ومحمّد بن عبداللّه وغيرهما، وتولّيهم امارة هرات، وكان عبداللّه بن سنان خازناً للمنصور والمهدى والهادى والرشيد، وكان من ثقاة الرواة لأبى عبداللّه الصادق ـ عليه السلام ـ ، إلى ما يعسر استقصاؤه . وكفاك برهاناً على أنّ التشيّع كان ضارباً أطنابه على بسيطة العراق، ما كان من نقابة الطالبيين فى بغداد، فما أكثر ما كان يتولاّها الشيعة، أمثال الشريف الرضى وأبيه وابنه وأخيه المرتضى، وقد تولّوا المظالم أيضاً، وتولّى الشريف الرضى وأبوه أيضاً امارة الحاج، كما تولاّها ثلاث عشرة حجة حسام الدين أبو فراس جعفر بن أبى فراس الشيبانى . وتولّى آل طاووس نقابه الطالبيين فى العراق عامة، تولاها منهم السيدان العلمان رضى الدين وغياث الدين عبدالكريم(۱) كما تولّى الأوقاف فى العراق ________________

۱ . اُنظر ـ الحوادث الجامعة ـ فى حوادث عام ۶۶۱ وما ذكره فيها من تولّى السيد رضى الدين بن طاووس نقابة الطالبيين بالعراق، وذكر أنّ وفاته عام ۶۶۴، وفى حوادث عام ۶۹۳ قال: وفيها توفّى النقيب غياث الدين عبدالكريم بن طاووس .

(۶۱۴)

وغيرها ممّا كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الدين الطوسى ـ طاب ثراه ـ وعندما قبض عليها، أقام ببغداد وتصفّح الأوقاف وأدار أخبار الفقهاء والمدرسين وقرر القواعد فى الوقف وأصلحها بعد اختلالها(۱) ومن بعده تولاّها ابنه أحمد فخر الدين، ولمّا وليها حذف الحصة الديوانية فى الوقوف، ووفرت على أربابها(۲) . ثمّ إنّ شيخنا المظفر ـ وهو عراقى المحتد والمنشأ ـ عارف بخصوصيات بلده وما جرى على الشيعة فيها طيلة القرون خصوصاً بعد ما نشبت فيها مخالب آل عثمان، خرج بالنتيجة التالية: «انّ جنوب العراق شيعة خالصة ولو وجد فيه غيرهم فهو نادر وأمّا البلاد الشمالية، فسكّانها على العموم من أهل السنّة إلاّ أنّ الشيعة فيها ليسوا بالقليل، ولو أمنوا الغوائل من اظهار هم لولاء أهل البيت، كما يأمن العدد القليل من أهل السنّة فى الجنوب، لعجبت من كثرتهم فى تلك البلاد لا سيما فى لواء الموصل وكركوك. وأمّا البلاد الوسطى كالحلّة فهى شيعية خالصة سوى افراد معدودين فى نفس القصبة، ولواء بغداد فأكثريته من الشيعة، ومثله لواء ديالى، بعكس لواء الديلم ففيه من الشيعة عدد قليل. وعليه، فالعراق اليوم سبعة من ألويته شيعة وفيها شوب من غيرهم، وخمسة سنّة وفيها خليط من الشيعة ولواءان مختلطان يغلب التشيع عليهما، هذا ما يعرفه المستقرئ، لبلاد العراق . ومن ثمّ لا ـ نحتاج إلى استقراء لجميع بلاد الجنوب أمثال الكوت والعمارة والغرّاف وما سواها من بلاد دجلة، والسماوة والديوانية والناصرية وما سواها من ________________

۱ . اُنظر تاريخ ـ مختصر الدول ـ للعبرى ۵۰۰ و ـ الحوادث الجامعة ـ فى حوادث عام ۲۷۲ .

۲ . اُنظر ـ الحوادث الجامعة ـ فى حوادث عام ۶۸۳ . (۶۱۵)

بلاد الفرات(۱) . الشيعة فى اليمن:

دخل التشيّع في اليمن منذ أن أسلموا بيد على ـ عليه السلام ـ يحدثنا التاريخ انّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام فأقام هناك ستة أشهر فلم يجيبوه إلى شيء. فبعث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ وأمره أن يرجع خالد بن الوليد ومن معه. قال البراء: فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلّى بنا علىّ الفجر، فلمّا فرغ صفّنا صفّاً واحداً ثمّ تقدّم بين أيدينا فحمداللّه واثنى عليه ثمّ قرأ عليهم كتاب رسول اللّه فأسلمت همدان كلّها فى يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول اللّه، فلمّا قرأ كتابه خرّ ساجداً ثمّ جلس فقال: السلام على همدان، السلام على همدان ثمّ تتابع أهل اليمن على الاسلام(۲) فكان تمسّكهم بعرى الإسلام على يد على وصار هذا أكبر العوامل لصيرورتهم علويين مذهباً ونزعة. وفى ظل هذه النزعة ضحّوا بأنفسهم ونفيسهم بين يدى على فى حروبه . أضف إليه أنّهم سمعوا من المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فضائل إمامهم ومناقبه غير مرّة وهذا ممّا زادهم شوقاً وملأ قلوبهم حبّاً وولاءً له، روى المحدثون: انّ اليمانيين طلبوا من النبى أن يبعث إليهم رجلا يفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب اللّه، فبعث النبى علياً وضرب على صدره وقال: «اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال الامام ـ عليه السلام ـ : فما شككت فى قضاء بين اثنين حتى ـــــــــــــــــــ

۱ . محمّد حسين المظفر: تاريخ الشيعة ۶۹ ـ ۷۱ و ۱۱۰ ـ ۱۱۱ .

۲ . ابن الأثير: الكامل ۲ / ۳۰۰ فى حوادث السنة العاشرة. دار صادر . (۶۱۶)

الساعة(۱) . بقى بينهم مدّة يفقّههم فى الدين، ويقضى بكتاب اللّه، ويحلّ المشاكل القضائية، بما يبهر العقول . انّ هذا وذاك، والقتل الذريع الّذى ارتكبه عمّال معاوية كبسر بن أرطاة، سبّب اتّجاه اليمانيين نحو صاحب الولاية من يومهم إلى يومنا هذا وقد خامر التشيّع قلوبهم وعقولهم ولأجل وجود أواصر الحبّ والولاء بين اليمانيين والامام على ـ عليه السلام ـ ذكرهم على فى شعره وقال: فلو كنت بوّاباً على باب جنّة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وممّا يدل على فرط حبّهم وولائهم لعلى ـ عليه السلام ـ ما قاله سيدهم سعيد بن قيس الهمدانى ـ رضوان اللّه عليه ـ فى وقعة الجمل: قل للوصى أقبلتْ قَحْطانُها * فادع بها تكفيكها هَمْدانُها همُ بنوها وهمُ اخوانها(۲) نعم رحل يحيى بن الحسين الرسى العلوى من العراق إلى اليمن فى القرن الثالث ودعا إلى المذهب الزيدى فى ظل ولاء أهل البيت وأخذ بمجامع القلوب وانتشرت دعوته فانتموا إلى زيد، فالشيعة إلى اليوم فى اليمن زيديّو المذهب يهتفون فى الأذان بـ «حىّ على خير العمل» . ويوجد هناك شيعة إماميون قليلون . كانت الحكومة منذ دعوة الرسى العلوى بيد الزيدية وكان آخر حاكم مقتدر زيدى يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكّل على اللّه، ولمّا اغتيل هو وولداه ـــــــــــــــــــ

۱ . كنز العمال ۶ / ۱۵۸ و ۳۹۲ باب فضائل على .

۲ . ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۱ / ۱۴۴ ـ ۱۴۵ . (۶۱۷)

الحسن والمحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام ۱۳۶۷ هـ ق فى ظل مؤامرة أجنبية، قام مكانه ولده الامام بدر الدين ولم يكن له نصيب من الحكم إلاّ مدّة قليلة حتّى اُزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكرى، وبذلك انتهى الحكم الزيدى فى اليمن ولكن اليمنيين بقوا على انتمائهم إلى التشيّع. نعم إنّ السلطة الوهابية فى هذه الآونة بصدد تصدير التوهّب وفرضها عليها فى ظل تزويد الدولة بامكانيات مالية . واللّه من وراء القصد... الشيعة فى سوريا ولبنان:

ظلّ التشيّع سائداً فى الشام وحلب وبعلبك وجبل عامل منذ القرن الأوّل إلى يومنا هذا، ومن المعروف انّ أباذر هو الّذى بذر بذرته، أو غرس شجرته عندما نفاه عثمان من المدينة إلى الشام، وكان يجول فى الشام وضواحيه وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من دون أن يخاف قوّة أو سطوة، أو إهانة أو قسوة، وطبع الحال يقتضى أن يبوح بما انطوت عليه جوانحه من الولاء لعلى وأهل بيته، يدعو

له على القدر المستطاع، وقد نمت البذرة فی ظل التستّر والتقيّة وأمّا اليوم فالشيعة مجاهرون ولهم شأن عند الدولة ولهم مظاهر فی الشام وضواحيه، ترى اسم علی والحسين مكتوبين تحت قبّة المسجد الأموی، وفی الجانب الشرقی مسجد خاص باسم راس الحسين وفی نفس البلد قباب مشيّدة لأهل البيت وفی الوقت نفسه لاتجد أثراً لمعاوية(۱) ويزيد والحكام الأمويين. إنّ فی ذلک لعبرة لأُولی الألباب . ________

۱ . نعم فی داخل البلد بيت يقال فيه قبر معاوية لا يزوره أحد إلّا للعبرة، والاطّلاع على ما آل إليه أعمال الامويين من مصير بائس بعد مماتهم.

(۶۱۸)

قويت شوكة التشيّع فی سوريا حين ما قامت دولة الحمدانيين فی الشام والجزيرة فلسيف الدولة أيدی بيضاء فی رفع منارة التشيع، كيف وأبو فراس صاحب القصيدة الميمية هو ابن عمّه الّذی يقول: الحق مهتضم والدين مخترم * وفیء آل رسول اللّه مقتسم وأمّا جبل عامل فقد انتشر فيه التشيّع منذ دخل إلى الشام، وقد خرج منها علماء طبقوا البلاد شهرة وصيتاً أخص منهم بالذكر: ۱- محمّد بن مكی المعروف بالشهيد الأول (۷۳۴ ـ ۷۸۶) وكان إماماً فی الفقه ولكنّه صلب بيد الجور، ثمّ رجم، ثمّ اُحرق، بذنب أنّه شيعیّ موال لأهل البيت ولا يفتی بفتوى أئمّة المذاهب الأربعة . وله كتب فقهية أشهرها اللمعة الدمشقية ألّفها فی السجن خلال اسبوع ولم يكن عنده من الكتب الفقهية سوى المختصر النافع للمحقّق الحلّی (۶۰۰ ـ ۶۷۶) . ۲- زين الدين بن علی الجبعی (۹۱۱ ـ ۹۶۶) صاحب الروضة البهية فی شرح اللمعة الدمشقية والمسالک فی شرح الشرائع الّذی يتضمّن مجموع الكتب الفقهية مع ذكر المستند والدليل. وهو قدس اللّه سرّه استشهد قرب شاطئ البحر وفصل رأسه عن جسده واُرسل إلى السلطان. ولا ذنب له إلّا كذنب الشهيد الأوّل . ولعمری الحق أنّ هذه المواقف من الحكومات السنّية عبر القرون، تقشعرّ منها الجلود، وينـدى منها جبين الإنسانية ويرفضها الدين والعقل فأين الكرامة والحرّية؟ أين السماحة، والرأفة؟ أقول: إذا كان هذا مصير الشيعة مع كونهم سائرين خلف حُجب التقية، فما ظنّک لو لم يتّخذوا من التقيّة ستارا؟

ولقد خرج من جبل عامل وراء هذين الشخصين علماء كبار، فقهاء عظام ولم يزل منار التشيّع مرتفعاً ولواؤه خفّاقاً بهم، ولقد تحمّلوا عبر القرون وخصوصاً فی (۶۱۹)

عهد السلطة العثمانية، المصاعب الجسام والّتی ذكرها التاريخ واقرأ فی هذا المجال جرائم أحمد باشا الجزّار، ممثّل الدولة العثمانية فی بلاد الشام من (۱۱۹۵ ـ ۱۱۹۸). ولقد ألّف الشيخ الحرّ العاملی كتاباً أسماه أمل الآمل فی علماء جبل عامل طبع فی جزأين واستدرک عليه السيد الجليل حسن الصدر . بعلبک: إنّ بعلبک تعد من المدن الشيعية العريقة ولقد ظهر بها التشيّع منذ دخل بلاد الشام وراج فی ظلّ الدولة الحمدانية. والعيشة فيها كالعراق، عيشة قبليّة وأهلها معروفون بالبسالة والبطولة والجود والكرم . الشيعة فی مصر:

دخل التشيّع مصر فی اليوم الّذی دخل فيه الإسلام ولقد شهد جماعة من شيعة علیّ فتح مصر منهم المقداد بن الأسود الكندی، وأبو ذر الغفاری، وأبو رافع، وأبو أيوب الأنصاری، وزارها عمّار بن ياسر فی خلافة عثمان(۱) وهؤلاء ما كانوا يبطنون فكرة التشيّع الّتی كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول اللّه . ولأجل ذلک حين قتل عثمان باجهاز المصريين عليه، بايعوا عليّاً كما بايع أهلها طوعاً ورغبة . لمّا بعث علی قيس بن سعد أميراً على مصر بايع أهلها طوعاً إلّا قرية يقال لها خربتاء(۲) . كان هذا نواة لمذهب التشيّع فی تلک البلاد وإن تغلّب عليها الأمويون بعد علی، وقتل عمرو بن العاص والی علی محمّد بن أبی بكر. وجعلوا جثّته فی جيفة ________

۱ . الخطط المقريزية ۲ / ۷۴ .

۲ . الخطط المقريزية ۴ / ۱۴۹، الجزری: الكامل ۳ / ۶۱ حوادث عام ۳۶ . (۶۲۰)

حمار وأحرقوه بالنار ولكن للحق دولة وللباطل جوله، فهذه الأعمال الاجرامية وما ارتكبه العباسيون من الجرائم صارت سبباً لابتعاد الناس عن السلطات وتعاطفهم مع العلويين، خصوصاً عندما ذهب إليها بعض السادة الحسنيين، إلى أن قامت دولة الفاطميين وبثّوا

الـدعاة فی أفريقيا فاعتنق المصـريون التشيّع برغبـة وجهروا بحیّ علی خير العمل. وتفضـيل علیّ علی غيره، وكما جهروا بالصـلاة علی النبی وآله . لقد قامت فی عهد الفاطميين مراسم عاشوراء وعيد الغدير، ولم تزل هذه المراسم إلی يومنا هذا. وكان التشـيّع مخيّماً علی مصـر فی عهد الفاطميين وضارباً أطنابه فی القری والبلدان لولا أنّ صـلاح الدين يوسف الأيوبی أزال سلطتهم ومذهبهم من مصر بقوّة السـيف والنار . وهذه الصـفحة فی تاريخ مصـر صـفحة مليئة بالأسـی والحزن ومع ذلك تتواجد فی هذه الأيام الشـيعة، وأمّا السنّة فهم علويون روحـاً وعاطفـة يتفـاخرون بـالحب والميـل لأهل البيت ويعبّرون عن ذلك بزيارتهم للمشاهـد المعروفـة برأس الحسـين ومرقد السـيدة زينب والسـيدة سـكينة . وبذلك يعلم حال التشيّع بأفريقيا الشمالية فانّ حكومة الفاطميين امتدّت إلی الجزائر ومراكش وتونس وليبيـا والسودان، أضف إلی ذلـك انّ كثيراً من العلويين ارتحلوا إلی تلـك البلاد وأسّـسوا دويلات وكان ذلك سـبباً لانتشار التشـيّع .

الشيعة فی إيران:

إنّ التشـيّع هو المذهب الساحق فی إيران من أوائل القرن العاشـر (۹۰۵) إلی يومنا هـذا انّ الدولة الصوفية هم الذين أشاعوا التشـيّع فی إيران، بعد ملوك المغول فلو كان نجاح الثانی قليلا، كان نجاح الصـفويين كبيراً، فلو بلغ عدد النفوس فی إيران الإسـلامية قرابة ستين مليوناً، فالأكثرية هم الشيعة، ولا تتجاوز سائر الطوائف عن (۶۲۱)

أربـع ملايـين والجميـع يعيشـون فی حرّيـة وسـلام. يلمسـها كـل من ورد الجمهوريـة الإسـلامية . إنّ هنـا اُموراً لاـ محيص، عن طرحها وتحليلها لأنّها من المواضع الّتی كثر فيها اللغط وقـد أكثر المستشـرقون وغيرهم فيها الصـخب والهياج وهی: ۱- ما هو السبب الحقيقی لدخول الفرس فی الاسـلام؟ ۲- مـا هو السـبب الحقيقی لجنوحهم إلی آل البيت؟ ۳- سـببان مزعومان: الاصهار، وإرادة هدم الإسلام وإليك تحليل تلك النقاط . ۱- ما هو السبب لدخول الفرس فی الإسلام

إنّ الفرس دخلوا فی الإسـلام كدخول سائر الشعوب والعلّة فی الجميع واحدة أو متقاربة وحاصلها أنّهم وقفوا علی أنّ فی هذه الشريعة الغرّاء، من سـمات العـدل والمسـاواة، ورفض التمييز العنصـری، والنظـام الطبقی، وأنّ النـاس فيه كأسـنان المشـط لافضـل لعجمی علی عربی، ولاـ لعربی علی عجمی إلاّ بـالتقوی، وكـانت الثورة الإسـلامية تحمل يوم تفجّرها رايات العـدل، وكان ذلك هو الـدافع المهم للشـعوب للـدخول فی الإسـلام والانـضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشـعب دون شـعب. ۲- ما هو السـبب الحقيقی لولائهم آل البيت:

إنّ السـبب الحقيقی لولاـئهم وجنوحهم إلی أهـل البيت هو أنّهم شاهـدوا أنّ علياً وأهـل بيته ـ خلافـاً للخلفاء عامتهم ـ يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة فأخذوا يتحنّنون إليهم حيناً بعد حين، وشبراً بعد شبر، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فی (۶۲۲)

قلوب بعضـهم، يرثه الأبنـاء من الآباء وإن لم يكن الحب ـ يوم ذاك ـ ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول وامامتهم بعـده، بل كان حبّاً وودّاً خالصاً لأسـباب نفسيـة لا قياديـة، ويـدل علی ذلك عشـرات من القضايا نـذكر بعضـها . ۱- روی الفضـل بـن أبی قرة عن الامـام الصادق ـ عليه السـلام ـ قال: أتت الموالی أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ فقالوا: نشكوا إليك هؤلاء العرب. انّ رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآلـه وسـلم ـ كـان يعطينـا معهم العطايـا بالسويـة وزوّج سـلمان، وبلالاـ وصـهيباً، وأبـوا علينـا هؤلاـء، وقـالوا: لاـ نفعـل، فـذهب إليهم أميرالمؤمنين ـ عليه السـلام ـ فكلّمهم فيهم فصـاح الأعـاريب: أبينـا ذلـك يا أبا الحسن، أبينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يا معشـر الموالی إنّ هؤلاء قـد صـيّروكم بمنزلة اليهود والنصاری يتزوّجون إليكم ولا يزوّجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتَّجروا بارك اللّه لكم، فانّی قـد سـمعت رسول اللّه ـ صـلی الله عليه وآله وسـلم ـ يقول: الرزق عشـرة أجزاء، تسـعة أجزاء فی التجارة وواحدة فی غيرها(۱) . ۲- روی أبو إسـحاق ابراهيم بن محمّـد بن سـعيد الثقفی فی غاراته: عن عباد ابن عبـداللّه الأسدی، قال: كنت جالسـاً يوم الجمعـة، وعلی ـ عليه السـلام ـ يخطب علی منبر من آجر، وابن صوحـان جـالس فجاء الأشـعث فقال: يا أميرالمؤمنين غلبتنا هذه الحمراء علی وجهك، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبين اليوم من أمر العرب ما كان يخفی، فقال علی ـ عليه السلام ـ: من يعذرنی من هؤلاـء الضـياطرة يقبـل أحـدهم يتقلب علی حشايـاه، ويهجّد قوم لـذكر اللّه، فيأمرنی أن أطردهم فأكون من الظالمين؟ والّـذی فلق

الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمّداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: ليضربنّكم واللّه على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

۱ . الكلينى: الكافى ۵ / ۳۱۸ .

(۶۲۳)

قال مغيرة: كان على ـ عليه السلام ـ أميل إلى الموالى وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم(۱) . ۳- روى ابن شهر آشوب: لمّا ورد بِسبى الفرس إلى المدينة أراد عمر بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير فى الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ : إنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: أكرموا كريم قوم، وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلم، ورغبوا فى الإسلام وقد أعتقت منهم لوجه اللّه حقّى وحقّ بنى هاشم، فقالت المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقّنا لك يا أخا الرسول اللّه فقال: اللّهمّ فاشهد انّهم قد وهبوا، وقبلت وأعتقت، فقال عمر: سبق إليها على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ ونقض عزمتى فى الأعاجم(۲) . ۴- روى الصدوق عن الامام الصادق، قال: قال رجل له: إنّ الناس يقولون: من لم يكن عربياً صلباً، أو مولى صريحاً، فهو سفلى فقال: وأى شىء المولى الصريح، فقال له الرجل: من ملك أبواه، فقال: ولم قالوا هذا؟ قال: يقول رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مولى القوم من أنفسهم فقال سبحان اللّه: أما بلغك أنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: أنا مولى من لا مولى له، أنا مولى كل مسلم، عربيها وعجميها، فمن والى رسول اللّه أليس يكون من نفس رسول اللّه؟ ثمّ قال: أيّهما أشرف، من كان من نفس رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو من كان

۱ . الثقفى الغارات ۳۴۰ طبع بيروت، الحمراء: الموالى، الضياطرة جمع الضياطر: الضخام الذين لا عناد عندهم.

۲ . ابن شهر آشوب: مناقب آل أبى طالب ۴ / ۴۸ . (۶۲۴)

من نفس أعرابى جلف بايل على عقبيه؟ ثمّ قال: من دخل فى الإسلام رغبة، خير ممن دخل رهبة، ودخل المنافقون رهبة، والموالى دخلوا رغبة(۱) . ۵- روى الفضل بن شاذان (ت ۲۶۰) أنّ عمر بن الخطاب نهى عن أن يتزوّج العجم فى العرب وقال: لأمنعنّ فروجهنّ إلّا من الأكفّاء(۲) . ۶- روى المفيد أنّ سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ دخل مسجد رسول اللّه ذات يوم فعظّموه وقدّموه وصدّروه اجلالا لحقّه، واعظاماً لشيبته واختصاصه بالمصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فدخل عمر فنظر إليه، فقال: من هذا العجمى المتصدّر فيما بين العرب؟ فصعد رسول اللّه المنبر وخطب، فقال: إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفذ، سلمان منّا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان(۳) . ۷- روى الثقفى فى «الغارات» عن مغيرة أنّه قال: كان على أميل إلى الموالى وألطف بهم، كان عمر أشد تباعداً منهم(۴) . ۸- وروى أيضاً: إنّ امرأتين أتتا علياً ـ عليه السلام ـ عند القسمة، إحداهما من العرب، والاُخرى من الموالى، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا أميرالمؤمنين! إنّى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال على ـ عليه السلام ـ إنّى لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا

۱ . الصدوق: معانى الأخبار كما فى سفينة البحار ۲ مادة ولى .

۲ . الايضاح ۲۸۰ .

۳ . المفيد: الاختصاص ۳۴۱ .

۴ . الغارات ۴۶ . (۶۲۵)

الفىء فضلا على بنى إسحاق(۱) . ۹- روى المفيد عن ربيعة وعمارة وغيرهما: انّ طائفة من أصحاب أميرالمؤمنين على بن أبى طالب مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه، وفرار كثير منهم إلى معاوية، طلباً لما فى يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أميرالمومنين اعط هذه الأموال،

وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب، وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس، وفراره إلى معاوية، فقال لهم أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! لا واللّه ما أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم(۲) . ۱۰- روى المبرد: قال الأشعث بن قيس لعلي بن ابى طالب ـ رحمه اللّه ـ وأتاه يتخطّى رقاب الناس وعلى على المنبر، فقال: يا أميرالمؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض على المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدي: ما لنا ولهذا؟ ـ يعني الأشعث ـ ليقولن أميرالمؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال علي: من يعذرني من هذه الضياطرة يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة ليضربنّكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً(۳) . هذه الشواهد الكثيرة توقفنا على السبب الحقيقي لتوجّه الفرس والموالي إلى آل البيت وأنّه لم يكن إلّا لصمودهم في طريق تحقيق العدل والمساواة، والمكافحة ــــــــــــــــــ

۱ . الغارات ۳۴۱ .

۲ . المفيد: المجالس ۵۷ طبع النجف .

۳ . الكامل ۲ / ۵۳ طبع مصر سنة ۱۳۳۹ هـ . (۶۲۶)

ضد العنصرية . ۱- هل الاصهار كان سبباً للولاء:

روى الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره: انّ الصحابة جاءوا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الامام علي: «إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن» فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال: «يقوّمن ومهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهنّ «فقوّمن فأخذهنّ» على فدفع واحدة لعبداللّه بن عمر وأُخرى لولده الحسين وأُخرى لمحمّد بن أبي بكر، فأولد عبداللّه بن عمر ولده سالماً، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمّد ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة وأُمّهاتهم بنات يزدجرد(۱) . وقد استند إلى هذه القصة أحمد أمين في فجر الإسلام والدكتور حسن إبراهيم في التاريخ السياسي للاسلام(۲) وذهبا إلى أنّ الاصهار صار سبباً لتشيّع الفرس . نحن لا نقوم حول هذه القصة وأنها هل هي صادقة أو ممّا وضعها أصحاب الأساطير، وكفانا لتكذيب هذه القصة من رأسها ما ألّفه زميلنا العزيز الدكتور السيد جعفر شهيدي(۳) ولو وقفنا إلى جانب هذه القصة وسلمنا بها نسأل: أيّ صلة بين دخول الفرس في التشيّع ومصاهرة الامام الحسين يزدجرد، فلو كانت تلك علّة فليكن تسنّن ــــــــــــــــــ

۱ . ربيع الأبرار .

۲ . التاريخ الإسلام السياسي ۲ / ۷.

۳ . الامام علي بن الحسين ـ باللغة الفارسية ـ . (۶۲۷)

الفرس لاصهار عبداللّه بن عمرو ومحمّد بن أبي بكر لهم، فانّ الرجلين من أبناء الخليفتين، على أنّ هناك من الخلفاء الأُمويين والعباسيين ينسبون من جانب الأُم إلى البلاط الايراني، والحق أنّ تفسير إنتماء التشيّع وجنوحهم إلى آل البيت على هذا الحدث منطق ضئيل أشبه بمنطق الصبيان . ۳- إرادة هدم الإسلام :

دخل الفرس في المذهب الشيعي وتستّر بحب أهل البيت لغاية هدم الإسلام تحت ذلك الغطاء وقد اعتمد عليه أحمد أمين وقال: والحق أنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتّخذون حبّ أهل البيت ستاراً(۱) . وقد استغلّ الفكرة الكاتب الأمريكي «لو تروب ستودارد» في كتابه «حاضر العالم الاسلامي» الّذي نقله إلى العربية الأمير شكيب أرسلان، وتجد الفكرة أيضاً عند صاحب المنار ومحبّ الدين الخطيب وغيرهم من كتّاب العصر . وهذا الكلام أشبه بكلام من أعمى اللّه بصره وبصيرته، فإنّ من نظر إلى تاريخ الفرس وجد أنّهم خدموا الإسلام بنفسهم ونفيسهم وأقلامهم وآرائهم من غير فرق بين

الشيعى والسنّى، وهؤلاء أصحاب الصحاح فانّ أكثرهم فارسى الأصل والمنشأ فقد نصّ من بينهم على أنّ مسلم بن الحجاج القشيرى عربى وما عداه فارسى، وقد كفانا فى ذلك كتب الرجال والتراجم. على أنّ المذهب السائد بين الفرس يوم أسلموا، إلى أوائل القرن العاشر، كان هو التسنّن فلو كانت الفرس أسلموا لغاية هدم الاسلام ـــــــــــــــــــــ

۱ . فجر الإسلام: فصل الشيعة .

(۶۲۸)

فقد تستروا بالسنّة لا بالشيعة . دول الشيعة:

حاول الأمويون القضاء على التشيّع وأراد العباسيّون الوقوف فى وجه انتشاره بعد اليأس عن استئصاله. ولكن نما وازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق بل قامت لهم هنا وهناك دول ودويلات نظير: ۱- دولة الأدراسة فى المغرب ۱۹۴ ـ ۳۰۵ . ۲- دولة العلويين فى الديلم ۲۰۵ ـ ۳۰۴ . ۳- دولة البويهيين فى العراق وما يتّصل به من بلاد فارس ۳۲۱ ـ ۴۴۷ . ۴- دولة الحمدانيين فى سوريا والموصل وكركوك ۲۹۳ ـ ۳۹۲ . ۵- دولة الفاطميين فى مصر ۲۹۶ ـ ۵۶۷ . ۶- دولة الصفويين فى إيران ۹۰۵ ـ ۱۱۳۳ . ۷- دولة الزنديين ۱۱۴۸ ـ ۱۱۹۳ . ۸- دولة القاجاريين ۱۲۰۰ ـ ۱۳۴۴. أضف إلى ذلك وجود امارات للشيعة فى نقاط مختلفة . إنّ افاضة القول فى مؤسّسى هذه الدول وترجمة أحوالهم وما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقل فى ذلك(۱) فنترك المقال فى ذلك فعلى القرّاء مراجعة الكتب المؤلفة فى هذه المواضيع . ـــــــــــــــــــــ

۱ . ومن أراد الالمام على وجه الايجاز فعليه الرجوع إلى كتاب «الشيعة والتشيّع» للكتاب القدير محمّد جواد مغنية ـ رضوان اللّه عليه ـ .

(۶۲۹) الجامعات العلمية للشيعة:

الإسلام دين العلم والمعرفة، دفع الإنسان من حضيض الجهل والاُمّية إلى أعلى مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه على القراءة والكتابة(۱)، والتدبّر فى آثار الكون ومظاهر الطبيعة ونبذ التقليد فى تبنّى العقيدة فأراد للانسان حياة نابضة بالفكر والثقافة. وقد كانت للشيعة خلال القرون الماضية جامعات وحوزات علمية نشير إلى بعضها اجمالا: ۱ ـ المدينة المنورة :

إنّ المدينة المنوّرة هى المنطلق العلمى الأوّل، لنشر العلم والثقافة فهى المدرسة الاُولى للمسلمين نشأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين وعلى رأسهم ابن عباس حبر الاُمّة، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وأبو رافع. الّذى هو من خيار شيعة الامام على مؤلّف كتاب السنن والأحكام والقضاء(۲) وغيرهم . جاءت بعدهم طبقة من التابعين تخرّجوا من تلك المدرسة على يد الامام على بن الحسين زين العابدين ـ عليهما السلام ـ ولقد روى الكلينى عن الامام الصادق أنّه قال: كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمّد بن أبى بكر وأبو خالد الكابلى من ـــــــــــــــــــــ

۱ . قال سبحانه: (إقْرَأ بَِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقْ) وهى أوّل سورة نزلت على النبى الأكرم. وأقسم اللّه عزّوجلّ بالقلم وقال سبحانه: (ن والقلم). وبذلك أوقف المجتمع الانسانى، على قيمة وعلو شأنه .

۲ . النجاشى: الرجال ۶۴ برقم ۱ . (۶۳۰)

ثقات على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ (۱) . وازدهرت تلك المدرسة فى عصر الامامين الصادق والباقر ـ عليهما السلام ـ وزخرت بطلّاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية فكان بيتهما، جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم وحملة الحديث، يأتون إليها من كل فجّ عميق، وقد عرفت دور الامامية فى بسط العلوم فى الفصل الثانى عشر . ۲- الكوفة وجامعها الكبير:

قد سبق أنّ الامام أميرالمؤمنين هاجر من المدينة إلى الكوفة واستوطن معه خيار شيعته ومن تربّى على يديه من الصحابة والتابعين . ولقد أتى ابن سعد فى طبقاته الكبرى على ذكر جماعة من التابعين الذين سكنوا الكوفة(۲) ولقد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الامام الصادق المدينة المنوّرة إلى الكوفة أيّام أبى العباس السفاح حيث بقى فيها مدّة سنتين . اغتنم الامام فرصة ذهبيّة أو جدتها الظروف السياسية آنذاك وهى أنّ الحكومة العباسية كانت جديدة العهد وقد سقطت الحكومة الاموية. فلم يكن للعباسيين

يومذاك قدرة على الوقوف فى وجه الامام لانشغالهم بأُمور الدولة. بالاضافة إلى أنّهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة وقد نشر زمن اقامته بها علوماً جمّة. ولمّا انتشر نبأ وروده الحيرة تقاطرت وفود للارتواء من منهله العذب. وهذا الحسن بن على بن زياد الوشاء يحكى لنا ازدهار مدرسة الكوفة فى تلك الظروف ويقول: ______________

١ . الكلينى الكافى، كما فى تأسيس الشيعة ٢٩٩ .

٢ . الطبقات الكبرى ۶و قسّمهم على تسع طبقات . (۶٣١)

أدركت فى هذا المسجد ـ يعنى مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثنى جعفر بن محمّد. ويضيف النجاشى: كان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب ثم ذكر اسماءها(١) . وكان من خريجى هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين نظراء أبان بن تغلب بن رباح الكوفى، ومحمّد بن مسلم الطائفى، وزرارة بن أعين إلى غير ذلك ممّن تكفّل ذكرهم كتب الرجال وقد وقفت على أسماء عدّة منهم سابقاً باسم تلاميذ الامام الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ . ولقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم فى هذه الظروف فى الكوفة ۶۶٠٠ كتاب ولقد امتاز من بينها ۴٠٠ كتاب اشتهرت بالأُصول الأربعمائة(٢) فهذه الكتب هى الّتى أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية فى كتبهم كما مرّ آنفا . ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه بل شملت علوماً أُخرى ولأجل ذلك خرج منها مؤلّفون كبار صنّفوا كتباً كثيرة فى علوم مختلفة ومنوّعة كهشام بن محمّد بن السائب الكلبى ألّف أكثر من مائتى كتاب(٣) وابن شاذان ألّف ٢٨٠ كتابا(۴) وابن عمير صنّف ١٩۴ وابن دول الّذى صنّف ١٠٠ كتابا(۵) وجابر بن حيان أُستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية إلى غير ذلك من المؤلفين العظام، فى كافّة العلوم الإسلامية . ______________

١ . النجاشى: الرجال ١ / ١٣٧ رقم ٧٩ .

٢ . وسائل الشيعة ج ٢٠ الفائدة الرابعة وقد بيّنا الفرق بين الكتاب والأصل فى كتابنا «كليات فى الرجال» .

٣ . الطهرانى: الذريعة ١ / ١٧ .

۴ . المصدر نفسه .

۵ . المصدر نفسه . (۶٣٢) ٣- مدرسة قم والرى:

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة نعم كانت قم والرى وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة وقد عرفت انّ الاشعريين هاجروا ـ خوفاً من الحجاج ـ إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة فى ايران . كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، ولكن ربّما كانوا يعانون من الضغط العباسى. ففى هذه الفترة إلى حوالى سنة ٢۵٠ هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفى تلميذ يونس بن عبدالرحمان وهو من أصحاب الامام الرضا ـ عليه السلام ـ إلى قم ونشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسة قم والرى مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار. وساعد على ذلك، بسط الدولة البويهية نفوذهم على تلك البلدان ولقد خرج من تلك المدرسة علماء ومحدّثون نظراء: ١- على بن إبراهيم شيخ الكلينى. الّذى كان حيّاً سنة ٣٠٧(١) . ٢- محمّد بن يعقوب الكلينى. المتوفّى سنة ٣٢٩. مؤلّف الكافى فى الفروع والأُصول . ٣- على بن الحسين بن بابويه والده الشيخ الصدوق صاحب الشرائع المتوفّى ٣٢٩. ۴- ابن قولويه أبو القاسم جعفر بن محمّد (٢٨۵ ـ ٣۶٨) من تلامذة الكلينى وأُستاذ الشيخ المفيد. والّذى يدل على وجود النشاط الفكرى فى أوائل القرن الثالث ما رواه الشيخ فى كتاب الغيبة أنّه أنفذ الشيخ حسين بن روح ـ رضى اللّه تعالى عنه ـ النائب الخاص للإمام المنتظر ـ عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ـ كتاب التأديب إلى فقهاء ______________

١ . الطهرانى: الذريعة ۴ / ٣٠٢ برقم ١٣١۶ .

(۶٣٣)

قم. وقال لهم: أُنظروا ما فى هذا الكتاب. وانظروا فيه شيء يخالفكم(١) . فهذه الرواية وغيرها تعرب عن وجود نشاط فكرى وفقهى فى ذينك البلدين فى القرن الثالث والرابع، وكفى فى فضلها أنّ كتاب «الكافى» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» وكتب محمّد بن أحمد بن

خالد البرقى ت ۲۷۴ من ثمار هذه المدرسة العظيمة . ۴- مدرسة بغداد:

كانت مدرسة الكوفة تزدهر بمختلف النشاطات العلمية عندما كانت بغداد عاصمة الخلافة. ولمّا دبّ الضعف فى السلطة العباسية وصارت السلطة بيد البويهيين تنفّس علماء الشيعة فى أكثر مناطق العراق فأُسّست مدرسة رابعة للشيعة فى العاصمة أنجبت شخصيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية ومن نتائجها ظهور أعلام نظير: ۱- الشيخ المفيد (۳۳۶ ـ ۴۱۳) تلك الشخصية الفذّة الّذى اعترف الموافق والمخالف بعلمه، ترجم له اليافعى فى مرآة الجنان بقوله: عالم الشيعة وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، المعروف بالمفيد، وبابن المعلم أيضاً، البارع فى الكلام والجدل والفقه، وكان ينازع كل عقيدة بالجلالة والعظمة ومقدّماً فى الدولة البويهية وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة، والصوم، خشن اللباس وكان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد وكان شيخاً ربعة، نحيفاً أسمر، عاش ستّاً وسبعين سنة وله أكثر من ۲۰۰ مصنّف وكان يوم وفاته مشهور وشيّعه ۸۰ ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح اللّه منه(۲).

---

۱ . الطهرانى: الذريعة ۳ / ۲۱۰ برقم ۷۷۵ .

۲ . مرآة الجنان ۳ / ۲۸ حوادث عام ۴۱۳ . (۶۳۴)

۲- السيد المرتضى . ۳- السيد الرضى وهما كوكبان فى سماء العلم والأدب غنيان عن التعريف . ۴- الشيخ الطوسى (۳۸۵ ـ ۴۶۰) وهو شيخ الطائفة ومن أعلام الأُمّة، تربّى على يد شيخه المفيد والسيد المرتضى وله كتاب «التبيان فى تفسير القران» و «التهذيب» و «الاستبصار» وهما من المصادر المهمّة عند الشيعة وكانت مدرسة بغداد زاهرة فى عهد هذه الأعلام الثلاثة واحد بعد الآخر، وقام كل منهم بدور كبير فى تطوير العلوم وتقدّمها، وكان يحضر فى حلقات دروسهم مئات من المجتهدين والمحدثين من الشيعة والسنّة . إلى أن ضعفت سلطة البويهيين، ودخل طغرل بك الحاكم التركى بغداد، وأشعل نار الفتنة بين الطائفتين السنّة والشيعة، وأحرق دوراً فى الكرخ ولم يكتف بذلك حتّى كبس دار الشيخ الطوسى وأخذ ما وجد من دفاتره وكتبه، وأحرق الكرسى الّذى كان الشيخ يجلس عليه(۱) . ۶- مدرسة النجف الأشرف:

إنّ هذه الحادثة المؤلمة الّتى أدّت إلى ضياع الثروة العلمية للشيعة وقتل الأبرياء، فدعت الشيخ لمغادرة بغداد واللجوء إلى النجف الأشرف وتأسيس مدرسة علمية شيعية فى جوار قبر أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ، وشاء اللّه تبارك وتعالى أن تكون هذه المدرسة مدرسة كبرى أنجبت خلال ألف سنة من عمرها، عشرات الآلاف من العلماء والفقهاء والمتكلّمين والحكماء . المعروف أنّ الشيخ هو المؤسّس لتلك الجامعة العلمية المباركة. وهو حق ـــــــــــــــــ

۱ . ابن الجوزى: المنتظم حوادث عام ۴۴۷ ـ ۴۴۹، ج ۱۶ / ۸ و ۱۶ ط بيروت .

(۶۳۵)

لا غبار عليه، ومع ذلك يظهر من النجاشى وغيره أنّ الشيخ ورد عليها وكانت غير خالية من النشاط العلمى. يقول فى ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: له كتاب عمل السلطان. أجازنا بروايته أبو عبداللّه بن الخمرى الشيخ صالح فى مشهد مولانا أميرالمؤمنين سنة ۴۰۰ عنه(۱) . ولقد استغلّ الشيخ تلك الأرضية العلمية وأعانه على ذلك، الهجرة العلمية الواسعة الّتى شملت أكثر الأقطار الشيعية فتقاطرت الوفود إليها، من كل فجّ، فصارت حوزة علمية وكلية جامعة فى جوار النبأ العظيم على أميرالمؤمنين ـ من عصر تأسيسها ۴۴۸ ـ إلى يومنا هذا. ولقد مضى على عمرها قرابة ۱۰۰۰ سنة. وهى بحق شجرة طيبة أصلها فى الأرض وفرعها فى السماء آتت أُكلها كل حين باذن ربّها . إنّ لجامعة النجف الأشرف حقوقاً كبرى على الإسلام والمسلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية الّتى أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضى النجف وحاضرها» فى ثلاثة أجزاء(۲)، وقد قام الباحث، وهو الشيخ هادى الأمينى بتخريج أسماء لفيف من العلماء الذين تخرّجوا من هذه المدرسة الكبرى . ۷- مدرسة الحلّة:

فى الوقت الّذى كانت جامعة النجف تزدهر وتنجب أفذاذاً، إذ أسّست الشيعية فى الحلّة الفيحاء جامعة كبيرة أُخرى كانت تحتفل

بكبار العلماء، وتزدهر بالنشاط ــــــــــــــــــــ

١ . النجاشي: الرجال ١ / ١٩٠ برقم ١۶٣ .

٢ . تأليف الشيخ جعفر آل محبوبة طبع النجف . (۶٣۶)

الفكرى عقـدت فيها نـدوات البحث والجدل، وحلقات الدراسة والمدارس والمكاتب، وظهر فى هذا الدور فقهاء كان لهم الأثر الكبير فى تطوير الفقه الشـيعى واُصوله نأتى بأسماء بعضهم: ١- المحقق الحلّى: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سـعيد، من كبار فقهاء الشيعة يصفه تلميذه ابن داود بقوله: الامام العلاّمة واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقواهم بالحجّة وأسرعهم استحضارا(١) توفّى عام ۶٧۶ هـ . له من الكتب «شـرائع الإسـلام» فى جزأين، وهو أثر خالد شـرحه العلماء وعلّقوا عليه. واختصـره فى كتاب أسـماه «المختصر النافع» وشـرحه أيضاً وأسماه «المعتبر فى شرح المختصر» . ٢- العلامـة الحلّى، جمال الدين حسن بن يوسف (۶۴٨ ـ ٧٢۶ هـ) تخرّج على يد خاله المحقق الحلّى فى الفقه، وعلى يـد المحقق الطوسـى فى الفلسـفة والرياضـيات، وعرف بالنبوغ، وهو بعد لم يتجاوز سن المراهقة، وقـد بلغ الفقه الشيعى فى عصـره القمـة، وله موسوعات فيه أجلّها «تذكرة الفقهاء» ولعلّه لم يؤلّف مثله . ٣- فخر المحققين، محمّد بن الحسن بن يوسـف (۶٨٢ ـ ٧٧١ هـ) ولـد العلاّمـة الحلّى، تتلمـذ على يـد أبيه ونشـأ تحت رعـايته وعنايته، وألّف والـده لفيفاً من كتبه بالتماس منه، وقد تتلمذ عليه امام الفقه الشهيد الأوّل (٧٣۴ ـ ٧٨۶ هـ) . إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاووس وابن ورام، وابن نمـا وابـن أبى الفـوارس الحلّيين، الـذين احتلفـت بهـم مدرسـة الحلّـة، ولهـم على العلم وأهله أيـادى بيضـاء لاـ يسـعنا ذكر حيـاتهم .

---

١ . ابن داود: الرجال / القسم الأول ۶٢ برقم ٣٠۴ .

(۶٣٧) ٨- الجامع الأزهر:

امتدّ سلطان الدولة الفاطمية من المحيط الأطلسى غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً ونافست الدولة الفاطمية الشيعية، خلافة الحكّام العباسيين فى بغـداد، وكـان المعز لـدين اللّه أحـد الخلفـاء الفـاطميين بمصـر رجلاـ مثقّفاً ومولعاً بالعلوم والآداب وقـد اتّخـذ بفضل تـدبير قائـده العكسرى القاهرة عاصمة للدولة الجديدة، وبنى الجامع الأزهر، وعقدت فيه حلقات الدرس، وكان يركز على نشر المذهب الشيعى بين الناس وقـد أمر أن يؤذّن فى جميع المساجـد بـ«حىّ على خير العمل» ومنع من لبس السواد شـعار العباسـيين . إنّ المسـلمين عامـة وفى طليعتهم المصـريين مـدينون فى ثقـافتهم وازدهـار علومهم وتقـدّمهم فى مجـال العلم والصـنعة للفاطميين وهممهم العاليـة، فانّ الجامع الأزهر لا يزال مزدهراً من يوم بنى إلى يومنا هـذا كأعظم الجامعات العلميـة(١) وهى كانت جامعة شـيعية من بدء تأسيسها إلى قرنين . وإن شـئت أن تقـف على صـورة صـغيرة من خـدماتهم الجليلـة فـاقرأ مـا كتبه السـيد مير على: «كـان الفـاطميون يشـجّعون على العلم، ويكرمون العلماء فشـيّدوا الكليّات والمكاتب العامة، ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون، والآلات الرياضيـة، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعيّنوا لها أشـهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرّاً على نفقة الدولة كما كان الطلاب يمنحون جميع الأـدوات الكتابيـة مجّانياً، وكان الخلفاء يعقـدون المناظرات فى شتى فروع العلم، كالمنطق والرياضـيات والفقه والطب، وكان الأساتذة يتشحون بلباس خاص عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية ـ كما هى الحال ــــــــــــــــــــ

١ . بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ / ١٠٨ .

(۶٣٨)

اليوم ـ واُرصـدت للانفـاق على تلـك المؤسّـسات وعلى أساتـذتها، وطلاّبهـا وموظّفيهـا أملاك بلغ إيرادها السـنوى ۴٣ مليـون درهم، ودعى الأساتـذة من آسـيا والأنـدلس لالقـاء المحاضـرات فى دار الحكمـة، فازدادت بهم روعـة وبهاء(١) . وقـد ألّـف غير واحـد من المؤرّخين كتباً ورسائل حول الأزهر الشريف ومن أراد التفصيل فليرجع إليه . مدارس الشيعة فى الشامات:

كـانت الشـيعة تعيش تحت الضـغط والارهـاب السياسـى من قبـل الأمويين والعباسـيين، ولمّا دبّ الضـعف فى جهاز الخلافـة العباسـى

وظهرت دول شيعية فى العراق خصوصاً دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب، استطاعت الشيعة أن تجاهر بنشاطها الثقافى، وفى ظل هذه الحرية أسّست مدارس شيعية فى جبل عامل، وحلب فقد خرج من مدرسة حلب شخصيات كبيرة كأبناء زهرة وغيرهم. الذين احتفل تاريخ حلب الشهباء بذكرهم، وأمّا مدرسة جبل عامل فقد كانت تتراوح بين القوة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأوّل من العراق إلى مسقط رأسه تتراوح بين القوة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأوّل من العراق إلى مسقط رأسخ «جزين»، فأخذت تلك المدرسة فى نفسها نشاطاً، واسعاً، وقد خرج من تلك المدرسة منذ تلك العهود إلى يومنا هذا مئات من الفقهاء والعلماء لا يحصيها إلاّـ اللّه سبحانه، ومن أكبر الشخصيات المنتجبة فى هذه المدرسة المحقق الشيخ على الكركى (ت ۹۴۰) مؤلّف «جامع المقاصد» وبعده الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثانى (۹۱۱ ـ ۹۶۶) الّذى كان منذ صباه تظهر منه ملامح النبوغ والذكاء، وله الأثر الخالد الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية» . ________

۱ . السيد مير على: مختصر تاريخ العرب ۵۱۰ ط ۱۹۳۸ .

(۶۳۹)

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّن أنجبتهم هذه التربة الخصبة بالعلم والأدب. ولنكتف بهذا المقدار من الاشارة إلى الجامعات الشيعية فانّ الاحصاء يحوجنا إلى بسط فى المقال، ويطيب لنا الاشارة إلى أسماء المعاهد الاُخرى مجردة. جامعات اُخر للشيعة فى أقطار العالم:

كانت للشيعة جامعات فى أقطار العالم ولم تزل بعضها زاهرة إلى اليوم. إنّ الشرق الاسلامى كافغانستان والباكستان والهند تزخر بالشيعة ولهم هناك جامعات وكليّات فى هرات وبمباى ولكهنو، كما أنّ للشيعة نشاطات ثقافية فى آسيا الجنوبية الشرقية كماليزيا وتايلند، ومن أراد الوقوف على الخريجين من هذه المدارس فعليه أن يقرأ تاريخ هذه البلاد خصوصاً بلاد الهند . فمذ تسنّم الصفويون منصّـة الحكم اُسّـست فى ايران حوزات فقهية، كلامية، فلسفية زاهرة، وقد تخرج منها آلاف من العلماء كجامعة اصفهان، وطهران، وخراسان، وتبريز، وقزوين، وزنجان، وشيراز وأخيراً الجامعة الكبرى للشيعة فى قم المحمية بجوار الحضرة الفاطمية الّتى أسّسها رجل العلم والزهد الشيخ عبدالكريم اليزدى (۱۲۷۴ ـ ۱۳۵۵) سنة ۱۳۴۰ هـ، ولم تزل هذه الجامعة مُشعَّة زاهرة، وقد تقاطرت إليها الأساتذة ووفود الطلاب من نقاط شتّى، من جنسيات مختلفة منذ أوّل يومها ويتجاوز عدد الطلاب فيها فى هذه السنين ۲۵۰۰۰ وفيها مكتبات زاخرة، ومؤسّسات علمية، ومراكز تحقيقية، ومطابع حديثة، وعمالقة الفكر وأساتذة القلم، ومنها تفجّرت الثورة الإسلامية على يد أحد خريجيها الامام الخمينى ـ قدس سره ـ فانبثقت أنوارها على ربوع العالم وأيقظت الاُمّة من سباتها العميق . (۶۴۰) عدد الشيعة:

إنّ مراكز الاحصائيات فى العالم تخضع لنفوذ أعداء الإسلام خصوصاً الصهاينة، وقد صار ذلك سبباً لعدم وجود احصاء دقيق بأيدينا عن عدد المسلمين وعامة طوائفهم ومنهم الشيعة. ولكن القرائن تشهد على أنّ الشيعة بطوائفها الثلاث: الإمامية والزيدية والاسماعيلية يشكّلون خمس أو ربع المسلمين، فلو كان عدد المسلمين ـ على ما يقولون ـ مليار نسمة فالشيعة تبلغ ۲۰۰ مليون، وأكثرهم عدداً هم الإمامية المعروفة بالاثنى عشرية أو الجعفرية . نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد فى ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف إنّه على ذلك لقدير .

الفصل الرابع عشر مصادر الاُصول والفروع عند

الفصل الرابع عشر مصادر الاُصول والفروع عند الإماميّة (۶۴۲) (۶۴۳)

إنّ بعض المتعصّبين يحاولون التشكيك فى انتهاء الشيعة الامامية فى مذهبهم إلى أئمّة أهل البيت وقد نقل هذه المحاولة السيد عبدالحسين شرف الدين فى مراجعاته(۱) . ولا شك أنّ هذه المحاولة فاشلة، ولا نحتاج إلى بسط فى الجواب وربّما يتّضح استناد مذهبهم إلى أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ممّا مضى فى الفصل الحادى والثانى عشر . يقول السيد شرف الدين: إنّ الشيعة الامامية

فی الفروع والاُصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنّة أو يتعلّق بهما من جميع العلوم، لا يعولون فی شیء من ذلك إلاّ عليهم ولا يرجعون فيه إلاّ إليهم، فهم يدينون اللّه تعالی ويتقرّبون إليه بمذهب أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لا يجدون عنه حولا ولا يرتضون به بدلا. على ذلك مضى سلفهم الصالح فی عهد أميرالمؤمنين والحسن والحسين. والأئمّة التسعة من ذريّة الحسين ـ عليهم السلام ـ إلی زماننا هذا وقد أخذ الفروع والاُصول عن كل واحد منهم جمّ من ثقات الشيعة وحفّاظهم(۲) . ـــــــــــــــ

۱ . راجع المراجعات ۱۰۹ .

۲ . المراجعات ۳۰۳ المراجعة ۱۱۰ . (۶۴۴)

إنّ الشيعة يتّخذون الكتاب مصدراً رئيسياً فی العقيدة والتشريع كما يتّخذون سنّة النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ مصدراً رئيسياً ثانياً ويعملون بحكم العقل فی المجال الّذی له صلاحية القضاء، ويتّخذون من الاجماع دليلا فيما لو كشف عن الدليل الشرعی وهذا ممّا لا شك فيه . ولكن انّ فی الكتاب عمومات ومطلقات وقد خصّصت فی السنّة كما أنّ فيه مجملات تطلب لنفسها بياناً من السنّة، والشيعة ترجع إلى أئمّة أهل البيت فی هاتيك الموارد لأجل أنّ كلامهم وقولهم هو كلام وقول النبی الأكرم وهناك مسائل مستحدثة واُمور طارئة لا يجد لها الفقيه حلولا فی السنّة النبوية. لأنّها طرأت بعد رحلة النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ فقام أئمة أهل البيت بالاجابة عنها من غير فرق بين مجالی الالتزام والعمل . هذا هو مذهب الامامية وعلى ذلك جرى سلفهم وخلفهم من عصر أميرالمؤمنين إلى يومنا هذا . إنّ انتماء الشيعة الامامية إلى أئمّة أهل البيت أظهر من الشمس، وقد تعرّفت على الرواة الثقات الذين أخذوا الاُصول والفروع عن الباقر والصادق والكاظم والرضا ـ عليهم السلام ـ ، كما تعرّفت على الجوامع الّتی دوّنها أصحابهم فی تلك العصور وكانت الجوامع مفزعاً للشيعة فی عصر الأئمة، حتّى عصر الغيبة لأنّها تحتوی علوم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ . ولمّا كانت هذه الجوامع غير خالية عن النقص الفنّی فی التبويب وغير جامعة لما تركه أئمة أهل البيت من العلوم والمعارف قام المحمدون الثلاثة بتأليف جوامع ثانوية أحسن ترتيباً وتبويباً وأكثر شمولا . ۱- محمّد بن يعقوب الكلينی ولد فی عهد امامة العسكری (۲۵۴ ـ ۲۶۰) وتوفّی عام ۳۲۹ فهو أوثق الناس فی الحديث وأعرفهم به، صنّف كتاب الكافی (۶۴۵)

وهذبه فی عشرين سنة(۱) ولقد حصروا أحاديثه فی ستة عشر الف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثا (۱۶۱۹۹) والصحيح منها باصطلاح المتأخرين خمسة الآف واثنان وسبعون حديثاً، والحسن مائة وأربعة وأربعون حديثاً، والموثّق مائة حديث وألف حديث وثمانية عشر حديثاً، والقویّ منها اثنان وثلاثمائة، والضعيف منها أربعمائة وتسعة آلاف وخمسة وثمانون حديثا(۲) . وقال الشهيد فی الذكری: «إنّ ما فی الكافی يزيد على ما فی مجموع الصحاح الستّة للجمهور وعدّة كتب الكافی اثنان وثلاثون كتاباً»(۳) . وقال فی كشف الظنون نقلاـ عن الحافظ «ابن حجر»: إنّ جميع أحاديث صحيح البخاری بالمكرّر سوى المعلّقات والمتابعات على ما حرّرته وحقّقته سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً، والخالص من ذلك بلا تكرير الفا حديث وستمائة وحديثان، وإذا انضمّ إليه المتون المعلّقة المرفوعة وهی مائة وخمسون حديثاً، صار مجموع الخالص ألفی حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثا . وروی ايضاً عن مسلم أنّ كتابه أربعة آلاف حديث دون المكررات وبالمكررات سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا . وقال أبو داود فی أوّل سننه: «وجمعت فی كتابی هذا أربعة آلاف حديث وثمانية أحاديث فی الصحيح وما يشبهه وما يقاربه»(۴) . ۲- محمّد بن علی بن الحسين الصدوق (۳۰۶ ـ ۳۸۱) مؤلّف «من ـــــــــــــــ

۱ . النجاشی: الرجال برقم ۱۰۲۷ .

۲ . لؤلوة البحرين للمحدث البحرانی وما ذكره عند الجمع ينقص ۷۸ حديثاً فلا حظ .

۳ . الذكری ۶ .

۴ . كشف الظنون كما فی مستدرك الوسائل ۳ / ۵۴۱، لاحظ فتح الباری فی شرح أحاديث البخاری ۱ / ۴۶۵ . (۶۴۶)

لا يحضره الفقيه» وهو الجامع الثانی للشيعة . إنّ أحاديث كتاب الفقيه لا تتجاوز عن ۵۹۶۳ حديثاً منها ألفان وخمسون حديثاً مرسلا .

٣- محمّد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ ـ ٤٦٠) مؤلّف تهذيب الأحكام والاستبصار وعدد أحاديث الأوّل ١٣٥٩٠(١) وعدد أحاديث الثانى ٥٥١١ حديثاً كما ذكره المؤلّف فى آخر الكتاب . هذه هى الكتب الأربعة، المصادر المهمة عند الشيعة . الجوامع الحديثية الأخيرة: إنّ هناك لفيفاً من العلماء قاموا بجمع روايات الكتب الأربعة وإليك ايعاز إلى أسماء مؤلّفيها . ١- محمّد بن الحسن الحر العاملى توفّى ١١٠٤ مؤلّف كتاب تفصيل وسائل الشيعة طبع فى عشرين جزءاً فى الفروع والأحكام فقط، ولم يجمع ما يرجع إلى الاُصول والعقائد . ٢- محمّد بن المرتضى المعروف بالفيض ١٠٩١ مؤلّف الوافى فى ١٤ جزء فى الفروع والاُصول والسنن والأحكام ولو طبع الكتاب طبعة حديثة لبلغ ٣٠ جزءاً . ٣- المجلسى محمّد باقر ١٠٢٧ ـ ١١١٠ مؤلّف بحارالأنوار فى ١١٠ أجزاء وهو من أبسط الجوامع وأكثرها شمولا . وهناك جوامع اُخرى طوينا الكلام عنها فمن أراد فليرجع إلى مظانّها . ــــــــــــــــــ

١ . المستدرك ٣ / ٧٥٦.

(٦٤٧)

هذه هى المصادر الّتى تفزع إليها الشيعة فى اُصولها وفروعها أتينا على ذكرها على وجه الاجمال ليكون القارئ على بصيرة . هذا هو مذهب الشيعة وهؤلاء هم خلفهم وسلفهم، ومبدأ نشوئهم، وهذه آراؤهم وعقائدهم، وهؤلاء أئمتهم، وهذه بلدانهم ودولهم، وعدد نفوسهم، وهذه جامعاتهم وحوزاتهم، فهم اُمّة منتشرة فى العالم وبلادهم مفتوحة لكل قاصد، وهذه كتبهم المعبّرة عن تاريخهم وعقائدهم وعقائدهم وكيانهم وشرفهم وهذا تاريخهم المأساوى جزاءً للخدمات الجليلة الّتى قدموها للحضارة الإسلامية بأفكارهم وآرائهم وأقلامهم وكتبهم . (٦٤٨) (٦٤٩) خاتمة المطاف: بيان لكتّاب المقالات ومؤرخى العقائد

لقد حصحص الحق وبانت الحقيقة لذوى النصفة ونختم الكتاب بذكر اُمور مهمة ربّما مضى البحث عن بعضها فى الفصول السابقة وإليك البيان . الأوّل: إنّ التشيّع لم يكن فكرة سياسية ابتدعتها الأهواء، وطبعته بطابع الدين، ولا عقيدة دينية لاتمتُّ إلى الإسلام بصلة، بل هو نفس الإسلام فى مجالى العقيدة والتشريع، جاء به النبى الأكرم فى كتابه وسنّته، وليس التشيّع إلاّ تعبيراً آخر عن الإسلام، فى إطار ولاء أهل بيته الطاهرين وتتبع آثارهم وأقوالهم وآرائهم. الثانى: إنّ كلّما تدين به الشيعة التزاماً وعملا، له مصدر متسالم على صحّته عند أهل السنّة، وأنّهم لو نظروا إليه بعين الانصاف وطلب الحقيقة، وابتعدوا عن كل رأى مسبق، لوجدوا الفوارق الموجودة بين الطائفتين اُموراً واقعية لها دليل فى الكتاب والسنّة، حتّى فى الاُمور الّتى يستنكرونها فى بدء الأمر، كالقول بالبداء، (٦٥٠)

وعصمة الامام وميلاد المهدى المنتظر، وحياته فعلا وكون الأئمة محصورين فى اثنى عشر . الثالث: إنّ الشيعة ليست من الفرق البائدة الّتى خيّم الظلام عليها، وعلى آثارهم وصارت مستورة تحت أطباق الثرى، حتّى لا يعاب فيه التقوّل والحدس والتخمين، وانّما هى فرقة حيّة منتشرة فى العالم ولهم بلاد واسعة، وحكومات قائمة، وجامعات وكليات، ومعاهد وحلقات، ومكتبات غاصة بالكتب، فعلى طالب الحقيقة ومؤرّخ العقائد أن يتّصل بعلمائهم عن كثب أو أن يرجع إلى الكتب المؤلّفة بايدى علمائهم الذين اجتمعت كلمتهم على وثاقته وعلمه ومعرفته ويجتنب عن الرجوع إلى كتب المتطفّلين على موائد العربية من مستشرق حاقد، أو كاتب متحامل، بل يجتنب عن الجروع إلى كتاب عالم من الشيعة إذا لم تجتمع كلمتهم على وثاقته وعلمه أو صحة نظريته، إذ فى كل طائفة غال متنكّب عن الصراط، خابط خبطة عشواء، رفض العلماء كتابه وكلامه.

إنّ بين كل طائفة ومنهم الشيعة كاتب غال خلط الغث بالسمين، والصحيح بالزائف، وربّما تكون له مكانة علمية و ـ مع ذلك ـ لا يصحّ الاستناد إلى مثل ذلك الكاتب ولا إلى كتابه، بل يطرح الشاذ، ويؤخذ بالمجمع عليه أو المشهور بينهم . إنّ المستند لرمى التشيّع بالاعتقاد بالتحريف فى هذه الأيام هو كتاب «فصل الخطاب» الّذى ألّفه الشيخ المحدّث النورى، وجمع مواده من هنا وهناك من غير تحقيق فى السند ولا تحليل فى الدلالة، ولكن الاستناد إلى هذا الكتاب ورمى طائفة كبيرة بهذه التهمة الشائنة تقوّل بالباطل، لأنّ علماء الشيعة أنكروا هذا الكتاب (٦٥١)

على المؤلّف من أوّل يوم نشره، وأخذوا بالردّ عليه ردّاً عنيفاً(١) ولو كان تأليف ذلك الكتاب دليلا على قول الشيعة بالتحريف فليكن

كتاب «الفرقان» الّذى عرّفه أحد الأزهرين المعاصرين دليلا على قول السنّة بها . الرابع: التعرّف الصحيح على المبادئ الّتى تعتمد عليها كل طائفة فى مجال الالتزام القلبى يحصل من خلال السبر فى الكتب العقائدية الكلامية المؤلّفة بيد عمالقة الفكر منهم، وأمّا الكتب الحديثية المعتبرة فبما أنّ فيه الصحيح والسقيم، والمشهور والشاذ، والمحكم والمتشابه، فلا يصحّ الاستناد إلى رواية رويت فى كتب الحديث فى مجال تبيين عقائد الفرقة، فلو وجد فى الكافى الّذى هو من أتقن الكتب الحديثية عند الشيعة ما يضاد المشهور بين العلماء، لما صحّ لنا الاعتماد عليه وترك ما ذهب إليه المشهور من علمائهم، فليس معنى كون الكتاب معتبراً انّ جميع ما ورد فيه قابل للالتزام والعمل، وهذا أمر واضح لدى الشيعة عامة، وإن غفل عنه كتاب تاريخ الفرق . الخامس: إنّ هناك فرقاً بين الجوامع الحديثية عند الشيعة والصحاح عند السنّة، فانّ الاُولى لديهم كتب معتبرة بمعنى أنّها صالحة للرجوع إليها بعد تمحيصها وتمييز الجيّد من الردىء فيها. و على ضوء ذلك لا يكون وجود الحديث فيها دليلا على كون مضمونه حجّة فى مفاده. وأمّا الصحاح الستّة عند السنّة فبما أنّ أكثرهم أضفى على الجميع وصف الصحة فللقائل أن يتصوّر أنّ وجود الحديث فيها دليل على كون مضمونه مذهباً لأهل السنّة . ____________

١ . ردّ عليه فى حياته وبعده لفيف من العلماء أخص بالذكر العلامة الحجة: الشيخ محمد هادى معرفة بكتاب أسماه صيانة القرآن عن التحريف وقد طبع وانتشر .

(۶۵۲) السادس: إنّ المطلوب فى العقائد، غير المطلوب فى الأحكام فالغاية من الثانية هى العمل وإن لم يكن اذعان بصحّته وكونه مطابقاً للواقع، بل يكفى قيام الدليل على جواز تطبيق العمل عليه. بخلاف الاُولى فانّ الغرض المنشود منها هو الاعتقاد والايمان، ومن المعلوم أنّ اليقين رهن مقدّمات مفيدة لليقين ومجرّد وجود خبر حتّى الصحيح فى الجوامع الحديثية لا يؤدّى إلى اليقين فلا يمكن أن يحتجّ بها فى مجال العقيدة إلاّ إذا كانت مفضية إلى اليقين، والاذعان، والخبر الواحد، وإن صحّ، خال من هذا الشأن . السابع: عرفت الشيعة بالتقيّة وأنّهم يتقون فى أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض المشاغبين والمغالطين فيقولون: بما أنّ التقيّة من مبادئ التشيّع فلا- يصحّ الاعتماد بكل ما يقولون ويكتبون وينشرون إذ من المحتمل جدّاً أن تكون هذه الكتب دعايات والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرة، ويكرّره الكاتب الباكستانى «إحسان إلهى ظهير» فى كتبه الردية على الشيعة . ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقيّة انّما هى القضايا الشخصية الجزئية أى عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ فى اظهار العقيدة أو تطبيق العمل عل مذهب إمام من أئمّة أهل البيت احتمال توجّه الضرر، يصير المورد من مواردها ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتّقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الاُمور الكليّة الخارجة عن إطار الخوف فلا يتصوّر فيها التقيّة، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخلة فى النوع الثانى إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، بل لا ملزم للكتابة أصلا فله أن يسكت ولا يكتب شيئا . (۶۵۳)

فما يدّعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناش عن عدم عرفانهم لحقيقة التقية عند الشيعة . والحاصل: انّ الشيعة انّما كانت تتّقى فى عصر لم تكن لهم دولة تحميهم، ولا قدرة ومنعة تدفع عنهم، وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرّر للتقية إلاّ فى موارد خاصة .

إنّ الشيعة منذ أن تعرضوا للضغط، عاشت عندهم التقية على مستوى الفتاوى، ولم تعش على المستوى العملى، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كل باحث أن يرجع إلى مواقف الشيعة مع معاوية وغيره من الحكام الامويين، والحكام العباسيين، كحجر بن عدى، وميثم التمّار، ورشيد الهجرى، وكميل بن زياد، ومئات من غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوراتهم المتتالية(١) . إنّ القول بالتقية ليس شيئاً مختصّاً بالشيعة، بل يقول به المسلمون جميعاً هذا أبو الهذيل العلاف رئيس المعتزلة يقول: إنّ المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اُكره عليه فله أن يكذب ويكون وزر الكذب موضوعاً عنه(٢) . بل يقول به كل مسلم واع، وكل كاتب قدير وناطق مصقع، يعيش فى بلاد يسود عليه الاستبداد وسلب الحريات الاجتماعية والسياسية بمختلف اشكاله وصوره . الثامن:

لم يزل أهل السنّة يصفون المسانيد والسنن بالصحاح وربّما يغالون فى حق بعض الصحاح كالبخارى بأنّه أصحّ الكتب بعد كتاب اللّه. أو ليس هذا مغالاة ــــــــــــــــــــ

۱ . الدكتور أحمد الوائلى: هوية التشيّع ۲۰۳ .

۲ . أبو الحسن الخياط: الانتصار ۱۲۸ . (۶۵۴)

فى القول؟ وإن كنت فى شك من ذلك فاستمع لما نتلوه عليك عن ذلك الكتاب الّذى هو الأصحّ فى زعمهم بعد كتاب اللّه . ۱- روى فى تفسير سورة الاسراء انّ جبرائيل ليلة اُسرى بالنبى إلى السماء جاءه بقدحين، أحدهما من لبن وآخر من خمر، وخيّره بين شرب واحد منهما(۱) . أفيصح فى منطق العقل أن يأتى جبرئيل فى تلك الليلة بقدح من الخمر الّتى وصفها رسول اللّه بأُمّ الخبائث ووصفه الكتاب العزيز بأنّه من عمل الشيطان؟! ولا يصحّ لمتقوّل أن يفسّرها بخمر الجنّة الّتى لا سكر فيها وهو بعد فى الدنيا؟ ۲- روى عن عائشة أنّها قالت: سحر النبى حتّى كان يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما يفعله(۲) . فعلى ذلك لا يحصل أى ثقة بكلام النبى وقوله، ولأجل ذلك نرى انّ الجصاص يقول فى حقّ هذه الروايات: ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين(۳) . ۳- وأخرج فى صحيحه فى كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه فى غسل واحد عن أنس بن مالك قال: كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة فى الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنّا نتحدّث أنّه اُعطى قوّة ثلاثين(۴) . إنّ النبى الأكرم كان يقضى ليلة بالتهجّد والعبادة، قال سبحانه: (إنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أدْنى مِنْ ثُلُثَىِ الَّیلِ أو نِصْفَهُ و ثُلُثَهُ وطائِفَةٌ مِنَ الَّذِینَ مَعَکَ)(۵) ــــــــــــــــــــ

۱ . البخارى ج ۴ باب صفة إبليس وجنوده .

۲ . أحمد بن حنبل: المسند ۶ / ۵ .

۳ . الجصاص: احكام القرآن ۱ / ۵۵ .

۴ . البخارى: الصحيح ۶ / ۱۳ .

۵ . المزمّل / ۲۰ . (۶۵۵)

وما جاء فى الرواية انّما يلائم حال الخلفاء الامويين والعباسيين الذين كانت قصورهم تزخر بالجوارى والنساء وحاشا النبى الأكرم الّذى عبداللّه سبحانه حتّى تورّمت قدماه ونزل قوله سبحانه: (طه * ما أنْزَلْنا عَلَیْکَ القُرْآنَ لِتَشْقى إلاّ تَذْکِرَهُ لِمَنْ یَخْشى)(۱) . إنّ الرواية وضعت لتبرير أعمال هؤلاء الذين يعرّفهم الامام فى كتابه إلى عامله بالبصرة، عثمان بن حنيف ويقول: «كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها»(۲) ولا يهمهم سوى ارضاء البطن والفرج . ۴- والعجب أنّه روى عن عائشة خلاف ذلك وأنّه لم يكن للنبى الأكرم الطروقة وقوة النكاح وكثرة الجماع قالت: إنّ رجلا سأل رسول اللّه، عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل (لا ينزل منه المنى) هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : إنّى لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل(۳) . حاشا نبيّ العظمة والقداسة أن يتفوّه بحضرة زوجته ما لا يتكلّم به إلاّ الإنسان الماجن، المنهمك فى الشهوات البهيمية، واللّه سبحانه يصف حياءه بقوله: (فَإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ولا مُسْتَأْنِسینَ لِحَدیث إنَّ ذلِکُمْ کانَ یُوذِی النَّبِیَّ فَیَسْتَحْیِی مِنْکُمْ واللّهُ لا یَسْتَحْیِی مِنَ الحَقِّ)(۴) . هذه نماذج من الأحاديث الواردة فى أصحّ الكتب عند أهل السنّة، لا أظن أنّ من يملك شيئاً من الدراية يحتمل صحّتها، وهذا يدفع كلّ مسلم واع إلى دراسة هذه الكتب من جديد، وتنزيه الحديث النبوى عن هذه الأباطيل، ولعلّك إذا رجعت إلى

---

۱ . طه / ۱ ـ ۲ .

۲ . الرضى: نهج البلاغة، قسم الكتب ۴۵ .

۳ . مسلم: الصحيح ۱ / ۱۸۶ باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين .

۴ . الأحزاب / ۵۳ . (۶۵۶)

الجزء الأوّل من موسوعتنا فى مجال التوحيد والتنزيه تجد هناك أحاديث لا يصدقها العقل ولا النقل . التاسع: لقد ذكر أبو زهرة سبب نمو المذهب الامامى، وقال:

«لقد نما هذا المذهب وانتشر لأسباب: ۱- إنّ باب الاجتهاد مفتوح عند الشيعة، وهذا يفتح باب الدراسة لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية . ۲- كثرة الأقوال فى المذهب ـ أى فى المسائل الفقهية النظرية ـ واتّساع الصدر للاختلاف مادام كل مجتهد يلتزم المنهاج المسنون، ويطلب الغاية الّتى يبتغيها من يريد محص الشرع الاسلامى، خالصاً غير مشوب بأيّة شائبة من هوى . ۳- إنّ المذهب الجعفرى قد انتشر فى أقاليم مختلفة الألوان من الصين إلى بحر الظلمات حيث اوربا وما حولها، وتفريق الأقاليم الّتى تتباين عاداتهم وتفكيرهم وبيئاتهم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية. إنّ هذا يجعل المذهب كالنهر الجارى فى الأرضين المختلفة الألوان، يحمل فى سيره، ألوانها وأشكالها من غير أن تتغير فى الجملة عذوبته . ۴- كثرة علماء المذهب الذين يتصدّون للبحث والدراسة وعلاج المشاكل المختلفة، وقد آتى اللّه ذلك المذهب من هؤلاء العلماء عدداً وفيراً عكفوا على دراسة وعلاج المشاكل على مقتضاه(۱) . العاشر: نجد بعض المشاغبين يتّهمون الشيعة بالقول بالتحريف، بحجة أنّ لدى الشيعة مصحفاً باسم «مصحف فاطمة» واختصاصه بها كاشف عن مغايرته مع المصحف الرائج . ______________

۱ . أبو زهرة: الامام الصادق، بتلخيص محمّد جواد مغنية فى كتابه الشيعة والتشيّع ۲۲۵ .

(۶۵۷)

إنّ هذا المشاغب، لم يقرأ تاريخ الشيعة ولم يقف على كلمات أئمتهم حول هذا المصحف. وزعم أنّ المصحف بمعنى القرآن، وغفل عن أنّ المقصود منه، هو الكتاب قال سبحانه: (وَ إذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ)(۱) وقد أملى النبىّ الأكرم فى مجالى العقيدة والتشريع والملاحم اُموراً على ابنته وزوجها فجمعت فى «صحف مكرمة»، سميت مصحف فاطمة. وهذا هو الامام الصادق حفيد فاطمة الطاهرة وهو من أهل البيت، وهم أدرى بما فى البيت، يحدّثنا عن هذا المصحف ويقول: عندنا مصحف فاطمة أما واللّه ما فيه حرف من القرآن ولكنّه املاء من رسول اللّه . روى الكلينى انّ المنصور سأل فقهاء أهل المدينة عن مسألة فى الزكاة فما أجابه عنها إلاّ الإمام الصادق ولمّا سُئِل من أين أخذ هذا؟ قال: من كتاب فاطمة(۲) . نرى انّ الامام يعبّر عن مصحف فاطمة بكتاب، مشيراً إلى أنّه كتاب لا قرآن يختص به . فإذا كان الغرض هو التعرّف على الواقع فهذا هو الواقع. وإن كان الهدف هو الشغب فالاُولى بهذه النسبة هى عائشة، روى السيوطى أنّه قالت حميدة بنت أبى يونس: قرأ ابى وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة: انّ اللّه وملائكته يصلّون على النبى يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما وعلى الذين يصلّون فى الصفوف الاُولى(۳) . * * * ______________

۱ . التكوير / ۱۰ .

۲ . الكلينى الكافى ۳ / ۵۰۷ ط طهران .

۳ . الاتقان ۲ / ۲۵ . (۶۵۸)

هذه من الشيعة الامامية وهذا تاريخها المشرق وهؤلاء أئمتها أئمة أهل البيت وهذه عقائدها الوضّاءة، وهؤلاء علماؤها وأبطالها المشاركون فى بناء الحضارة الإسلامية وهذه وهذه وهذه . فماذا بعد الحق إلاّ الضلال. نسأله سبحانه أن يتفضّل علينا بتوحيد الكلمة كما أولانا بكلمة التوحيد إنّه خير مدعو وخير مجيب وصلّى اللّه على سيدنا محمّد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين . وآخر دعوانا أن الحمد اللّه رب العالمين . قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ جعفر السبحانى

فهرس مصادر الكتاب

فهرس مصادر الكتاب القرآن الكريم حرف الألف: ۱ـ أبو العباس السفاح: محمّد أحمد براق . ۲ـ الاتقان: جلال الدين السيوطى (۸۴۹

ـ ۹۱۱ هـ) دار ابن کثیر، بیروت . ۳ـ اثبات الهداة: الحر العاملی: محمّد بن الحسن (م ۱۱۰۴ هـ) المطبعة العلمیة، قم . ۴ـ اثبات الوصیة: المسعودی: علی بن الحسین بن علی (م ۳۴۵ هـ) قـم ـ ۱۴۰۴ هـ . ۵ـ الإثنا عشـریة وأهل البیت: محمّد جواد مغنیة . ۶ـ الإحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علی الطبرسی (من اعلام القرن السادس)

مؤسسة الأعلمی، بیروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۷ـ أحسن التقاسیم: شـمس الدین محمّد بن أحمد المقدسی، طبع لیدن ـ ۱۹۰۶ م . ۸ـ الأحکام السلطانیة: الماوردی: علی بن محمّد البصری (م ۴۵۰ هـ) دار الکتب العلمیة، بیروت . ۹ـ أحکام القرآن: الجصّاص: أحمد بن علی (م ۳۷۰ هـ) دار الکتــب العربی، بیروت ـ ۱۴۰۱ هـ . (۶۷۲) ۱۰ـ أخبار اصبهان: أبو نعیم الاصـفهانی: أحمـد بن عبداللّه (م ۴۳۰ هـ) انتشارات جهان، طهران. ۱۱ـ أخبار النحویین واللغویین: ابن الندیم (م ۳۸۵ هـ) . ۱۲ـ الاختصاص: الشیخ المفید: محمد بن محمد بن النعمان (۳۳۶ ـ ۴۱۳ هـ)

مؤسـسه النشر الاسلامی، قم . ۱۳ـ الأربعون حـدیثاً: النبهانی . ۱۴ـ الارشاد: المفیـد: محمّد بن محمّد بن النعمان (م ۴۱۳ هـ) طبع قم ـ ۱۴۰۲ هـ . ۱۵ـ الأرض والتربـة الحسـینیة: الشـیخ محمّد حسـین کاشف الغطاء (م ۱۳۷۳ هـ) . ۱۶ـ الاستیعـاب: أبـو عمرو: یوسف بن عبـداللّه بن عبـدالبرّ، دار نهضة مصـر، القاهرة . ۱۷ـ أسـد الغابـة: ابـن الأـثیر: علی بن أبی الکرم (م ۶۳۰ هـ) دار احیـاء الـتراث العربی بیروت . ۱۸ـ الإصابة: ابن حجر: أحمد بن علی العسـقلانی (م ۸۵۲ هـ) دار احیـاء التراث العربی، بیروت . ۱۹ـ أصل الشیعة واُصولها: الشـیخ محمّد حسین آل کاشف الغطاء (۱۲۹۵ ـ ۱۳۷۳ هـ) مطبعة العرفان، صـیدا ـ ۱۳۵۵ هـ . ۲۰ـ اُصول الدین: محمّد بن عبدالکریم البزدوی (۴۲۱ ـ ۴۹۳ هـ) دار احیاء الکتب العربیـة، القاهرة ـ ۱۳۸۳ هـ . ۲۱ـ اُصول الفقه: الدوالیبی . ۲۲ـ اعتقادات الإمامیة: الصدوق: محمّد بن بابویه القمی (۳۸۱ هـ) طبعة حجر . ۲۳ـ إعلام الوری: الطبرسی: الفضل بن الحسن (۴۷۱ ـ ۵۴۸ هـ) طبع إیران . ۲۴ـ أعیان الشیعة: السـید محسن الأمین العاملی (م ۱۳۷۱ هـ) دار التعــارف، بیروت . ۲۵ـ الإلهیات: محمّد مکی العاملی من محاضـرات الاُسـتاذ جعفر السـبحانی، الدار الإسـلامیة، بیروت ـ ۱۴۱۰ هـ . (۶۷۳) ۲۶ـ الأمـالی: الصـدوق: محمّـد بن بابویه القمی (م ۳۸۱ هـ) المکتبة الإسلامیة، طهران . ۲۷ـ الأمالی: المفیـد: محمّد بن محمّد بن النعمان (م ۴۱۳ هـ) قم ـ ۱۴۰۴ هـ . ۲۸ـ الامام جعفر الصادق: محمّد أبو زهرة (م ۱۳۹۶ هـ) . ۲۹ـ الامـام علی صـوت العدالـة الإنسانیـة: جـورج جرداق، دار الروائع، بیروت. ۳۰ـ الامامة والسـیاسة: ابن قتیبة: عبداللّه بن مسـلم الدینوری (م ۲۷۶ هـ) مطبعة مصـطفی محمّد، مصـر . ۳۱ـ الانتصـار: ابو الحسـین الخیاط المعتزلی، تحقیق د. نیبرج، طبع مصر ـ ۱۳۴۴ هـ . ۳۲ـ أنساب الأشـراف: البلاذری: أحمـد بن یحیی (من أعلام القرن الثالث الهجری) مؤسـسة الأعلمی، بیروت ـ ۱۳۹۴ هـ . ۳۳ـ أوائل المقالات: المفیـد: محمّـد بن محمّـد بن النعمان (م ۴۱۳ هـ) مکتبـة الحقیقـة، تبریز – ۱۳۷۱ هـ . ۳۴ـ الإیضاح: الفضـل بن شاذان (م ۲۶۰ هـ) انتشـارات جامعـة طهران، طهران ـ ۱۴۰۴ هـ . * حرف البـاء: ۳۵ـ بحارالأنوار: محمّد باقر المجلسـی (م ۱۱۱۰ هـ) مؤسـسة الوفاء، بیروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۳۶ـ البدایـة والنهایة: ابن کثیر: الحافظ أبو الفداء (م ۷۷۴ هـ) دار الفکر، بیروت ـ ۱۴۰۲ هـ . ۳۷ـ البرهان فی تفسیر القرآن: السـید هاشم التوبلی البحرانی (م ۱۱۰۷ هـ) قـم ـ ۱۳۷۵ هـ . ۳۸ـ البلـدان: الیعقوبی: أحمد بن أبی یعقوب (من أعلاـم القرن الثالث) . ۳۹ـ بلوغ المرام: ابن حجر العسـقلانی (م ۸۵۲ هـ) دار النهضة، مصـر . (۶۷۴) ۴۰ـ البیان والتبیین: أبو عثمان: عمرو بن بحر الجاحظ (م ۲۵۵ هـ) دار الفکر للجمیع، بیروت ـ ۱۹۶۸ م . ۴۱ـ بین یدی الساعة: الدکتور عبدالباقی المعاصر . * حرف التاء: ۴۲ـ تاریـخ آداب اللغة العربیة: جرجی زیدان، دار الهلال، القاهرة ـ ۱۹۳۱ م . ۴۳ـ تاریخ ابن خلدون: عبدالرحمان بن خلدون (م ۸۰۸ هـ) بیروت ـ ۱۹۵۶م. ۴۴ـ تاریخ الإسـلام السیاسـی: الدکتور حسن إبراهیم حسن (المعاصـر) مصـر ـ ۱۹۳۵ م . ۴۵ـ تاریخ الإمامیة: الدکتور عبداللّه فیاض، مؤسـسة الأعلمی، بیروت – ۱۳۹۵ هـ . ۴۶ـ تاریـخ الاُمم والملوک: الطبری: محمّد بن جریر (م ۳۱۰ هـ) مؤسسة الأعلمی بیروت . ۴۷ـ تاریخ بغداد: الخطیب البغدادی: أحمد بن علی (م ۴۶۳ هـ) المکتبة السلفیة، المدینة المنورة . ۴۸ـ تاریخ الخلفاء: جلال الدین السیوطی (۸۴۹ ـ ۹۱۱ هـ) مطبعـة المدنی، القاهرة ـ ۱۳۸۳ هـ . ۴۹ـ تاریخ الشعوب الإسلامیة: کارل بروکلمـان، طبع بیروت ـ ۱۹۶۵ م. ۵۰ـ تاریخ الشـیعة: محمّد حسـین المظفر (م ۱۳۷۵ هـ) منشورات مکتبـة بصـیرتی، قم . ۵۱ـ تاریخ

المذاهب الإسلامية: محمّد أبو زهرة (م ١٣٩٦ هـ) دارالفكر العربى، بيروت . ٥٢ـ تاريخ مختصر الدول: ابن العبرى: العلامة غريغوريوس الملطى (م ٦٨٥ هـ) مؤسسة منابع الثقافة الإسلامية، قم . ٥٣ـ تاريخ اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب (من علماء القرن الثالث الهجرى) (٦٧٥)

المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٤٨ هـ . ٥٤ـ تأسيس الشيعة: السيد حسن الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤ هـ)، مطبعة المعارف، بغداد ـ ١٣٧٠ هـ . ٥٥ـ التبيان فى تفسير القرآن: الطوسى: محمّد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت . ٥٦ـ التبصير فى الدين: أبو المظفر الاسفرائينى (م ٤٧١ هـ) بيروت ـ ١٤٠٣ هـ . ٥٧ـ التحرير الطاووسى: الشيخ حسن بن زين الدين العاملى (م ١٠١١ هـ) . ٥٨ـ تحف العقول: الحرّانى: الحسن بن على (من أعلام القرن الرابع الهجرى) مؤسسة الأعلمى، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ . ٥٩ـ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزى (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت ـ ١٤٠١ هـ . ٦٠ـ ترتيب المدارك: القاضى عياض، بيروت ـ ١٩٧٦ م . ٦١ـ تصحيح الاعتقاد: المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ـ ١٣٧١ هـ . ٦٢ـ تطهير الجنان: ابن حجر الهيتمى (م ٩٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ . ٦٣ـ تفسير ابن كثير: إسماعيل الدمشقى (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ . ٦٤ـ تفسير الخازن: الشيخ علاء الدين محمّد البغدادى، طبع القاهرة . ٦٥ـ تفسير الرازى (مفاتيح الغيب): محمّد بن عمر الخطيب (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار احياء التراث العربى، بيروت . ٦٦ـ تفسير روح البيان: إسماعيل حقّى . ٦٧ـ تفسير الطبرى (جامع البيان): محمّد بن جرير (م ٣١٠ هـ) دار المعرفة، بيروت . ٦٨ـ تفسير القرطبى (جامع أحكام القرآن): محمّد بن أحمد الأنصارى (م ٦٧١ هـ) (٦٧٦)

دار احياء التراث العربى، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ . ٦٩ـ تفسير المراغى: أحمد مصطفى المراغى، دار احياء التراث العربى، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ . ٧٠ـ تفسير المنار: محمّد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ) دار المنار، مصر ـ ١٣٧٣ هـ . ٧١ـ تفسير النسفى: المطبوع بهامش تفسير الخازن، طبع القاهرة، مصر . ٧٢ـ التفسير والمفسرون: الدكتور محمّد حسين الذهبى (م ١٣٩٦ هـ) دار الكتب الحديثة، مصر ـ ١٣٩٦ هـ . ٧٣ـ تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلانى (م ٨٥٢ هـ)، بيروت ـ ١٩٧٥ م . ٧٤ـ تقييد العلم: الخطيب البغدادى (م ٤٦٣ هـ) نشر دار السنّة ـ ١٩٧٤ م . ٧٥ـ التمهيد: الباقلانى: محمّد بن الطيب (م ٤٠٣ هـ) القاهرة ـ ١٣٦٦ هـ . ٧٦ـ تنقيح المقال: عبد اللّه المامقانى (١٢٩٠ ـ ١٣٥١ هـ) النجف الأشرف ـ ١٣٥٠ هـ . ٧٧ـ تهذيب التهذيب: العسقلانى: أحمد بن على بن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ . ٧٨ـ التوحيد: الصدوق: محمّد بن بابويه القمى (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران . * حرف الثاء: ٧٩ـ الثقات العيون: آغا بزرگ الطهرانى (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩ هـ) . * حرف الجيم: ٨٠ـ جامع الاُصول: ابن الأثير الجزرى: المبارك بن محمّد (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دارالفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ . (٦٧٧) ٨١ـ الجرح والتعديل: أبو حاتم الرازى (م ٣٢٧ هـ) دار احياء التراث العربى، بيروت ـ ١٣٧١ هـ . ٨٢ـ جمل العلم والعمل: الشريف المرتضى: على بن الحسين الموسوى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) . ٨٣ـ جنة المأوى: محمّد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ١٣٨٠ هـ . * حرف الحاء: ٨٤ـ الحضارة الإسلامية: آدم متز، ترجمة الدكتور عبدالهادى أبو ريدة، مصر ـ ١٣٦٧ هـ . ٨٥ـ حقائق التنزيل: الشريف الرضى (٣٥٩ ـ ٤٠٤ هـ) مؤسسة البعثة، طهران ـ ١٤٠٦ هـ . ٨٦ـ حلية الأولياء: أبو نعيم: أحمد بن عبداللّه الاصبهانى (م ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربى، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ . ٨٧ـ الحوادث الجامعة: ابن الفوطى: عبدالرزاق بن أحمد (م ٧٣٣ هـ) تحقيق الدكتور مصطفى جواد، بغداد ـ ١٣٥١ هـ . * حرف الخاء: ٨٨ـ الخصائص العلوية: النسائى: أبو عبدالرحمان: أحمد (م ٣٠٣ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٨٨ هـ . ٨٩ـ الخصال: الشيخ الصدوق: محمّد بن بابويه (م ٣٨١ هـ) منشورات دارالنشر الاسلامى، قم ـ ١٤٠٣ هـ . ٩٠ـ خطط الشام: محمّد كرد على، مصر ـ ١٩٦٣ م . ٩١ـ الخطط المقريزية: تقى الدين المقريزى (م ٨٤٥ هـ) دار صادر، بيروت . (٦٧٨) ٩٢ـ الخلاصة: العلاّمة الحلى (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) النجف الأشرف . ٩٣ـ الخلاف: الشيخ الطوسى (م ٤٦٠ هـ) دارالكتب العلمية، قم . ٩٤ـ الخلافة والإمامة: عبدالكريم الخطيب (م ١٣٩٦ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ . ٩٥ـ الخوارج والشيعة: يوليوس فلهوزن، ترجمة الدكتور عبدالرحمان بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت . * حرف الدال: ٩٦ـ دائرة

المعارف: فريد وجدى، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين ـ ۱۳۸۶ هـ . ۹۷ـ الدرجات الرفيعة: صدر الدين السيد على خان المدنى الحسينى (م ۱۱۲۰ هـ)

منشورات المكتبة، الحيدرية، النجف الأشرف ـ ۱۳۸۱ هـ . ۹۸ـ الدر المنثور: جلال الدين السيوطى (۸۴۹ ـ ۹۱۱ هـ) دارالفكر، بيروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۹۹ـ ديوان ابن الرومى: أبو الحسن على بن العباس بن جريج (م ۲۸۳ هـ) تحقيق كامل الكيلانى، طبعة مصر ۱۹۲۴ م . * حرف الذال: ۱۰۰ـ الذخيرة: الشريف المرتضى (۳۵۵ ـ ۴۳۶ هـ) طبع ايران . ۱۰۱ـ الذريعة: آغا بزرگ الطهرانى (م ۱۳۸۹ هـ) دارالأضواء، بيروت . ۱۰۲ـ الذكرى: الشهيد الأول: محمّد بن مكى العاملى (۷۳۳ ـ ۷۸۶ هـ) طبعة حجر، إيران . * حرف الراء: ۱۰۳ـ ربيع الأبرار: الزمخشرى: محمود بن عمر (۴۶۷ ـ ۵۳۸ هـ) منشورات (۶۷۹)

الشريف الرضى، قم ـ ۱۴۱۰ هـ . ۱۰۴ـ الرجال: ابن داود: الحسين بن على الحلى (من علماء القرن السابع الهجرى) طهران ـ ۱۳۴۲ هـ . ۱۰۵ـ الرجال: البرقى: أحمد بن عبداللّه (۲۷۴ أو ۲۸۰ هـ) طهران ـ ۱۳۸۳ هـ . ۱۰۶ـ الرجال: الطوسى: محمّد بن الحسن (م ۴۶۰ هـ) النجف الأشرف ـ ۱۳۸۱ هـ ۱۰۷ـ الرجال: الكشى: أبو عمرو (من علماء القرن الرابع) مؤسسة الأعلمى، كربلاء ـ العراق . ۱۰۸ـ الرجال: النجاشى: أحمد بن على (۳۷۲ ـ ۴۵۰ هـ) بيروت ـ ۱۴۰۹ هـ . ۱۰۹ـ الرحلة (تحفة النظّار فى غرائب الأمصار): ابن بطوطة: محمّد بن عبداللّه (م ۷۷۹ هـ) دارالكتب العلمية، بيروت ـ ۱۴۰۷ هـ . ۱۱۰ـ الرسائل: الإمام الخمينى (۱۳۲۰ ـ ۱۴۰۹ هـ) مؤسسة إسماعيليان، قم ـ ۱۳۸۵ هـ . ۱۱۱ـ الرسائل: أبو عثمان عمرو الجاحظ (م ۲۵۵ هـ) طبع مصر . ۱۱۲ـ رسالة فى آل أعين: أبو غالب الزرارى (م ۳۶۸ هـ) مطبعة ربّانى، اصفهان ـ ۱۳۹۹ هـ . ۱۱۳ـ الرواشح السماوية: المحقق الداماد (م ۱۴۰۱) طبعة حجر، إيران . ۱۱۴ـ روح المعانى: الآلوسى: أبوالفضل: شهاب الدين السيد محمود البغدادى (م ۱۲۷۰ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت. ۱۱۵ـ روضات الجنات: محمّد باقر الخوانسارى (م ۱۳۱۳ هـ) طهران ـ ۱۳۹۰ هـ ۱۱۶ـ روضة الواعظين: الفتّال النيسابورى: محمّد بن على (من علماء القرن السادس الهجرى) تبريز ـ ۱۳۳۰ هـ . * حرف الزاى: ۱۱۷ـ الزيدية نظرية وتطبيق: على عبدالكريم فضيل، شرف الدين، طبع عمان ـ ۱۴۰۵ هـ . (۶۸۰) * حرف السين: ۱۱۸ـ السجدة على التربة . ۱۱۹ـ السجود على الأرض: العلاّمة على الأحمدى، مؤسسة فى طريق الحق، قم . ۱۲۰ـ السراج المنير: الخطيب الشربينى، دار المعرفة، بيروت . ۱۲۱ـ سفينة البحار: الشيخ عباس القمى (۱۲۹۴ ـ ۱۳۵۹ هـ) طبعة حجر، النجف الأشرف . ۱۲۲ـ السنة والشيعة: محمّد رشيد رضا (م ۱۳۵۴ هـ) . ۱۲۳ـ السنن: ابن ماجة: محمّد بن يزيد القزوينى (۲۰۷ ـ ۲۷۵ هـ) داراحياء التراث العربى، بيروت ـ ۱۳۵۹ هـ . ۱۲۴ـ السنن الكبرى: البيهقى: أحمد بن الحسين (م ۴۵۸ هـ) دارالمعرفة، بيروت ۱۴۰۶ هـ . ۱۲۵ـ سيد المرسلين: محاضرات جعفر السجانى (مؤلف هذا الكتاب تولد ۱۳۴۷ هـ) بقلم: جعفر الهادى، مؤسسة النشر الاسلامى، قم ـ ۱۴۱۲ هـ . ۱۲۶ـ سير أعلام النبلاء: الذهبى: شمس الدين محمّد بن أحمد (م ۸۴۸ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ۱۴۰۹ هـ . ۱۲۷ـ السيرة الحلبية: الحلبى: برهان الدين على بن ابراهيم (م ۱۰۴۴ هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت . ۱۲۸ـ سيرتنا و سنتنا: العلامة عبدالحسين الأمينى (۱۳۲۰ ـ ۱۳۹۰ هـ) طبع النجف الأشرف . ۱۲۹ـ السيرة النبوية: ابن هشام: عبدالملك بن أيوب الحميرى (م ۲۱۳ أو ۲۱۸ هـ) دارالتراث العربى، بيروت . * حرف الشين: ۱۳۰ـ الشافى فى الإمامة: الشريف المرتضى (م ۴۳۶ هـ) مؤسسة الصادق، (۶۸۱)

طهران ـ ۱۴۱۰ هـ . ۱۳۱ـ شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلى (۱۰۳۲ ـ ۱۰۸۹ هـ) دارالفكر، بيروت ـ ۱۳۹۹ هـ . ۱۳۲ـ شرح التجريد: القوشچى: علاء الدين، طبعة حجر، تبريز . ۱۳۳ـ شرح العقائد النسفية: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (م ۷۹۲ هـ) مكتبة المثنى، بغداد . ۱۳۴ـ شرح مقاصد الطالبيين: سعد الدين التفتازانى (م ۷۹۲ هـ) طبع مصر . ۱۳۵ـ شرح نهج البلاغة: ابن ابى الحديد (م ۶۵۵ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة ـ ۱۳۷۸ هـ . ۱۳۶ـ الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا (م ۴۲۸ هـ) انتشارات بيدار، إيران . ۱۳۷ـ شمس العرب تسطع على الغرب: المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، الترجمة العربية، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ۱۴۱۰ هـ . ۱۳۸ـ الشيعة بين الأشاعرة و المعتزلة: هاشم معروف الحسينى (م ۱۴۰۷ هـ) دار القلم، بيروت ـ ۱۹۷۸ م . ۱۳۹ـ الشيعة والتشيّع: محمّد جواد مغنية،

مكتبة المدرسة ودارالكتاب العربی، بیروت . ۱۴۰ـ الشیعة والحاكمون: محمّد جواد مغنیة، دار و مكتبة الهلال، بیروت ـ ۱۴۰۴ هـ * حرف الصاد: ۱۴۱ـ الصحیح: أبو داود السجستانی (م ۲۷۵ هـ) دار إحیاء التراث العربی، بیروت. ۱۴۲ـ الصحیح: البخاری: محمّد بن اسماعیل (م ۲۵۶ هـ) مكتبة عبدالحمید أحمد حنفی، مصر ـ ۱۳۱۴ هـ . ۱۴۳ـ الصحیح: الترمذی: محمّد بن عیسی بن سورة (۲۰۹ ـ ۲۷۹ هـ) دار إحیاء التراث العربی، بیروت . (۶۸۲) ۱۴۴ـ الصحیح: مسلم بن الحجاج القشیری (م ۲۶۱ هـ) دار احیاء التراث العربی، بیروت . ۱۴۵ـ الصحیفة السجادیة الجامعة: الإمام زین العابدین علی بن الحسین ـ علیه السلام ـ مؤسسة الإمام المهدی ـ عجل اللّه فرجه الشریف ـ قم ـ ۱۴۱۱ هـ . ۱۴۶ـ الصلة بین التصوّف والتشیع: الدكتور كامل مصطفی الشیبی، دار المعارف، مصر ـ ۱۹۶۹ م . ۱۴۷ـ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهیتمی (م ۹۷۴ هـ) مكتبة القاهرة، مصر ـ ۱۳۸۵ هـ . * حرف الطاء: ۱۴۸ـ الطبقات الكبری: محمّد بن سعد (م ۲۳۰ هـ) دار صادر، بیروت ـ ۱۳۸۰ هـ . * حرف العین: ۱۴۹ـ عبداللّه سبأ: السید مرتضی العسكری (المعاصر) النجف الأشرف . ۱۵۰ـ العبر فی خبر من غبر: الذهبی: أبو عبداللّه محمّد بن أحمد (۶۷۳ ـ ۷۴۸ هـ) دار الكتب العلمیة، بیروت . ۱۵۱ـ عبقات الأنوار: السید میر حامد حسین الهندی (ت ۱۳۰۶ هـ) مؤسسة الامام المهدی ـ عجل اللّه فرجه الشریف ـ قم ـ ۱۴۰۶ هـ . ۱۵۲ـ العقائد الجعفریة: الطوسی: محمّد بن الحسن (م ۴۶۰ هـ) طبعت علی شكل رسالة مع كتاب جواهر الفقه، مؤسسة النشر الإسلامی، قم ـ ۱۴۱۲ هـ . ۱۵۳ـ العقد الفرید: ابن عبد ربه الاندلسی (۲۴۶ ـ ۳۲۸ هـ) دارالكتب العلمیة، بیروت ـ ۱۴۰۴ هـ . ۱۵۴ـ العقیدة والشریعة فی الإسلام: المستشرق اجناس جولد تسیهر (۱۸۵۰ ـ ۱۹۲۱ م) دارالكتاب العربی، مصر . ۱۵۵ـ العقیدة الطحاویة: أبو جعفر الطحاوی (۳۲۱ هـ) . (۶۸۳) ۱۵۶ـ علل الشرائع: الشیخ الصدوق (م ۳۸۱ هـ) مؤسسة الأعلمی، بیروت ۱۴۰۸ هـ . ۱۵۷ـ عمدة الطالب: ابن مهنا: جمال الدین أحمد بن علی (م ۸۲۸ هـ) النجف الاشرف ـ ۱۳۸۰ هـ . ۱۵۸ـ عمدة القارئ: محمود بن أحمد العینی الحنفی، طبع مصر . ۱۵۹ـ عیون أخبار الرضا: الشیخ الصدوق (م ۳۸۱ هـ) مؤسسة الأعلمی، بیروت ـ ۱۴۰۴ هـ . * حرف الغین: ۱۶۰ـ الغارات: ابن هلال الثقفی (م ۲۸۳ هـ) دارالكتاب الإسلامی، قم ـ ۱۴۱۱ هـ . ۱۶۱ـ غایة المرام: السید هاشم البحرانی (م ۱۱۰۷ هـ) طبعة حجر، إیران . ۱۶۲ـ الغدیر: العلاّمة عبدالحسین أحمد الأمینی (۱۳۲۰ ـ ۱۳۹۰ هـ) دارالكتاب العربی، بیروت ـ ۱۳۸۷ هـ . * حرف الفاء: ۱۶۳ـ فتح الباری: ابن حجر: شهاب الدین أحمد العسقلانی (م ۸۵۲ هـ) دار احیاء التراث العربی، بیروت . ۱۶۴ـ فتح البیان: صدیق حسن خان . ۱۶۵ـ الفتنة الكبری: الدكتور طه حسین، القاهرة ـ ۱۹۵۱ م . ۱۶۶ـفتوح البلدان: البلاذری: أبو الحسن (م ۲۷۹ هـ) المكتبة التجاریة، مصر ـ ۱۹۵۹ م . ۱۶۷ـ فجر الإسلام: أحمد أمین (م ۱۳۸۸ هـ) نشر دارالكتاب العربی . ۱۶۸ـ فرج المهموم: علی بن موسی بن طاووس (م ۶۶۴ هـ)، النجف الأشرف ـ ۱۳۶۸ هـ . (۶۸۴) ۱۶۹ـ فرق الشیعة: النوبختی: الحسن بن موسی (من أعلام القرن الثالث الهجری) دارالأضواء، بیروت ـ ۱۴۰۴ هـ . ۱۷۰ـ الفصل فی الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسی (م ۴۵۶ هـ) دارالمعرفة، بیروت ـ ۱۳۹۵ هـ . ۱۷۱ـ الفصول المختارة: الشیخ المفید (م ۴۱۳ هـ)، مكتبة الداوری، قم ـ ۱۳۹۶ هـ . ۱۷۲ـ الفصول المهمة: ابن الصبّاغ المالكی (م ۸۵۵ هـ) المكتبة الحیدریة، النجف الأشرف ـ ۱۳۸۱ هـ . ۱۷۳ـ فضائل القرآن: الدارمی . ۱۷۴ـ فلاسفة الشیعة: الشیخ عبداللّه نعمة (المعاصر)، منشورات دار مكتبة الحیاة، بیروت . ۱۷۵ـ الفهرست: ابن الندیم: محمّد بن اسحاق (۲۹۶ ـ ۳۸۵ هـ) القاهرة ـ ۱۳۴۸ هـ . ۱۷۶ـ الفهرست: محمّد بن الحسن الطوسی (م ۴۶۰ هـ) جامعة مشهد، ایران ـ ۱۳۵۱ هـ . ۱۷۷ـ فی رحاب أئمة أهل البیت: السید محسن الأمین العاملی (م ۱۳۷۱ هـ) دار التعارف، بیروت ـ ۱۴۰۰ هـ . * حرف القاف: ۱۷۸ـ قاموس الرجال: التستری: محمّد تقی (المعاصر) طهران ـ ۱۳۹۷ هـ . ۱۷۹ـ قصة الحضارة: ویل دورانت، دارالجیل، بیروت ـ ۱۴۰۸ هـ . * حرف الكاف: ۱۸۰ـ الكافی: الكلینی: محمّد بن یعقوب (م ۳۲۹ هـ) دارالكتب الإسلامیة، طهران ـ ۱۳۹۷ هـ . ۱۸۱ـ الكامل فی التاریخ: ابن الأثیر الجزری: محمّد بن محمّد (م ۶۳۰ هـ) (۶۸۵)

دارالكتاب العربی، بیروت . ۱۸۲ـ الكشّاف: الزمخشری: محمود بن عمر (م ۵۳۸ هـ) مكتبة مصطفی البابی الحلبی، القاهرة ـ ۱۳۶۷ هـ . ۱۸۳ـ كشف الظنون: حاج خلیفة مصطفی بن عبداللّه (م ۱۰۶۷ هـ) طبع استانبول ـ ۱۳۶۲ هـ . ۱۸۴ـ كشف الغمة: الأربلی: علی بن

عیسی (م ۶۹۳ هـ) دارالأضواء، بیروت ـ ۱۴۰۵ هـ . ۱۸۵ـ کمال الدین: الشیخ الصدوق (م ۳۸۱ هـ) طهران ـ ۱۴۰۵ هـ . ۱۸۶ـ کنز العمال: المتقی الهندی (م ۹۷۵ هـ) مؤسسة الرسالة، بیروت ـ ۱۴۰۵ هـ . ۱۸۷ـ کنز الفوائد: الکراجکی: محمّد بن علی بن عثمان (م ۴۴۹ هـ) دارالأضواء، بیروت ـ ۱۴۰۵ هـ . * حرف اللام: ۱۸۸ـ اللئالی المصنوعة: جلال الدین السیوطی (م ۹۱۱ هـ) دار المعرفة، بیروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۱۸۹ـ لسان العرب: العلامة ابن منظور: محمّد بن مکرم (م ۷۱۱ هـ) قم ـ ۱۴۰۵ هـ ۱۹۰ـ لسان المیزان: العسقلانی: أحمد بن علی بن حجر (م ۸۵۲ هـ) مؤسسة الأعلمی، بیروت . ۱۹۱ـ لؤلؤة البحرین: المحدث البحرانی: الشیخ یوسف، النجف الأشرف ـ ۱۳۸۶ هـ * حرف المیم: ۱۹۲ـ ماضی النجف وحاضرها: الشیخ جعفر آل محبوبة (م ۳۷۷ هـ) دارالأضواء، بیروت ـ ۱۴۰۶ هـ . (۶۸۶) ۱۹۳ـ مجمع البیان: الطبرسی: الفضل بن الحسن (۴۷۱ ـ ۵۴۸ هـ) دارالمعرفة، بیروت ـ ۱۴۰۸ هـ . ۱۹۴ـ مجمع الزوائد: الهیثمی: الحافظ نور الدین علی بن أبی بکر (۷۳۵ ـ ۸۰۷ هـ) دارالکتاب العربی، بیروت ـ ۱۴۰۲ هـ . ۱۹۵ـ محاسن التأویل: جمال الدین القاسمی (۱۳۳۲ هـ) . ۱۹۶ـ المحاسن والمساوئ: البیهقی: أحمد بن الحسین (م ۴۵۸ هـ) مکتبة النهضة، مصر . ۱۹۷ـ محاضرات فی تاریخ الاُمم الإسلامیة: محمّد الخضری، دار احیاء الکتب العربیة ـ ۱۳۴۹ هـ . ۱۹۸ـ مختصر تاریخ العرب: السید أمیر علی، طبع مصر ـ ۱۹۳۸ م . ۱۹۹ـ مرآة الجنان: أبو محمّد، عبداللّه بن أسعد الیافعی (م ۷۶۸ هـ) دائرة المعارف العثمانیة، الهند ـ ۱۳۳۷ هـ . ۲۰۰ـ المراجعات: السید عبدالحسین شرف الدین العاملی (۱۲۹۰ ـ ۱۳۷۷ هـ) طبع مصر . ۲۰۱ـ مروج الذهب: المسعودی: علی بن الحسین (م ۳۴۵ هـ) منشورات الجامعة اللبنانیة، بیروت ـ ۱۹۶۵ م . ۲۰۲ـ مسائل فقهیة: السید عبدالحسین شرف الدین العاملی (م ۱۳۷۷ هـ) منظمة الاعلام الإسلامی، طهران ـ ۱۴۰۷ هـ . ۲۰۳ـ المستدرک: الحاکم النیسابوری: محمّد بن عبداللّه (م ۴۰۵ هـ) دارالمعرفة، بیروت . ۲۰۴ـ مستدرک الوسائل: الشیخ النوری: الحسین بن محمّد تقی (۱۲۵۴ ـ ۱۳۲۰ هـ) مؤسسة آل البیت، قم ـ ۱۴۰۷ هـ . ۲۰۵ـ المسند: أحمد بن حنبل (م ۲۴۱ هـ) دارالفکر، بیروت . ۲۰۶ـ مصفی المقال: آغا بزرگ الطهرانی (م ۱۳۸۹ هـ) دار العلوم، بیروت ـ (۶۸۷) ۱۴۰۸ هـ . ۲۰۷ـ المصنف: أبوبکر بن أبی شیبة . ۲۰۸ـ المصنف: عبدالرزاق، تحقیق حبیب الرحمان الأعظمی، ۱۱ مجلداً، دار الکتب السلفیة، القاهرة . ۲۰۹ـ مظاهر الشعوبیة فی الأدب العربی: الدکتور محمّد نبیه حجاب، طبع مصر ـ ۱۹۶۱ م . ۲۱۰ـ معالم العلماء: ابن شهر آشوب: محمّد بن علی السروی المازندرانی (۴۸۸ ـ ۵۸۸ هـ) النجف الأشرف ـ ۱۳۸۰ هـ . ۲۱۱ـ معانی الأخبار: الصدوق: محمّد بن بابویه القمی (م ۳۸۱ هـ) دارالمعرفة، بیروت ـ ۱۳۹۹ هـ . ۲۱۲ـ معجم الادباء: الحموی: یاقوت بن عبداللّه (م ۲۶۲ هـ) دارالفکر، بیروت ـ ۱۴۰۰ هـ . ۲۱۳ـ معجم البلدان: الحموی: یاقوت بن عبداللّه (م ۲۶۲ هـ) دار احیاء التراث العربی، بیروت ـ ۱۳۹۹ هـ . ۲۱۴ـ المغنی: عبداللّه بن قدامة (۵۴۱ ـ ۶۲۰ هـ) مطبعة الإمام، مصر . ۲۱۵ـ مقاتل الطالبیین: أبو الفرج الاصفهانی (۲۸۴ ـ ۳۵۶ هـ) مؤسسة دار الکتاب، قم . ۲۱۶ـ مقالات الإسلامیین: الأشعری: علی بن اسماعیل (م ۳۲۴ هـ) الطبعة الثالثة ۱۴۰۰ هـ . ۲۱۷ـ مقتل الامام الحسین: أبو مخنف: لوط بن یحیی الغامدی (م ۱۵۸ هـ) المکتبة العلمیة، قم . ۲۱۸ـ الملل والنحل: الشهرستانی: محمّد بن عبدالکریم (۴۷۹ ـ ۵۴۸ هـ) دارالمعرفة، بیروت ـ ۱۴۰۲ هـ . ۲۱۹ـ المناقب: الخوارزمی: أحمد بن محمّد (م ۵۶۸ هـ) مؤسسة النشر الاسلامی، قم ـ ۱۴۱۱ هـ . (۶۸۸) ۲۲۰ـ مناقب آل أبی طالب: ابن شهر آشوب: محمّد بن علی السروی المازندرانی (۴۸۸ ـ ۵۸۸ هـ) المطبعة العلمیة، قم . ۲۲۱ـ مناقب علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ: ابن المغازلی: علی بن محمّد الشافعی الواسطی (م ۴۸۳ هـ) المکتبة الإسلامیة، طهران ـ ۱۴۰۳ هـ . ۲۲۲ـ منتخب کنز العمال (هامش مسند أحمد): المتقی الهندی (م ۹۷۵ هـ) دار الفکر . ۲۲۳ـ المنتظم: ابن الجوزی: عبدالرحمان بن علی البغدادی (م ۵۹۷ هـ) حیدرآباد ۱۳۵۷ هـ وأخیراً فی لبنان . ۲۲۴ـ منهاج السنة: أحمد بن تیمیة (۶۶۱ ـ ۷۲۸ هـ) طبع مصر . ۲۲۵ـ الموطأ: مالک بن أنس (م ۱۷۹ هـ) دارالآفاق الجدیدة، بیروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۲۲۶ـ المیزان فی تفسیر القرآن: العلاّمة الطباطبائی (۱۳۲۱ ـ ۱۴۰۲ هـ) مؤسسة الأعلمی، بیروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۲۲۷ـ میزان الاعتدال: محمّد بن أحمد الذهبی (م ۷۴۸ هـ) دارالمعرفة، بیروت . * حرف النون: ۲۲۸ـ نظریة الإمامیة: أحمد محمود صبحی (المعاصر) دارالمعارف، مصر . ۲۲۹ـ نقد المحصل: فخر الدین الرازی (م ۶۰۶ هـ) . ۲۳۰ـ النهایة: ابن الأثیر: مبارک بن محمّد الجزری (م ۶۰۶ هـ) مؤسسة اسماعیلیان، قم ـ ۱۴۰۵ هـ .

۲۳۱ـ نهاية المرام: العلّامة الحلى: الحسن بن يوسف (م ۷۲۶ هـ) مخطوط . ۲۳۲ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضى (۳۵۹ ـ ۴۰۴ هـ) بيروت ـ ۱۳۸۷ هـ . * حرف الهاء: ۲۳۳ـ الهدى السارى مقدمة فتح البارى: ابن حجر العسقلانى (م ۸۵۲ هـ) (۶۸۹) دار احياء التراث العربى، بيروت . ۲۳۴ـ هشام بن الحكم: عبداللّه النعمة، دارالفكر العربى، بيروت ـ ۱۴۰۵ هـ . ۲۳۵ـ هوية التشيع: الدكتور الشيخ أحمد الوائلى (المعاصر) داركتبى، بيروت ـ ۱۴۰۷ هـ . * حرف الواو: ۲۳۶ـ الوحى المحمّدى: محمّد رشيد رضا (م ۱۳۵۴ هـ) طبع مصر . ۲۳۷ـ وسائل الشيعة: الحر العاملى: محمّد بن الحسن (۱۰۳۳ ـ ۱۱۰۴ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ ۱۴۰۳ هـ . ۲۳۸ـ وفيات الأعيان: ابن خلّكان، أحمد بن أحمد (۶۰۸ ـ ۶۸۱ هـ) منشورات الشريف الرضى، قم ۱۳۶۴ هـ . ۲۳۹ـ وقعة صفين:نصر بن مزاحم المنقرى (م ۲۱۲ هـ) دار احياء الكتب العربيـة، القاهرة ـ ۱۳۶۵ هـ * حرف الياء: ۲۴۰ـ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر: أبو منصور: عبدالملك بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى (م ۴۲۹ هـ) دارالفكر، بيروت ـ ۱۳۹۲ هـ . ۲۴۱ـ ينابيع المودة: القندوزى: سليمان بن إبراهيم البلخى (م ۱۲۹۴ هـ) مطبعة اختر، اسلامبول، ۱۳۰۱ هـ . ۲۴۲ـ يوم الإسلام: أحمد أمين (م ۱۳۸۸ هـ) .

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهـم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنـَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنـّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزاید و المتـّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثـّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفـِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التـّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز
القائمية
اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹